الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله

(تنبيـــه) قد جرينا في جعل عدد الصحائف في هذا الجزء الرابع تابعا العدد صحائف ما قبله على حسب ما اقتضاه الحال من التقسيم كما تقدمت الاشارة اليه

(فهرسة الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

صحيفة

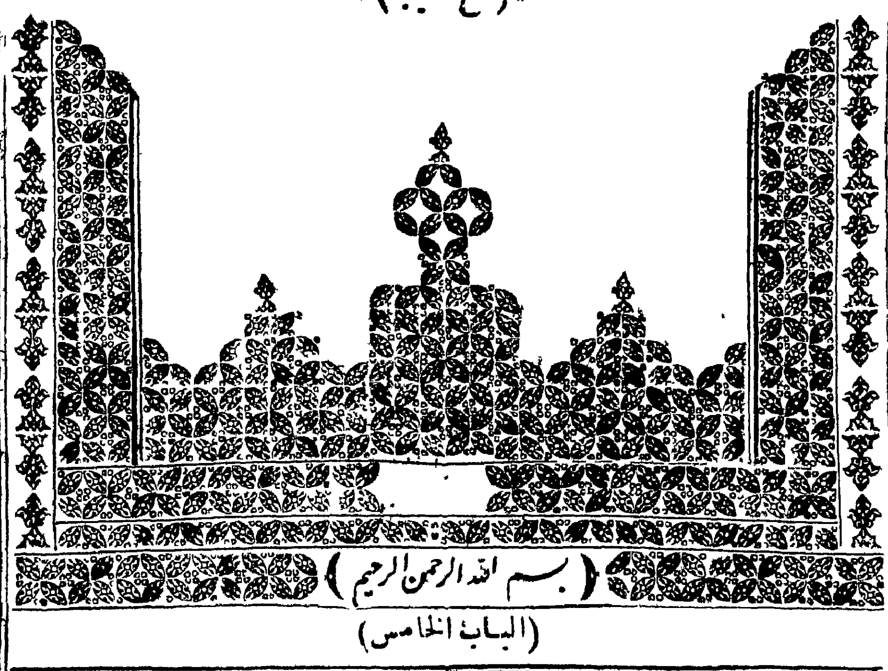
صحيفة

صحيفه

صحيفه

(تمت فهرسة الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب)

الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامه المقرى
رحمه
الله



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس)

فى ايراد جملة من نثره الذى عبق أريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذى تألق نور البراعة من لحانه وصفحاته وما يتصل به من أزجاله وموشحاته ومناسبات رائقة فى فنون الادب ومصطلحاته اعلم سلك الله تعالى بى وبك أوضح محجه وجعلنا ممن انتحى صوب الصواب ونهجه ان هذا الباب هو المقصود بتأليف هذا الكتاب وغيره كالتبع له وها أنا اذكر ما حضرنى الآن من بنات أفكار لسان الدين التى هى بالمحاسن متقنعة وللبدائع منتعلة فأقول * أمّا نثره فهو البحر الزخار بل الدرّ الذى به الافتخار وناهيك أن كتبه الآن فى المغرب قبلة ارباب الانشاء التى اليها يصلون وسوق دررهم النفيسة التى يزينون بها صدور طروسهم ويحلون وخصوصا كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فانه وان تعددت مجلداته على فن الانشاء والكتابة مقصور وقد اشتمل على السلطانيات وغيرها ومخاطباته لاهل المشرق والمغرب على لسان ملوك الاندلس الذين علم بلاغتهم منصور وقد تركت نسختى منه فى المغرب ولو حضرتنى لكفتنى عن هذه الفوائد التى أتعبت خاطرى فى جمعها من مقيداتى التى صحبتها معى وهى قليلة (وقد) مرّ فى هذا الكتاب جملة من نثره ونظمه والذى نجلبه هنا زيادة على ما سبق (وقال) رحمه الله تعالى فى الاحاطة عند ترجمة نثره ما صورته وأمّا النثر فبحر زاخر ومدى طوله مستأخر وانك لم يغدر عليك كفاخر وقد مرّ منه فى تضاعيف هذا الديوان كثير ونحن نجلب منه ما يشير اليه مشير انتهى * فمن ذلك قوله فى غرض التحميد مما افتتح به الكتاب فى التاريخ المتضمن دولة بنى نصر الحمد لله الذى جعل الازمنة كالافلاك ودول الاملاك كانجم الاحلاك تطلعها من المشارق نيره وتلعب بها مستقيمة أو متحيره ثم تذهب بها غائرة متغيره السائق عجل والطبع الوجود مرتجل والحى من الموت وجل والدهر لا معتذر ولا خجل بينا ترى الدست عظيم الزحام والموكب شديد الالتحام والوزعة تشير والابواب يقرعها البشير

والسرور قد شمل الاهل والعشير والاطراف تلثمها الاشراف والطاعة يشهرها الاعتراف بها والاموال يحوطها العدل او يبيحها الاسراف والرايات تعقد والاعطيات تنقد * اذ رأيت الابواب مهجورة والدسوت لا مؤملة ولا مزورة والحركات قد سكنت وأيدي الادالة قد تمكنت * فكأنما لم يسمر سامر ولا نهى ناه ولا أمر آمر ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح (ومن نثره) قوله في استدعاء امداد وحض على الجهاد أيها الناس رحمكم الله تعالى اخوانكم المسلمون بالاندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم وزحفت أحزاب الطواغيت اليهم ومد الصليب ذراعيه عليهم وأيديكم بعزة الله تعالى أقوى وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى وهو دينكم فانصروه وجواركم القريب فلا تخفروه وسبيل الرشد قد وضح فلا تنصروه الجهاد الجهاد فقد تعين الجار الجار فقد قرر الشرع حقه و بين الله الله في الاسلام الله الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله قد استغاث بكم الدين فأغيثوه قد تأكد عهد الله وحاشا كم أن تنكثوه أعينوا اخوانكم بما أمكن من الاعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد جددوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد صلوا رحم الكلمة واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة كتاب الله بين أيديكم وألسنة الآيات تناديكم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم والله سبحانه يقول فيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ومما صح عنه قوله من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت بادروا عليل الاسلام قبل أن يموت احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده جاهدوا في الله بالالسن والاقوال حق جهاده

ماذا يكون جوابكم لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم في أمتي * وتركتموهم للعدو المعتدي
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد اللهم بث لنا الحمية في البلاد اللهم دافع عن الحريم والضعف والاولاد اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين اللهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى (ومن ذلك) قوله في صداق أمره السلطان بانشائه لكبير الشرفاء بفاس في فصل منه تضمن ذكر أوليتهم واستيطانهم لتلك المدينة ما صورته فضرب بفاس عمرها الله تعالى حاته وأورث منها بالبقعة الزكية الرفيعة بيراته وجلته فتبوؤا من ذلك الغور المعشب الروض الارج النور هالة سعد وافق برق ورعد ودست وعيد ووعد يتناقلون رتب الشرف الصريح كابرا عن كابر ويروي

مسلسل المجد عن يتيم الرفيع الجد كل حريص على عوالى المعالى مثابر
فالكف عن صلة والاذن عن حسن * والعين عن قرة والقلب عن جابر
حيث الانوف الشم والوجوه الغر والعزة القعساء والنسب الحر والفواطم فى صدف الصون من لدن الكون كأنهن الدر آل رسول الله ونعم الآل والموارد الصادقة اذا كذب الآل ومن اذا لم يصل عليهم فى الصلاة حبطت منها الاعمال طيبة الراكب ونشدة الطالب وسراة لؤى بن غالب وملتقى نور الله تعالى ما بين فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب انتهى وهو طويل لم يحضرنى منه الآن سوى ما ذكرته *(ومن ذلك) قوله رحمه الله تعالى كتبت الى بعض السادة الفضلاء وقد بلغنى مرضه أيام كان الانزعاج عن الاندلس الى الايالة المرينية وردت على من فئتى التى اليها فى معركة الدهر أتحيز وبفصل فضلها فى الاقدار المشتركة أتميز سحاءة سرت وساءت وبلغت من القصدين ما شاءت أطلع بها صنيعة وده من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة برضاها الخليل فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله أو عابد نوزع فى تقبل أعماله أو آمل ضويق فى فذلكة آماله لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط بهيورا والحمد لله وبروق واللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب ورد من الصحة المغتصب وآلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فقد بدا حتما طى لا يقنعه الا الشرح فبه يسكن الظمأ البرح وعذرا عن التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق فى مثلها أورى والشفيق بسوء الظن مغرى والسلام (ومن نثر لسان الدين) ما ذكره فى الاحاطة فى ترجمة أبى عبد الله الشديد وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن ابراهيم الانصارى الجيانى الاصل ثم المالقى اذ قال ما صورته جملة جمال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله بابل دوح السبع المثانى وماشطة عروس أبى الفرج بن الجوزى وآية صقعه ونسيج وحده فى حسن الصوت وطيب النغمة اقتحم لذلك دسوت الملوك وجر اذيال الشهرة عذب الفكاهة ظريف المجالسة قادرا على المحاكاة متسورا حمى الوقار ملبيا داعى الانبساط قلد شهادة الديوان بمالقة فكان مغار جبل الامانه شامخ مارن النزاهة لوحا للالقاب وعززت ولايته بعض الالقاب النبيهة وهو الآن الناظر فى أمور الحسبة ببلده ولذلك خاطبته برقعة أداعبه بها وأشير الى اضداده بمناصه

يا أيها المحتسب الجزل * ومن لديه الجد والهزل
يهنيك والشكر لمولى الورى * ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب المنتمى الى النزاهة المنتسب أهنيك ببلوغ تمنيك وأحذرك من طمع نفس بالغرور تمنيك فكأنى بك وقد طافت بركابك الباعه ولزم أمرك السمع

والطاعة وارتفعت فى مصانعتك الطماعة وأخذت أهل الريب بغتة كما تقوم الساعة ونهضت بقصد وتقيم وسطوتك الريح العقيم وبين يديك القسطاس المستقيم ولا بد من شرك نصب وجماعة على ذى جاه تعصب ودالة يعتبها الجناب الاخصب فان غضضت طرفك أمنت على الولاية صرفك وان ملأت طرفك رحلت عنها حرفك وان كففت فيها كفك حفك العز فمن حفك فكن اقالى المجبنة قاليا ولحوت السلة ساليا وأبدا دقيق الحوارى زهد حوارى وازهد فيما بأيدى الناس من العوارى وسر فى اجتناب الحلواء على السبيل السواء وارفض فى الشواء دواعى الاهواء وكن على الهراس وصاحب ثريد الراس شديد المراس وثب على طبيخ الاعراس ليشا حوب الافتراس وأدب أطفال الفسوق فى السوق سيما من كان قبل البلوغ والبسوق وصمم على استخراج الحقوق والناس أصناف فمنهم خسيس يطمع منك فى أكله ومستعد عليك بوكزة أوركله وحاسد فى مطية تركب وعطية تسكب فاخفض للحاسد جناحك وسدد الى حربه رماحك وأشبع الخسيس منهم مرقة فانه حنق ودس له فيها عظما فلعله يختنق واحفر لشرير هم حفرة عميقة فانه العدو حقيقة حتى اذا حصل وعلمت ان وقت الانتصار قد اتصل فأوقع وأوجع ولا ترجع وأولياءه من الشياطين فأفجع والحق أقوى وان تعفو أقرب للتقوى سددك الله تعالى الى غرض التوفيق وأعلقك من الحق بالسبب الوثيق وجعل قدومك مقرونا برخص اللحم والزيت والدقيق انتهى (ومما كتب به) لسان الدين الى على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من مدينة سلا مانصه

يا جملة الفضل والوفاء * ما بمعاليك من خفاء
عندى بالود فيك عقد * صححه الدهر باكتفاء
ما كنت أقضى حلاك حقا * لو جئت مدحا بكل فاء
فأول وجه القبول عذرى * وحسبك الشك فى صفاء

سيدى الذى هو فصل جنسه ومزية يومه على أمسه فان افتخر الدين من أبيك ببدره افتخر منك بشمسه وحات على المنشا والقرارة ومحل الصبوة والفرارة فلم تتعلق نفسى بذخيرة ولا عهد جيرة خيرة كتعلقها بتلك الذات التى لطفت لطافة الراح واشتملت بالمجد الصراح شفقة ان تصيبها معرة والله تعالى يقيها ويحفظها ويبقيها اذ الفضائل فى الازمان الرذلة غوائل والضد عن ضده منحرف بالطبع ومائل فلما تعرفت خلاص سيدى من ذلك الوطن والقاءه وراء الفرضة بالعطن لم تبق لى تعلة ولا أحرضتنى له علة ولا أوقى جمعى من قلة فكتبت أهنى نفسى الثانية بعد هناء نفسى الاولى وأعترف للزمان باليد الطولى فالحمد لله الذى جمع الشمل بعد شتاته وأحيا الانس بعد مماته سبحانه لا مبدل لكلماته واياه اسأل أن يجعل العصمة حظ سيدى ونصيبه فلا يستطيع حادث أن يصيبه وأنا أخرج له عن بث كمين ونصح أنا به قمين بعد أن أسبر غوره وأخبر طوره وأرصد دوره فان كان له فى التشريق أمل وفى ركب الحجاز ناقة وجمل والرأى فيه قد نجحت منه

نية وعمل فقد غنى عن عرف البقرات بأزكى الثمرات وأطفأ هذه الجرات بزمزمى الجرات وتانس بوصل السرى ووصال السمرات وأنابه ان رضينى أرضى مرافق ولواء عزى به خافق وان كان على السكون بناؤه وانصرف الى الاقامة اعتناؤه فأمره مابعده والله يحفظ من الغير سعده والحق ان تحذف الابهة وتختصر ويحفظ اللسان ويغض البصر وينخرط فى الغمار ويخلى عن المضمار ويجعل من الحظوظ مداخلة من لا خلاق له ممن لا يقبل الله تعالى قوله ولا عمله فلا يكتم سرا ولا يتطوق من الرجولة زرا ويرفض زمام السلامة وترك العلامة على النجاة علامة وأما حالى فكما علمتم ملازم كن ومهبط تجربة وسن أزجى الايام وأروم بعلها لتفرق الالتئام خالى البد خلى القلب والخلد بفضل الواحد الصمد عامل على الرحلة الحجازية التى أختارها لكم ولنفسى وأصل فى التماس الاعانة عليها يومى بأمسى أوجب ماقررته لكم ما أنتم أعلم به من ود قررته الايام والشهور والخلوص المشهور وما أطلت فى شئ عند قدومى على هذا الباب الكريم اطالتى فيما يختص بكم من موالاته وبذل مجهود القول والعمل فى مرضاته وأما ذكركم فى هذه الاوضاع فهو مما يقرع عين الجادة والوظيفة التى ينافس فيها أولوا السيادة والله يصل بقاكم وييسر لقاكم والسلام انتهى * (ومن نثر لسان الدين) ما أثبته فى الاحاطة فى ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذى تكرر نقلنا منه فى هذا التأليف (ولنذكر الترجمة بجملتها فنقول) قال رحمه الله تعالى فى الاحاطة ما نصه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن خالدون الحضرمى من ذرية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوار الاندلس وينسبه سلفهم الى وائل بن حجر وحاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة انتقل سلفه من مدينة اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها أو قبل ذلك فاستقر بتونس منهم ثانى المحمدين محمد بن الحسن وتناسلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة وتصرف جد المترجم به فى القيادة وأما المترجم به فهو رجل فاضل حسن الخلق جم الفضائل باهر الخصل رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد وقور المجلس خاصى الزى عالى الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوى الجاش طامح لقنن الرياسة خاطب للحظ متقدم فى فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغرى بالتجلة جواد حسن العشرة مبذول المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعى خلال الاصالة مفخر من مفاخر التخوم المغربية قرأ القرآن ببلده على المكتب بن برال والعربية على المقرى الزواوى وغيره وتأدب بأبيه وأخذ عن المحدث أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى وحضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد السلام وروى عن الحافظ أبى عبد الله السطى والرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الابلى وانتفع به انصرف من افريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة واقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوق العلم والادب أبى عنان

فارس

فارس بن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله
واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة
لبعده عن حسن التأني وشفوفه بثقوب الفهم وجودة الادراك فأغروا به السلطان
اغراء عضده ما جبل عليه يومئذ من اغفال التحفظ مما يريب لديه فأصابته شدة تخلصه
منها أجله كانت مغربة في جفاء ذلك الملك وهناة جواره واحدى العواذل لأولي الهوى
في القول بفضله وعدم الخشوع واهمال التوسل واباية المكسوب في سبيل النفقة
والارضاخ على زمن المحنة وجار المنزل الخشن الى ان أفضى الامر الى السعيد ولده فأعتبه
قيم الملك لحينه وأعاده الى رسمه ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان له به الاتصال
قبل تسوغ المحنة بما أكد حظوته فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرز السهام نبيه
الرتبة الى آخر أيامه ولما ألقت الدولة مقادها بعده الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الامر
وله اليه وسيلة وفي حاله شركة وعنده حق رابه تقصيره عما ارتقى اليه أمله فساء ما بينهما
بما آل الى انفصاله عن الباب المريني وورد على الاندلس في أول ربيع الاول عام أربعة
وستين وسبعمائة واهتز له السلطان واركب خاصته لتلقيه وأكرم وفادته وخلع عليه
وأجلسه بمجلسه ولم يدخر عنه برا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة وفكاهة (وخاطبني لما حل
بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن) (فأجبته) عنها بقولي

حللت حلول الغيث في البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المهد والكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطة * تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته ونور ضربت الامثال
بمشكاته وزيته لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة
واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف نماء ويغازل عيون الكواكب
فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا الوخط يلم بساحة لمته أو يقدح ذبالة في ظلمته
أو يقوم حواريه في ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى في النعيم
ومراح وقصف صراح ورقى وجراح وانتخاب واقتراح وصدور ما بها الا انشراح
ومسرات تردفها أفراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن
محكما في نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا أكف الصيارف ماحيا
بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان راقني زمنه وأعياني ثمنه
وأجدت سحائب دمعي دمنه فالحمد لله الذي رقى جفون اغترابي وملكني أزمة آرابي
وغبطني بمائي وترابي ومألف أترابي وقد أغصني بلذيذ شرابي ووقع على سطوره
المعتبرة اضرابي وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية ومنتهى الطية وملتقى السعود غير
البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطية فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك
عاقلة خطى مهريك وموالي مكارمه نشيدة أمثالك ومظان مثالك وسيصدق الخبر
ماهنالك ويسع فضل مجدك في التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام

* ولما استقر بالحضرة جرت بيني وبينه مكاتبات أقطعها الظرف جانبه وأوضح الأدب مذاهبه فمن ذلك ما خاطبته به وقد تسرى جارية رومية اسمها هند صبيحة الابتناء بها

أوصيك بالشيخ أبي بكره * لا تأمنن في حالة مكره
واجتنب الشك إذا جئته * جنبك الرحمن ما تكره

سيدي لا زالت تتصف بالوالج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض الهمالج أخبرني كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال وأحكم بمرود المراودة الاكتحال وارتفع بالسقيا الامحال وصح الاتحال وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر فلله من عشية تمتعت من الربيع بفرش موشية وأبدت منها أي آساد وحشية وقد أقبل ظبي الكناس من الديماس ومطوق الحمام من الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظرية واذيلت عن الفرج الأثيث الابرية وصقلت الخدود فكأنها الامرية وسلط الدلك على الجلود واغريت النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء يزلق عنها اللمس ولا تنالها البنان الخمس والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم والمسواك يلبي من ثنية التنعيم والقلب يرمي من الكف الرقيم بالمقعد المقيم وينظر الى نجوم الوشوم فيقول انى سقيم وقد تفتح ورد الخفر وحكم لزنجي الظفيرة بالظفر واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بالدخان العود الرطيب وأقبلت الغادة يهديها اليمن وتزفها السعادة فهي تمشي على استحيا وقد ذاع طيب الريا وراق حسن المحيا حتى إذا نزع الخف وقبلت الاكف وصحب المزمار وتجاوب الدف وذاع الأرج وارتفع الحرج وتجوز اللواء والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الأرض وربت وعوصيت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت فقالت متى نلتقي * فهش اشتياقا اليها الخبيث
وكاد يمزق سرباله * فقلت اليك يساق الحديث

فلما انسدل جنح الظلام وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة السلام وخاطت خيوط المنام عيون الأنام تأتى دنو الجلسة ومسارقة الخلسة ثم عضة النهد وقبلة الفم والخد وإرسال اليد من النجد الى الوهد وكانت الامالة القليلة قبل المد ثم الإفاضة فيما يغبط ويرغب ثم الإماطة لما يشوش ويشغب ثم إعمال المسير الى السرير

وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أي إذلال

وهذا بعد منازعة للأطواق يسيرة يراها الغيد من حسن السيرة ثم شرع في حل التكة ونزع الشكة وتهيئة الأرض العزاز عمل السكة ثم كان الوحي والاستعجال وحمي الوطيس والمجال وعلا الجزء الخفيف وتضافرت الخصور الهيف وتشاطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الأخذ الوبيل وامتاز الأنوك من النبيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيا لها من نعم متداركة ونفوس في سبيل القحة متهالكة ونفس يقطع حروف الحلق وسبحان الذي يزيد في الخلق وعظمت الممانعة وكثرت باليد

المصانعة وطال التراوغ والتزاور وشكى التحاور وهنالك تختلف الأحوال وتعظم الأهوال وتخسر أوتربح الأموال فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا ونونة تصير تنينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قرنه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الازارقة من الخوارج فى الاعتراض ثم شق الصف وقد خضب الكف بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته ويبوء بمقت الله ولعنته

طعنت ابن عبد الله طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع اضاءها

وهنالك هدأ القتال وسكن الخبال ووقع المتوقع فاستراح البال وتشوف الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال وكثر السؤال عن المبال بما بال وجعل الجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه

انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه تعبا

ومن سنان عاد عنانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبة أدخل يده فى جيبه فانجحرت الحية وماتت الغريزة الحية وهنالك يزيغ البصر ويخذل المنتصر ويسلم الاسر ويغلب الحصر ويجف اللعاب ويظهر العاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والارق وينشأ فى محل الامن الفرق ويدرك فرعون الغرق ويقوى اللجاج ويعظم الخرق فلا تزيد الحال الاشدة ولا تعرف تلك الجائحة المؤمنة الاردة

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكرة ليزيل المعرة ويستنصر الخيال ويعمل باليد الاحتيال

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أومت

ومعتذر بمرض أصابه جرعه أوصابه ووجع طرقه جلب ارقه وخطب ارتج عليه أحيانا فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا اللهم انا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت اقفالها ولم تتسم بالنجيع اغفالها ومن معرات الاقذار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل ثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداة وتعلم منه كلال الاداة وهو مجال فضحت فيه رجال وفراش شكيت فيه اوجال وأعملت روية وارتجال فمن قائل

أرفعه طورا على اصبعى * ورأسه مضطرب أسفله
كالحنش المقتول يلقى على * عودلكى يطرح فى مزبله

وقائل

عدمت من ايرى قوى حسه * ياحسرة المرء على نفسه
تراه قد مال على أصله * كحائط خر على أسه

وقائل

أيحسدنى ابليس داءين أصبحا * برجلى ورأسى دملا وزكاما
فليتهما كانا به وأزيده * رخاوة اير لا يطيق قياما

اذا نهضت للنيل أرباب معشر * توسد احدى خصيتيه وناما

وقائل

أقول لايرى وهو يرقب فتكة * به خبت من ارو عالتك داهيه
اذالم يكن للاير بخت تعذرت * عليه وجوه النيك من كل ناحيه

وقائل

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء الى جنب الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وقائل

تكرش ايرى بعدما كان أملسا * وكان غنيا من قواه فافلسا
وصار جوابى للمها ان مررن بى * مضى الوصل الامنية تبعث الاسى

وقائل

بنفسى من حييته فاستخف بى * ولم يخطر الهجران يوما على بالى
وقابلنى بالغور والنجد بعدما * حططت به رحلى وجردت سربالى
وما أرتجى من موسر فوق تكة * عرضت له شيأ من الحشف البالى

هموم لا تزال تبكى وعلل الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى فان كنت أعزك الله سبحانه من النمط الاول ولم تقل * وهل عند رسم دارس من معول * فقد جنيت الثمر واستطبت السمر فاستدع الابواق من أقصى المدينة واخرج على قومك فى ثياب الزينة واستبشر بالوفود وعرف المسمع عازفة الجود وتبجح بصلابة العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف بينان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض الثمد وانتظر الامد واكذب التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوة وأفض فيهن الرشوة وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قميصه بدم كذب واستنجد الرحمن واستعن على أمرك بالكتمان

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى الضراء والسراء
فلرحمة المتفجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وانتشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طما وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وامطلك بعدها عنان نفسك حتى تمكنك الفرصة وترفع اليك القصة ولا تسرع الى عمل لا تفى منه بتمام وخذ عن امام ولله در الحرث بن هشام

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا مهرى باشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقتل ولم يضرر عدوى مشهدى
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

والليانات تلين وتجمح والمآرب تدنو وتنزح وتحرن ثم تسمح وكم من شجاع خام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأضل الفريق والله عزوجل يجعلها خلة موصولة وشملا اكنافه بالخير مشمولة وبنية أركانها لركائب اليمن مأمولة حتى تكثر خدم سيدى وجواريه

وأسرته وسراريه. وتضفو عليه نعم باريه ماطورد قنيص واقتحم عيص وأدرك مرام عويص وأعطى زاهد وحرم حريص والسلام * (تواليفه) شرح البردة شرحا بديعا دل به على انفساح ذرعه وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيرا من كتب ابن رشد وعلق للسلطان أيام نظره فى العقليات تقييدا مفيدا فى المنطق ولخص محصل الامام فخر الدين الرازى وبه داعبته اول لقيه فقلت له لى عليك مطالبة فانك لخصت محصلى وألف كتابا فى الحساب وشرع فى هذه الايام فى شرح الرجز الصادر عنى فى أصول الفقه بشئ لاغاية فوقه فى الكمال * (وأما نثره وسلطانياته السجعية) فخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع يفرغ عنها يراعه الجرى * شبيهة البداآت بالخواتم فى نداوة الحروف وقرب العهد بجرية المداد ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع * (وأما نظمه) فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر ونقده باعتبار أساليبه فانثال عليه جوه وهان عليه صعبه فأتى منه بكل غريبة (خاطب) السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة أولها

اسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين وقفة ساعة * لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروبى
ياناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء الملام لدى غير شريب
ماهاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أهفو الى الاطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ربيب
عبثت بها أيدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر آى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها الى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم انسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة محاسنها بما * لبست من الايام كل قشيب
ياسائق الاظعان تعتسف الفلا * وتواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من اين ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
أو تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب
فى كل شعب منية من دونها * هجر الامانى أولقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن الى التى * فيها لبانة أعين وقلوب

فتؤم من أكناف يثرب مأمنا * يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر غريب لم يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته

يا سيد الرسل الكرام ضراعة * تقضي مني نفسي وتذهب حوبي
عاقت ذنوبي عن جنابك والمنى * فيها تعللني بكل كذوب
لا كالالى صرفوا العزائم للتقى * فاستأثروا منها بخير نصيب
لم يخلصوا والله حتى فرّقوا * في الله بين مضاجع وجنوب
هب لي شفاعتك التي أرجو بها * صفحا جميلا عن قبيح ذنوبي
ان النجاة وان أتيحت لامرئ * فبفضل جاهك ليس بالتسبيب
اني دعوتك واثقا باجابتي * يا خير مدعو وخير مجيب
قصرت في مدحي فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى * في مدحك القرآن كل مطيب
يا هل تبلغني الليالي زورة * تدني الي الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتي باخلاصي بها * وأحط أوزاري واصر ذنوبي
في فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوي صحائف ليلهم فوق الفلا * ما شئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادي بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرد الركب الخلي بطيبة * حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة في بني يعقوب
الطاعنون الخيل وهي عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات هواتنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضهم * في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها

سائل به طامي العباب وقد سرى * تزجي بريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه * وسطا الهدى بفريقها المغلوب
يا ابن الالى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروك بتاجها المعصوب
جمعوا بحفظ الدين آي مناقب * كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك والعلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لا زلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرقوب

تحيي المعالى غاديا أورائحا * وجديد سعدك ضامن المطلوب

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الزرافة

قدحت يد الاشواق من زندى * وهفت بقلبي زفرة الوجد
ونبذت سلواني على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه مؤلم الصد
لاعهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام اضاع من عهدى
يلحى العذول فما اعنفه * واقول ضل فأبتغى رشدى
واعارض النفحات أسألها * برد الجوى فتزيد فى الوقد
تهدى الغرام الى مسالكها * لتعللي بضعيف ماتهدى
يا سائق الوجناء معتسفا * طى الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب ففى الصبا نبأ * يغنى عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكني نجد وعن نجد
مالى تلام على الهوى خلق * وهى التى تأبى سوى الحمد
لابيت الا الرشد مذ وضحت * بالمستعين معالم الرشد
نعم الخليفة فى هدى وتقى * وبناء عز شامخ الطود
نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلا بمواهب الوجد

ومنها

لله مني اذ تأوبني * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواتر اقضبا * وجموع أقيال أولى أيد
أوريت زند العزم فى طلبى * وقضيت حق المجد من قصدى
ووردت عن ظما مناهله * فرويت من عز ومن رفد
هى جنة المأوى لمن كلفت * آماله بمطالب المجد
لولم أعل بورد كوثرها * ماقلت هذى جنة الخلد
من مبلغ قومى ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
انى أنفت على رجائهم * وملكت عز جميعهم وحدى

ومنها

ورقيمة الاعطاف حالية * موشية بوشائع البرد
وحشية الانساب ماأنست * فى موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ما جهد
طالت رؤس الشامخات به * ولربما قصرت عن الوهد
قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القن والقد
بسعودك اللاءى ضمن لنا * طول الحياة بعيشة رغد

جاءتك في وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك أنضاء تقلبهم * أيدي السرى بالغور والنجد
كالطيف يستقري مضاجعه * أو كالحسام يسل من غمد
يثنون بالحسنى التي سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل في شرف * عن رتبة المنصور والمهدي
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم ما تسدي
وبقيت للدنيا وساكنها * في عزة أبدا وفي سعد

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب

يا سيد الفضلاء دعوة مشفق * نادى لشكوى البث خير سميع
مالي وللاقصاء بعد تعلة * بالقرب كنت لها أجل شفيع
وأرى الليالي رنقت لي صافيا * منها فأصبح في الاجاج شروعي
ولقد خلصت اليك بالقرب التي * ليس الزمان لشملها بصدوع
ووثقت منك بأي وعد صادق * اني المصون وأنت غير مضيع
وسما بنفسي للخليفة طاعة * دون الانام هواك قبل نزوع
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم * فصددتهم عني وكنت منيعي
رغمت أنوفهم بنجح وسائلي * وتقطعت أنفاسهم بصنيعي
وبغوا بما نقموا على خلائقي * حسدا فراموني بكل شنيع
لا تطمعنهم ببذل في التي * قد صنتها عنهم بفضل ورعي
أني أضام وفي يدي القلم الذي * ما كان طبعه لهم بمطيع
ولي الخصائص ليس تأبى رتبة * حسبي بعلي ذاك من تفريعي
قسما بمجدك وهو خير ألية * أعتدها لفؤادي المصدوع
اني لتصطحب الهموم بمضجعي * فتحول ما بيني وبين هجوعي
عطفا على بوحدتي عن معشر * نفث الاباء صدودهم في روعي
أغدو اذا باكرتهم متجلدا * وأروح أعثر في فضول دموعي
حيران أوجس عند نفسي خيفة * فتسر في الاوهام كل مروع
أطوي على الزفرات قلبا أده * حمل الهموم تجول بين ضلوعي
ولقد أقول لصرف دهر رابني * بحوادث جاءت على تنويع
مهلا عليك فليس خطبك ضائري * فلقد لبست له أجن دروع
اني ظفرت بعصمة من أوحد * بذ الجميع بفضله المجموع

وقال يخاطب بعض الوزراء في حال وحشة

هنيأ بصوم لا عداه قبول * وبشرى بعيد أنت فيه منيل
وهنيتها من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولا مس ربعا في جنابك محل
فعصرك ما بين الليالي مواسم * لها غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عسى لك وان ضن الزمان منولي * فرسم الاماني من سواك محيل
أجرني وليس الدهر لي بمسالم * اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
وأوليتني الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولي راجيا وينيل
ووالله ما رمت الترحل عن قلى * ولا سخط للعيش فهو جزيل
ولا رغبة في هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عني حبائب * دعاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن الوجد اني نازح * وان فؤادي حيث هن حلول
عزيز عليهم ان الذي قد لقيته * وان اغترابي في البلاد يطول
توارت بأنباتي البقاع كأنني * تخطفت أوغالت ركابي غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت بقلبي أنة وعويل
وحييت عن شوق رباك كأنما * يمثل لي نؤي بها وطلول
أأحبابنا والعهد بيني وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا انا لم ترض الحمول مدامعي * فلا قربتني للقاء حمول
الام مقامي حيث لم ترد العلا * مرادي ولم تعط القياد ذلول
أجاذب فضل العمر يوما وليلة * وساء صباح بينها وأصيل
ويذهب فيما بين يأس ومطمع * زمان بنيل المكرمات بخيل
تعللني منه أماني خوادع * ويؤيسني ليان منه مطول
أما لليالي لا ترد خطوبها * ففي كبدي من وقعهن فلول
يروعني من صرفها كل حادث * تكاد له صم الجبال تزول
أداري على رغم العدا لا ريبة * يصانع واش خوفها وعذول
وأغدو بأشجاني عليلا كأنما * تجود بنفسي زفرة وغليل
واني وان أصبحت في دار غربة * تحيل الليالي سلوتي وتزيل
وصدتني الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لاعلم أن الخير والشر ينتهي * مداه وأن الله سوف يديل
واني عزيز بابن ماساي مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

وقال يمدح

هل غير بابك للغريب مؤمل * أو عن جنابك للاماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا ومنتجع المنى * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنى بها زهر النجوم وتحفل

حيث الخيام البيض ترفع للعلا * والمكرمات طرا فيها المنزل
حيث الحمى للعز دون مجاله * ظل أفاءته الوشيج الذبل
حيث الكرام ينوب عن نار القرى * عرف الكباء بجيهم والمندل
حيث الجياد أملهن بنو الوغى * مما أطالوا فى المغار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر فوق جبينها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الاولى * عز الجوار لديهم والمنزل

وأنشد السلطان أبا عبد الله بن الحجاج لاول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام أربعة وستين وسبعمائة هذه القصيدة

حي المعاهد كانت قبل تحييني * بوا كف الدمع يرويها ويظميني
ان الالى نزحت دارى ودارهم * تحملوا القلب فى آثارهم دونى
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجيني
أمثل الربع من شوق وألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
وينهب الوجد منى كل لؤلؤة * مازال جفنى عليها غير مأمون
سقت جفونى مغانى الربع بعدهم * فالدمع وقف على اطلالها الجون
قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل * لو أن قلبى الى السلوان يدعونى
أحبابنا هل لعهد الوصل مدكر * منكم وهل نسمة منكم تحييني
مالى وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداوينى
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم اننى ما مر ذكركم * الا انثنيت كأن الراح تثنينى
أصبو الى البرق من أنحاء أرضكم * شوقا ولولاكم ما كان يصبينى
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدى * حتى لاحسبه قربا يناجينى
أسلى هواك فؤادى عن سواك وما * سواك يوما بحال عنك يسلينى
ترى الليالى أنستك ادكارى يا * من لم يكن ذكره الايام تنسينى

ومنها

أبعد مر الثلاثين التى ذهبت * أولى الشباب باحسانى وتحسينى
أضعت فيها نفيسا ما وردت به * الا سراب غرور لا يروينى
واحسرتى من أمانى كلها خدع * تريش غى ومر الدهر يبرينى

ومنها فى وصف المشور المبنى لهذا العهد

يا مصنعا شيدت منه السعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف مفتتنا * فيما يروقك من شكل وتكوين
بعد الايوان كسرى ان مشورك السامى * لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه بسببه

من مبلغ عنى العصب الالى جهلوا * وذى وضاع حماهم اذ أضاعونى
انى اويت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحيينى
وانى ظاعن لم ألق بعدهم * دهرا أشاكى ولا خصما يشاكينى
لا كالتى أخفرت عهدى ليالى اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامى التى ظفرت * يداى منها بحظ غير مغبون
ارتاد منها مليا لا يماطلنى * وعدا وأرجو كريما لا يعنينى

ومنها

وهاك منها قوافى طيها حكم * مثل الازاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت دراوان تليت * تثنى عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتينى
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزن بطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لى شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك فى أمن وفى دعة * ودام ملكك فى نصر وتمكين

وهو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة والحظوة قد استعمل فى السفارة الى ملك قشتالة فراقه وعرف حقه * مولده بتونس بلده فى شهر رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين فى حق ابن خلدون * قلت هذا كلام لسان الدين فى حق المذكور فى مبادى أمره وأواسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير الذى نقلنا منه فى مواضع وسماه ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ورأيته بفاس وعليه خطه فى ثمان مجلدات كبار جدا وقد عرف فى آخره بنفسه وأطال وذكر انه لما كان بالاندلس وحظى عند السلطان أبى عبد الله ثم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرحال ولم يرض من الاقامة بحال ولعب بكرته صوالجة الاقدار حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار وتولى بها قضاء القضاة وحصلت له أمور رحمه الله تعالى (وكان) أعنى الولى بن خلدون كثير الثناء على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى (ولقد رأيت بخط العالم الشهير) الشيخ ابراهيم الباعونى الشامى فيما يتعلق بابن خلدون ما نصه محل الحاجة منه تقلبت به الاحوال حتى قدم الى الديار المصرية وولى بها قضاء قضاة المالكية فى الدولة الشريفة الظاهرية وصحبته رحمه الله تعالى فى سنة ٨٠٣ عند قدومه الى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق فى فتنة تمرلنك عامله من الله تعالى ما يستحقه وأكرمه تمرلنك غاية الاكرام وأعاده الى الديار المصرية وكنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للمودة الحاصلة بينى وبينه وكان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب ويورد من نظمه ونثره ما يشنف به الاسماع وينعقد على استحسانه الاجماع وتتقاصر عن ادراكه الاطماع فرحمة الله تعالى عليهما وأزكى تحياته تهدى اليهما ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان وله من النظم والنثر ما يزرى بعقود الجمان مع الهمة العلية والتبحر فى

العلوم النقلية والعقلية وكانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ٨٠٧ سقى الله تعالى عهده ووطأ في الفردوس مهده قاله وكتبه الفقير الى الله تعالى ابراهيم بن أحمد الباعوني الشافعي غفر الله تعالى له زلله وأصلح خلله انتهى (ومن شراسان الدين) ما ذكره في الاحاطة في ترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطي من بني الترجمان ولنذكر الترجمة بجملتها لاشتمالها على ماذكر وغيره في حق المذكور بعد قوله انه من بني الترجمان ما صورته عزف عنهم وانقطع الى لقاء الصالحين وصحبة الفقراء المتجردين وكان نسيج وحده في طلاقة اللسان حافظا للكل غريبة من غرائب الصوفية يتكلم في مشكلاتهم حفظ منازل السائرين للهروي وتائية ابن الفارض مليح الملبس مترفع عن الكدية حسن الحديث صاحب شهرة ومع ذلك فغضوض منه محمول عليه لما جبل عليه من رفض الاصطلاح واطراح التغافل مولع بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه مرشحا ذلك بالجدل المبرم ذاهبا أقصى مذاهب القحة كثير الفلتات نالته بسبب هذه البلية محن ووسم بالرهق في دينه مع صحة العقد وهو الآن عامر الرباط المنسوب الى اللجام على رسم الشياخة عديم التابع مهجور الفناء قيد الكثير من الاجزاء منها في نسبة الذنب الى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ ومنها فيما اشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقادات جلب فيه كثيرا من الحكايات رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقري ما يدل على استحسانه ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجد والقحة والجهالة والمجانة قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شئ اضجره منقولا من خطه بعد رد كثير منه للاعراب ما نصه الله نور السموات من غير نار ولا غيرها والسلطان ظل له وسراجه في الارض ولكل منهما فراش مما يليق به ويتهافت عليه فهو تعالى محرق فراشه بذاته مغرقهم بصفاته وسراجه وظله هو السلطان محرق فراشه بناره مغرقهم بزيته ونواله ففراش الله تعالى ينقسم الى حافين ومسبحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين وفراش السلطان ينقسمون الى أقسام لا يشذ أحدهم عنها وهم وزغة ابن وزغة وكلب ابن كلب وكلب مطلقا وعار ابن عار وملعون ابن ملعون وقط فأما الوزغة فهو المغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصح وبذل الجهد والكلب ابن الكلب هو الكيس المحترز في تهافته من احراق واغراق يعطي بعض الحق ويأخذ بعضه وأما الكلب مطلقا فهو المواجه وهو المشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة وأما العار ابن العار فهو المتعاطي في تهافته ما فوق الطوق ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة اذا مر بهم جلف أو متعاظم يقولون هذا العار ابن العار يحسب نفسه رئيسا وذلك لقرب المناسبة فهو موضوع لبعض الرياسة كما ان الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة وأما الملعون ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لربه المنعم عليه في كبريائه وسلطانه وأما القط فهو الفقير مثلي المستغنى عنه لكونه لا تختص به رتبة فتارة في حجر الملك وتارة في السنداس وتارة في أعلى الرتب وتارة يحسن وتارة يسيء تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة اذ هو من الطوافين متطير بقتله واهانته تياه في بعض الاحايين بعزة يجدها

من حرمة أبقاها له الشارع وكل ذلك لا يخفى وأما الفراش المحرق فهو عند الدول نوعان تارة يكون ظاهرا وحصته مسح المصباح وتصفية زيته واصلاح فتيله وستر دخانه ومسايسة ما يكون من المطلوب منه ووجوده شديد الملازمة ظاهرا وأما المحرق الباطن فهو المشار اليه فى دولته بالاصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويتركه الملوك بسبيله فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذى هو مصباحهم فاذا أراد الله تعالى اهلاك المروءة واطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة وكان الامر كما رأيتم والكل فراش متهافت وكل يعمل على شاكلته * قال الوزير لسان الدين وطلب منى الكتب عليه بمثل ذلك فكتبت ببعض أوراقه اثارة لضجره واستدعاء لفكاهة انزعاجه ما نصه وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبى زكريا البرغواطى على برسام محموم واختلاط مذموم وانتساب زنج فى روم وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها ويتجنب عقيلة لم يملكها اذ المذكور لم يتلق شيأ من علم الاصول ولا نظر من الاعراب فى فصل من الفصول انما هى لمحة وخلاف وتهاون بالمعارف واستخفاف غير أنه يحفظ فى طريق القوم كل نادرة وفيه رجولية ظاهرة وعنده طلاقة لسان وكفاية قلما تتأتى لانسان فالى الله نضرع أن يعرفنا مقادير الاشياء ويجعلنا بمعزل عن الاغبياء وقد قلت مرتجلا من أول نظرة واجتزاء بقليل من كثرة

كل جار لغاية مرجوه * فهو عندى لم يعد حق الفتوه
وأراك اقتحمت ليلا بهيما * موبلا منك ناقة فى كوه
لا اتباعا ولا اختراعا أتتنا * اذ نظرنا عروسك المجلوه
كل ما قلته فقد قاله النا * س مقالا آياته متلوه
لم تزد غير أن أبحت حمى الاعـ * ـراب فى كل لفظة مقروه
نسأل الله فكرة تلزم العقـ * ـل الى حشمة تحوط المروه
وعزيز على أن كنت يحيى * ثم لم تأخذ الكتاب بقوه

انتهى

*(ومن بديع نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه لسلطان تلمسان اثر قصيدة سينية حازت قصب السبق ولنثبت الكل هنا فنقول قال الامام الحافظ عبد الله التنيسى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى عندما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبى حمو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى ماصورته وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا ما يوجه اليه بالامداح ومن أحسن ما وجه له قصيدة سينية فائقة وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه فجعلها مقدمة بين يدى نجواه لتمهد له مثواه وتحصل له المستقر اذا ألجأه الامر الى المفر فلم تساعده الايام كما هو شأنها فى أكثر الاعلام وهى هذه

اطلعن فى سدف الفروع شموسا * ضحك الظلام لها وكان عبوسا
وعطفن قضبا للقدود نواعما * بوّئن أدواح النعيم غروسا
وعدلن عن جهر السلام مخافة الـ * واشى فجئن بلفظه مهموسا

وسفرن من دهش الوداع وقومهن الى الترحل قد أناخوا العيسا
وخلسن من خلل الجمال اشارة * فتركن كل جمالها مخلوسا
لم انسها من وحشة والحى قد * زجر الحمول وآثر التغليسا
لا الملتقى من بعدها كثب ولا * عوج الركائب تسأم التعنيسا
فوقفت وقفة هائم برحائه * وقفت عليه وحبست تحبيسا
ودعوت عيني عاتبا وعيونها * بعصا النوى قد بجست تبجيسا
نافست يا عيني در دموعهم * فعرضت در الدموع نفيسا
مالحمى بعد الاحبة موحشا * ولكم تراءى آهلا مأنوسا
ولسربه حول الخميلة نافرا * عمن يحس به وكان أنيسا
وانظله المورود غمر قليبه * لا يقتضى وردا ولا تعريسا
حييته فأجابنى رجع الصدى * لا فرق بينهما اذا ماقيسا
ما ان يزيد على الاعادة صوته * حرفا فيشفى بالمزيد نسيسا
نصب المعين وقاص الظل الذى * ظللنا عكوفا عنده وجلوسا
تتواعد الرجعى ونغتنم اللقا * ونديرمن شكوى الغرام كؤسا
فاذا سألت فلا تسائل مخبرا * واذا سمعت فلا تحس حسيسا
عهدى به والدهر يتحف بالمنى * وقد اقتضت نعماه أن لا بوسا
والعيش غض الربيع والدنيا قد اجتليت بغناء على عروسا
أترى بعيد الدهر عهد الصبا * درست مغانى الانس فيه دروسا
أوطان أوطار تعود أفقها * من رونق البشر البهى عبوسا
هيهات لا تغنى لعل ولا عسى * فى مثلها الا لآية عيسى
والدهر فى دست القضاء مدرس * فاذا قضى يستأنف التدريسا
تفتن فى جمل الورى أبحاثه * لا سيما فى باب نعم وبيسا
وصبغة الانسان ليس بناصل * من صبغها حتى يرى مرموسا
يغتر بهجة ماساعدت آماله * فاذا عراه الخطب كان يؤسا
فلو ان نفسا مكنت من رشدها * يوما وقدسها الهدى تقديسا
لم تستفز رسوخها النعمى ولا * هلعت اذا كشرت اليها البوسا
قل للزمان البك عن متذمم * يضمان عز لم يكن ليخيسا
فاذا استجز جلاده فأنا الذى استغشيت من سرد اليقين لبوسا
واذا طغى فرعونه فانا الذى * من ضره وأذاه عذت بموسى
أنا ذا أبو مثواه من يحمى الحمى * ليثا ويعلم بالزئير الخيسا
يحمى أبي حمو حططت ركائبى * لما اختبرت الليث والعريسا
أسد الهياج اذا خطا قدماسطا * فتخلف الاسد الهزبر فريسا
بدر الهدى يأبى الضلال ضياؤه * أبدا فيجلو الظلمة الحنديسا

جبل الوقار رسا وأشرف واعتلى * وسما فطأطأت الجبال رؤسا
غيث النوال اذا الغمام حلوبة * مثلت بأيدى الحالبين بسوسا
تلقاه يوم الانس روضا ناعما * وتراه بأساقى الهياج بئيسا
كم غمرة جلى وكم خطب كفى * ان أوطأ الجرد العناق وطيسا
كم حكمة أبدى وكم قصد هدى * للسالكين ابان منه دريسا
أعلى بنى زيان والقد الذى * لبس الكمال فزين الملبوسا
جمع الندى والباس والشيم العلا * والسؤدد المتواتر القدموسا
والحلم ليس يباين الخلق الرضى * والعلم ليس يعارض الناموسا
والسعد يغنى حكمه عن نصبة * تستخبر التربيع والتسديسا
كم راض صعبا الايراض معاصيا * كم خاض بحرا لايخاض ضروسا
بلغ التى لافوقها متمهلا * وعلا السها واستسفل البرجيسا
ياخير من خفقت عليه سحابة * للنصر قطره أجش بجيسا
وأجل من حملته صهوة سابح * ان كرضعضع كره الكردوسا
قسما بمن رفع السماء بغير ما * عمد ورفع فوقها ادريسا
ودحا البسيطة فوق لج مزبد * ما ان يزال على القرار حبيسا
حتى يهيب بأهله الوعد الذى * حشر الرئيس اليه والمرؤسا
ما أنت الاذخر دهرك دمت فى الشصون الحريز ممتعا محروسا
لوسا ومته الارض فيك بماحوت * لرأت مستاما بها مبخوسا
حلف البرور بها الية صادق * ويمين من عقد اليمين غموسا
من قاس ذاتك بالذوات فانه * جهل الوزان وأخطأ التقييسا
لاتستوى الاعيان فضل مزية * وطبيعة فطر الاله وسوسا
لعناية التخصيص سر غامض * من قبل ذره الخلق خص نفوسا
من أنكر الفضل الذى أوتيته * جحد العيان وأنكر المحسوسا
من دان بالاخلاص فيك فعقده * لايقبل التمويه والتلبيسا
والمنتمى العلوى عيصك لم تكن * لترى دخيلا فى بنيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذى * تحمى الملائك روحه المغروسا
أمّا سياستك التى أحكمتها * ورميت بالتقصير اسطاليسا
فلو أنّ كسرى الفرس أبصر بعضها * ما كان يطمع أن يعدّ بسوسا
لوسار عدلك فى السنين لما اشتكت * بخسا ولم يك بعضهن كبيسا
ولوالجوارى الخنس انتسبت الى * اقدام عزمك ماخنسن خنوسا
قدت الصعاب فكل صعب سامح * لك بالقياد وكان قبل شموسا
تلقى الليوث وللقتام غمامة * قدح الصفيح وميضها المقبوسا
وكأنها تحت الدروع اراقم * ينظرن من خلل المغافر شوسا

ما لابن ماءة فى القديم وحاتم * ضرب الزمان بجودهم ناقوسا
من جاء منهم مثل جودك كلما * حسبوا المكارم كسوة أو كيسا
أنت الذى فتك السفين وأهله * اذ أوسعت سبل الخلاص طموسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالصدقات تلبس كرة ابليسا
وأعنت أندلسا بكل سبيكة * موسومة لا تعرف التدنيسا
وشحنته بالبر فى سبل الرضا * والبر قارب قاعها القاموسا
ان لم تجز بها الخميس فطالما * جهزت فيها للنوال خميسا
وملأت أيديها وقد كادت على * حكم القضاء تشافه التفليسا
صدقت للآمال صنعة جابر * وكفيتها التشميع والتشميسا
والحل والتقطير والتصعيد والتخمير والتصويل والتكليسا
فسبكت من آمالها أمالا ومن * أوراقها ورقا وكن طروسا
بهتوا فلما استخبروا لم ينكروا * وزنا ولا لونا ولا ملموسا
وتدير من قلب السطور سبائكا * منها ومن طبع الحروف فلوسا
ونحوت نحو الفضل تعضد منه بالمشروع ما ألفيته مقيسا
وجبرت بعد الكسر قومك جاهدا * تغنى العديم وتطلق المحبوسا
ونشرت راية عزهم من بعد ما * دال الزمان فسامها تنكيسا
أحكمت حيلة برئهم بلطافة * قد أعجزت فى الطب جالينوسا
وفللت من حد الزمان وانه * أوحى وأمضى من غرار الموسى
وشحذت حدا كان قبل مثلما * ونعشت جدا كان قبل تعيسا
لم ترج الا الله جل جلاله * فى شدة تكفى وجرح يوسى
قدمت صحافا استضأت بنوره * ووجدت عند الشدة التنفيسا
ما أنت الا والج متيقن * بالنجح تعمر مرعا ويبيسا
ومناجز جعل الاريكة صهوة * عربية والمتكا القربوسا
ما ان تبايع أو تشارى واثقا * بالربح الا المالك القدوسا
والعزم يفترع النجوم بناؤه * مهما أقام على التقى تأسيسا
ومقام صبرك واتكالك مذكر * بحديثه الشبلى أو طاوسا
ومن ارتضاه الله وفق سعيه * فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا
ما ازددت بالتمحيص الا جدة * ونضوت من خلع الزمان لبيسا
ولطالما طرق الخسوف أهلة * ولطالما اعترض الكسوف شموسا
ثم انجلت نسماتها عن مشرق * للسعد ليس يحاذر تتعيسا
خذها اليك على النوى سينية * ترضى الطباق وتشكر التجنيسا
ان طوولت بالدر من حول الطلا * يوما تشكت حظها الموكوسا
لولاك ما اصغت لخطبة خاطب * ولعنست فى بيتها تعنيسا

قصدت

قصدت سليمان الزمان وفارقت * فى الخطو تحسب نفسها بلقيسا
لى فيك ودلم أكن من بعدما * أعطيت صفقة عهده لاخيسا
كم لى بصحة عقده من شاهد * لايحذر التجريح والتدليسا
يقفو الشهادة باليمين وانه * لمؤتمن من ان يعد قسيسا
لا يستقر قرار أفكارى الى * ان أستقر لدى علاك جليسا
وأرى تجاهك مستقيم السير للقصد الذى * اعملته معكوسا
هى دين ايامى فان سمحت به * لم يبق من شئ عليه يؤوسا
لازال صنع الله محبوبا الى * مثواك يهدى البشر والتأنيسا
متتابعا كتتابع الايام لا * يذر النعاقب جمعة و خميسا
فلو انصفتك ابالة الملك الذى * رضت الزمان لها وكان شريسا
قرنت بذكرك والدعاء لك الذى * تختاره التسبيح والتقديسا
القلب أنت لها رئيس حياتها * لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنيسى رحمه الله تعالى بعد سرد هذه القصيدة ما معناه ان لسان الدين بن الخطيب حذا فى هذه القصيدة السينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها

أقشيب ربعهم اراك دريسا * تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها انتهى ووصل لسان الدين هذه القصيدة بنثر بديع نصه هذه القصيدة أبقى الله تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع والثناء المسموع والملك المنصور الجموع نفثة من باح بسر هواه ولبى دعوة الشوق العابث بلبه وقد ظهر بعن يهدى خبر جواه الى محل هواه ويختلس بعث تحيته الى مثير أريحيته وهى بالنسبة الى مايعتقد من ذلك الكمال الشاذ عن الآمال عنوان من كتاب وذواق من أوقار ذات أقتاب والافن يقوم بحق تلك المثابة لسانه أو يكافئ احسانها احسانه أو يستقل بوصفها يراعه أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه ولامكابرة بعد الاعتراف والبحر لا ينفد بالاغتراف لاسيما وذاتكم اليوم والله تعالى يقيها ومن المكاره يقيها وفى معارج القرب من حضرة القدس يرقيها ياقوتة اختارها واعتبرها ثم ابتلاها بالتمحيص فى سبيل التخصيص واختبرها وسبكة خلصها وسخرها لخلاصها التسخيرة من الشوب وأبرزها من لباب الذوب وقصرت عن هذه الاثمان وسر بصدق دعواه البرهان لمفاضل بين الجهام والصيب وميز الله الخبيث من الطيب فأراكم أن لاجدوى للعديد ولاللعدة وعرفكم بنفسه فى حال الشدة ثم فسح لكم بعد ذلك فى المدة لتعرفوه اذا دال الرخاء وهبت بعد تلك الزعازع الريح الرخاء وملاكم من التجارب وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ونقلكم بين امرار الزمان واحلائه ولم يسلبكم الاسقيا عند أوليائه وأعادكم المعاد المطهر وألبسكم من اثواب اختصاصه المعلم المشهر فأنتم اليوم بعين العناية بالافصاح والكناية قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجناية فان كان الملك اليوم علما يدوس وقوانين فى قوة الحفظ تغرس وبضاعة برصد التجارب

تحرس فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة وأصمعي شعوبه المنسوبة الى ما حزتم من اشتات الكمال المربية على الآمال فالبيت علوي المنتسب والمال بين الموروث والمكتسب والجود يعترف به الوجود والدين يشهد به الركوع والسجود والبأس تعرفه التهائم والنجود والخلق يحسده الروض المجود والشعر يغترف من عذب نمير ويصدق من قال بدئ بأمير وختم بأمير وان علو ككم حوم من بابكم على العذب البرود فعاقه الدهر عن الورود واستقبل أفقه ليحقق الرصد ولكنه اخطأ القصد ومن أخطأ الغرض اعاد ورجا من الزمان الاسعاد فربما خبي نصيب أو كان مع الخواطئ سهم مصيب وكان يؤمل صحبة ركاب الحجاز فانتقلت الحقيقة منه الى المجاز وقطعت القواطع التي لم ينلها الحساب ومنعت الموانع التي خلص منها الى الفتنة الانتساب ومن طلب الايام أن تجرى على اقتراحه وجب العمل على اطراحه فانما هي البحر الزاخر الذي لا يدرك منه الآخر والرياح متغايرة والسفينة الحائرة فتارة يتعذر من المرسى الصرف وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتد الطرف هذا ان سالمها عطبها وأعفى من الوقود حطبها ولقد علم الله جل جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ممن يجبر كسر القلوب فانه مما انعقد على كماله الاجماع وصح في عوالي معاليه السماع وارتفعت في وجود مثاله الاطماع أخلاقا هذبها الكرم الوضاح ومحبة كاف بها الكمال الفضاح وحرصا على الذكر الجميل وما يتنافس فيه الامن سمت همته وكرمت ذممه وألفت الخلد ديمه اذ الوجود سراب وما فوق التراب تراب ولا يبقى الا عمل راق أو ذكر بالجميل يسطر في أوراق حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظهر مكتوب موضوع اشار به من كانت له طاعة فوفت بمقترحه استطاعة

يمضى الزمان وكل فان ذاهب * الا الجميل الذكر فهو الباقي
لم يبق من ايوان كسرى بعد ذا * لك الخبل الا الذكر في الاوراق
هل كان للسفاح والمنصور والـ * ـمهدي من ذكر على الاطلاق
او للرشيد وللامين وصنوه * لولا شباة يراعة الوراق
رجع التراب الى التراب بما اقتضت * في كل خلق حكمة الخلاق
الا الثناء الخالد العطر الشذى * يهدى حديث مكارم الاخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ان يمكنها من حسن المثاب فتحظى بحلول ساحته ثم بلثم راحته ثم بالاصغاء ولا مزيد للابتغاء الى أن ترتفع الوساطة وتغنى عن التركيب البساطة وينسى الاثر بالعين ويحسن الدهر قضاء الدين ونسأل الذي أغرى بها القريحة ولم يجعل الباعث الا المحبة الصريحة أن يبقى تلك المثابة زينا للزمان وذخرا مكنوفا باليمن والامان مظللا برحمة الرحمن بفضله وكرمه انتهى * ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى الى الشيخ الرئيس الخطيب شيخه أبي عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى حين كانت أزمة أمر المغرب بيده أيام السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني رحم الله تعالى الجميع (ماصورته) سيدي بل مالكي بل شافعي ومنتشلي من الهفوة ورافعي وعاصمي عند تجويد حروف الصنائع ونافعي الذي بجاهه أجزت المنازل قراى

وفضلات

وفضلت أولاى والمنة لله تعالى أخراى وأصبحت وقول أبى الحسن هجيراى

علقت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسأل الايام ما اسمى ما درت * وأين مكانى ما عرفن مكانى

وصلت مكناسة حرسها الله تعالى حدانى حدونداك ومحاسن لولا الخصال المبرة قلت بذلك وكان الوطن لاغتباطه بجوارى اومارآه من انتياب زوارى أوغرالى بهت بقطع الطريق وأطلع يده على التفريق واشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق فلم يسع الا المقام أياما تعود الى البر وقياما واختيار الضروب الانس واعتيادا ورأيت بلدة معارفها أعلام وهواؤها برد وسلام ومحاسنها تعمل فيها ألسنة واقلام حفظ الله تعالى سيدى فلكم من فضل أفاد وأنس احياه وقد باد وحفظ منه على الايام الذخر والعتاد كاملكه زمام الكمال فاقتاد وأنا أنطارح عليه فى صلات تفقده وموالاة يده بأن يسهمنى فى فرض مخاطبته مهما خاطب معتبرا بهذه الجهات ويصحبنى من مناصحته بكؤس مسرة يعمل فيها هاك وهات فالعز بعزه معقود والسعد بوجوده موجود ومنهل السرور بسروره مورود والله عز وجل يبقيه بقاء الدهر ويجعل حبه وظيفة السر وحمده وظيفة الجهر ويحفظ على الايام من زمنه زمن الزهر ويصل لنا تحت ايالته العام بالعام والشهر بالشهر آمين آمين انتهى *(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) صاحب الاشغال بالمغرب أبا عبد الله بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنيه بتقلد المنصب من رسالة قوله

تعود الامانى بعد انصراف * ويعتدل الشئ بعد انحراف

فان كان دهرك يوما جنى * فقد جاء ذا خجل واعتراف

طلع البشير ابقاك الله تعالى بقبول الخلافة المرينية والامامة السنية خصها الله تعالى ببلوغ الامنية على تلك الذات التى طابت أرومتها وزكت وتأوهت العلياء اتذكر عهدها وبكت وكاد السرور يتقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت فلولا العذر الذى تاكدت ضرورته والمانع الذى ربما تقررت لديكم صورته لكنت أول مشافه بالهناء ومصارف لهذا الاعتناء الوثيق البناء بنقود الحمد لله والثناء وهى طويلة *(ومما خاطب به رحمه الله تعالى قاضى الجماعة وقد نالته مشقة جرها غلط الخدام السوء واشتراك الاسماء أعتبه عندها السلطان وخلع عليه وأشاد بقدره بما نصه

تعرفت أمرا ساءنى ثم سرنى * وفى صحة الايام لابد من مرض

تعمدك المحبوب بالذات بعدما * جرى ضده والله يكفيه بالعرض

فى مثلها ياسيدى يحمد الاختصار وتقصر الانصار وتصرف الابصار اذلم يتعين ظالم ولم يتبين يقظ ولا حالم وانما هى هدية أجر وحقيقة وصل أعقبت مجاز هجر وجرح جبار وأمر ليس به اعتبار ووقيعة لم يكن فيها الاغبار وعثرة القدم لا تنكر والله سبحانه يحمد فى كل حال ويشكر واذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب وحسن الولاية لم يعبه عائب والرعى دائب والجانى تائب فما هو الا الدهر الحسود لمن يسود خمش ثم يدثم

سترها ورمى عن قوس ما أصلحها والحمد لله ولا أوترها انما باء بشينه وجنى من مزيد العناية محنة عينه ولا اعتراض على قدر اعقب بحظ معتذر وورد نغص بكدر ثم انس باكرام صدر وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله تعالى والذب ولا نقول مع الكظم الا ما يرضى الرب واذا سابق أولياء سيدى فى مضمار وحماية ذمار واستباق الى بر وابتدار بجهد واقتدار فأنا ولا فخر متناول القصبة وصاحب الدين من بين العصبة لما بلوت من بر أوجبه الحسب والفضل الموروث والمكتسب ونصح وضح منه المذهب وتنفيق راق منه الرداء المذهب هذا مجمل وبيانه الى وقت الحاجة مؤخر ونبذة شرح لتجيلها يراع مسخر والله سبحانه يعلم ما أنطوى عليه لسيدى من ايجاب الحق والسير من اجلاله على أوضح الطرق والسلام انتهى *(وقال رحمه الله تعالى خاطبت بعض الفضلاء بقولى مما يظهر من الجملة غرضه

تعرفت قرب الدار ممن أحبه * فكنت أجد السير لولا ضروره

لأتلو من آى المحامد سورة * وأبصر من شخص المحاسن صوره

كنت أبقاك الله تعالى لاغتباطى بولائك وسرورى بلقائك أود أن أطوى اليك هذه المرحلة وأجدد العهد بلقياك المؤملة فمنع مانع وما ندرى فى الآتى ما الله صانع وعلى كل حال فشانى قد وضح منه سبيل مسلوك وعلمه مالك ومملوك واعتقادى أكثر مما تسعه العبارة والالفاظ المستعارة وموصلها ينوب عنى فى شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة المتصفة بالعفاف والطهارة والسلام *(وقال سامحه الله تعالى) يخاطب السلطان أبا عبد الله بن نصر جبره الله تعالى عند وصول ولده من الاندلس

الدهر أضيق فسحة من أن يرى * بالحزن والكمد المضاعف يقطع

واذا قطعت زمانه فى كربة * ضيعت فى الاوهام ما لا يرجع

فاقنع بما أعطاك ربك واغتنم * منه السرور وخل ما لا ينفع

مولاى الذى له المنن والخلق الجميل والخلق الحسن والمجد الذى وضح منه السنن كتبه عبدك مهنئا بنعم الله تعالى التى أفاضها عليك وجلبها اليك من اجتماع شملك بنجلك وقضاء دينك من قرة عينك الى ما تقدم من افلاتك وسلامة ذاتك وتمزق أعدائك وانفرادك بأودائك والزمن ساعة فى القصر لا بل كلمح البصر وكأنى بالبساط قد طوى والتراب على الكل قد سوّى فلا تبقى غبطة ولا حسرة ولا كربة ولا يسرة واذا نظرت ما كنت فيه تجدك لا تنال منه الا أكلة وفراشا وكاورياشا مع توقع الوقائع وارتقاب الفجائع ودعاء المظلوم وصداع الجائع فقد حصل ما كان عليه التعب وأمن الرهب ووضح الامر المذهب والقدرة باقية والادعية واقية وما تدرى ما تحكم به الاقدار وتمحص عنه الليل والنهار وأنت اليوم على زمانك بالخيار فان اعتبرت الحال واجتنبت المحال لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس من غير شك ولا لبس وكان من أملى التوجه الى رؤية ولدكم ولكن عارضتنى موانع ولا ندرى فى الآتى ما الله تعالى صانع فاستنبت هذه فى تقبيل قدمه والهناء بمقدمه والسلام *(وقال رحمه الله تعالى قلت أخاطب

محمد بن نوار وقد أعرس بيت من دار الدار السلطانية وهو معروف بالوسامة وحسن الصورة

ان كنت فى العرس ذا قصور * فلا حضور ولا دخاله
يثوب نطعى منساب تيس * والنثر عن قفة النخاله

هنأكم الله سبحانه دعاء وخبرا وألبسكم من السرور حبرا وعوذكم بالخمس حتى من عين الشمس فلعمرى لقد حصلت النسبة ورضيت هذه المعيشة الحسبة ومن يكن المزوار ذواقه كيف لا يشرق البدر أطواقه وينشر القبول عليه رواقه وأنتم أيضا اركان جمال وبقية رأس مال ويمين فى الانطباع وشمال بمنزلكم اليوم بدر وهلال والعقد التوفيق بفضل الله تعالى استقلال فأنا أهنيكم بتسنى أمانيكم والسلام *(وقال رحمه الله تعالى) مخاطبا عميد مراكش المتميز بالرأى والسياسة والهمة وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على الهنتانى

تقول لى الاظعان والشوق فى الحشا * له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل التوحيد أصبحت فارعا * فخيم قرار العين فى دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها * هو الحج يقضى نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد * ثغور الامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه * ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال فى الدهر منكما * بخير مزور أو بأغبط زائر

لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال واسعاف الآمال ومساعدة الايام والليال اذ الشمل جميع والزمان كله ربيع والدهر مطيع سميع الا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ويواصل أمنه بين النوم والاجفان وان أرى الافق الذى طلعت منه الهداية وكانت اليه العودة ومنه البداية فلما حم الواقع وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع وأصبحت ديار الاندلس وهى البلاقع وحسنت من استدعائك اياى المواقع وقوى العزم وان لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسى السفر بسببك فألفيته خفيفا والتمست الاذن حتى لا ترى فى قبلة السداد تحريفا واستقبلتك بصدر مشروح وزند للعزم مقدوح والله سبحانه يحقق السول ويسهل بمثوى الاماثل المثول ويهيئ من قبل هنتانة القبول بفضله انتهى *(وللسان الدين بن الخطيب مقامة عظيمة بديعة) وصف بها بلاد الاندلس والعدوة وأتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب وقد تركتها مع كتبى بالمغرب ولم يحضرنى منها الا ان الاقوله فى وصف مدينة سبتة ما صورته قلت فمدينة سبتة قال تلك عروس المجلى وثنية الصباح الاجلى تبرجت تبرج العقيلة ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة واذا قامت بيض أسوارها وكان جبل بنيونش شمامة أزهارها والمنارة منارة أنوارها كيف لا ترغب النفوس فى جوارها وتهيم الخواطر بين انجادها وأغوارها الى المينا الفلكية والمراقى الفلكية الذكية الزكية غير المنزورة ولا المبكية ذات الوقود الجزل المعد للازل والقصور المقصورة

على الجذو الهزل والوجوه الزهر السحن المضنون بها عن المحن دار الناشبة والحامية المضرمة للحرب المناشبة والاسطول المرهوب المحذور الالهوب والسلاح المكتوب المحسوب والاثر المعروف المنسوب كرسي الامراء والاشراف والوسيطة لخامس أقاليم البسيطة فلاحظ لها في الانحراف بصرة علوم اللسان وصنعاء الحلل الحسان وثمرة امتثال قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الامينة على الاختزان القويمة المكيال والميزان محشر أنواع الحيتان ومحط قوافل العصير والحرير والكتان وكفاها السكنى بمنونش في فصول الازمان ووجود المساكن النبيهة بأرخص الاثمان والمدفن المرحوم غير المزحوم وخزانة كتب العلوم والآثار المنبئة عن أصالة الحلوم الا أنها فاغرة أفواه الجنوب للغيث المصبوب عرضة للرياح ذات الهبوب عديمة الحرث فقيرة من الحبوب ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب وناهيك بحسنة تعد من الذنوب فأحوال أهلها رقيقة وتكلفهم ظاهر مهما ظهرت وليمة أو عقيقة واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة وأنساب نفقاتهم في تقدير الارزاق عريقة فهم يعصون البلالة مص المحاجم ويجعلون الخبز في الولائم بعدد الجماجم وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم بالبشير الهاجم وراعي الجديب بالمطر الساجم فلا يفضلون على مدينتهم مدينة الشك عندي في مكة والمدينة انتهى * وقد سلك في هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع والتقفية ووفاها من المدح وضده أكمل توفية وعكس هذه الطريقة في نفاضة الجراب فوصف فيها الاماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع مع كونه أقطع من السيف اذا بان عنه القراب (فمن ذلك قوله حين أجرى ذكر مدينة مكناسة الزيتون وأطلت مدينة مكناسة في مظهر النجد رافلة في حلل الدوح مبتسمة عن شنب المياه العذبة سافرة عن أجمل المراد قد أحكم وضعها الذي أخرج المرعى قيد النص وقذلكة الحسن فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تخلفه حسنا ووضعا من بلد دارت به المدارس المغلة والتفت بسوره الزياتين المفيدة وراق بخارجه للسلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف ورحب ساحة والتفاف شجرة ونباهة بنية واشراف ربوة ومثلت بازائها الزاوية القدمى المعدة للوراد ذات البركة النامية والمئذنة السامية والمرافق المتيسرة يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق الخاص بالسابلة والجوابة في الارض يبتغون من فضل الله تعالى تقابلها غربا الزاوية الحديثة المربية برونق الشبيبة ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال الى أن قال وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت بها الملوك الجلة الهمم وأخذها التنجيد فجاءت فائقة الحسن ماشئت من أبواب نحاسية وبرك فياضة تقذف فيها صافي الماء أعناق أسدية وفيها خزائن الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الخزائن ومداومة البر لجوار ترابها سليما من الفساد معافى من العفن اذ تقام ساحات منازلها غالبا على اطباق الآلاف من الاقوات تتناقلها المواريث ويصحبها التعمير وتتجافى عنها الارض ومحاسن هذه البلدة المباركة جمة قال ابن عبدون من أهلها ولله دره

ان تفتخر فاس بما في طيها * وبأنها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها * والاطيبان هواؤها والماء

ويسامتها شرقا جبل زرهون المنبجس العيون الطاهر البركة المتزاحم العمران الكثير الزياتين والاشجار قد جلله سكرا ورزقا حسنا فهو عنصر الخير ومادة الجبى وفي المدينة دور نبيهه وبنى أصيله والله سبحانه ولي من اشتملت عليه بقدرته وفيها أقول

بالحسن من مكناسة الزيتون * قد صح عذر الناظر المفتون
فضل الهواء وصحة الماء الذي * يجري بها وسلامة المخزون
سحت عليها كل عين ثرة * للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين أباطح * وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفاها شاهدا امهما ادعت * قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه * فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربري وافد * في لوحه والتين والزيتون
حييت من بلد خصيب أرضه * مثوى أمان أومناخ أمون
وضعت اليك من الاله عناية * تكسوك ثوبي أمنة وسكون انتهى.

وقد وصفها في مقامة البلدان على منوال السجع فقال مكناسة مدينة أصيلة وشعب للمحاسن وفضيلة فضلها الله تعالى ورعاها وأخرج منها ماءها ومرعاها فجانبها مريع وخيرها سريع ووضعها له في قنة الفضائل تفريع اعتدل فيها الزمان وانسدل الامان وفاقت الفواكه فواكهها ولاسيما الرمان وحفظ أقواتها الاختزان ولطفت فيها الاواني والكيزان ودنا من الحضرة جوارها فكثر قصادها من الوزراء وزوارها وبها المدارس والفقهاء ولقصبتها الابهة والمقاصير والابهاء انتهى ويعني بالحضرة مدينة فاس المحروسة لانها اذ ذاك كرسي الخلافة ومكناسة مقر الوزارة وأهل المغرب يعبرون عن المدينة التي فيها كرسي الخلافة بالحضرة قلت دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة وقد أبلى الدهر محاسنها التي كانت في زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة واستولى عليها الخراب وتكدر منها بالفتن الشراب وعاث في ظاهرها الاعراب وفي باطنها سماسرة الفتنة العائقة عن كثير من الآراب حتى صار أهلها حزبين ولبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها والبين والله تعالى يجبر حالها ويعقب بالخصب امحالها ويرحم الله تعالى ابن جابر اذ قال

لاتنكر الحسن من مكناسة * فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت أيدي الزمان رسومها * فلربما أبقت هناك حروفا

على أن ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين واللصوص ومثوى للاعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص ولذلك يقول لسان الدين رحمه الله تعالى

مكناسة حشرت بها زمر العدا * فدى بريد فيه الف مريد
من واصل للجوع لا للرياضة * أولابس للصوف غير مريد

فاذا سلكت طريقها امتثوقا * فانوا السلوك بها على التجريد

وما أشار اليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القدمى والجديدة أشار به الى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المريني الكثير الآثار بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس وكان بنى الزاوية القدمى فى زمان أبيه السلطان أبى سعيد والجديدة حين تولى الخلافة وله فى هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدة آثار كثيرة جميلة من القناطر والسقايات وغيرها ومن أجل ما آثره بها المدرسة الجديدة وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء اليها من فاس لبراها فقعد على كرسى من كراسى الوضوء حول صهريجها وجىء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن * ليس لما قرت به العين ثمن

وهذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بنى مرين وأبعدهم صيتا وكان قد ملك رحمه الله تعالى المغرب بأسره وبعض الاندلس وامتد ملكه الى طرابلس الغرب ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين قاتل أعراب افريقية فغدره بنو عبد الواد الذين أخذ من يدهم ملك تلسان وانتهزوا الفرصة فيه وهربوا الى الاعراب عند المصافة فاختل مصافه وهزم أقبح هزيمة ورجع الى تونس مغلوبا وركب البحر فى اساطيله وكانت نحو الستمائة من السفن فقضى الله تعالى أن غرقت جميعا ونجا على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربعمائة عالم منهم السطى شارح الحوفى وابن الصباغ الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة قال الاستاذ أبو عبد الله ابن غازى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أعيان الاصحاب أنه بلغه ان الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمنصورة تلسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه

يا قلب كيف وقعت فى أشراكهم * ولقد عهدتك تحذر الاشراكا
أرضا بذل فى هوى وصبابة * هذا لعمر الله قد أشقاكا

ومات رحمه الله تعالى غريقا فى أسطول السلطان أبى الحسن المرينى على ساحل تدلس هو والفقيه السطى والاستاذ الزواوى وغيروا حد فى نكبة السلطان أبى الحسن المعروفة ومن نظم ابن الصباغ المذكور فى العلاقات المعتبرة فى المجاز وفى المرجحات له قوله رحمه الله تعالى

يا سائلا حصر العلاقات التى * وضع المجاز بها يسوغ ويجمل
خذها مرتبة وكل مقابل * حكم المقابل فيه حقا يحمل
عن ذكر ملزوم يعوض لازم * وكذا بعلته يعاض معلل
وعن المعمم يستعاض مخصص * وكذاك عن جزء ينوب المكمل
وعن المحل ينوب ما قد حله * والحذف للتخفيف مما يسهل
وعن المضاف اليه ناب مضافه * والضد عن أضداده مستعمل
والشبه فى صفة تبين وصورة * ومن المقيد مطلق قد يبدل

والشيء يسمى باسم ما قد كانه * وكذلك يسمى بالبديل المبدل
وضع المجاور في مكانة جاره * وبهذه حكم التعاكس يكمل
واجعل مكان الشيء آلته وجئ * بمنكر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبه انتهت * وجلها حكم التداخل يشمل
وبكثرة وبلاغة ولزومه * لحقيقة رجحانه يتحصل

انتهى كلام شيخ شيوخ شيوخنا الامام أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله تعالى * وقد حكى ابن غازي المذكور عن شيخه القوري عن شيخه ابن جابر أن ابن الصباغ المذكور اعترض على القاضي ابن عبد السلام التونسي قال لما لقي ابن الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسئلة لم ينفصل عن واحدة منها بل أقر بالخطا فيها اذ ليس ينبغي اتصاف بالكمال الا الرب الكبير المتعال انتهى (وذكر الشيخ أبو عبد الله الابي رحمه الله تعالى في شرح مسلم عند تكلمه على أحاديث العين ما معناه ان رجلا كان بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبي الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن فكان غرقها بقدرة الله الذي يفعل ما يشاء ونجا السلطان بنفسه وجرت عليه محن واستولى ولده السلطان أبو عنان فارس على ملكه وكان خلفه بتلمسان ولم يزل في اضطراب حتى ذهب الى سجلماسة ومنها خاض الى جبل هنتانة قرب مراكش فذهب الى حربه ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه وأناخ على الجبل بكلكله ولم تخفر أهل هنتانة جواره لديهم ولا كبيرهم عامر بن محمد وأخوه وصبروا على الحصار وخراب الديار وحرق الاماكن حتى مات هنالك رحمه الله تعالى ونقل بعد الى شالة سلا مدفن اسلافه ومن أراد الوقوف على اخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذي ألفه فيه وسماه المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن ولما ذهب لسان الدين بن الخطيب الى عامر بن محمد بجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور وقد ألم بذكر ذلك في نفاضة الجراب اذ قال وشاهدت بجبل هنتانة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله تعالى حيث أصابه طارق الاجل الذي فصل الخطة وأصمت الدعوة ورفع المنازعة وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفترشا بالحصباء مقصودا بالابتهال والدعاء فلم أبرح يوم زيارة محل وفاته أن قلت

يا حسنها من أربع وديار * أضحت لباغي الامن دار قرار
وجبال عز لا تذل أنوفها * الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة * آثارها تنبي عن الاخبار
ما كنت أحسب ان أنهار الندى * تجري بها في جملة الانهار
ما كنت أحسب ان أنوار الحجا * تلتاح في قنن وفي أحجار
مجت جوانبها البرود وان تكن * شبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها في سبيل وفائها * فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدها على المجد العدا * رضيت بعيث النار لا بالعار

عمرت بجلة عامر وأعزها * عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى * والبأس في طلق وفي مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما * محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة * بالاصل في ورق وفي اثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة * في جوها بمطالع الاقمار
لله أي قبيلة تركت لها ال* نظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المسلمين وملكه * قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عندما ذهب الردى * والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الابطال بين تقاعد وفرار
كفرت صنائعه فيمم دارها * مستظهرا منها بعز جوار
وأقام بين ظهورها لايتقي * وقع الردى وقد ارتمى بشرار
فكأنها الانصار لما أن سمت * فيما تقدم غربة المختار
لما غدا لحظا وهم أجفانه * نابت شفارهم عن الاشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم * فأجاب ممتثلا لامر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما * خلصت اليه نوافذ الاقدار
قد كان يأمل أن يكافئ بعض ما * أولوه لولا قاطع الاعمار
ما كان يقنعه لو امتد المدى * الا القيام بحقها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضة * ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى أوطانها * من ملكه بجلائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم * أثر العناية ساطع الانوار
ويبوغ الامل القصي كرامها * من غير ما ثنيا ولا استعصار
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى * عن درهم فيهم ولا دينار
أو أن يتوج أو يقلد هامها * ونحورها بأهلة ودرارى
حتى على المولى ابنه ايثارها * بذلوه من نصر ومن ايثار
فلمثلها ذخر الجزاء ومثله * من لا يضيع صنائع الاحرار
وهو الذي يقضى الديون وبره * يرضيه في علن وفي اسرار
حتى تحج محلة رفعوا بها * علم الوفاء لاعين النظار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا * للطائفين اليه أي بدار
تغنى قلوب القوم عن هدى به * ودموعهم تكفى لرمى جمار
حييت من دار تكفل سعيها ال* محمود بالزلفى وعقبى الدار
وضفت عليك من الاله عناية * ما كر ليل فيك اثر نهار انتهى

ويعنى بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن ومن العجائب ان الرئيس عامر بن محمد الذي جرى في هذه الابيات ذكره كان يؤمل بإقوائه للسلطان أبي الحسن

ونصرته

ونصرته له وعدم اخطاره ذمته فيه أن ينال من أولاد الملوك بذلك عزا مستطيلا ورياسة زائدة على ما كان فيه فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن اذ نازله بجنوده وحاصره بمعقله حتى استولى عليه وقتله حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضى القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى نزيل مصر فى تاريخه الكبير الذى سماه بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر فمن شاء فليراجعه ثمة وكان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتى المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبى الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز المذكور فكان من قتله ما ذكر والله غالب على أمره ولنرجع الى ما كنا فيه من نثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ورضى عنه فنقول ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى فى كتابه اعلام عمال الاعلام ما صورته وفى غرضى اذا منّ الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية ومعاودة الازمان الهنية والنصبة النقية ان نصنف فى التاريخ كتابا مبنيا على التطويل مستوعبا للكثير والقليل نسميه بضاعة المهولين فى أساطين الاولين يكون هذا الكتاب بالنسبة اليه الحصاة من الرمال والقطرة من الغيث المنثال باعانة ذى القدرة والجلال انتهى ومن كلامه رحمه الله تعالى فما استبعد المرام من قصد الكرام وما فقد الايناس من أمل الناس انتهى وقد سلك لسان الدين رحمه الله تعالى فى كثير من كتبه كالكتيبة الكامنة والتاج المحلى والاكليل الزاهر وغيرها كحلية الاعلام من حملة السيوف والاقلام بالكلام المسجع الآخذ بحظه من الاتقان على طريقة صاحب القلائد والمطمح أبى نصر الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ الاندلس غير مدافع وعلى نهج مباريه ابن بسام صاحب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة وهو كتاب ينبغى أن يراجع وقد رأيت ان آتى بشئ من كلام لسان الدين فيما ذكرونا بعد تحليته بالتعريف بحال من حلاه من الاعلام بحسب ما منّ به ويسره لى الملك العلام سبحانه وتعالى فنقول قال لسان الدين رحمه الله تعالى فى بعض كتبه فى وصف بعض من عرف به ما نصه أى نفس صافية من الكدر وصدر طيب الورد والصدر ودوحة عهد تندى أوراقها ومشكاة فضل يستطلع اشراقها تمسك برضاع الكاس برى ذلك من حسن عهده وقسم لحظاته بين آس الرياض ووردة فلما حوم حمامه للوقوع وكاد يتقوض رحله عن الربوع وشعر بحبائل المنية تعتلقه وسرعان خيل الاجل ترهقه أقلع عن فنه وأمر بسفك دنه ولجأ الى الله تعالى بأوبته وضرع الى الله تعالى فى قبول توبته وغفران حوبته فكان ذلك عنوان الرضا وعلامة عفو الله تعالى عما مضى دخلت عليه فى مرضه وأشرت باستعمال الدواء المسمى بلحية التيس عند الاطباء فاستعمله فوجد بعض خفة * وقال فى آخر كشف الحاشية معدود فى جنس السائمة والماشية تليت على العمال به سورة الغاشية تولى الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وقامت قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهى احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد من المصانعة والرشوة يتجنب

الناس ويقول عند المخاطبة لامساس وعلى صافة نهجه وتجهم وجهه فكان تجاوز اساءته باحسانه مشتغلا بشانه غاضا من عنان اسانه عهدي به في الاعمال يقدرها ويذبر ويرتع ويعبر ويخبط ويتبر وهو مع ذلك يكبر ويحسن من الازمة ويقبح وهو يسبح وللمشارع في البحث والتنقير والمحاسبة على القطمير والنقير أتاه قاطع الاجل فخر عن ركابه فاقتضى العجل وصدرت عنه أبيات نخضم فيها وقضم وحصل تحت القدر المشترك مع من نظم * وقال في آخر كركدن حلبة الآداب وسنور عبد الله يسع بقيراط الماشاب هام بوادي الشعر مع من هام واستمطر منها الجهام فجاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجا ومقاصد لاتبين قصدا ولا نهجا وله بيت معمور بفضلة أكابر فرسان أقلام ومحابر وعمال تمادوا الدهر بأزمتهم وفرعوا الزهر بهمتهم وتكاثرت عليه رحمه الله تعالى الاحن وتعاورته المحن وتصرف آخر عمره في بعض الاعمال المخزنية فتعلل ببرزر القوت الى الاجل الموقوت * وقال في آخر معدود في وقته من أدبائه ومحسوب في أعيان بلده وحسبائه كان رحمه الله تعالى من أهل العدالة والخير سائرا على منهج الاستقامة أحسن السير وله أدب لا يقصر عن السداد وان لم يكن بطلا فمن يكثر السواد قد أثبت له ما عثرت عليه مما ينسب الناس اليه * وقال في آخر معتر غير قانع ومنجع كل شهم وخانع نشأ ببلده مالقة أبرع من أورد البراعة في نقس وهز غصنها في روضة طرس الا ما كان من سخافة عقله وقعوده تحت المثل أخبر تقله لا يرتبط الى رتبه ولا ينتمي الى عصبه ولا يتلبس بسمت ولا يستقيم من أمت أخبرني من عني بخبره وذكر عبره من صباه الى كبره أنه رشح في بعض الدول وعرض لاكتساب الخيل والخول وخلعت عليه كسوة فاخرة وشارة بزهر الرياض ساخرة فانقاد طوع حرمانه ونبذ صفقة زمانه وحمله فرط النهم على ان ابتاع في حجره طعاما كثير الدسم وأقبل وأذياله منه تقطر كما اختلفت بالليل الاشطار فطرد ونبذ وطرح بعد ما جبذ لقيته بمالقة وقد قلب له زمانه عينيه وسقط في يديه فأتحفني بامداحه وتعاورني باجاجه واقتراحه * وقال في آخر أديب نار فكره تتوقد وأديب لا يعترض كلامه ولا ينقد أما الهزل فهو طريقته المثلى ركض في ميدانها وجلى وطلع في أفقها وتجلى فأصبح علم أعلامها وعابر أحلامها ان أخذ بها في وصف الكاس وذكر الورد والآس وألم بالربيع وفصله والحبيب ووصله والروض وطيبه والغمام وتقطيبه شق الجيوب طربا وعل النفوس شربا وضربا وان ابتغى لاعتلال العشية في فرش الربيع الموشية ثم تعداها الى وصف الصبوح واجهز على الزق المجروح وأشار الى نغمات الورق يرفلن في الحلل الزرق وقد اشتعلت في عنبر الليل نار البرق وطلعت بنود الصباح في شرفات الشرق سلب الحليم وقاره وذكر الخليع كاسه وعقاره وحرك الاشواق بعد سكونها وأخرجها من ركونها بلسان يتزاحم على موارد الخيال ويتدفق من حافاته الادب السيال وبيان يقيم أود المعاني ويشيد مصانع اللفظ محكمة المباني ويكسو حلل الاحسان جسوم المثالث والمثاني الى نادرة لمثلها يشار ومحاضرة يجنى بها الشهد ويشار وقد أثبت من شعره المعرب

وان

وان كان لا يتعاطاه الا قليلا ولا يجاوز الا تعليلا أبياتا لا تخلو عن صنعة وجمال على
صفحاتها وبهجة وطيب ينم في نفحاتها * وقال أيضا في آخر ظريف السجية كثير
الاريحية ارتحل من لورقة قصدها الله تعالى واتخذ المرية دارا وألف بها استقرارا الى ان
دعاه بها داعيه وقام فيها ناعيه * وقال في وصف آخر شيخ أخلاقه لينة ونفسه كما قيل
في نفس المؤمن هينة ينظم الشعر عذبا مساقه محكما اتساقه على فاقة وحال مالها من
افاقة أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منها مترعها واستعذب
من مثله مشرعها * وقال في آخر من أئمة أهل الزمام خليق برعي الميثاق والذمام ذو خط
كما تفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان ببلده رحمه الله تعالى بدار
أشرافه محاسبا ودرة في لجة الاغفال راسبا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته
حسن الحلل وله شعر لا بأس به ولا خفاء بفضل مذهبه * وقال في آخر خير من استبق
الى داعي الفلاح استباقا وانتمى الى القوم الذين هم في الآخرة أطول أعناقا وان كانوا
في الدنيا أضيق أرزاقا مردد أذكار ومسبح أسحار وعامر مئذنة ومنار كان ببلده
مؤذنا بجامعها ومؤقتا بأتم صوامعها ومعتبرا فيمن كان بها من السدنة ومن مثله قوله
فكانما قرب بدنة وله لسان خفيف وشعر ضعيف توشح بحليته وجعله وسيلة كديته
* وقال في آخر عظيم الهيئة حسن اللقاء أغرب في حسن المداراة من العنقاء استمر
عمره للحكم وصبر على جبح الصم والبكم وأفرط في هشته وهزته وتنزل عن نخوة القضاء
وعزته وله سلف في القضاء عالي المراقب مزاحم للنجم الثاقب وقد أثبت من شعره
ما تيسر اثباته وتجمع بروض هذا المجموع نباته * وقال في آخر قاض توارث كل
جلالة عن كلالة وجمع في العلم الحسب بين الموروث والمكتسب أشرق بجيد
منعم في العشيرة مخول وألقت عليه مقاليدها من منقول ومتأول الى نزاهة لا تعزها
البيضاء ولا الصفراء وحلم لا تستهويه السعاية ولا يستفزه الاغراء ووقار يستخف
الجبال الراسية ونظر يكشف الظلم القاسية تولى قضاء الحضرة فأنفذ الاحكام
وأمضاها وشام سيوف الجزالة وانتضاها ولبس أثواب النزاهة والانقباض فأنصاها
وسلك الطريق التي اختارها السلف وارتضاها فاجتمعت الاهواء المفترقة عليه
وصرف الثناء أعنة الالسن اليه ثم كر الى بلده واستقر خطيبا بقرارة أهله وولده * وقال
في آخر منتم الى معرفة متصف من الذكاء بأحسن صفة أقرأ ببلده علم اللسان وما حاد
عن الاحسان وعاني الشعر فنظم قوافيه وما تكلف فيه وعلى غزارة مادته ووضوح
جادته فشعره قليل البشاشة ذاهب الحشاشة وذو الاكثار كثير العثار وله سلف
يخوض في الحقائق وينتحل بعض الكلام الرائق * وقال في آخر منتم لدين وعفة والى
نفس بالعرض الادنى مستخفة ممن نزع الى سلوك ورياضة ويفيض في طريق القوم بعض
افاضة * وقال في آخر ممن يتشوف الى المعارف والمقالات ويرتاح الى الحقائق والحالات
ويشتمل على نفس رقيقة ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ويعاني من الشعر
ما يشهد بنبله ويستطرف من مثله * وقال في آخر مشمر في الطلب عن ساق مثابر على اللحاق

بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد فى احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرست فى المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت اعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه ورحل الى المغرب فاستجدى بالشعر سلطانه ثم راجع أوطانه * وقال فى آخر منتم الى زهد باذل فى القماس الخير الجهد نظمه لا يخلو من حلاوة ومعانيه فى طريقه عليها بعض طلاوة * وقال فى آخر كاتب سجلات لا يساجل فى صحة فصولها وتوقيع فروعها على أصولها وكلما طلب بالنظم القريحة واعمل الفكرة الصريحة مع اقلاله وعدم استعماله أجابت ولبت وتنسمت رياحها وهبت * وقال رحمه الله تعالى وسامحه فى بعض العدول الصوفية الاخيار الذين وحدوا الله وفنوا عن سائر الاغيار خير عدل وممن له وقار وفضل متسم بخير معرض عن غير مشتمل بصفات مرضية يلم بالنظم فى الطريقة الصوفية *(وللسان الدين رحمه الله تعالى) ركض فى هذا الميدان لا يجارى فيه وثبوت فضل لا يستند الى دليل جاحده ونافيه وقال رحمه الله تعالى فى كتابه التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى فى ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الامى المريى ماصورته بحر معرفة لا يغيض وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض نشأ ببلده مشمرا عن ساعد اجتهاده وسائرا فى قنن العلم ووهاده حتى أينع روضه وفهق حوضه ثم أخذ فى راحة ذاته وشام بارق لذاته ثم سار فى البطالة سير الجموح وواصل الغبوق بالصبوح حتى قضى وطره وسئم بطره وركب الفلك وخاض اللجج الحلك واستقر بمصر على النعمة العريضة على شك فى قضاء حجة الفريضة وهو اليوم بمدرستها الصالحية نبيه المكانة معدود فى أهل العلم والديانة انتهى وقال فى الاحاطة فى حق المذكور مانصه من خط شيخنا أبى البركات فى الكتاب المؤتمن على انباء أبناء الزمن كان سهلا سلس القياد لذيذ العشرة دمث الاخلاق ميالا الى الدعة نفورا عن النصب يركن الى فضل نباهة وذكاء يحاسب بهما عند التحصيل الدراسة والدؤب على الطلب من رجل يجرى من الالحان على مضمار لطيف ولم يكن له صوت رخيم يساوق انطباعه فى التلحين فجبر ذلك بالاوتار وحاول من ذلك بيده مع أصحابه ما لاذ به الظرفاء منهم واستعمل بدار الاشراف بالمرية فاحكم تلك الطريقة فى أقرب زمان وجاء زمامه يروق من ذلك العمل من شانه ثم نهضت به همته الى أرفع من ذلك فسار الى غرناطة فقرأ بها العربية وغيرها وانخرط فى سلك نبهاء الطلبة لا دنى مدة ثم رحل الى بلاد المشرق فى حدود العشرين وسبعمائة فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها له كان يشكوها وأخذ فى اقراء العربية بها وعرف بها الى أن صار يدعى بأبى عبد الله النحوى قال شيخنا المذكور ورأى فى صغره فارة أنثى فقال هذه قرينة فلقب بذلك وصار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه ومعرفته ثم قال لسان الدين فى حق المذكور ما ملخصه انه قرأ بالحضرة على الخطيب أبى على القبطاجى وطبقته وأخذ بالقاهرة عن الاستاذ أبى حيان وانتفع بجاهه نقل الينا الحاج الحافظ أبو جعفر بن غصن من شعره حسبما قيده عنه بمصر

بعد المزار ولوعة الاشواق * حكما بفيض مدامع الآماق

وخفوق نجدى النسيم اذا سرى * أذكى لهيب فؤادى الخفاق
أمعللى ان التواصل فى غد * من ذا الذى لغد فديتك باق
ان الليالى سبق ان أقبلت * واذا تولت لم تنل بلحاق
عج بالمطى على الحمى سقى الحمى * صوب الغمام الواكف الرقراق
فبه الذى القلب السليم ودادة * قلب سليم ماله من راق
قلب غداة فراقهم فارقته * لا كان فى الايام يوم فراق
ياساريا والليل ساج عاكف * يفرى الفلا بنجائب ونياق
عرج على مثوى النبى محمد * خير البرية ذى المقام الراقى
ورسول رب العالمين ومن له * حفظ العهود وصحة الميثاق
الطاهر الآيات تم دليلها * والطاهر الاخلاق والاعراق
بدر الهدى وهو الذى آياته * وجبينه كالشمس فى الاشراق
الشافع المقبول من عم الورى * بالجود والارفاد والارفاق
الصادق المأمون أكرم مرسل * سارت رسالته الى الآفاق
أعلى الكرام ندى وأبسطهم يدا * قبضت عنان المجد باستحقاق
وأشد خلق الله اقداما اذا * حمى الوطيس وشمرت عن ساق
أمضاهم والخيل تعثر فى الوغى * وتجول سبحا فى الدم المهراق
من صير الاديان دينا واحدا * من بعد اشراك مضى ونفاق
وأحلنا من حرمة الاسلام فى * ظل ظليل وارف الاوراق
لو ان للبدر المنير كماله * ما ناله كسف ونكس محاق
لو ان للبحرين جود يمينه * أمن السفين غوائل الايساق
لو أن للآساد شدة بأسه * لثنت عن الانجاد والاعراق
لو ان للآباء رحمة قلبه * ذابت نفوسهم من الاشفاق
ذو العلم والحلم الخفى المنجلى * والجاه والشرف القديم الباقى
آياته شهب وغر بنانه * سحب النوال تدر بالارزاق
ماجت فتوح الارض وهو غياثها * وربت ربا الايمان وهو الساقى
ذو رأفة بالمؤمنين ورحمة * وهدى وتأديب بحسن سياق
وخصال مجد أفردت بالخصل فى * مرمى الفخار وغاية السباق
ذو المعجزات الغر والآى التى * كم آية فقدت وهن بواقى
ثنت المعارض حائرا لما حكت * فلق الصباح وكان ذا افلاق
يقظ الفؤاد سرى وقد هجع الورى * لمقام صدق فوق ظهر براق
وسما وأملاك السماء تحفه * حتى تجاوزهن سبع طباق

ومنها

يا ذا الذى اتصل الرجاء بحبله * وانبت من هذا الورى بطلاق

حبى اليك وسابقى وذخيرتى * انى من الاعمال ذوا ملاق
واليك أعملت الرواحل ضمرا * تختال بين الوخد والاعناق
تحيا اذا انشدت حلى تلك العلا * تطوى الفلا ممتدة الاعناق
يحدو بهن من الحبيب مردد * وتقودهن أزمة الاشواق
غرض السه فوقتنا أسهما * وهى القسى برين كالافواق
فأنختها بفنائك الرحب الذى * وسع الورى بالنائل الدفاق
وقرى مؤملك الشفاعة فى غد * وكفى بها هبة من الرزاق
وعليك ياخير الانام تحية * تحيى النفوس بنشرها الفتاق
تتأرج الارجاء من نفحاتها * أرج الندى بمدحك المصداق

ومنها

قسما بطيب تراب طيبة انه * مسك الانوف واثمد الاحداق
وبشأن مسجدها الذى برحابه * لمعامل الرحمن أى نفاق
لاجودفيه بأدمع اسلاكها * منظومة بترائب وتراق
أغدو بتقبيل على حصبائه * وعلى كرائم جدره بعناق

ومنها

وعليك ذا النورين تسليم له * نور يلوح بصفحة المهراق
كفؤ النبى وكفؤ أعلى جنة * حيزت له بشهادة وصداق
وكفاه ما فى الفتح جاء ومصحف * فى الفتح بحمده وفى الاطباق
وعلى أبى السبطين من سبق الالى * سبقوا الى الاسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى * شرفا على التخصيص والاطلاق
مبدى القضايا من وراء حجابها * ومفتح الاحكام عن اغلاق
يغزو العداة بغلظة فيهدهم * بصوارم تفرى الفقار رقاق
راياته لا شئ من عقبانها * بمطار يوم وغى ولا بمطاق
وعلى كرام ستة عشرتهم * عقد النظام لآلئ النساق
مابين أروع ماجد نيرانه * جنح الظلام تشب للطراق
وأخى حروب صده رشق القنا * عما قدود مثلهن رقاق
ماغردت شجوا مطوقة وما * شقت كمام الروض عن اطواق
وعلى القرابة والصحابة كلهم * والتابعين لهم ليوم تلاق

وذكره فى الاحاطة غير هذه (وقال لسان الدين) فى التاج فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ماصورته ناظم أبيات وموضح غرروشيات وصاحب توقيعات وقيعات واشارات ذوات شارات وكان شاعرا مكثارا وجوادا لايخاف عثارا دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه بعد انتثار سلكه وخروج الحضرة عن ملكه واستقراره بوادى آش مروع البال متعللا بالآمال وقد بلغه دخول طبرنش فى طاعته فأنشده

من ساعته

خذها اليك طبرنشا * شفع بها وادى الاشا
والام تاتى بنتها * والله يفعل مايشا

ومن نوادره العذبة ما كتبه اليه يطلب منه الحسبة

انلنى أيا خير البرية خطة * ترفعنى قدرا وتكسبنى عزا
فأعتز فى أهلى كما اعتز بيدق * على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزا

ثم وقع له عجائب فى ترجمته انتهى وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله بن العطار المزنى ماصورته ممن نبع ونجب وحق له البر بذاته ووجب تحلى بوقار وشعشع للادب كاس عقار الا أنه اخترم فى اقتبال واصيب للاجل بنبال انتهى وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن يحيى بن خاتمة الانصارى المزنى ماصورته ممن ثكلته البراعة وفقدته اليراعة تأدب باخيه وتهذب وأراه فى النظم المذهب وكساه من التفهم والتعليم الرداء المذهب فاقتنى واقتدى وراح فى الحلبة واغتدى حتى نبل وشدا ولو أمهله الدهر لبلغ المدى وأما خطه فقيد الابصار وطرفة من طرف الامصار واغتبط بانع الشبيبة مخضر الكتيبة مات عام خمسين وسبعمائة وأورد له فى الاحاطة قوله

ومض البرق فثار القلق * ومضى النوم وحل الارق
مذ تذكرت لايام خلت * ضمنا فيها الحمى والابرق
وعشيات تقضت باللوا * فى محيا الدهر منها رونق
اذ شبابى والتصابى جمعا * ورياض الانس غض مورق
شت يوم البين شملى ليتما * خلق البين لقلب يعشق
آه من يوم قضى لى فرقة * شاب منى يوم حلت مفرق

وقوله

الرفع نعتكم لاخانكم أملى * والخفض شيمة مثلى والهوى دول
هل منكم لى عطف بعد بعدكم * اذ ليس لى منكم ياسادتى بدل انتهى

قلت البيت الثانى غاية فى معناه وأما الاول فسافل وان أسس على الرفع مبناه والله أعلم

*(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن داود الحميرى المالقى ماصورته علم من أعلام هذا الفن ومشعشع راح هذا الدن مجموع أدوات وفارس براعة ودوات ظريف المنزع أنيق المرأى والمسمع اختص بالرياسة فأدار فلك امارتها واتسم باسم كتابتها ووزارتها ناهضا بالاعباء صاعدا فى درج التقريب والاجتباء مصانعا دهره فى راح وراحة آويا الى فضل وسماحة وخصب ساحة كلما فرغ من شان خدمته وانصرف عن رب نعمته عقد شربا وأطفأ من الاهتمام بغير الايام حربا وعكف على صوت يستعيده وظرف يبديه ويعيده فلما انقلبت بالرياسة الحال وقوضت منها الرحال استقر بالمغرب غريبا يقلب طرفا مستريبا ويلحظ الدنيا تبعة عليه وتثريبا وان كان لم يعدم من امرائه حظوة وتقريبا ومابرح يروح بشجنه

ويرتاح الى عهود وطنه ومما أعرب به عن براعة أدبه قوله

يا نازحين ولم أفارق منهم * شوقاً تأجج فى الضلوع ضرامه
غبتم وعن ناظرى وشخصكم * حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شملى فشتت شمله * والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فيها وجد مبالغا * وجرت بحكم جوره أحكامه
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى * حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجدية النفحات وجدية اللفحات تؤدى عنى الى الاحبة نفحها سلاما وتورد عليهم لفحها بردا وسلاما ولا تقل كيف تحملنى نارا وترسل على الاحبة منى اعصارا كلا اذا أهديتهم تحية انفاسى وآنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسى وارتاحوا الى هبوبك واهتزوا فى كف مسرى جنوبك وتملوا بك تعليلا وأوسعوا آثار مهبك تقبيلا أرسلها عليهم بليلا وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلا ألم ترونى كيف جئتكم بما حملنى عليلا

كذا الذي تركته ملقى بأرض * له فيها التعلل بالرياح
اذا هبت اليه صبا اليها * وان جاءته من كل النواحى
تساعده الحمائم حين يبكى * فما ينفك موصول النواح
يخاطبهن مهما طرن شرقا * أما فيكن واهبة الجناح

ولولا تعلله بالامانى وتحدثه نفسه بزمان التدانى لكان قد قضى نحبه ولم أبلغكم الا نعيه أو ندبه لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول ويطارح باقتراحاته على الزمن المجهول ويحدث نفسه وقد قنعت من بروق الآمال بالخلب ووثقت بمواعيد الدهر القلب فيناجيها بوحى ضميره وإيماء تصويره كيف أجدك يوم الالتقاء بالاحباب والتخلص من ربقة الاغتراب أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب كأنى بك وقد استفزك وله السرور فصرفك عن مشاهدة الحضور وعاقتك غشاوة الاستعبار للاستبشار عن اجتلاء محيا ذلك النهار

يوم يداوى زمانا من أزمانى * أزال تنغيص أحبابى فأحيانى
جعلت لله نذرا صومه أبدا * أفى به وأوفى شرط ايمانى
اذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعت * أشطان دهر قد التفت بأشطانى
أعده خير أعياد الزمان اذا * أوطأنى السعد فيه ترب أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى الى التذكار وانقيادى الى معللات توهمات الافكار كأن البعد باستغراقها قد طويت شقته وذهبت عنى مشقته وكأنى بالتخيل بين تلك الخمائل أتنسم صباها وأتسنم رباها وأجتنى أزهارها وأجتلى أنوارها وأجول فى خمائلها وأتنعم بيكرها وأصائلها وأطرف بمعالمها وأتنشق أزهار كمائمها وأصيخ بأذن الشوق الى سجع حمائمها وقد داخلتنى الافراح ونالت منى نشوة الارتياح ودنا السرور لتوهم ذهاب الاتراح فلما أفقت من غمرات سكرى ووثبت من هفوات فكرى وجدت مرارة ماشابه

لى فى استغراق دهرى وكأنى من حينئذ عالجت وقفة الفراق وابتدأت منازعة الاشواق وكأنما أغمضنى النوم وسمح لى بتلك الفكرة الحلم

تذكر الديار فهاجه تذكاره * وسرت به من حينه أفكاره
فاحتل منها حيث كان حلوله * بالوهم منها واستقر قراره
ما أقرب الآمال من غفرانه * لو أنها قضيت بها أوطاره

فاذا جئتها أيها القادم والاصيل قد خلع عليها برداً مورساً والربيع قد مد على القيعان منها سندساً فاتخذها فديتك معرساً واجرر ذيولك فيها متبختراً وبث فيها من طيب نفحاتك عنبراً وافتق عليها من نوافح أنفاسك مسكاً أذفراً واعطف معاطف بانها وأرقص قضب ريحانها وصافح صفحات نهرها ونافح نفحات زهرها هذه كلها أمارات وعن أسرار مقاصدى عبارات هنالك تنتعش بها صبابات تعالج صبابات تتعلل باقبالك وتعكف على لثم أذيالك وتبدو لك فى صفة الفانى المتهالك لاطفها بلطافة اعتلالك وترفق بها رفق أمثالك فاذا مالت بهم الى هوالك الاشواق ولووا اليك الارؤس والاعناق وسألوك عن اضطرابى فى الآفاق وتقلبى بين الاشآم والاعراق فقل لهم عرض له فى اسفاره ما يعرض للبدر فى سراره من سرار السرار ولحاق المحاق وقد تركته وهو يسامر الفرقدين ويساير النيرين وينشد اذا راعه البين *

وقد نكون وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

لم يفارق وعثاء الاسفار ولا ألقى من يده عصا التسيار يتهاداه الغور والنجد ويتداوله الارقال والوخد وقد لفحته الرمضاء وسئمه الانضاء فالجهات تلفظه والآكام تبهظه يحمل همومه الرواسم وتحياته البواسم

لا يستقر بأرض حين يبلغها * ولا له غير حدو العيس ايناس *

ثم اذا استوفوا سؤالك عن حالى وتقلبى بين حلى وترحالى وبلغت القلوب منهم الحناجر وملأت الدموع المحاجر وابتلت ذيولك بمائها لا بل تضرجت بدمائها فحيهم عنى تحية منفصل وداع مرتحل ثم اعطف عليك ركابك ومهد لهم جنابك وقل لهم اذا سألنى عن المنازل بعد سكانها والربوع بعد ظعن أظعانها بماذا أجيبه وبماذا يسكن وجيبه فسيقولون لك هى البلاقع المقفرات والمعارف التى أصبحت نكرات

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

قل لهم كيف الروض وآسه وعما تأرج أنفاسه عهدى به والحمام يردد به أسجاعه والذباب يغنى به هزجا فيحك بذراعه ذراعه وغصونه تعتنق وأحشاء جداوله تصطفق وأشجاره تتنسم وأصاله تتوسم كما كانت بقية نضرته وكما عهدتها أنيقة خضرته وكيف التفاته عن أزرق نهره وتأنقه فى تكليل اكليله بيانع زهره وهل رق نسيم أصائله وصفت موارد جداوله وكيف انفساح ساحاته والتفاف دوحاته وهل تمتد كما كانت مع العشى فيناته سرحاته عهدى بها المديدة الظلال المزعفرة السربال لم تحدق الآن به عيون نرجسه ويمد بساط سندسه وأين منه مجالس لذاتى ومعاهد غدواتى وروحاتى

اذ أبارى فى المجون لمن أبارى وأسابق الى اللذات كل من أجارى فسيقولون لك ذوت أفنانه وانقصفت أغصانه وتكدرت غدرانه وتغير روحه وريحانه وأقفرت معالمه وأخرست حمائمه واستحالت حال حمائله وتغيرت وجوه بكره وأصائله فان صلصل حنين رعد فعن قلبى لفراقه خفق وان تلألأ برق فعن حر حشاى ائتلق وان همت السحب فساعدة لجفنى وان طال بكاؤها فعن حياها الله تعالى منازل لم تزل بمنظوم الشمل أواهل وحين انتثرت نثرت أزهارها أسفا ولم تثن الريح من أغصانها معطفا أعاد الله تعالى الشمل فيها الى محكم نظامه وجعل الدهر الذى فرقه يأتى فى احكامه وهو سبحانه يجبر الصدع ويعجل الجمع انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير ايه بنى كيف حال من استودعتهم امانتك وألزمتهم صونك وصيانتك وألبستهم نسبك ومهدت لهم حسبك الله فى حفظهم فهو اللائق بفعالك والمناسب لشرف خلالك ارع لهم الاغتراب لديك والانقطاع اليك فهم أمانة الله تعالى فى يديك وهو سبحانه يحفظك بحفظهم ويوالى بلحظك أسباب لحظهم وان ذهبتم الى معرفة الاحوال فنعم الله تعالى ممتدة الظلال وخيراته وارفة السربال لولا الشوق الملازم والوجد الذى سكن الحيازم انتهى *

(وقال فى الاكليل) فى ترجمة أبى بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقى مانصه نابغة مالقية وخلف وبقية ومغربي الوطن أخلاقه مشرقية أزمع الرحيل الى المشرق مع اخضرار العود وسواد المفرق فلما توسطت السفينة اللجج وقارعت الثبج هال عليها البحر فسقاها كاس الحمام وأولدها قبل التمام وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها وانضم على نوره سوادها من جلة الطلبة والادباء وأبناء السراة الحسباء أصبح كل منهم مطيعا لداعى الردى وسميعا وأحيوا فرادى وماتوا جميعا فأجروا الدموع حزنا وأرسلوا العبرات عليهم مزنا وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدها وأهال هضبة سفينتهم وهدها غار على نفوسهم النفيسة فاستردها والفقيه أبو بكر مع اكثاره وانتهاد نظامه ونثاره لم أظفر من أدبه الا بالقليل التافه بعد وداعه وانصرافه فن ذلك قوله وقد أبصر فتى عاثرا

وبهفهف هافى المعاطف أحور * فضحت أشعة نوره الاقمارا
زلت له قدم فأصبح عاثرا * بين الانام لعا لذاك عثارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشت فى * ذاك المكان الخد والاشفارا

وقال

ابا لبنى الرفاء تنضى ظباؤهم * جفون ظباهم فالفؤاد كليم
لقد قطع الاحشاء منهم مهفهف * له التبر خد واللجين أديم
يسدد اذ يرمى قسى حواجب * وأسهمها من مقلتيه تسوم
وتسقمنى عيناه وهى سقيمة * ومن عجب سقم جناه سقيم
ويذبل جسمى فى هواه صبابة * وفى وصله للعاشقين نعيم

كان غرقه فى أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى

عبد الله محمد بن محمد الشديد المالقي ما نصه شاعر مجيد حولي الكلام ولا يقصر فيه عن درجة الاعلام رحل الى الحجاز لاول أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه وعميت أنباؤه وعلى هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل ومرعاها غير وبيل تدل على نفس ونفس واضاءة قبس وهي

لنا في كل مكرمة مقام * ومن فوق النجوم لنا مقام

ومنها

روينا من مياه المجد لما * وردناها وقد كثر الزحام
فنحن هم وقل لي من سوانا * لنا التقديم قدما والكلام
لنا الايدي الطوال بكل صوب * يهزبه لدى الروع الحسام
ونحن اللابسون لكل درع * يصيب السمر منهن انثلام
بأندلس لنا أيام حرب * مواقفهن في الدنيا عظام
نوى منها قلوب الروم خوف * يخوف منه في المهد الغلام
حمينا جانب الدين احتسابا * فها هو لا يهان ولا يضام
وتحت الراية الحمراء منا * كتائب لا تطاق ولا ترام
بنو نصر وما أدراك ماهم * أسود الحرب والقوم الكرام
لهم في حربهم فتكات عمرو * فللاعمار عندهم انصرام
يقول عداتهم مهما ألموا * أتونا مالنا من الموت اعتصام
اذا شرعوا الاسنة يوم حرب * فحقق أن ذاك هو الحمام
كأن رماحهم فيها نجوم * اذا ما أشبه الليل القتام
أناس تخلف الايام ميتا * بحيا منهم فلهم دوام
رأينا من أبي الحجاج شخصا * على تلك الصفات له قيام
موقى العرض محمود السجايا * كريم الكف مقدام همام
يجول بذهنه في كل شئ * فيدركه وان عز المرام
قويم الرأي في نوب الليالي * اذا ما الرأي فارقه القوام
له في كل معضلة مضاء * مضاء الكف ساعدها الحسام
رؤف قادر يغضي ويعفو * وان عظم اجتناء واجترام
تطوف ببيت سؤدده القوافي * كما قد طاف بالبيت الانام
وتسجد في مقام علاه شكرا * ونعم الركن ذلك والمقام
أفارسها اذا ما الحرب أخنت * على أبطالها ودنا الحمام
ومطرها اذا ما السحب كفت * وكف أخي الندى أبدا غمام
لك الذكر الجميل بكل قطر * لك الشرف الاصيل المستدام
لقد جبنا البلاد فحيث سرنا * رأينا أن ملكك لا يرام
فضلت ملوكها شرقا وغربا * وبت لملكها يقظا وناموا

فأنت لكل معلوة مدار * وأنت لكل مكرمة امام
جعلت بلاد أندلس اذا ما * ذكرت تغار مصر والشآم
مكان أنت فيه مكان عز * وأوطان حللت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرا * لها من حسن لقياك ابتسام
فنزه طرف مجدك في حلاها * فللمجد الاصيل بها اهتمام انتهى

(وقال في الاكليل في ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمراني من أهل فاس ما صورته كريم الانتماء متظلل بأغصان الشجرة الشماء من رجل سليم الضمير ذي باطن أصفى من الماء النمير له في الشعر طبع يشهد بعربية أصوله ومضاء نصوله * وذكر في الاحاطة أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة (وقال في الاكليل في ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم المرادي العشاب وهو قرطبي الاصل تونسي المولد والمنشا ما نصه جواد لا يتعاطى طلقه وصبح فضل لا يماثل فلقه كانت لابيه رحمه الله تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحل ومفاوضة في العقد والحل ولم يزل تسمو به قدم النجابة من العمل الى الحجابة ونشأ ابنه هذا مقضي الديون مفدى بالانفس والعيون والدهر ذو ألوان ومارق حرب عوان والايام كرات تتلقف وأحوال لا تتوقف فألوى بهم الدهر وأنحى وأغام جوهم بعقب ما أصحى فشملهم الاعتقال وتعاورتهم النوب الثقال واستقرت بالمشرق ركابه وحطت به أقتابه فحج واعتمر واستوطن تلك المعاهد وعمر وعكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف وقرأ المعروف وقيد وأسند وتكرر الى دور الحديث وتردد وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل ولما استقر به قراره واشتمل على جفنه غراره بادرت الى مؤانسته وثابرت على مجالسته فاجتليت للسر شخصا وطالعت ديوان الوفاء مستقصى وشعره ليس بحائد عن الاحسان ولا غفل عن النكت الحسان انتهى (وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن علي بن ابراهيم المليكشي ما صورته كاتب الخلافة ومشعشع الادب الذي يزري بالسلافة كان بطل مجال ورب روية وارتجال قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه وضاق ببعض الحوادث عطنه فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ولبث مدة اقامته تحت جراية واسعة ومبرة يانعة ثم آثر قطره فولى وجهه شطره واستقبله دهره بالانابة وقلده خطة الكتابة فاستقامت حاله وحطت رحاله وله شعر أنيق وتصوف وتحقيق ورحلة الى الحجاز سعيها في الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق ومن شعره قوله

رضاك ما ترضين من كل ما يهوى * فلا توقفيني موقف الذل والشكوى
وصفحا عن الجاني المسيء لنفسه * كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي أتشكى لوعة البين ساعة * ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى
قفي ساعديني عرصة الدار وانظري * الى عاشق ما يستفيق من البلوى

وكم قد سألت الربع شوقا اليكم * فما حن مغناها علي ولا ألوى
فيا ربع حتى أنت عن يغاربي * ويا نجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
خلقت ولى قلب جليد على النوى * ولكن على فقد الاحبة لا يقوى

(وحدث) بعض من عني بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره أنه لقى بباب الملعب من أبوابها الطيبة من ظبيات الانس وقينة من قينات هذا الجنس فخطب وصالها واتقى بفؤاده نصالها حتى همت بالانقياد وانعطفت انعطاف الغصن المياد فأبقى على نفسه وأمسك وأنف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال

لم أنس وقفتنا بباب الملعب * بين الرجا واليأس من متجنب
وعدت فكنت مراقبا لحديثها * ياذل وقفة خائف مترقب
وتدللت فذللت بعد تعزز * يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها * ماشئت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنبا * فتكاد تحسبها مهاة الربرب
ورنت بلحظ فاتن لك فاتر * أنضى وأمضى من حسام المضرب
وأرتك بابل سحرها بجفونها * فسبت وحق لمثلها أن تستبي
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها * لمعان نور ضياء برق خلب
بمنظم فى عقد سمطى جوهر * عن شبه نور الاقحوان الاشنب
وتمايلت كالغصن أخضله الندى * ريان من ماء الشبيبة مخصب
تثنيه أرواح الصبابة والصبا * فتراه بين مشرق ومغرب
أبت الروادف أن تميل بميله * فرست وجال كأنه فى لولب
متتوجا بهلال وجه لاح فى * خلل السحاب لحاجب ومحجب
يامن رأى فيها محبا مغرما * لم ينقلب الا بقلب قلب
مازال مذ ولى يحاول حيلة * تدنيه من نيل المنى والمطلب
فأجال نار الفكر حتى أوقدت * فى القلب نار تشوق وتلهب
فتلاقت الارواح قبل جسومها * وكذا البسيط يكون قبل مركب

وقال

أرى لك ياقلبي بقلبي محبة * بعثت بها سرى اليك رسولا
فقابله بالبشرى وأقبل عشية * فقد هب مسك للنسيم عليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلل الندى * فأحسن ما يأتى النسيم بليلا

توفى عام أربعين وسبعمائة بتونس رحمه الله تعالى انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن علي بن عمر العبدرى التونسى الشاطبى الاصل ما نصه غذى نعمة هامية وفريع رتبة سامية صرفت الى سلفه الوجوه ولم يبق من افريقية الا من يخافه ويرجوه وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف ثم قلب الدهر له ظهر المجن واشتد به الخمار عند فراغ الدن ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة وشدة كبيرة

فامتزج بسكانه وقطانه ونال من اللذات به ما لم ينله فى أوطانه واكتسب الشمائل العذاب وكان كابن الجهم بعث الى الرصافة ليرق فذاب ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر وألمّ بهذه البلاد المام الخيال الزائر فاغتنمت صفقة وده لحين وروده وخطبت موالاته على انقباضه وشروده فحصلت منه على درّة تقتنى وحديقة طيبة الجنى أنشدنى فى أصحاب له بمصر قاموا ببرّه

لكل أناس مذهب وسجية * ومذهب أولاد النظام المكارم

اذا كنت فيهم ثاويا كنت سيدا * وان غبت عنهم لم تنلك المظالم

أولئك صحبى لاعدمت حياتهم * ولاعدموا السعد الذى هو دائم

أغنى بذكراهم وطيب حديثهم * كما غرّدت فوق الغصون الحمائم

وقال

أحبتنا بمصر لو رأيتم * بكائى عند أطراف النهار

لكنتم تشفقون لفرط وجدى * وما ألقاه من بعد الديار انتهى

(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى القاسم محمد بن أبى زكريا يحيى بن أبى طالب عبد الله بن محمد ابن أحمد العزفى السبتى ما صورته فرع تأوّد من الرياسة فى دوحة وتردّد بين غدوة فى المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعدما شطت ثم كلح له الدهر بعدما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذى كان يتنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة وله أدب كالروض باكرته الغمائم والزهر تفتحت عنه الكمائم رفع منه راية خافقة وأقام له سوقا نافقة وعلى تدفق أنهاره وكثرة نظمه واشتهاره فلم أظفر منه الا باليسير التافه بعد انصرافه انتهى *(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد ابن المكودى الفاسى ما نصه شاعر لا يتقاصى ميدانه ومرعى بيان رف عضاهه وأينع سعدانه يدعو الكلام فيهطع لداعيه ويسعى فى اجتلاب المعانى فتنجح مساعيه غير أنه أفرط فى الانهماك وهوى الى السمكة من أوج السماك قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار صفر اليمين واليسار من اليسار ملئ هوى أخفى على طريفه وتلاده وأخرجه من بلاده ولما جذبه البين وحل هذه البلدة بحال تقتحمها العين والسيف بهزته لا بحسن بزته دعوناه الى مجلس أعاره البدر هالته وخلع عليه الاصيل غلالته وروض تفتح كمامه وهمى عليه غمامه وكاس أنس تدور فتتلقى نجومها البدور فلما ذهبت المؤانسة بخجله وتذكر هواه ويوم نواه حتى خفنا حلول أجله جذبنا للمؤانسة زمامه واستسقينا منه غمامه فأمتع وأحسب ونظر ونسب وتكلم فى المسائل وحاضر بطرف الابيات وعيون الرسائل حتى نشر الصباح رايته وأطلع النهار آيته فمما نسبه الى نفسه وأنشدناه قوله

غرامي فيك جل عن القياس * وقد أسقيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني * عليك أقاربي طرًّا وناسي
ولا أدرى لنفسي من كمال * سوى أني لعهدك غير ناسي

وقال

بعثت بخمر فيه ماء وانما * بعثت بماء فيه رائحة الخمر
فقل عليه الشكر اذ قل سكرنا * فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر انتهى

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدرى الغرناطي ما صورته معلم مدرب مسهل مقرب له في صنعة العربية باع مديد وفي هدفها سهم سديد ومشاركة في الادب لا يفارقها تسديد خاصي المنازع مختصرها مرتب الاحوال مقررها تميز أول وقته بالتجارة في الكتب فسلطت منه عليها أرضة آكلة وسهم أصاب من رميتها الشاكلة اترب بسببها وأثرى وأغنى جهة وأفقر أخرى وانتقل لهذا العهد الاخير الى سكنى مسقط راسه ومنبت غراسه وجرت عليه جراية من احباسها ووقع عليه قبول من ناسها وبها تلاحق به الحمام فكان من ترابها البداية واليها التمام وله شعر لم يقصر فيه عن المدى وأدب توشح بالاجادة وارتدى أنشدني بسبتة تاسع جمادى الاولى عام اثنين وخمسين وسبعمائة يجيب عن بيتي ابن العفيف التلمساني

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاى معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتني طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكاني
لا غرو اذ كان لي مضافا * أني على الكسر فيه باني

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاما

أنامل الغر التي سيب جودها * يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أتتني منها تحفة مثل عدها * اذا انتضيت كانت كرهفة السمر
هي الصفر لكن تعلم البيض أنها * محكمة فيها على النفع والضر
مهذبة الاوصال ممشوقة كما * تصوغ سهام الرمى من خالص التبر
فقبلتها عشرا ومثلت أنني * ظفرت بلثم في أنامل العشر

وقال في ترتيب حروف الصحاح

أساجعة بالواديين تبوّئي * ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعى ذكر روض زانه سقي شربه * صباح ضحى طل ظباء عصائب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهنا هواه يراقب

مولده في حدود ثمانين وستمائة وتوفي بغرناطة في رجب عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة انتهى
قلت رأيت بخط الجلال السيوطي على هامش جوابه عن بيتي ابن العفيف التلمساني

ماصورته قلت فى هذا البيت تصريح بأن المضاف الى الياء مبنى على الكسر وهو رأى مرجوح عند النحاة ذهب اليه الجرجانى والصحيح أنه معرب على ان ذلك لا يحتاج الى جواب كما يظهر بالتأمل قاله عبد الرحمن السيوطى انتهى ويعنى بذلك أن الساكنين انما يكسر أحدهما الاحلاهما والله سبحانه أعلم (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن هانئ اللخمى السبتى وأصله من اشبيلية ماصورته علم تشير اليه الاكف ويعمل الى لقائه الحافر والخف رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر ومرج منها لجة تزخر فانفسح مجال درسه وأثمرت أدواح غرسه فركض ماشاء وبرح ودون وشرح الى شمائل يملك الظرف زمامها ودعابة راشت الحلاوة سهامها ولما أخذ المسلمون فى منازلة الجبل وحصاره وأصابوا الكفر منه بجارحة ابصاره ورموا بالشكل فيه نازح أمصاره كان ممن انتدب وتطوع وسمع النداء فاطع فلازمه الى أن نفد لاهله القوت وبلغ من فسحة الاجل الموقوت فأقام الصلاة بمحرابه وحياه وقد غير محياه طول اغترابه وبادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الاسلام فى قرابه أو يعلق أصل الدين فى ترابه وانتدب الى الحصار به وتبرع ودعا أجله فلبى واسرع ولما هدر عليه المنجنيق وركع الى قبلة المنجنيق أصيب بحجر دوم عليه كالجارح المحلق وانقض اليه انقضاض البارق المتألق فاقتنصه واختطفه وعمد الى زهره فاقتطفه فمضى الى الله تعالى طوع نيته وصحبته غرابة المنازع حتى فى أمنيته انتهى وقد جود ترجمته فى الاحاطة وقال انه ألف كتبا منها شرح تسهيل الفوائد لابن مالك مبدع تنافس الناس فيه وكتاب الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة وكتاب انشاد الضوال وارشاد السؤال فى لحن العامة وهو مفيد وكتاب قوت المقيم ودون ترسيل أبى المطرف بن عميرة وضمه فى سفرين وله جزء فى الفرائض وحدثنى شيخنا الشريف القاضى أبو القاسم قال خاطبت ابن هانئ بقصيدة من نظمى أولها هات الحديث عن الركب الذى شخصا فأجابنى بقصيدة على رويها أولها

لولا مشيب بفودى للفؤاد عصى * انضيت فى مهمه التشبيب لى قلصا
واستوقفت عبراتى وهى جارية * وكفاء توهم ربعا للحبيب قصا
مسائلا عن لياليه التى انتهزت * أيدى الامانى بها ماشئته فرصا
وكنت جاريت فيه من جرى طلقا * من الاجادة لم يجمح ولا نكصا
أصاب شاكلة المرمى حين رمى * من الشوارد مالولاه ما اقتنصا
ومن أعد مكان النبل نبل حجا * لم يرض الا بابكار النهى قنصا
ثم انثنى ثانيا عطف النسيب الى * مدح به قد غلا ماكان قد رخصا
فظلت أرفل فيه البسة شرفت * ذاتا ومنتسبا أعزز بها قمصا
يقول فيها وقد خولت منحتها * وجرع الكاشح المغرى بها غصصا
هذى عقائل وافت منك ذا شرف * لولا أياديه بيع الحمد مرتخصا
فقلت هلا عكست القول منك له * ولم يكن قابلا فى مدحه الرخصا
وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف * يردى ويرضى بها الحساد والخلصا

لها

قوله ابن هانئ الخ هو غير ابن هانئ الشاعر المشهور وقد اتفقا اسما وبلدا وقد تقدم ذلك فى محله ويعلم من التاريخ اه من هامش

لها حلى حسنات على حلل * حسنية تستبى من حل أو شخصا
خوّلتها وقد اعترت ملابسها * بالبحث ينقاد للانسان ماعوصا
خذها أبا قاسم منى نتيجة ذى * ودّ اذا شئت ودّا للورى خلصا
جاءت تجاوب عما قد بعثت به * ان كنت تأخذ من درّ البحور حصا
وهى طويلة وعما ينسب اليه
ماللنوى مدّت لغير ضرورة * ولقبل ماعهدى بها مقصوره
ان الخليل وان دعته ضرورة * لم يرض ذلك فكيف دون ضروره
وقال مضمنا للثانى
لاتلم فى عاذلى حين ترى * وجه من أهوى فلومى مستحيل
لورأى وجه حبيبى عاذلى * لتفارقنا على وجه جميل
وأجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله
ياأوحد الادباء أويا أوحد الفضلاء أويا أوحد الشرفاء
من ذا تراه أحق منك اذا التوت * طرق الحجاج أن يجيب ندائى
أدب أرق من الهواء وان تشأ * فن الهوا والماء والصهباء
وألذ من ظلم الحبيب وظلمه * بالظاء مفتوحا وضم الظاء
ماالسحر الاما تصوغ بنانه * ولسانه من حلية الانشاء
وهى طويلة يقول فيها بعد جملة أبيات
لله نفثة سحرما قد شدت لى * من نفث سحرك فى مشاد ثناء
عارضت صفوانا بها فأريتما * يستعظم الراوى لها والرائى
لوراء لؤلؤك المنظم لم يفز * من نظم لؤلؤه بغير عناء
بوّأتنى منها أجل مبوّا * فلا خطى مستوطأ الجوزاء
وسما بها اسمى سائرا فأنا بما * أسديت ذو الاسماء فى الاسماء
وأشدت ذكرى فى البلاد فلى بها * طول الثناء وان اطلت ثوائى
ولقومى الفخر المشيد بنيته * باحسن تشييد وحسن بناء
فليهن هانيهم يد بيضاء ما * ان مثلها الثمن يد بيضاء
حليت أبياتاله نجيبة * تجلى على مضرية غراء
فليشمخوا أنفا بما أوليتهم * يامحرز الآلاء بالالاء

ووصلها بنثر نصه هذا بنى وصل الله سبحانه لى ولك علوّ المقدار وأجرى وفق أوفوق ارادتك وارادتى لك جاريات الاقدار ماسنح به الذهن الكليل واللسان الفليل فى مراجعة قصيدتك الغراء الجالبة السراء الآخذة بمجامع القلوب الموفية بجوامع المطلوب الحسنة المهيع والاسلوب المتحلية بالحلى السنية العريقة المنتسب فى العلا الحسنية الجالية اصدا القلوب ران عليها الكسل وخاتمها المعدان السؤل والامل فتى حامت المعانى حولها ولو أقامت حولها شكت ويلها وعولها وحرمت

من فريضة الفضيلة عوالها وعهدي بها والزمان زمان وأحكامها الماضية أماني مقضية وأمان تتوارد الافها ويجمع اجماعها وخلافها ويساعدها من الالفاظ كل سهل ممتنع مفترق مجتمع مستأنس غريب بعيد الغور قريب فاضح الحلي واضح العلا وضاح الغرة والجبين رافع عمود الصبح المبين أيد من الفصاحة باياد فلم يحفل بصاحبي طي واياد وكسى نصاعة البلاغة فلم يعبأ بابن همام وابن المراغة شفاء المحزون وعلم سر المخزون ما بين منثوره والموزون والآن لا ملهج ولا مبهج ولا مرشد ولا منهج عكست القضايا فلم تنتج فتبلد القلب الذكي ولم يرشح القلم الزكي وعم الاخجام وغم الاحجام وتمكن الاكداء والاجبال وكورت الشمس وسيرت الجبال وعلت سآمة وغلبت ندامة وارتفعت ملامة وتعاملت لتوهي الادب قيامة حتى اذا ورد ذلك المهرق وفرع غصنه المورق تغنى به الحمام الاورق وأحاط بعداد عداته الغصص والشرق وأمن من الغصب والسرق وأقبل الامن وذهب لا قباله الفرق نفخ في صور أهل المنظوم والمنثور وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وتراءت للادب صور وعمرت للبلاغة كور وهمت للبراعة درر ونظمت للبراعة درر وعند ما تبين انك واحد حلبة البيان والسابق في ذلك الميدان يوم الرهان فكان لك القدم وأقر للتمع المتأخر السابق الاقدم خوحق فصاحة ألفاظ أجدتها حين أوردتها وأصلتها حين أرسلتها وأرتها حين وزنتها وبراعة معان سلكتها حين ملكتها وأرويتها حين رويتها أورويتها وأصلتها حين فصلتها أووصلتها ونظام جعلته لجسد البيان قلبا ولمعصمه قلبا وهصرت حدائقه غلبا وارتكبت روية صعبا ونثار أتبعته له خديما وصيرته لمدير كاسه نديما ولحفظه ذمامه المدامي أومدامه الذمامي مديما لقد فتنتني حين أتتني وسبتني حين صبتني فذهبت خفتها بوقاري ولم يرعها بعد شيب عذاري بل دعت لتصابي فقلت مرحبا وحلت لفتنتها الحبا ولم أحفل بشيب وألفيت مارد نصابي تصيب وان كانفرس رهان وسابق حلبة ميدان غير أن الجلدة بيضاء والمرجو الاغضاء بل الارضاء بقي كيف رأيت للبيان هذا الطوع والخروج فيه من نوع الى نوع أين صفوان بن ادريس ومحل دعواه بين رحله وتعريس كم بين نضناض بقر الفلاة وبين ليث الفريس كما أني أعلم قطعا وأقطع علما وأحكم مضاء وأمضي حكما أنه لو نظر الى قصيدتك الرائقة وفريدتك الحالية الفائقة المعارضة بها قصيدته المنتسخة بها فريدته لذهب عرضا وطولا ثم اعتقد لك اليد الطولى وأقر فارتفع النزاع وذهبت له تلك العلامات والاطماع ونسي كلمته اللؤلؤية ورجع عن دعواه الادبية واستغفر به من تلك الالهية بقي وهذا من ذلك من الجري في تلك المسالك والتبسط في تلك المآخذ والمتارك أينزع غيري هذا المنزع أم المرء بنفسه وابنه مولع حيا الله الادب وبنيه وأعاد علينا من أيامه وسنيه ما أعلى منازعه وأكبى منازعه وأجل ما خذه وأجهل تاركه وأعلم آخذه وأرق طباعه وأحق أشياعه وأتباعه وأبعد طريقه وأسعد فريقه وأقوم نهجه وأوثق نسجه وأسمح ألفاظه وأفصح عكاظه وأصدق معانيه وألفاظه وأجد نظامه ونثاره وأغنى شعاره ودثاره

فعاتبه مطرود وعاتبه مفقود وجاهله محسود وعالمه محسود غيرأن الاحسان فيه قليل ولطريق الاصابة فيه علم ودليل من ظفر بهما وصل وعلى الغاية القصوى منه حصل ومن نكب عن الطريق لم يعتمن ذلك الفريق فليهنك أيها الابن الذكى البر الزكى الحبيب الحفى الصفى الوفى أنك حامل رايته وواصل غايته ليس أولوه وأخروه لذلك بمنكرين ولا تجد أكثرهم شاكرين ولولا أن يطول الكتاب وينحرف الشعراء والكتاب لفاضت ينابيع هذا الفصل فيضا وخرجت الى نوع آخر من البلاغة أيضا قرت عيون أوداتك وماتت غيظا حسدة أعدائك ورقيت درج الآمال ووقيت عين الكمال وحفظ منصبك العالي بفضل ربك الكبير المتعالي والسلام الاتم الاتم الاكمل الاعم يخصك به من طال فى مدحه ارقالك واغذاذك ورادروض حمدك وابلك وطلك ورذاذك وغدت مصالح سعيه فى سعي مصالحك وسينفعك بحول الله وقوته وفضله ومنته معاذك ووسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك ابن هانئ ورحمة الله تعالى وبركاته * وكانت وفاته شهادة فى أواخر ذى القعدة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ورثاه شيخنا أبو القاسم الحسنى بقصيدة أثبتت فى اسمه منها

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤدد * تضمنهن الترب صوب الغمائم

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين فقال

قد كان ما قال البريد * فاصبر فحزنك لا يفيد
أودى ابن هانئ الرضى * فاعتادنى للثكل عيد
بحر العلوم وصدرها * وعميدها اذ لا عميد
قد كان زينا للوجو * د ففيه قد فجع الوجود
العلم والتحقيق والتـ * ـوفيق والحسب التليد
تندى خلائقه فقل * فيها هى الروض المجود
مغض عن الاخوان لا * جهم اللقاء ولا كنود
أودى شهيدا باذلا * مجهوده نعم الشهيد
لم أنسه حين المعا * رف باسمه فينا تشيد
وله صبوب فى طلا * ب العلم يتلوه صعود
لله وقت كان ينـ * ـظمنا كما نظم الفريد
أيام نغـ * ـدو أو نرو * ح وسعينا السعى الحميد
واذا المشيخة جثم * هضبات حلم لا تميد
ومرادنا جم النبا * ت وعيشنا خضر برود
لهفى على الاخوان والاتراب كلهم فقيد
لو جئت أوطانى لانـ * ـكرنى التهائم والنجود
ولراع نفسى شيب من * غادرته وهو الوليد
ولطفت ما بين اللحو * د وقد تكاثرت اللحود

سرعان ما عاث الحما * م ونحن ايقاظ هجود
كم رمت اعمال المسيـ * ـر فقيدت عزمي قيود
والآن أخلفت الوعو * د وأخلقت تلك البرود
ما للفتى ما يبتغي * فالله يفعل ما يريد
أعلى القديم الملك يا * ويلاه يعترض العبيد
يا بين قد طال المدى * أبرق وأرعد يا يزيد
ولكل شيء غاية * ولربما لان الحديد
ايه أبا عبد الا لـ * ـه ودون تأميلي بعيد
أين الرسائل منك تأ * تينا كما نسق العقود
أين الرسوم الصالحا * ت تصرمت أين العهود
أنعم مساء لا تخطيك البشائر والسعود
واقدم على دار الرضا * حيث الاقامة والخلود
والق الاحبة حيث دا * ر الملك والقصر المشيد
حتى الشهادة لم تفتـ * ـك فنجمك النجم السعيد
لا تبعدن وعـدا لو آن البدء في الدنيا يعود
فلئن بليت فان ذكـ * ـرك في الدنى غض جديد
تالله لا تنسالك أنـ * ـدية العلا ما اخضر عود
واذا تسوغ في الحقو * ق فحقك الحق الاكيد
جادت صداك غمامة * يرمي بها ذاك الصعيد
وتعهدتك من المهيـ * ـمن رحمة أبدا وجود انتهى

وقوله أول هذه الرسالة عارضت صفوان بها الى آخره يعني بذلك همزية صفوان بن ادريس المشهورة بين أدباء المغرب ولنذكرها افادة للغرض وهي

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى * والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت * تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبيّ وانما * ذخر الصديق لآكد الاشياء
يا صاحبيّ ولا أقل اذا انا * ناديت من أن تصغيا لندائي
عوجا بخاري الغيث في سقي الحمى * حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة * نمضي بها حكما على الظرفاء
يا منزلا نشطت اليه عبرتي * حتى تبسم زهره لبكائي
ما كنت قبل مزار ربعك عالما * أن المدامع أصدق الانواء
يا ليت شعري والزمان تنقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقي في روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء

وتمال

وتنال فيها من تألفنا ولو * مافيه سخنة أعين الرقباء
في حيث اتلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وبدت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة الميساء
والورد في شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر في خضر الربا * زهر النجوم تلوح بالخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعة طيبه ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت * للعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص في حلى أوراقه * كالخود في موشية خضراء
وافتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم فانقضى * فكأنه قد كان في الاغفاء
لم يبق منه غير ذكرى أومنى * وكلاهما سبب لطول عناء
أورقعة من صاحب هي تحفة * ان الرقاع لتحفة النبهاء
كبطاقة الوشى اذ حيابها * ان الكتاب تحية الخلطاء
ما كنت أدرى قبل فض ختامها * أن البطائق أكؤس الصهباء
حتى ثنيت معا طفى طربابها * وجررت أذيالى من الخيلاء
فجعلت ذاك الطرس كاس مدامة * وجعلت مهديه من الندماء
وعجبت من خل يعاطى خله * كأسا وراء البحر والبيداء
ورأيت رونق خطها في حسنها * كالوشي نمق معصم الحسناء
فوجدتها من تسع آيات لقد * جاءت بتأييدى على أعدائى
فكأننى موسى بها وكأنها * تفسير مافى سورة الاسراء
لوجاد فكر ابن الحسين بمثلها * صحت نبوته لدى الشعراء
سوداء اذ أبصرتها لكنها * كم تحتها لك من يد بيضاء
ولقد رأيت وقد تأوبني الكرى * في حيث شابت لمة الظلماء
أن السماء أتى الى رسولها * بهدية ضاءت بها أرجائى
بالفرقدين وبالثريا أدرجا * في الطى من كافورة بيضاء
فكنى بذاك الطرس من كافوره * وبنظم شعرك من نجوم سماء
قسما بها وبنظمها وبنثرها * لقد انتحت لى مل ء عين رجائى
وعلمت أنك أنت في ابداعها * لفظا وخطا معجز النبلاء
لاماتعاطت بابل من سحرها * لاما ادعاه الوشى من صنعاء
ولقد رميت لها القياد وانها * لقضية أعيت على البلغاء
وطلبت من فكرى الجواب فعقنى * وكبا بكف الذهن زند ذكائى
فلذا تركت عروضها ورويها * وهجرت فيها سنة الادباء

وبعثتها ألفيــــــة همزية * خـدمًا لفكر جامع ايباتى
علمت بقدرك فى المعارف فانبرت * من خجلة تمشى على استحياء

انتهت القصيدة ومن خط ناظمها صفوان نقلتها (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى ترجمة ابى محمد عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله الازدى فى التاج ماصورته طويل القوادم والخوافى كاف على كبر سنه بعقائل القوافى شاب فى الادب وشب ونشق ريح البيان لما هب فحاول رقيقه وجزله وأجاد جده وأحكم هزله فان مدح صدح وان وصف أنصف وان عصف قصف وان أنشأ ودوّن وتقلب فى أفانين البلاغة وتلوّن أفسد ماشاء الله وكوّن فهو شيخ الطريقة الادبية وفتاها وخطيب حفلها كلما أتاها لا يتوقف عليه من اغراضها غرض ولا يضيع لديه منها مفترض ولم تزل بروقه تتألق ومعانيه بأذيال الاحسان تتعلق حتى برز فى ابطال الكلام وفرسانه وذعرت القلوب بسطوة لسانه وألقت اليه الصناعة زمامها ووقفت عليه أحكامها وعبر البحر منتجعا بشعره ومنفقا فى سوق الكساد من سعره فأبرق وأرعد وحذر وأوعد وبلغ جهد امكانه فى التعريف بمكانه فما حرك ولا هز وذل فى طلب الرفد وقد عز ومابرح أن رجع الى وطنه الذى اعتاده رجوع الحديث الى قتاده وقد أثبت من نزعاته وبعض مخترعاته مايدل على سعة باعه ونهضة ذراعه فى النسيب قوله

مالِلمحب دواء يذهب الالما * عنه سوى لم فيه ارتشاف لمى
ولا يرد عليه نوم مقلته * الا الدنوّ الى من شفه سقما
ياحاكما والهوى فينا يؤيده * هواك فى بما ترضاه قد حكما

ثم سردها وقال فى المديح

اليك جدّبى التسيار تأميلا * فلى على فضلك المأمول تعويلا
الحمد لله حمدا لا كفاء له * بسعد أيامك المأمول قد نيلا
ياراغبا من جداه دفع معضلة * فصبره بصروف الدهر قد عيلا
ألمم بحضرة ملك كل مفتخر * بالملك يوليه بالتعظيم ترسيلا
فرع من الدوحة النصرية اجتمعت * فيه الفضائل تتميما وتكميلا
لديه مما لدى الصديق تسمية * وميسم وكفاه ذاك تفضيلا

وهى طويلة انتهى * (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى الحسن على بن ابراهيم ابن على بن خطاب السكاك من أهل غرناطة ماصورته متسوّر على بيوت القريض فى الطويل من الكلام والعريض ممن اطاعته براعة الخط وسلمت لاقلامه رماح الخط عانى كتابة الشروط لاول أمره ثم ألظت به محنته على توفر خصاله ونبل خلاله وهو الآن من كتاب ديوان الحساب يتعين من الامور المخزنية ببعض الالقاب انتهى * (وقال فى التاج فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى ماصورته الحسن العارف الناقد لجواهر المعانى كما يفعل بالسكة الصيارف والاديب الجيد الذى تحلى به للعصر النحر والجيد ان أجال جياد براعته فضح فرسان المهارق

وأنجلى بين بياض طرسه وسواد نقسه الطرر تحت المفارق وان جلا أبكار أفكاره وأثار طير البيان من أوكاره سلب الرحيق المقدم فضل اسكاره الى نفس لا يفارقها طرف وهمة لا يرتد اليها طرف وابانة لا يفل لها غرب ولا حرف وله أدب غض زهره على مجتنيه منفض كتبت اليه أستنجز وعده فى الاتحاف بروائقه والامتاع بزهر حدائقه قولى

عندى لموعدك افتقار محرج * وعهودك افتقرت الى انجازها
والله يعلم فيك صدق مودتى * وحقيقة الاشياء غير مجازها

فاجابنى بقوله

يامهدى الدر الثمين منظما * كلما حلال السحر فى ايجازها
أدركت حلبات الاوائل وانيا * ووردت أولاها على أعجازها
أحرزت فى المضمار خصل سباقها * ولانت أسبقهم الى احرازها
حليت بالسمطين منى عاطلا * وبعثت من فكرى فتاة مفازها
فلا نجزن مواعدى مستعطفا * فاسمح وبالاغضاء منك لجازها انتهى

(وقال فى الاحاطة) فى حق المذكور انه من أهل الفضل والمراوة والرجولة والجزالة فذ فى الكفاية ظاهر السداجة والسلامة مصعب لاضداده شديد العصبية لاولى وداده يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ومشاركة فى فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة ممتعة ناب عن بعض القضاة وكتب الشروط وارتسم فى ديوان الجند وكتب عن شيخ الغزاة أبى زكريا يحيى بن عمر على عهده ثم انصرف الى العدوة سابع عشر جمادى الاولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فارتسم فى الكتابة السلطانية منوها به مستعملا فى خدم مجدية بان غناه فيها وظهرت كفايته انتهى * وقد وصفه بصاحبنا ثم قال ومن شعر المذكور قوله

ليت شعرى والهوى أمل * وأمانى الصب لا تقف
هل لذاك الوصل مرتجع * او لهذا الهجر منصرف

وقال

وظبى سبى بالطرف والعطف والجيد * وماحاز من غنج ولين ومن غيد
أشرت اليه بالدنو مداعبا * فقال ايدنو الظبى من غاية الاسد

وقال فى مبدا قصيدة مطولة

حديث المغانى بعدهن شجون * وأوجه أيام التباعد جون
لحى الله أيام الفراق فكم شجت * وغادرت الجذلان وهو حزين
وحيا دياراتى ربا غرناطة * وانى بذاك القرب منك ضنين
لارخصت فيها من شبابى ماغلا * وعزمى على مال العفاف أمين
خليلى لا أمر بأربعها قفا * فعندى الى تلك الربوع حنين
الم ترياني كلما ذر شارق * تضاعف عندى عبرة وأنين
اذا لم يساعدنى اخ منكما فلا * حدت نحوه بعد ذاك أمون

أليس عجيبا في البرية من له * الى عهد اخوان الزمان ركون
فلا تثقن من ذى وفاء بعهده * فقد أجن السلسال وهو معين
اقابي عذر فى فراق ضلوعه * وللدمع فى ترك الشؤن شؤن
ومن ترك الحزم المعين فانه * لعان بأيدى الحادثات رهين
رعى الله أيامى الوثيق ذمامها * فان مكانى فى الوفاء مكين
ولم أرمثل الدهر أتاه عدوه * خب وأما خله فخؤن
ولولا أبو عمرو وجودبنانه * لما كان فى هذا الزمان معين

وقال

زار الخيال ويالها من لذة * لكن لذات الخيال منام
مازلت ألثم مبسما منظومه * درّ ومورده الشهى مدام
واضم غصن البان من أعطافه * وأشم مسكا فض عنه ختام

مولده عام ستة وسبعمائة وتوفى بفاس وقد تخلفه السلطان ككاتب ولده عند توجهه لافريقية فى العشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى (وقد وهم لسان الدين) فى شهر وفاة المذكور وانما الصواب انه توفى يوم الاحد ثامن شوال فاعلم ذلك والله سبحانه اعلم (رجع) وقال فى التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى وفى الاكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج الجواهر وغيرهما مما ثبت فى حلى رؤساء الكتاب وحاملى ألوية الآداب فى ترجمة شيخه ابن الجياب مانصه صدر الصدور والجلة وعلم أعلام هذه الملة وشيخ الكتابة وبانيها وهاصر أفنان البدائع وجانيها اعتمدته الرياسة فناء بها على حبل ذراعه واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه فتقيأ للعناية ظلا ظليلا وتعاقبت الدول فلم تربه بديلا من ندب على علاوه متواضع وحبر لذى المعارف راضع لاتعزمذاكرة فى فن الاوله فيه التبريز ولاتعرض جواهر الكلام على محكات الافهام الاوكلامه الابريز حتى أصبح الدهر راويا لاحسانه وناطقا بلسانه وغرّب ذكره وشرّق وأشأم وأعرق وتجاوز البحر الاخضر والخليج الازرق الى نفس هذبت الآداب شمائلها وجادت الرياضة خمائلها ومراقبة لربه واستنشاق لروح الله من مهبه ودين لايحجم عوده ولاتخلف وعوده وكل ماظهر علينا معشر بنيه من شارة تجلى بها العين أواشارة كما سبك اللجين فهى اليه منسوبة وفى حسناته محسوبة فانما هى أنفس راضها بآدابه وأعلقها بأهدابه وهذب طباعها كالشمس تلقى على النجوم شعاعها والصور الجميلة تترك فى الاجسام الصقيلة انطباعها وماعسى أن أقول فى امام الائمة ونور الدياجى المدلهمة والمثل السائر بعد الصيت وعلو الهمة وقد أثبت من عيون قصائده وأدبه الذى علق الاحسان فى مصايده كل وثيق المعنى كريم الجنى جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى انتهى * والمذكور له ترجمة فى هذا الكتاب فى باب مشيخة لسان الدين فلتراجع (وقال فى الاكليل) فى حق عمر بن على بن غفرون الكلبى من أهل منتقر يرما صورته شيخ خدم

قام

قام له الدهر فيها على قدم وصاحب تعريض ودهاء عريض وفاز من الدول النصرية بأيادي بيض أصله من حصن منتقر بر خدم به الدولة النصرية عند انتزاء أهله وكان ممن استنزلهم من حزنه الى سهله وحكم الامر الغالبي في يافعه وكهله فكسب حظوة ارضته ووسيلة أرهفته وأمضته حتى عظم جاهه وماله وبسقت آماله ثم دالت الدول وتنكرت أيامه الاول وتغلب من يجانسه وشقى بمن كان ينافسه فخف عوده والتاث سعوده وهلك والخمول بطاله والدهر يقوته من صبابة حرث كان يستغله وله شعر لم يتقنه النظر ولا وضحت منه الغرر توفي في ذي الحجة عام أربعة وأربعين وسبعمائة انتهى *(وقال في الاكليل) في حق قاسم بن محمد بن الجد الفهري المري ما صورته هو من أئمة أهل الزمام خليق برعي الذمام ذو خط كما تفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان ببلده حاسبا ودرى في لجة الاغفال راسيا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل قال يمدح السلطان

أرى أوجه الايام قد أشرقت بشرا * فقل لي رعاك الله ما هذه البشرى

ومابال أنفاس الخزامى تعطرت * فأرّجت الارجاء من نفحها عطرا

ونقبت الشمس المنيرة وجهها * قصوراً عن الوجه الذي أخجل البدرا

وهي طويلة توفي المذكور عام خمسين وسبعمائة بالطاعون *(وقال في الاكليل) في حق أبي عثمان سعيد الغساني ما صورته هو ممن يتشوق الى المعرفة والمقالات ويتسلق الى الحقائق والمحالات ويشتمل على نفس رقيقة ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ويعاني من الشعر ما يشهد بنبله ويستظرف من مثله انتهى *(وقال في الاكليل) في ترجمة أبي الحجاج يوسف بن علي الطرطوشي ما صورته روض أدب لا تعرف الذواء أزهاره ومجموع فضل لا تخفى آثاره كان في فنون الادب مطلق الاعنة وفي معاركه ماضي الظبا والاسنة فان هزل والى تلك الطريقة اعتزل أبرم من الغزل ما غزل وبزل من دنان راحه ما بزل وان صرف الى المغرب غرب لسانه وأعاره لمحة من احسانه أطاعه عاصيه واستجمعت لديه أقاصيه ورد على الحضرة الاندلسية والدنيا شابة وريح القبول هابة فاجتلى محاسن أوطانها وكتب عن سلطانها ثم كر الى أوطانه وعطف وأسرع اللحاق كالبارق اذا خطف وتوفي عن سن عالية وبرود من العمر غالية انتهى (وقال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن المتأهل العذري من أهل وادي آش ما صورته رجل غليظ الحاشية معدود في جنس السائمة والماشية تليت على العمال به سورة الغاشية ولي الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهي احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد عن المصانعة والرشوة يجنب الناس ويقول عند المخالطة لهم لا مساس عهدي به في الاعمال يخبط ويتبر وهو يهلل ويكبر ويحسن ويقبح وهو يسبح وقال يخاطب بعض أمراء الدولة

عمادي ملاذي موئلي ومؤملي * ألا انعم بما ترضاه للمتأهل

وحقق بنيل القصد منك رجاءه * على نحو ما يرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذي في العلم يعرف قدره * بخير زمان فيه لازلت تعتلي
فهنيت يا معنى الكمال برتبة * تقرّ لكم بالسبق في كل محفل

توفي عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى وتذكرت بقوله ويحسن ويقبح وهو يسبح قول الآخر

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح انتهى

(رجع) وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله بن باق من التاج ما صورته مدير أكؤس البيان المعتق ولعوب بأطراف الكلام المشقق انتحل لاول أمره الهزل من أصنافه فأبرز درّ معانيه من أصدافه وجنى ثمرة الابداع لحين قطافه ثم تجاوزه الى المعرب وتخطاه فأدار كاسه المترع وعاطاه فأصبح لفنيه جامعا وفي فلكيه شهابا لامعا وله ذكاء يطير شرره وادراك تتبلج غرره وذهن يكشف الغوامض ويسبق البارق الوامض وعلى ذلاقة لسانه وانفساح أمداحسانه فشديد الصبابة بشعره مغل لسعره انتهى والمذكور هو محمد بن ابراهيم بن علي بن باق الاموي مرسي الاصل غرناطي النشأة مالقي الاستيطان (وقال في عائد الصلة) كان رحمه الله تعالى كاتبا أديبا ذكيا لوذعيا يجيد الخط ويرسل النادرة ويقدم على العمل ويشارك في الفريضة ربذ السباق في الادب الهزلي المستعمل بالاندلس غير زمانا من عمره محارفا للفاقة يعالج بالادب الكدية ثم استقام له الميسم وأمكنه البخت من امتطاء غاربه فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر فأثرى ونمى ماله وعظمت حاله عهد عند ما شارف الرحيل بجملة تناهز الالف من العين لتصرف في وجوه من البر فتوهم أنها كانت زكاة أمسكها انتهى * وقال أيضا أخبرني الكاتب أبو عبد الله بن سلمة انه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله في رويه

أحرز الخصل من بني سلمه * كاتب تخدم الظبا قلمه
يحمل الطرس من أنامله * اثر الحسن كلما رقمه
ويمد البيان فكرته * مرسلا حيث يممت ديمه
خصني متحفا بخمس اذا * بسم الروض فقن مبتسمه
قلت اهدى زهر الربا خضلا * فاذا كل زهرة كلمه
أقسم الحسن لا يفارقها * فأبرّ انتقاؤها قسمه
خط أسطارها وعقدها * فأتت كالعقود منتظمه
كاسيا من حلاه لي حللا * رسمها من بديع مارسمه
طالبا عند عاطش نهلا * ولديه الغيوث منسجمه
يبتغي الشعر من أخي بله * اخرس العي والقصور فمه
أيها الفاضل الذي حفظت * ألسن المدح والثنا شيمه

لا تكافى أخاك مقترحا * نثر غار لديه قد كتمه
وابق فى عزة وفى دعة * ضاق العيش وارداشيمه
ماثنى الغصن عطفه طربا * وشدا الطير فوقه نغمه

ورأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبى الحسن على بن لسان الدين ماصورته نعم ماخاطب به شيخنا وبركة أهل الاندلس وصدر صدورهم اباعبد الله بن سلمة ومن لفظه سمعتها بالقاهرة وانها لمن النظم العالى المتسق نسق الدر فى العقود رحمه الله تعالى قاله ابن المؤلف انتهى * وقرأ ابن باق المذكور على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير والخطيب أبى عثمان بن عيسى وتوفى بمالقة فى اليوم الثامن والعشر ين لمحرم فاتح عام اثنين وخمسين وسبعمائة وأوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبى عبد الله الطنجالى وأبى عثمان ابن عيسى أن يدفن به وأن يكتب على قبره هذه الابيات

ترحم على قبر ابن باق وحيه * فمن حق ميت الحى تسليم حيه
وقل آمن الرحمن روعة خائف * لتفريطه فى الواجبات وغيه
قد اختار هذا القبر فى الارض راجيا * من الله تخفيفا بقدر وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره * و يشمل بالمعروف أهل نديه
وانى بفضل الله أوثق واثق * وحسبى وان اذنبت حب نبيه انتهى

(رجع وقال لسان الدين) فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن سالم بن فضيلة المعافرى المرى المدعو بالتنو من الاكابل مانصه شيخ أخلاقه لينه ونفسه كما قيل هينه ينظم الشعر سهلا مساقه محكما اتساقه على فاقة مالها من افاقة أنشد المقام السلطانى بظاهر بلده قوله

سرت ريح نجد من ربا أرض بابل * فهاجت الى مسرى سراها بلابلى
وذكرنى عرف النسيم الذى سرى * معاهد أحباب سراة أفاضل
فأصبحت مشغوفا بذكر منازل * ألفت فواشوقى لتلك المنازل
فياريح هبى بالبطاح وبالربا * ومرى على أغصان زهر الخمائل
وسيرى بجسمى للتى الروح عندها * فروحى لديها من أجل الوسائل
وقولى لها عنى معناك بالنوى * له شوق معمود وعبرة ثاكل
فيا بأبى هيفاء كالغصن تنثنى * تقد بقد كاد ينقد مائل

وهى طويلة ومن شعر المذكور قوله من قصيدة

بهرت كشمس فى غلالة عسجد * وكبدر تم فى قضيب زبرجد
ثم انثنت كالغصن هزته الصبا * طربا فتزرى بالغصون الميد
حوراء بارعة الجمال غريرة * تزهى فتزرى بالقضيب الاملد
ان أدبرت لم تبق عقل مدبر * أو أقبلت قتلت ولكن لاتدى

قال القاضى أبو البركات بن الحاج وابتلى المذكور باختصار كتب الناس فمن ذلك مختصره المسمى بالدرر الموسومة فى اشتقاق الحروف المرسومة وكتاب حكايات يسمى

دوحة الجنان وراحة الجنان وغير ذلك * قال أبو البركات وسألته عن مولده فقال لى اليوم ستون سنة وقال ذلك ليلة الخميس السابع والعشرين لذى قعدة عام أربعين وسبعمائة وتوفى آخر رمضان من عام تسعة وأربعين رحمه الله تعالى انتهى (رجع) قال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبى العباس أحمد بن على الملبانى المراكشى ما نصه الصارم الفاتك والكاتب الباتك أى اضطراب فى وقار وتجهم تحته أنس العقار اتخذه ملك المغرب صاحب علامته وتوجه تاج كرامته وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثار عمه ويطوقهم دمه بزعمه ويقتصر على الاستنصار منهم بنانه همه اذ سعوا فيه حتى اعتقل ثم جدوا فى أمره حتى قتل فترصد كتابا الى مراكش يتضمن أمرا جزما ويشمل من أمور الملك عزما بجعل فيه الامر بضرب رقابهم وسبى أسبابهم ولما أكد على حامله فى العجل وضايقه فى تقدير الاجل تأنى حتى علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهى بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب من فراره وسوء اغتراره ورجمت الظنون فى آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنيعة على الايام وعارا فى الاقاليم على حملة الاقلام وأقام بتلمسان الى أن حل مخنق حصرها وأزيل هميان الضيقة عن خصرها فلحق بالاندلس ولم يعدم برا ورعيا مستمرا حتى أتاه حمامه وانصرمت أيامه انتهى والمذكور ترجمه فى الاحاطة بقوله صاحب العلامة بالمغرب الكاتب الشهير البعيد الشأو فى اقتضاء الترة المثل المضروب فى الهمة وقوة الصريمة ونفاذ العزيمة حاله كان نبيه البيت شهير الاصالة رفيع المكانة على سجية غريبة من الوقار والانقباض والصمت آخذ بحظ من الطب حسن الخط مليح الكتابة قارضا للشعر تذهب نفسه فيه كل مذهب وصمته فتكة شهيرة أساءت الظن بجملة الاقلام على ممر الدهر وانتقل الى الاندلس بعد مشقة شعره من شعره الذى يدل على بأوه وانفساح خطاه فى النفاسة وبعد شأوه قوله

العز ما ضربت عليه قبابى * والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما أهداه غصن يراعتى * والمسك ما أبداه نقس كتابى
فالجد يمنع أن يزاحم موردى * والعزم يأبى أن يضام جنابى
فاذا بلوت صنيعة جازيتها * بجميل شكرى أو جزيل ثوابى
واذا عقدت مودة اجريتها * مجرى طعامى من دمى وشرابى
واذا طلبت من الفراقد والسها * ثارا فأوشك أن انال طلابى

وفاته توفى بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ودفن بجبانة باب البيرة تجاوز الله تعالى عنه انتهى (رجع الى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى) فمن ذلك قوله فى الروضة فى ترجمة ضخام الغصون من شجرة السر المصون ما صورته وهى التى أفادت الظل الظليل وزانت المرأى الجميل وتكفلت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل وتتعدد الى غصون المحبوبات وأقسام موضوعاتها المكتوبات وغصن

المحبين وأصنافهم المرتبين وغصن علامات المحبه وشواهد النفوس الصبه وغصن الاخبار المنقوله عن ذوى النفوس المصقوله وعند تعين هذه الاغصان المقسومه كمل شكل الشجرة المرسومه والسرحة الموصوفة الموسومه ففاءت الظلال وكرمت الخلال لمن تفرد وتوحد واستظل من استهدى واسترشد ووقف الهائم فخطب وأنشد

ياسرحة الحى يامطول * شرح الذى بيننا يطول
عندى مقال فهل مقام * تصغين فيه لما أقول
ولى ديون عليك حلت * لوأنه ينفع الحلول
ماض من العيش كان فيه * منزلنا ظلك الظليل
زال وماذا عليه ماذا * ياسرح لولم يكن يزول
حيا عن المذنب المعنى * منبتك القطر والقبول

انتهى

وقال رحمه الله تعالى فصول فى المعرفة تغازل بها عيون الاشارة اذا قصرت عن غمام المعنى ألسن العبارة ولله در القائل

واذا العقول تقاصرت عن مدرك * لم تشكل الاعلى أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسيه والنفوس الجنسيه والعقول القدسية والبروز الى فضاء الازل اذا فنى من لم يكن وبقى من لم يزل مع عمران المراتب ورؤية الجائز فى الواجب

ومن عجب انى أحن اليهم * وأسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق وأفول وشروق وسل عروق ورد مسروق حتى يذهب الكيف والاين ويتعين العين فيجمع العدد ويجمل ويمحى السوى ومع ذلك لايهمل

للعدا منك نصيب * ولك السهم المصيب
انما يومك يوما * ن خصيب وعصيب

المعرفة مقام سامى المنعرج عاطر الارج ينقل من السعة الى الحرج ومن الشدة الى الفرج

طريقك لاتخفى به ان تتبعت * خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة * ورؤياك أمن من ترفع تيه

المعرفة عين ان لم تبصر أجزاءها أحسن انتصرازاءها وحقيقة ان لم يحمل الفراق ازاءها كانت الغيرة جراءها فهى دائرة مركزها يجمع ومحيطها فى التفريق يطمع ليستقل الملك أجمع ويرى من يرى ويسمع من يسمع

بعد المحيط من المحدد واحد * والكل فى حق الوجود سواء
والحق يعرف ذاته من ذاته * صح الهوى فتلاشت الاهواء

المعرفة صعود دون نزول ووقوف ووصول فلا الوصول عن البداية يقطع ولا البداية عن النهاية تمنع

من له الامر أجمع * كل ماشاء يصنع

حصل القصد واستقر فلم يبق مطمع

العارف فى البداية يشكر الراكع والساجد ثم يعذر الواجد والمتواجد ثم يرجم المنكر الجاحد فاذا انتهى ورد العدد الى الواحد قال لسان حاله

من رأى لى نشيدة * أو على عينها أثر

فله الحكم قل له * ذهب العين والاثر

الى أن قال قال الرئيس العارف هش بش بسام فيجل الصغير من تواضعه مثل ما يجل الكبير و يبسط من الخامل مثل ما يبسط من النبيه ثم عالى فقال وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شئ فانه يرى فيه الحق انى لاجد ريح يوسف

لمعت نارهم وقد عسعس الليل وضج الحادى وحار الدليل

فتأملتها وقلت لصحبى * هذه النار نار ليلى فميلوا

العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن هيبة الموت وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل وصفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق وقالوا من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شئ وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله رب العالمين * الشبلى ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى من عرف الله سبحانه انقطع بل خرس وانقمع لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك انتهى * وقال رحمه الله تعالى فى بعض تراجم الروضة الفرع الصاعد الى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم الى منتهى الوجود الدائم ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف وافنان ذوات ألوان قنوان وغير قنوان وطلع نضيد وجنى سعيد فالقشر الحدود والرسوم وخواص العارف الذى هو المعروف بها او الموسوم والفنون التى يقوم عليها والعلوم والجرم ظاهر الخلق المقسوم وعلاجه كما تعالج الجسوم وباطنه المجاهدات التى عليها يقوم وقلبه الرياضة والغصون المقامات فيها المقام المعلوم ومادتها السلوك الذى بتدريج غذائه تبلغ الافنان والورقات ما تروم والزهرات اللوائح والطوالع والبوادة التى لها الهجوم والواردات التى تدوم أو لا تدوم ثم الجنى وهو الولاية التى كان الغارس عليها يحوم انتهى ثم فصل الكل رحمه الله تعالى فليراجعه من أراده (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه على لسان سلطانه للامير يلبغا الخاصكى وهو الى الامير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين المقلد بتدبيره السديد قلادة الدين المثنى على وسوم برّه لمقامه لسان الحرم الامين الآوى من مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الى ربوة ذات قرار ومعين المستعين من الله تعالى على ما تحمله وأمله بالقوى المعين سيف الدعوة ركن الدولة قوام الملة مؤمل الامة تاج الخواص أسد الجيوش كافى الكفاة

زين الامراء علم الكبراء عين الاعيان حسنة الزمان الاجل المرفع الاسنى الكبير الاشهر الاسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الامير الاوحد يلبغا الخاصكى وصل الله له سعادة تشرق غرتها وصنائع تسح فلا تشح درتها وأبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى وهو درتها سلام كريم طيب عميم يخص امارتكم التى جعل الله تعالى الفضل على سعادتها أمارة واليسر لها اشارة فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت ادارة وتمثل الرسوم كلما أشارت اشارة أما بعد حمد الله تعالى الذى هو يعلم فى كل مكان من قاص ودان واليه توجه الوجوه وان اختلفت السير وتباعدت البلدان ومنه يلتمس الاحسان وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله العظيم الشان ونبيه الصادق البيان الواضح البرهان والرضا عن آله وأصحابه وأحزابه أحلاس الخيل ورهبان الليل وأسود الميدان والدعاء لامارتكم السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان والتوفيق الوثيق البنيان فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم حظا من فضله وافرا وصنعا عن محيا السرور سافرا وفى جو الاعلام بالنم الجسام مسافرا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاندلس دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العداة وأتحف نصلها ببواكر النصر المهداة ولا زائد الا الشوق الى التعارف بتلك الابواب الشريفة التى أنتم عنوان كتابها المرقوم وبيت قصيدها المنظوم والقياس بركتها الثابتة الرسوم وتقرير المثول فى سبيل زيارتها بالارواح عند تعذره بالجسوم والى هذا فاننا كانت بين سلفنا تقبل الله تعالى جهادهم وقدس نفوسهم وامن معادهم وبين تلك الابواب كما عرفتم من عدلها وافضالها مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها وتلمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد اشتقنا الى أن نجددها بحسن منابكم ونواصلها بمواصلة جنابكم ونغتنم فى عودها الحميد مكانكم ونؤمل لها زمانكم فخاطبنا الابواب الشريفة فى هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير وجلة من الناقد البصير ونؤمل الوصول فى خفارة يدكم التى لها الايادى البيض والموارد التى لا تغيض ومثلكم من لا تخيب المقاصد فى شمائله ولا تضحى الآمل فى ظل خمائله فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق وصحب الرفاق واستلزم الاصفاق وهذه البلاد مباركة ما أسلف أحد فيها مشاركة الا وجدها فى نفسه ودينه وماله وعياله والله سبحانه أكرم من وفى لامرئ بمكياله والله عز وجل يجمع القلوب على طاعته وينفع بوسيلة النبى صلى الله عليه وسلم الذى نعول على شفاعته ويبقى تلك الابواب ملجأ للاسلام والمسلمين وظلا لله تعالى على العالمين واقامة لشعائر الحرم الامين ويتولى اعانة امارتكم على وظائف الدين ويجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) قوله فى قضية امتناع بعض الموثقين من أكل طعامه بمدينة سلا وقد صدر به كتابه المسمى بمثلى الطريقة فى ذم الوثيقة وهذا نصه أما بعد حمد الله الذى قرر الحكم وأحكمه وبين

الحلال من الحرام بما أوضحه من الاحكام وعلمه ونوع جنس المعاش وقسمه ومازكل نوع منه ووسمه فأثبته متفاوتا فى درجات التفضيل ورسمه والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله الذى فضله على الانبياء وقرّبه وطهر من دنس الشبهات شيمه فما استعمله فى غير طاعته ولا استخدمه ولا أعمل فى سوى البرّ والهدى بنانه ولا قدمه والرضا عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه واستمطروا ديمه وتواصوا من أجله بالبرّ وتواصوا بالمرحمه فهذا كتاب سميته مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة دعا الى جمعه قلة الانصاف من المداهن والمعاصر والمباهت فى درك النور الباصر ورضى مظنة النيل منهم بالباع القاصر والمناضلة عن الحق الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر ولو ضعه حكاية ولنفثه شكاية اذ معرفة الاشياء بعللها مما يتشوق اليه ويحرص عليه وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله تعالى مستخلصا بشفاعة الخلافة ذات الانافة مستدعى برسالة الايالة ذات الجلالة فانسحب والمنة لله الستر وانفسح الفتر وشفع من النعم الوتر واقتدى المرؤس بالرئيس وتنافس الاعلام فى التأنيس واتصل الاحتفاء والاستدعاء وانتخب الموعى والوعاء وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء والطيب والدعاء تعرفت فيمن جمعته الاخونة والمداعى المتعينة برجل من نبهاء موثقيها غرنى بمخيلة البشاشة التى يستفز بها الغريب ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب فأنست بمكانه واستظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه وشانى فى الاغتباط بمن عرفت شانى فلست للمقة بشأنى واسترسالى حتى لى أسالى طوع عنانى

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * ضميرى ويداى ويدى ولسانى

ولم يك الا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل وان رغم الدهر الذى رمى فأقصد معتمدا بفتوحات الله تعالى وان ارتج الباب بزعمه وأوصد مصحبا بعد عنايته وان كمن وأرصد لا عزّ فاضل الاعرّج على مثواى وأتى من البرّ فوق هواى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وتعرفت عن صاحبى الفاسى أنه قدم علينا من سفر عملية فلا لها الدسر المنهوبة وتخللها المسبعة المرهوبة واغتذى الاطعمة التى مرقتها الدموع ومطبختها الحى المروع واستقرّ بالمدينة بعد أن لان وضرع وجدّل وصرع نافق البقلة كاسد الورع ونزل بمثوى خول ومحط مجهول. وكنف مقوت وجوار لا يخل بغيبة ولا يسمح بقوت فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد ويقتاد الشارد وقد أغرب بقراءة الاحتفاء والاحتفال واجتنب الاغفاء والاغفال وجهزت السرايا الى التماس نعم الله تعالى حلت الانفال فلما عرض عليه الدعوة تحرف ونفر ولما مسح عطفه بالاستنزال نزا وطفر حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر وآب يحمل عذرا باردا واحتجاجا شاردا فاقطعته جانب شماسه وخليت بينه وبين وسواسه ومن الغد قصدنى فاعتذر وأكثر الهذر ولم يثبت الله النبات الحسن شيأ مما بذر وكان جوابى اياه ما نصه

أبيتم دعوتى اما لشأو * وتأبى لومه مثلى الطريقه
وبالمختار للناس اقتداء * وقد حضر الوليمة والعقيقه

وغير غريبة ان رق حر * على من حاله مثلى رقيقه
واما زاجر الورع اقتضاها * ويأبى ذا الذكان الوثيقه
وغشيان المنازل لاختيار * يطالب بالجليلة والدقيقه
شكرت مخيلة كانت مجازا * لكم وحصلت بعد على الحقيقه

وذاع خبرها فقلبت عنها الجنوب وكلف بها الطالب والمطلوب وهش الى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحول حول حمى الادراك ويروم درجة الاختصاص ببعض الفنون والاشتراك وله فى الادب مساس وجلب الباس بمانصه

رسولك لم يبن لى عن طريقه * تقرب من حديقتك الانيقه
فلا بأولى ولاباء * ولكن سياء فى الغرض الطريقه
وهب انى أسأت فكم صديق * تدلل واعتدى لخفا صديقه
فلا عجب فديت لرق حر * يسكن عند خلته رفيقه
وانى فيك معتقد ولكن * أرى الايام حاقدة حنيقه
على ذى الود فمن ود حتى * يفارقه وان أضحى رفيقه

فراجعته بمانصه لما أسلفته من جزاء مصاعه وكات له بصاعه

من استغضبت من هذى الخليقه * بغضبته بانكار خليقه
ولم يغضب فليس أوجار * مجازا لالعمرى بل حقيقه
بعثت برسل لك مع عتيق * فلم تطع الرسول ولا عتيقه
وطوقت السفير الذنب لما * عجلت به ولم تلعه ريقه
امام جماعة وفريع تقوى * ومبلغ حجة وحفيظ سبقه
فبؤت بها على الايام داء * عضالا لاتفيق عليه فيقه
وقد عارضت عذرك باعتراف * فزدت مذمة تسم الطريقه
وهل بعد اعتراف من نزاع * وهل بعد اقتصال من وثيقه
ومن جهل الحقوق أطاع نفسا * بحر الجهل راسبة غريقه
ومن يحيى بقة أمر بعيد * اذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ وأقصر ورأى الامر يطول فاختصر الا انه نمى لى عنه قوله ان كان الوثيقة ان نافى الورع فبغير بلده واذهلته لذة لدده عما هو بصدده فارتمنت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل وينكره الارعن الجاهل وتشد به المنازل والمناهل والمعالم والمجاهل مستندا الى الحكم الشرعى والسنن المرعى والمشاهدة والحس وشهادة الجن والانس ولو ترك القطا الليل لناما والله يجعله موقظا من السنات وازعا عن كثير من الهنات وينفع فيه بالنية فانما الاعمال بالنيات وها انا أبتدئ وعلى الله الاعانة وبحوله وقوته الافصاح والابانة قلت ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب *الباب الاول فى جواز الاجارة فيها عند العلماء *الباب الثانى فى الشركة المستعملة بين أربابها *الباب الثالث فى محلها من الورع ان سوغها الفقه *الباب الرابع فى منزلتها من

الصنائع والمهن * الباب الخامس فى أحوال منتحليها من حيث العلم غالبا * الباب السادس فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه * الباب السابع فى ردّ بعض ما يحتج به فيها انتهت الخطبة المقتطعة من تأليف لسان الدين رحمه الله تعالى وهذا التأليف فى نحو كراسة وقال فى آخره ما صورته فان قيل ترك الاجر وقبول العوض فى هذا الامر يدعو الى تعطيله فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة وغناءها قلت الانصاف فيها اليوم أن لو كان متوليها يرتزق من بيت المال وأموال المصالح والاوقاف التى تسع ذلك وحال الجماهير فى فقدانها والاضطرار اليها ورفع أمورهم بها الى السلطان ورغبتهم فى نصب من يتولى ذلك حالهم فى فقدان أئمة الصلاة فى المساجد الراتبة فى جريانه من بيت المال بعلة التزامهم وارتباطهم فقط حسبما نقل الاجماع فيه القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى ومنع الارتزاق من غيره اجماعا وقد كان بالمدن المعتبرة من بلاد الاندلس جبرها الله تعالى ناس من أولى التعفف والتعين كبنى الجد باشبيلية وبنى الخليل وغيرهم بغيرها يتعيشون من فضول أملاكهم ووجانب رباعهم ويقعدون بدورهم عاكفين على بر متنابين لرواية وقلما يقصدهم الناس فى الشهادة فيحاملونهم ويبركون على صفقاتهم ويهدونهم الى سبيل الحق فيها من غير أجر ولا كلفة الا الحفظ على المناصب وما يجريه السلطان من الحرمة والتفقد فى الضرورة وما يهديهم الناس من الاطراء والتجلة والله سبحانه من الاجر والمثوبة وبلغنى اليوم ان حالها بمدينة سجلماسة ينظر الى هذا الحال من طرف خفى ولم يفسد بها كل الفساد وكذلك لم نزل نتعرف أن الامر فى شأنها بمدينة تونس أقرب وبعض الشر أهون من بعض ولو بقيت بحالها لوجب تقريرفضلها وتقريظ منتحليها فالصدق أنجى والحق عند الله أحجى والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقضيه ويجعلنا ممن ختم له بالحسنى ويقربنا الى ما هو أقرب من رحمته وأدنى وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه انتهى وكتب على ظهر الورقة الاولى من هذا التأليف شيخ شيوخ شيوخنا الامام الكبير المؤلف الشهير سيدى أحمد الونشريسى رحمه الله تعالى ما صورته الحمد لله جامع هذا الكلام المقيد هذا بأول ورقة منه قد كدّ نفسه فى شئ لا يعنى الافاضل ولا يعود عليه فى القيامة ولا فى الدنيا بطائل وأفنى طائفة من نفيس عمره فى القياس مساوى طائفة بهم تستباح الفروج وتملك مشيدات الدور والبروج وجعلهم أضحوكة لذوى الفتك والمجانة وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة سامحه الله تعالى وغفر له قال ذلك وخطه بيمنى يديه عبد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريسى خار الله سبحانه له انتهى ما ألفيته وقد كان لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ما يعرض و يصرح بهجو بعض أهل سلا أو كلهم حتى قال

أهل سلا صاحت بهم صائحة * غادية فى دورهم رائحة
يكفيهم من عورأنهم * ريحانهم ليست له رائحة

والله المرجو للعفو عن الزلات *(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) خطبة كتاب فى

المحبة الذى ما ألف فى فنه أجمع منه ولنوردها فان فيها دلالة على فضله وعظم قدر الكتاب وهى اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة وعلل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة وسدد الى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة واستخدم فى تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة ودل على حضرة قدسك خطرات خواطرنا الذائقة وأبن لنا سبل السعادة التى جعلت فيها الكمال الاخير لهذه الانفس الناطقة واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة وأحزابها المنافقة وأوهامها الطارئة الطارقة وبرازخها القاسية الغاسقة فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة ولا الانوار المغلطة البارقة ولا العقول المفارقة يامن له الحكمة البالغة والعناية السابقة وصل على عبدك ورسولك محمد درة عقود أحبابك المتناسقة وجالب بضائع توحيدك النافقة المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ما أطلعت أفلاك الادواح زهر أزهارها الرائقة وحدت قطار السحائب حداة رعودها السائقة وجمعت ريح الصبا بين قدود أغصانها المتعانقة * أما بعد فانه لما ورد على هذه البلاد الاندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها وأبقاها دار ايمان الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ديوان الصبابة وهو الموضوع الذى اشتمل من ابطال العشاق على الكثير واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظيم ونثير وأسدى فى غزل غزله وألحم ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم فصدق الخبر المخبر وطمت اللجة التى لا تعبر وتأرج من مسراه المسك والعنبر وقالت العشاق عند طلوع غرته الله أكبر

مررت بالعشاق قد كبروا * وكان بالقرب صبى كريم
فقلت ما بالهم قال لى * ألقى للحب كتاب كريم

لاغرو أن أقام بهذه الآفاق أسواق الاشواق وزاحم الزفرات فى مسالك الاطواق وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقاق وفتك نسيمها الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق

جنى النسيم علينا * وما تبينت عذره
اذ صير الخلق نجدا * والارض أبناء عذره

فوقع للحجة المصرية التسليم وقالت ألسنة الاقلام معربة عن السنة الاقاليم

سلمت لمصر فى الهوى من بلد * يهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواى فقل عنى له * تكفى امرأة العزيز من عشاقه

فغمر المحافل والمجالس واستجلس الراكب واستركب الجالس يدعو الادب الى مأدبته فلا يتوقف ويلقى عصا سحره المصرى فتتلقف ماشئت من ترتيب غريب وتطريب من بنان أريب يشير الى الشعر فتنقاد اليه عيونه ويهيج بالادب الشريد فتلبيه فنونه وأنهى خبره للعلوم المقدسة ومدارك العزالموطدة المؤسسة وسما به الجد صعدا الى المجلس

السلطاني مقرّ الكمال ومطمح الابصار والآمال حيث رفارف العز قد انسدلت وموازين القسط قد عدلت وفصول الفضل قد اعتدلت وورق أوراق المحامد قد هدلت مجلس السلطان المجاهد الفاتح الماهد المتحلي في ريعان العمر الجديد والملك السعيد بحلى القانت الزاهد شمس أفق الملة ونخر الخلفاء الجلة بدر هالات السروج الجاهدة أسد الابطال البارزة الى حومة الهياج الناهدة معشي الابصار المشاهدة مظهر رضا الله تعالى عن هذه الامة الغريبة عن الانصار والاقطار من وراء أمواج البحر الزخار باختياره اياها واعتنائه وملبسها برود اليمن والامان ببركة أيامه ومن أطلع الله تعالى أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السماح من غمام يمينه وأجرى في الارض المثل السائر بحلمه وبسالته ودينه أمين الله تعالى على عهدة الاسلام بهذا القطر وابن أمينه وابن أمينه نخر الاقطار والامصار ومطمح الايدي وملمح الابصار وسلالة سعد بن عبادة سيد الانصار ومن لو نطق الدين الحنيفي لحياه وفداه أو تمثل الكمال صورة ماتعداه مولانا السلطان الامام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الانصاري الخزرجي جعل الله تعالى ثغر الثغر مبتسما عن شنب نصره والفتح المبين مذخورا لعصره كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره وسوّغه من أشتات مواهب الكمال ماتعجز الالسن عن حصره ولازالت أفنان أقلامه تحف الاقاليم بجنى فنون هصره نخصته عن استحسانه أبقاه الله تعالى بلحظة لحظ وما يلقاها الاذو حظ وصدرت الي منه الاشارة الكريمة بالاملاء في فنه والمنادمة على بنت دنه وحسب الشحم من ذي ورم والله سبحانه يجعلني عند ظنه ومتى قورن المشتري بالمترب أو وزن المشرق بالمغرب شتان بين من تجلي الشمس منه فوق منصتها وبين من يشرق أفقه الغربي لابتلاع قرصتها لكني امتثلت ورشت ونثلت ومكرها الابطال امتثلت وكيف يتفرغ للتأليف ويتفرغ للوفاء بهذا التكليف من حمل الدنيا في سن الكهولة على كاهله وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله واشترى السهر بالنوم واستنفد سواد الليل وبياض اليوم في بعث يجهز وفرصة تنهز وثغر للدين يسد وأزر للملك يشد وقصة ترفع ووساطة تنفع وعدل يحرص على بذله وهوى يجهد في عذله وكريم قوم ينصف من نذله ودين تزاح الشوائب عن سبله وسياسة تشهد للسلطان بنبله واصابة نبله مابين سيف وقلم وراحة وألم وحرب وسلم ونشر علم أو علم وجيش يعرض وعطاء يفرض وقرض حسن لله تعالى يقرض في وطن توفر العدوّ على حصره ودار به دور السوار على خصره وملك قصر الصبر والتوكل على قصره وعدد نسبته من العدد العظيم الطاقة الشديد الاضافة نسبة الشعرة من جلد الناقة وبالله نستدفع المكروه واليه نمد الايدي ونصرف الوجوه وسألت منه أيده الله تعالى القنوع بما يسره الوقت مما لاينا له المقت والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترب والسن ويؤمن من اعتراض الانس والجن وما كنت ممن آثر على الجد الهزل واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة الجزل ولا آنف من ذكر الهوى

بعد أن خضت غماره واجتنبت ثماره . وألفت مناسكه ورميت جماره وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة فالهوى أول تميمة قلدتني الدايه والترب التي عرفتها في البدايه وأنا الذي عن عرونه نبت وبعثت الى الرصافة لارق فذبت الى أن تبين الرشد من الغي وصار النشر الى الطي ونصايح ولدان الحي كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم كما من علي

جزى الله عني زاجر الشيب خيرما * جزى ناصحا فازت يداه بخيره

ألفت طريق الحب حتى اذا انتهى * تعوضت حب الله عن حب غيره

حال السواد بحال الفؤاد وصوح المرعى فانقطعت الرواد ونهاني ازورار خيال الزوراء والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء وكنف الامان وقد طلع منه النذير العريان يدل على الخبر بخبره وينذر بهاذم اللذات على أثره ولله در القائل

دعتني عيناك نحو الصبا * دعاء يردد في كل ساعه

فلولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد طرق مضجعي وقد كاد يبدو الحاجب ويضيع من الفرض الواجب ويعجب من نوم الغفلة العاجب لجريت معه في ميدانه وعقدت بناني ببنانه وتركت شأني وان رغم الشاني لشانه وقلت معتذرا عن التهويم في بعض أحيانه

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا * تفديك نفسي غائبا أو شاهدا

يامن على طيف الخيال أحالني * أتظن جفني مثل جفنك راقدا

مانمت لكن الخيال يلم بي * فيحله طرفي فيطرق ساجدا

ومن العصمة أن لا نجده لاقبل المشيب ومع الزمن القشيب وقبل ان تمخض القربه وتبقى الخانقاه والتربه وتونس بالله الغربه وعلى ذلك فقد أثر وباء قلبي المعثر اللهم لا أكثر

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه

فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وردت أشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الاملاء على حل موازرته أيده الله تعالى علاوه وبعد الفراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوه وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصبابه بما يعتقده جانب انصافه ويغطي على تقصي ان وقع فيه كمال أوصافه

يامن أدار من الصبابة بيننا * قدحا ينم المسك من رياه

وأتى بريحان الحديث فكلما * حيا النديم براحه حياه

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

وعن لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي الى البقاء الموصل الى ذروة السعادة في معارج الارتقاء الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده ولا ينفد مدده ولا ينفصل وصله ولا يفارق الفرع أصله حب الله المبلغ الى قربه المستدعي لرضاه وحبه المؤثر بالنظر الى وجهه وبالهام من غايه الملقي رحل المتصف به بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولايه

وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها كتاب بشهده العواتم ويستخفه الهواتم ورسالة ابن واصل رسالة مهذاره تطفو من دارة لى داره فى مطاردة هزوفاره وكتاب ابن الدباغ القيروانى كتاب مفرقع ووجه المقصود منه متبرقع وكتاب ابن خلصون وهو اعدلها ولا بداوة تسم الخرطوم وتناسب الجل المخطوم فكنت بما ذكر لا أقنع وأقول ما أصنع فالله يعطى ويمنع

قلت للساخر الذى * رفع الانف واعتلى
أنت لم تأمن الهوى * لا تعـير فتبتـلى

شعر

وعـذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ومن المنقول لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك

بلائى الحب فيك بما بلانى * فشانى أن تفيض غروب شانى

أجل بلانى بالغرض الذى هو من القلوب سر أسرارها ومن أفنان الاذهان بمنزلة أزهارها ومن الموجودات وأطوارها قطب مدارها ليكون كتابى هـذا المقدم على المـازق المهالك المتشـبع بما لا يملك وان يقنع الانصاف فعسى أن يشفع الانصاف والاقـتراف يدرؤه الاعـتراف انا عند المنكسرة قلوبهم ولا بتجويد الاماجد وكل ينفق مما آتاه الله

وابن اللبون اذا مالز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

وعسى الذى أنطق شوقا أن ينطق ذوقا والذى حرك سفلا أن يحرك فوقا والذى يسره مقالا أن يكفيه حالا فأول الغيث طل ثم ينسكب

الحرب أول ما تكون لجاجة * وان الحرب أولها الـكلام

ونحـمد الله سبحانه عـلى الكلف بهذه الطريقه وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وللارض نصيب من كأس الكريم

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليـل

فاتى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وعلى ذلك فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب وقرعت فى التماس الاعانة باب الجواد الواهب وأطلعت فصوله فى ليل طلوع نجوم الغياهب وعرضت كتاب العزيمـة عرضا وأقرضت الله قرضا وجعلته شجرة وأرضا فالشجرة المحبة مناسـبة وتشـبيها واشارة لما ورد فى الـكتب المنزلة وتنبيها والارض النفوس التى تغرس فيها والاغصان أقسامها التى تستوفيها والاوراق حكاياتها التى تحـكيها وأزهارها اشعارها التى تحييها والوصول الى الله تعالى ثمرتها التى ندخرها بفضـل الله ونقتنيها شجرة لعـمر الله يانعه وعلى الزعازع متمانعه ظلها ظليل والطرف عن مداها كليل والفائز بجناها قليل رست فى التخوم وسمت الى النجوم وتنزهت عن أعراض الجسوم والرياح السموم وسقيت بالعلوم وغذيت بالفهوم وحلت كمائمها بالزهر المكتوم ووفيت ثمرتها بالغرض المروم فازمن

استأثر بجناها وتعيَّ من عيَّ بلفظها دون معناها فمن استصحبه بدهنها استضاء بسناها ما أبعدها وما أدناها عينا ملأت الاكف بغناها كم بين أوراقها من قلب مقلب وفي هوائها من هوى مغلب وكم بين أفنانها من صادح وكم في التماس سقيطها من كادح وكم دونها من خطب فادح ولاربابها من هاج ومادح تنوعت أسماؤها ولم تتنوع أرضها ولا سماؤها فسميت نخلة تهز وتجني وزيتونة مباركة يستصبح بزيتها الاسني وسدرة اليها ينتهي المعنى أصلها الوجود أصل وليس لها كالشجر جنس ولا فصل وتربتها روح ونفس وعقل وشرفها يعضده بديهة ونقل يحط الهاغون بفنائها ويصعد السالكون حول بنائها تخترق السبع الطباق ببراقها وتمحى ظلم الحس بنور اشراقها فسبحان الذي جعلها قطب الافلاك ومدار الاضواء والاحلاك ومغرد طيور الاملاك وسبب انتظام هذه الاسلاك لم يحل فيها طريد بعيد ولا اتصف بصفاتها الاسعيد ولا اعتلق بأوجهها أو في حضيض ولا بحض برهانها المختبط في شرك نقيض ولا تعرض لشيم بوارقها متسم بسمة بغيض الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ومنه نستزيد الاستغراق في بحارها والاستنشاق لنواسم أسحارها والاستدلال بذرى أفنانها عليه والوصول بسبب ذلك اليه انه ولي ذلك سبحانه فطاب لعمري المنبت والنابت وسما الفرع الباسق وزكى الاصل الثابت وقامت الافنان وزخرفت الجنان وتعددت الاوراق والزهرات والاغصان ولم أترك فنا الاجمعت بينه وبين مناسبه ولا فرعا الاضممته الى ما يليق به واستكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها ويؤدي الى الانوف روائح بستانها وهو المزمار الذي ينفخ الشوق في يراعته والعزيمة التي تنطق مجنون الوجد من ساعته وسلعة ألسن العشاق وترجمان ضمير الاشواق ومجلى صور المعاني الرقاق ومكامن قنائص الاذواق يه يعبر الواجدون عن وجدهم ويشي المحبون الى قصدهم وهو رسول الاستلطاف ومنزل الالطاف اشتمل على الوزن المطرب والجمال المعجب المغرب وكان للاوطان محركا ولانفعال النفوس سببا فلا شئ أنسب منه للحديث في المحبه ولا أقرب للنفوس الصبه واجتلبت الكثير من الحكايات وهي نوافل فروض الحقائق ووسائل مجالس الرقائق ومراوح النفوس من كدر الافكار واحماض مسارح الاخبار وحظ جارحة السمع من منح الاعتبار وبعض الجواذب لنفوس المحبين والبواعث لهمم السالكين وحجتها واضحة بقوله تعالى وكلا نقص عليك في القرآن المبين ونقلت شواهد من الحديث والخبر تجري صحاحها مجرى الزكاة من الاموال والخواطر من الاحوال ويجري ماسواها من غير الصحيح مجرى الامثال ليكون هذا الكتاب لعموم خيره مسرحا للفاره وغيره ويجد كل صيدا لنا سيره وملتقطا لطيره ومحكا لغيره فمن فاق كاف باصوله ومن قصر قنع بفصوله ومن وصل حمد الله تعالى على وصوله وسميته روضة التعريف بالحب الشريف ويحتوي على أرض زكيه وشجرات فلكيه وثمرات ملكيه وعيون غير بكيه والحب حياة النفوس الموات وعلة امتزاج المركبات وسبب ازدواج الحيوان والنبات وسر

قوله عز وجل أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس كالحب الذي دون فيه المدونون ولعبت بكرة اقباسه صوالج الجنون وقاد الهوى أهله بحبل الهون وساقت فيه المنى للمنون حين نظرت النفوس من سفلي الجنبتين ورضيت الاثر عن العين وباعت الحق بالمين ولم يحصل الا على خفي حنين وارتحال اعشاق الصور وسباق ملاعب الهوى والهور لقد كلفوا بالزخارف الحائنة الحائله والمحاسن الزائفة الزائله وسلع الجبانه وبضائع الاهانه ازمان التمتع بهم قصيره والانكاد عليهم مغيره فتراهم ما بين طعين بعامل قد ومضرج بدم خد وأسير ثغر قد أعوز فداؤه وسقيم طرف قد أعضل داؤه وماشئت من ليل يسهر ونداء يجهر وجيوب تشق وبصائر تخطف أبصارها اذا لمع البرق ونواسم تحمل التحيات وخلع ايك تلقي بخلع الاريحيات وربما اشتد الختل وأصابت النبل فكان الخبل قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره وهب الحب الجسماني لا يبعث عليه شهوة بهيميه ولا تدعو اليه قوة وهميه أليست الداعية مرتفعه والباعثة منقطعه وصورة الحسن دائره وأجزاؤه المتناظمة متناثره أليس الجراب العنصري عائدا الى أصله أليس الجنس مفارقا لفصله ولله در علي رضي الله تعالى عنه وقد نظر الى قدح الماء وقد أراد أن يشربه وعن الاعتبار أعرب فقال كم فيك من خد أسيل وطرف كحيل فأواه كرة مرتده وواهاه معادة مجدده على قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا وحسبنا مرارة الفراق ذلا وفقد النقد قلا والغفلة عن الله شقاء محتوما والكآبة على الفائت شؤما

صدني عن حلاوة التشييع * اتقاءي مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وان كانت الشهوة فأخسس بها داعيه والى الفضيحة ساعيه حسبك من حمار يعلن بنداء المحبة نهاقه ويقذفه على السباق اهتياجه الى السفاد واشتياقه أسير خبال وصريع مبال أولى له ثم أولى لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطرى وأخبث زخرفها المغرى وأقصر مدة استمتاعها وأكثر المساعي تحت قناعها

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

مائم الا أنفاس تركد وتخبث وعلل تنشأ وتحدث وزخارف حسن تعاهد ثم تنكث وتركيب يطلبه التحليل بدينه ويأخذ أثره بعد عينه وأنس يفقد واجتماع كان لم يعقد وفراق ان لم يكن فكان قد

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
منغص العيش لا يأوي الى دعة * من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى أحد

وقلت وقدمات سكن عزيز علي أيام التغرب بسلا عظم جزعي عليه

ياقلب كم هذا الجوى والخفوت * ذماءك استبق لئلا يفوت

فقال لاحول ولاقول لى * قدكان ما كان فى السكوت
فارقنى الرشد وفارقته * لما تعشقت بشئ يموت

والزمان لايعتبر وحاصله خبر والحازم من نظر فى العواقب نظر المراقب وعرف الاضاعه ولم يجعل الحلم بضاعه انما الحب الحقيق حب يصعدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك الى فئة السعادة ممن يشقيك ويجعل لك الكون روضا ومشرب الحق حوضا ويجنبك زهر المنى ويغنيك عن أهل الفقر والغنى ويخضع التيجان لنعالك ويجعل الكون متصرف فعالك ليس الا الحب ثم الوصل والقرب ثم الشهود ثم البقاء بعد ما اضمحل الوجود فشفيت الآلام وسقط الملام وذهبت الاضغاث والاحلام واختصر الكلام ومحيت الرسوم وخفيت الاعلام ولمن الملك اليوم والسلام فالحذر الحذر أن يجعل النفس سيرها ويفارق القفص طيرها وهى بالعرض الفانى متشبطة وبشاى الثقل مرتبطة وبصحبة الفانى مغتبطة أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين وفى ذلك قلت

أعشاق غير الواحد الاحد الباقى * جنونكم والله أعيت على الراقى
جنفتم بما يفنى وتبقى مضاضة * تعذب بين البين مهجة مشتاق
وتربط بالاجسام نفسا حياتها * مباينة الاجسام بالجوهر الراقى
فلاهى فازت بالذى علقت به * ولا رأس مال كان ينفعها باقى
فراق وقسر وانقطاع وظلمة * فى البعد من نيل السعادة باواق
كانى بها من بعد ما كشف الغطا * صريعة احزان لديغة اشواق
تقلب كفيها بخيط موصل * رشيقة قد دون سبعة اطباق
فلا تطعموها السم فى الشهد ضلة * فذلك سم لايداوى بدرياق
بما اكتسبت تسعى الى مستقرها * فامابوقر محسب أو باملاق
وليس لها بعد التفرق حيلة * سوى ندم يذرى مدامع آماق
ولو كان مرمى الحزن منها الى مدى * لهان الاسى ما بين وخد واعناق
فجدوا فان الامر جد وشمروا * بفضل ارتياض أو باصلاح أخلاق
ولا تطلقوا فى الحس ثنى عنانها * وشيموا بها للحق لمحة اشراق
ودسوا لها المعنى رويدا وأيقظوا * بصيرتها من بعد نوم واغراق
ومهما أفاقت فافتحوا الاعتبارها * مصاريع أبواب وأقفال اغلاق
وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا * بأخلاقها المرضى تلطف اشفاق
فان سكرت واستشرفت عند سكرها * لماهية المسقى ومعرفة الساقى
أطلوا على روض الجمال خطورها * الى أن يقوم الوجد فيها على ساق
وخلوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا * الى الوجد فى مسرى رموز وأذواق
فما هو الا أن تحط رحالها * بمثوى التجلى والشهود باطلاق

وتفنى اذا ماشاهدت عن شهودها * وقد فنى الفانى وقد بقى الباقى
هنالك تلقى العيش تصفو ظلاله * وتشم من عين الحياة برواق
وما قسم الارزاق الاعجيبة * فلا تطرد السؤال ياخير رزاق

وقد أخذ الكلام فى هذا الافتتاح حده وبلغ النهر مده فلأخذ اثر هذا الذى سردت فى تقرير ما أردت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (فنقول ينقسم هذا الموضوع الى ارض وشجر غض وكل منهاميسور جده وفن على حده ماشئت من مرءى ومستمتع نعى شاء أفرد ومن شاء جمع فلنبدأ بالارض والفلاحة والتكسير والمساحة وتعيين حدود تلك الساحة ثم نأتى بالشجرة التى نؤمل جناها ونتظرا اناها ونجعل الزاد المبلغ معناها قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون برنامج هذا الكتاب الذى يحصر الاجناس والفصول ويرد الفروع الى الاصول وييسر الباحث عن مسائله بسبب الوصول بحول الله تعالى وقوته خطبة الاعراس وتوطئة الغراس وتنحصر فى جملتين *(الجملة الاولى)* فى صفة الارض وأجزائها وجعل الاختيار بازائها وفيها رتب *(الرتبة الاولى)* رتبة الاطباق المفروضة والاعتبارات المعروضة وفيه مقدمة وأطباق * المقدمة فى تعيين الارض المذكورة * الطبق الاول طبق القلب الطبق الثانى طبق الروح * الطبق الثالث طبق النفس * الطبق الرابع طبق العقل *(الرتبة الثانية)* رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول * الفصل الاول فى العروق المعدنية * الفصل الثانى فى المقررات العينية * الفصل الثالث فى المدبرات البدنية * الفصل الرابع فى البحوث البرهانية *(الجملة الثانية)* فى صفة الفلاحة والعمل المتكفل فيها بنيل الامل وفيها اختيارات *(الاختيار الاول)* فيما يصلح للاعتمار من هذه الارض وفيه فصول * الفصل الاول فى أرض النفس المطمئنة * الفصل الثانى فى أرض النفس الامارة * الفصل الثالث فى أرض النفس اللوامة *(الاختيار الثانى)* فى محركات العزيمة لاعتمار هذه الارض الكريمة وفيه فصول * الفصل الاول فى الجذب وما يتصل بذلك * الفصل الثانى فى الوعظ المثمر للبقظة * الفصل الثالث فى ذم الكسل *(الاختيار الثالث)* يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الارض من عين العلم فى جدولى العقل المحرر والنقل المقرر وفيه مقدمة فى فضل العلم وتعدد أجناسه وفصول * الفصل الاول فى جدول العقل * الفصل الثانى فى جدول النقل * الفصل الثالث فى مقدار الماء المجلوب للفلح المطلوب * الفصل الرابع فى غبار التكوين وسبب التلوين *(الاختيار الرابع)* فى الحرث واخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث وفيه أقسام * أولها القليب الاول ثانيها القليب الثانى الذى عليه المعول * ثالثها فى سكة الازدراع والتعمير وهو مظنة التمشير *(الاختيار الخامس)* فى تنظيف الارض المعتمرة من الارض الخبيثة والجدر المعترضة والشعب المذمومة وفيه فصول * الفصل الاول فى ازالة شكوك تسبق الى المعتقد غالبا *(الفصل الثانى)* فى قلع الشجر الذى يضر بهذه الارض ويعاديها بالطبع *(الاختيار السادس)* فى أمور

ضرورية

ضرورية تلزم لهذه الفلاحة وفيه فصول * الفصل الاول فى امراض يشرع فى علاجها
مما يرجع لطبع الارض ومزاجها * الفصل الثانى فى أختبار أنواعها وأجزائها * الفصل
الثالث فى أقوال تليق بأخاص الفلاح واحجاره عند ملاحظة عجائب الكون وآثاره *
الفصل الرابع فى الوقت المختار لغراسة الاسباب فى الحب اللباب وتنحصر فى مقدمة
علمية وبرثومة جرمية المقدمة العلية فى ترتيب المحبة والمعرفة البرثومة الجرمية
تنقسم الى بيان يعطى الصورة ويشرح الضرورة والى بطن وظهر وسر وجهر وباسط
وبرزخ واسط فالباطن الشرع والنقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول الكلام
فى النبوة من حيث النقل * الاصل الثانى فى الايمان والاعتبار العامى * الاصل الثالث
فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الرابع فى تقرير
العناية والتوفيق فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الخامس فى الموعظة والسماع من
حيث تهذيب الجميع والظاهر الطبع والعقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول جزء
الفلسفة العلمى والعملى * الاصل الثانى سلامة الفطرة فى حق المستغنى عن ذلك * الاصل
الثالث فى معرفة الجمال والكمال * الاصل الرابع فى الاعتبار الخاصى * الاصل الخامس
السلوك بالفكر الاصل السادس فى التشبيه بالمبدا الاول باسط الذكر الباسط والبرزخ
الواسط الصاعد من التخوم الى النجوم وهو من أخص الاشياء بباطن الشجرة وأصولها
المعتبرة ويشتمل على مقدمة وثلاثة أصول * الاصل الاول الادعية والاذكار وله عشر
شعب * الاصل الثانى أصل الاسماء وهى أصول الارض والسماء وله تسع وتسعون
شعبة * الاصل الثالث أصل السيماء وهو الذى عفن بعضه وبقى الانتفاع ببعضه
العمود المشتمل على القشر والعود والجنى الموعود ينقسم قسمين قشر [illegible] ودر
مختلب والقشر ظاهر يكسر ويخذو وباطن ينمى ويغذو فظاهر الذى يكسر
ويخذو يتضمن الكلام فى المحبة وأقسامها من حيث اللسان لا من حيث نوع الانسان
وباطنه الذى ينمى ويغذو يتضمن الثناء على المحبة طبعا وعقلا وشرعا ونقلا الخشب
الذى يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام * القسم الاول فى الحدود والمعرفات والاسماء
الدالة عليها والصفات * القسم الثانى معقول معناها المتجلى فيه نور سناها * القسم الثالث
ارتباطها بالمقامات واختصاصها فيها بالكرامات * القسم الرابع تبيين ضروريتها
وايضاح مزيتها الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم
الى منتهى الوجود الدائم ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف القشر المحدود
للمعرفة والرسوم وخواص العارف الذى هو المعروف بها والموسوم وينقسم الى
فصول * الفصل الاول فى حدود المعرفة ورسومها وما قيل فيها * الفصل الثانى فى أوصاف
العارف * الفصل الثالث فى تفضيل العارف * الفصل الرابع فى علوم العارف والجرم
الشريف من الفرع المنيف ينقسم الى ظاهر وباطن وقلب فالظاهر ينقسم الى أقسام
الكلام فى الاخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى النفسانية وافراطها وتفريطها
واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات والباطن يتضمن الكلام فى ان النظر الى وجه

الله تعالى هو السعادة الكبرى بكل نظر واعتبار والقلب قلب الغصن يتضمن الرياضة والسلوك على المقامات كلها ويتفرع منه عشرة غصون * الغصن الاول غصن فروع البدايات * الغصن الثانى غصن فروع الابواب * الغصن الثالث غصن فروع المعاملات * الغصن الرابع غصن فروع الاخلاق * الغصن الخامس غصن فروع الاصول * الغصن السادس غصن فروع الادوية * الغصن السابع غصن فروع الاحوال * الغصن الثامن غصن فروع الولايات * الغصن التاسع غصن فروع الحقائق * الغصن العاشر غصن فروع النهايات ولكل فرع أوراق ويلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يأتى الوصول وعلى المقصود الحصول والكلام على زهرات الطوالع واللوائح والبواده والواردات ونختم بالجنى المقترن بنيل المنى وهى الولاية تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون وهى غصن المحبوبات وأقسامها وتنقسم الى أربعة أفنان * الفن الاول فن الرب المحبوب * الفن الثانى فن العبد المحبوب * الفن الثالث فن الدنيا المحبوبة * الفن الرابع فن الاخرة المحبوبة غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ينقسم الى مقدمة بيان وستة أفنان * الفن الاول فى رأى الفلاسفة الاقدمين * الفن الثانى فى رأى أهل الانوار والاشراقيين * الفن الثالث فى رأى الحكماء الاسلاميين * الفن الرابع فى رأى المكملين بزعمهم المتممين * الفن الخامس فى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين * الفن السادس فى الصوفية سادة المسلمين غصن علامات المحبة وشواهد النفوس الصبة وينقسم الى ثلاثة أفنان * الفن الاول فيما يرجع الى حقوق المحبوب * الفن الثانى فيما يرجع الى باطن المحب * الفن الثالث فيما يرجع الى ظاهره * غصن اختبار المحبين فى ميدان جهادهم وتباين أحوال أفرادهم وهو ثلاثة أفنان * الفن الاول فن المجاهد الصريح * الفن الثانى فن المثبت الجريح * الفن الثالث فن الصريع الطريح * جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة وينقسم الى جوائح من نسبتها بالنظر الى مائها وتربتها والى ما هو راجع الى الخواطر وهو على عدد الرياح والى ما سببه غفلة الفلاح عذر الطائر الصادح على فرض القادح وجود الهاجى والمادح صورة الشجرة ذات الحسن الباهر والجنى والازاهر وآثارها المحسن الطاهر بفضل المريد القاهر لا اله الا هو سبحانه له الحمد * انتهت الخطبة التى تدل على ما وراءها * وقال رحمه الله تعالى فى آخر هذا الكتاب ما نصه ونختم الكلام فى هذه الشجرة والاستدلال على شرف هذه الفلاحة الضمنية بهذه الابيات

فلاحتنا لها القدح المعلى * وسر حتنا الضمينة للنجاح
ألست ترى منادى الخير نادى * بمختلف الجهات أو النواحى
يردد فى الاذان لكل واع * على الآذان حى على الفلاح

وهذا طائر على الشجرة صادح ولاحق كادح ومعتذر ان قدح قادح ونعارض هاج ومادح قال المؤلف ولابد لنا من درى على صادح هذه الافنان وشاد يهيج أشجان الجنان وبشير بشجو الرأفة والحنان ويبين مجال الضرورة لذوى الانصاف بكرم الاوصاف والناظرين الى الهنات بعيون الانصاف فيرحم من قد كان شره النقد

ويعذر

ويعذر من تشوّق لاستضعاف هذا القصد والاعذار التى تقرر عنا هذا الغائر عديدة ومبدئة فى الصدق معيدة وقريبة من الحق لا بعيدة فنها أن هذا الغرض اليوم باكثر الارض ميدان عدم فيه ولا حول ولا قوة الا بالله من يجيل كه ايجب جوادا ونفير لا يجيبه الا من يكثر سوادا قد طمست الاعلام وسقط الحد والملام وما برح يبث ايلام فدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب واكسير يحدث عنه غير واصل ولا مجرب انما يرجع فيه الى كتب مقفلة واغراض مغفلة وماعسى أن يقول المسكين مثلى على قاصر ادراكه مع اقتسام باله واشتراكه قصر العلم والعمل فاختلط المرعى والهمل وأخفق المسعى وخاب الامل ومنها شواغل الدنيا التى اختطفت من المكاتب وموّهت بالمراتب ولقبت بالوزير والكاتب وأقامت العبد الذى لا يملك شيأ مقام العاتب ومن كان بهذه المثابة وان عدّ يقظا حازما ونحريرا عالما فانما هو غريق وتائه لا يبدو له طريق ولا ينساغ له ريق ولا يطفأ ببرد اليقين منه حريق ولا يربع عليه من قصاد الله تعالى فريق ونستغفر الله فالذى ألهم لهذه العيوب يتكفل باصلاح القلوب ومكاشفة الغيوب وان كانت النفوس للحق جاحدة فما أمرى الا واحدة

لا تعجبن لطالب نال العلى * كهلا وأخفض فى الزمان الاول

فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ومدد مديدة فلم يبق مما حصل واليه مما فى الزمان القديم توصل الارسم بلقع وسمل ماله مرقع ومنها أنى لم أنتدب الى هذا الوظيف الذى قل من يتعاطاه ويشير قطاه ويقتعد مطاه من تلقاء نفس جاهلة بمدمداه ومطل جداه ومطالبة مدعيه بما كسبت منه يداه فلا يتجاوز طوره ولا يتعدّاه وان طالب الحق من شرط وصوله سلب فضوله وسالة موته وانقطاع حسه فضلا عن صوته لكنى خضت على عدم السباحة غمرا وامتثلت مع سقوط الاستطاعة أمرا وجئت بما فى وسعى انقيادا وامتثالا ومثلت مثالا فضرورتى بفضل الله تعالى مشروحة والدعوى عن كتفى مطروحة وعلى ذلك فقد علم الذى يعلم الاسرار ويقرب الابرار ويقيل العثار ويقبل الاعذار أن مدة الاشتغال به لم تجاوز شهرين اثنين بين كتب وكتم وابتداء وختم مع ما يتخلل الزمان من شغل لو رمى به رضوى لتصدع أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله تعالى وتصدع مداراة عدو قد تكالب على الاسلام وسياسة سواد صم عن الملام وتعدى حدود النهى والاحلام وارتقاب هجوم جيش الآجال وراية الشيب من الاعلام وقد أنذر بالفجر انقشاع الظلام وكاد يصعد الخطيب فينقطع الكلام جعلت انقله حصة من جنح الظلام الغاسق والليل الواسق وعاطيت حمياه نديم الغارق وتعرضت لاقتناص خياله الطارق وسرقته من أيدى الشواغل والليل معين السارق ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا ولا أنجز من تصحيحه علم الله تعالى ميعادا انما هو كراس يفرغ من تسويده دراج الحبر مختلط الترب بالتبر فيدفع ملوم الماسح الى يد الناسخ وكافة المتناقل الى كف الناقل وتقذف صحيفته من الزبره

الى الصاقل اذ كان الآمر أيده الله تعالى ونفعه سريصا على تعجيل المعارضة ومتحريا سبيل الشرع فى هذه المصارفة والمقارضة والجفن المشرق يعلن بالتبريح وينتظر مساعدة الريح فمن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته وجبل على الانصاف سيرته أو من كان من أهل الله الذى يعلم ان ماسوى الله تعالى ظل وفىء ويتحقق معنى قوله ليس لك من الامر شئ فقد أوجب الانصاف أن يسمحوا اقترافى باعترافى ويغطى أوصافى بانصافى والرجاء برحهم الرحمن وقد عذر القنبرة سليمان ومع الاستسلام الامان ولا حول ولا قوة الا بالله ولا بأس أن نعرض بتلك الاخونة الخصيبة المثوى والمروج والجل والفروج وفى السماء البروج وفى الارض الفروج والاعرج يستمد منه العروج وتمد الايدى المستعملة فى التقصير الى الولى النصير والناقد البصير اللهم استر بسترك فضائحنا الخلقة وقبائحنا الجمعة المؤلفة فهو كله تحويم حول حمالك وتمدنه يا كريم بباب رحمالك وتدأنت قدحته وتأتى بارق أنت ألحته فصل السبب يا واصل الاسباب واجعلنا ممن تذكر فنفعته الذكرى وما يتذكر الا أولوا الالباب اللهم أطلع نفوسنا الحائرة على عين الخبر واجذبها الى المؤثر بزمام الاثر اللهم اجبر الضالة المثقلة الظهر وارفع عنها ملكة القهر وحيطة الدهر والسفر من بلد السر الى بلد الجهر اللهم أعلق بعروة الحق أيدينا الخابطة وأظفر بعدو الهوى عزائمنا المرابطة اللهم أوصل ديننا بسببك واجعلنا اليك بك لا اله الا أنت وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله والصحابة أجمعين انتهى * وقال رحمه الله تعالى آخر بعض تراجم هذا الكتاب ما صورته خاتمة تشتمل على اشارات وتحتال من الحق فى شارات قال بعض من يطأ بعطية السلوك حمى الملوك وينقض زوايا الغيوب عن المطلوب يبصر بصائر القلوب شهدت أصناف المحبين والعشاق على اختلاف البلاد وتباين الآفاق لا أدرى أقال كشفا وشهودا أو فرضا ووجودا أو يقظة أو هجودا وقد ركضوا مطايا الاشواق وضربوا آباطها بعصى المشارب والاذواق وتزودوا أزواد الحقائق وودعوا أحباب العوائد والعلائق وتساهلوا فى المحبوب اعتراض العوائق وتفاضلوا فى اختيار الجواد واقتحام المضائق والطرق الى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق فمن خابط عشواء ومسقط أهواء يقول

يا ليت أنى أوقد النارا * فان من يهواك قد حارا

فيجيبه الصدى

ومن طلب الوصول لدار ليلى * بغير طريقها وقع الضلال

ومثبت بحيث لا يدوعلم ولا يقتص خف ولا قدم فى مفازة وجود من حلها اعدم وهو يصيح

بأبى وأمى والذى ملكت يدى * أفدى الذى يهدى الطريق اللاحبا

ثم يقول

ولقد سريت اليك لكن حين لم * يكن الدليل أجل قصد السالك

ومن طاو نفد زاده وفرغ مزاده قد استسلم وعجز أن يتكلم ولسان حاله ينشد

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وراكض يقطع الدو ويعزف الجو يثبت الاعلام الخافية ويقصد الموارد الصافية والظلال الضافية حاديه أمله ودليله عمله والراحلة عمله ينشد باعلى صوته

قرب اللقاء فكيف لا ارتياح * للقاء سكان الحمى الارواح

ومرافق بركض البريد ويصحب التفريد بلغ الطية وأناخ المطية قبل وصول الرفقة البطية سرى سنة شهر فى فواق حلوبة فلله ما أنأى مسراه وما أدنى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقلت

نهضوا وقد جن الدجى وتخالفت * سبل الردى فسددون وضال

سلنى عن المنبت حين تقطعت * اسبابه تيها ولا من يسأل

قوم سطت بهم السباع وفرقة * عطشوا وأين من الظماء المنهل

لفح الهجير وجوههم بسعيره * فتها فتوا بيلالة وتعللوا

وجماعة ركبوا المفاوز دائما * عثروا على أثر فشط المنزل

وركائب جعلوا الدليل أمامهم * وسروا ففازوا بالذى قد أملوا

والليل متلفة ومدرجة الهوى * لا يستقل بها المطى الذامل

والواصلون هم القليل وكيف لا * قفر ومسبعة وليل أليل

يا رحمة للعاشقين تجشموا * خطر النوى وعلى الشدائد عولوا

طارت بهم أشواقهم فعقولهم * معقولة عن شأنها لا تعقل

عذرا لكم يا أهل عذرة شأنكم * سلمت فيه لكم فقولوا وافعلوا

حتى اذا خرجوا الى فضاء القدر المشترك وأفلت من أفلت من الشرك وسلم من قتيل المعترك وأشرفوا بركاب الآمال على ثنية الجمال زعقوا بازاء الباب ونادوا من وراء الحجاب

كل كنى عن شوقه بلغاته * ولربما أبكى الفصيح الاعجم

وأوصلوا ارتفاع شكواهم بسرائر هواهم وبرزوا صفا واستظهروا بشفعائهم التى ظنوا أنها لا تخفى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد تعينت الاوصاف وتميزت واتبذت الاصناف وتحيزت والعشاق تحت وسلت مذعلت منهم الصفوة والمجان والحرافيش والبهلوان ممن يعول على ذراعه وملاكمته وصراعه وطول باعه وصلابة طباعه وسلاطة لسانه وامتزاج اساءته باحسانه شأنه البحث عن المحبوب مع الشروق والغروب والتوصل الى وصله المطلوب بالحركة الشريفة واللفظ الخلوب ومن اتسم باذاعة الاسرار وصحبة الشرار واللسان المهذار حسب من الاغيار ومنهم بذاة ليس لهم الا المنادمة أداة تعذر عليهم تميز المحبوب فغالطوا وعكفوا على تنزيهه فأفرطوا

وربما ضر عاشق معشوقا * ومن البر ما يكون عقوقا

وغلبت على سجيتهم السلامة ولم تنلهم لعدم الوصل والمعرفة الملامة وليس للقبول عليهم

علامة ومنهم من شعاره الحشمة ولزيه العفاف والعصمة أولوا الحياء والوقار والكتم للاسرار ومخالطة الابرار والتوسل الى المحبوب بالافتقار وصفاء الضمائر من الاكدار لاتختلجهم الشواغل ولا يطرق سرابهم الواغل أغنتهم الشواهد عن الدعوى وأصمتهم الرضى عن الشكوى وتقسمت معاملاتهم الآداب وصح منهم الى مراتب المراقبة الانتداب والناقد بصير وكلام النيات قصير ومنهم المغلوب الحال المحمول من فوق الرحال رقص وشطح وسكر فافتضح فهو بلج الرقة وملوع الحرقة دعني وعبدي يلج فانه يضحكني سبع مرات في اليوم ومنهم من لم يأخذه زمت ولا تعين له فوق ولا تحت ولا حد ولا مقت ولا حين ولا وقت لو نطق لقال أنا المعدوم الموجود والشاهد المشهود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود

قضى وصلها الى وانتلاكم بحبها * وهل يأخذ الانسان غير نصيبه

ولم يكن الا أن خرجت الرقاع وفضلت البقاع ووفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون * فكان في رقعة طائفة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء قلدتم العقل وله طور ورأيتم الحركات لا يتناهى لها دور وعالم الجزئيات لا يسبر له غور وحور المعاد في بعض الفروض لا يكون له كور وبا شرتم ما أصبحتم في المعاد الاول تعتقدونه ان جعلتم التصرف في عالم الملك لمن دونه قفوا امكانكم ولوموا أنفسكم ودعوا شأنكم * وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا أساطين الحكمة المشرقية وفراش الانوار الحقيقية دعونا من استكثار الانوار واحتشاد الاطوار الحق نور ارشاد لا يطيق حسن ذاته الا من ركب ظهر شنآنه فارفعوا الكلف واذكروا مجرى من تقدم وسلف * وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لم تتركوا البراهين على أصلها ولا ناسبتم جنس هذه الموضوعات بفصلها وآثرتم شغبا طويلا وأوسعتم المتشابه تأويلا ولم تعتمدوا من العقل دليلا ولا وقفتم في مجازات العقول قليلا وهولتم باصطلاح غيركم تهويلا وادعيتم الشهود ولم يجعل الله تعالى في الاحتجاج به الا للانبياء سبيلا وبنيتم الحقائق على قياس ونظر من غير عين العقل والنقل ولا أثر

ربّ خل أدارني اعتقادا * لم أكن قبله عرفت بفنه

حكمت نفسه على علم غيبي * جعل الله باطني عند ظنه

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ في اجتهاده فأنيب واستغفر فسمع لا تثريب فثمرتكم صحيحة والمقاصد من النية صريحة اذا كانت صريحه ولولا الاقتباسات لوضعت في ميدان السبق لكم الشيات لكن شأنكم الهذيان وقلبت منكم بضعفائكم من المتأخرين الاعيان كابن قسي وابن برجان فتبرءوا من أتباعكم المطيفة وأحزابكم الخفيفة وأخلصوا فعل الانصار يوم قتال بني حنيفة وحبذا الحكم المقتدى ومن يهدي الله فهو المهتدي وأكبروا الالسن عن طلاقتها وذلاقتها ولا تكلفوا العقول فوق

طاقتها فلابد من توقيف وتسليم وفوق كل ذى علم عليم واذا حييتم فابيتوا أونطق الناس فاسكتوا ولاترضوا أن تكبتوا مع الذين كبتوا ولكم الحظ السنى والوصل الهنى *وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ذهب بوجودكم العدم وابتلع حدوثكم القدم ورضيتم بالاشراف فى الاستشراف والتوغل لزيم الانحراف ومن جعل الحس وهما فقد كابر العيان ظلما والعقل الذى غلطكم هو آلة حكمكم وأداة علمكم والعوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا براقش ثم مالكم والتجسيم والتشبيه والتعقيب والتتبع ولم يغن العراك ووقع فى تمرتكم الاشتراك فالفيلسوف يحد بالعلة القريبة من الخلق ثم يتلاشى فى ذات الحق والحكيم يحوز الى عين الحق رتبة الفناء المطلق والمتشرع قد عضده ونصره كنت سمعه وبصره وان كان معظم القول الهذر ففيكم بعد نظر * وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين أنتم الاحباب ولكم يفتح من الجنان الابواب ركبتم ظهور الاعمال وركب غيركم ظهور الآمال وفزتم بسحب الاذيال ومن دونكم يحرك مناكب الخيال فبدايتكم الاساس الوثيق الذى ينبنى عليه التحقيق ونهايتكم اليها ينتهى الطريق وبها يحط فريق الله تعالى ونعم الفريق أوائلكم المقرب المدرب وأوسطكم الفرد المعرب وآخركم الولى المقرب حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم فهنيأ لكم طبتم حواس مسدودة وخيوط أفكار كالها ممدودة ومشاهد مشهودة ومغلطات تتجاوز حراسها وقواطع معترضة يحل مراسها الى أن لاتوجد تقية ولاتبقى بقية عند تجلى المعالم الخفية لواشتمل العلم على عملكم لكان الكل من هملكم بحيث تتعين المراتب وتتميز وتتفرق المشارب وتتحيز فلا يعترض قاطع الا وقد علم شانه وتعين وقته ومكانه ولاتمثل غاية الا ودرجها محدودة ومراحلها معدودة ومشاهدها قبل دخول الطريق مشهودة فهنالك تطوى المراحل ويلوح فى اللجة القريبة الساحل ويأمن طول الطريق الواصل * وكان فى رقعة المحبين الذين قربوا قبل هذا اليوم وادخلوا من بعد ما تخيروا للاصطفاء وانتحلوا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم أنتم الاحباب ولباب الالباب وبواسطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق الاسباب لولاكم لم يفتح الباب فلا يصل الامن أوصلتم ولايحجب الامن قطعتم وفصلتم أنتم الرعاة والخلق الهمل وأنتم الدعاة لمن يريد نيل الامل مهدت لكم سرر القرب تمهيدا وبعثتم الى الناس لتوحد والله توحيدا ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فطوبى لمن أصاخ منكم الى ندا واستضاء بنور هدى صلوات الله عليكم أبدا أنتم أولو الالوية المعقودة والعساكر المحشورة المحشودة ورؤساء أهل المحبة وأدلاء مبتغى الوسيلة والقربة ومسالككم قد بينتها الصحف المنزلة والملائكة المرسلة ودخلت على العذارى خدورها وعمت السماء

بدورها وأغنت عن تقريرها المكاتب المائجة بالصبيان والسنن المعقودة لها حلق التبيان والقواعد المفترضة على الاعيان والخزائن المرصوصة بعلوم الاديان اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل لاتباعهم من الجمهور وأقطاب فلكهم المشهور على قدر أتباعكم مناقل أتباعكم وبحسب اقتدائكم يكون سماع ندائكم والمهادلمن وثره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وتأخيركم في التوقيع هو التقديم وساقي القوم آخرهم شربا مثل قديم قال المخبر فرأيت وجوههم قد تهللت ونواسم المسرات نحوهم قد أقبلت ومن سواهم من خاص وزائف بين راج وخائف وسمعت أن طائفة استدعيت بحث خفي وأدخلت من باب خفي قيل لهم هم أصحاب الخبر المكتوم وأرباب المقام غير المعلوم جعلنا الله تعالى منهم برحمته

ولولا الحب ما قطعوا الفيافي * ولولا الحب ما قطعوا البحارا
قدعهم والذي ركبوا اليه * وبحثا عن خلاصك واختبارا
فلا تشغل بحب ديار ليلى * ولكن حب من سكن الديارا انتهى

*(وقال قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير ما نصه وقد أتينا على ما شرطنا من تقرير ما أمكن من هذه الاراء وهم ما بين سابق للخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ومع ذلك محبون وعلى آثار الحبيب مكبون ما كل طريق توصل ولا كل تجارة على الربح تحصل ومن العشاق مهجور ومطرود وموصل وموعود ومغبوط ومحسود ومحروم ومجدود ومرحوم ومردود

يا غايتي ولكل شئ غاية * والحب فيه تأخر وتقدم
قل لي بأي وسيلة يحظى بها * يرجوه غيري من رضاك وأحرم

ورقة ولكل دائرة مفروضة وهالة حول قمر الحق معروضة تعود الخطوط من محيطها المستمد الى مركزها المحدد فالفيلسوف يروم التشبث بالعلة الاولى ويعني بها ذات الحق اوأن يتحد بالثانية وهي مرآة وجه الحق والاشراقي يروم التجوهر بنور الانوار المعبر عنه بالحق والاتصال به اما بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق والحكيم أن يؤديه فكره الى الحق ثم يفنى في الحق ثم يبقى بالحق والمتشرع أن يجن في جنة الحق ويحصل على جوار الحق وينظر الى جوار الحق وصاحب الوحدة المطلقة أن يكون المتفرق عين الحق سبحان الحق المعبود بالحق الموجد الجمع في الفرق لا اله الا هو وزيد في هذا المحض الذي كثر في قربه الدعداع وطال على الرؤس منه الصداع ما انفرد له المقالة المختصرة والعناية الميسرة بحول من لا حول ولا قوة الا به انتهى * وقال رحمه الله تعالى في عدما عدد من فرق الاعتزال ما نصه

والحب حركهم لكل جدال * والحب أقحمهم على الاهوال
والحب قاطع بينهم وأضلهم * عن نيل ما راموه كل ضلال
والحب انشأ فيهم عصبية * بالقيل أضرم نارها والقال

وانما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حرمات هذا الفراش المختلف الآراء عن ذبال الحق

يبتغون اليه الوسيلة قوم بالطاعة وقوم بالمعصية ومامنهم الامدّع فى المحبة متهالك
حريص على السعادة بزعمه وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ممن قصد الحق فأخطأه
وأراد الصواب فضل عنه واشتهر بالحكمة بعد فى الملة الاسلامية جماعة بالمشرق
والاندلس فمن المشارقة أبو الفرج ويعقوب الكندى وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة
فكان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة الى أن قال ومن أهل الاندلس محمد
ابن مسعدة السمرقسطى وأحمد بن طاهر الطرطوشى ويحيى بن عمران القرطبى وطفيل بن
عاصم وكليب بن همام البياسى والحسن بن حرب الدانى وابن ميسرة ومسلمة المجريطى
وأبو بكر بن الصائغ وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد وكل هؤلاء من المتقدمين
والمتأخرين محب عاشق مستهلك قال الشاعر

وعلىّ أن أسعى وليس علىّ ادراك النجاح

حيارى يميد بهم شجوهم * كأنهم ارتضعوا الخندريسا

اذا لم يكن عون من الله للفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت
كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين والخلق قد مدّوا أبصارهم وآمالهم وتحركوا طوعا وكرها يعشون
الى نور الله تعالى فمن أعمى أصم لا يسمع ولا يبصر وأعمى فقط يجتزى عن العيان بالخبر
وأحول يبصر الشئ شيئين والواحد اثنين كما قال الشاعر

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى ادراكه شيئان
فيلوح فى عينىّ منه واحد * ويلوح فى عينيه منه اثنان
ياليته ترك الذى انا مبصر * وهو المخير فى الحبيب الثانى

وضعيف لا يبصر من بعيد وأجهر لا يبصر من قريب وأعشى تكثر فى عينيه الاشعة وربما
تندر وزرقاء اليمامه

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
لولا استقامة من هدا * ة لما تبينت العلامه
ومجاور الغرر الخيـ * ـف له البشارة بالسلامه

أقام سبحانه الحجة وفرق بين الامر والارادة واعطى الكفاية من القدرة فنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون اقتصرنا من هذا البحر على نقطة ومن هذا الودق على قطرة
ومن يستطر يق العارض الهطل عدّ الحصى والقطر ليس يرام وذكرنا الرسل
والانبياء والاتباع ذكرا من غير تبويب ولا تعيين لشياع آرائهم والعلم بمقاصد مللهم
وأغراض دعواتهم من توحيد الله تعالى وتنزيهه وصفاته وأسمائه وكيف يحشر الناس

اليوم لا ريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت وتعليم طرق النجاة وايضاح سبيل الله تعالى والتحذير من الغفلة عمن اليه الرجعى وله الآخرة والاولى والتخويف من كل ما يقطع عنه والترغيب في ما يوصل اليه وشأن الرياضة والتدريج في أحوالها حتى تنتقل من الظواهر الى البواطن وتسرى في الخلف من السلف والندب الى الاقتصار على الضرورة والقناعة بالبلاغ وتبين الرسم فيها والتعيين لحدودها قد تضمنت ذلك كله آيات الله التي تكفل بحفظها وسنة رسوله التي قيض مناخل الصدق لتصحيح نقلها فالمكاتب والمنة لله تعالى مائجه والمدارس حافلة فمالنا والاطالة في الموجود الذائع والمشهور الشائع

والشمس تكبر عن حلي وعن حلل * فهي الدرارى فى التقليد بالدرر

ما أغنى الشمس عن مدح المادح تحصيل الحاصل عناء هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فلنذكر) بعض أرباب الآراء من قريب وبعيد وخلق جديد على صورة المثال المفروض وليكون كعرض الجبوب الذى تجرى منه الجفنة عن الجفنة والقربة عن القربة ونقتصر على اليسير لاقامة الترتيب واحكام التبويب وليرى الواقف عليه انا قد نفضنا الزوايا ورشفنا الروايا وامتككنا العظام واستقصينا النظام حرصا على نشيدة الحق أن تعقل وعلى الطباع أن تنقل وعلى المرائى الصدية أن تصقل وعلى صورة النجاة أن تقل ونسأل الله تعالى هداية توصل اليه لا اله الا هو الرحمن الرحيم انتهى * وقال رحمه الله تعالى فى ما قبل هذا الكلام بكلام ما صورته غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ويشتمل على مقدمة بيان وستة أفنان * (فالمقدمة) فنقول أصناف المحبين والعشاق كثير وهباء نثير وجراد آثارها نشير بحيث يشق احصاؤهم ولا يتأتى استقصاؤهم

فقالت كما شاءت وشاء لها الهوى * قتيلك قالت أيهم فهم كثر

ثم مد النفس بما لا يقتضى المقام الاختصارى ذكره فى هذا الموضع * وقال رحمه الله تعالى فى بعض تراجم الروضة وهى الخاتمة التى تنبه النفوس الصمة على حكم المحبة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة بعد كلام ما صورته فقر فى معنى هذه الخاتمة فيها حكم تمثال وتجرى مجرى الامثال المحبة بحر بعيد الشط وخط والفناء منتهى الخط انا عرضنا الامانة الخ المحبة مهوى بعيد ومجال وعد ووعيد من خل يقلى ثم خيال يولى وليس له حد عليه يعول المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه ولا يعلوه من يأتى الى وادى الفناء فيسلوه ان الله مبتليكم بنهر كم قصمت المحبة من ظهر وكم سر صيرت الى جهر أولها العاقل المشهور وآخرها الطى المنشور ثم الموت ثم النشور وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب المحبة أنس يستدرج ثم شوق يلجم ويسرج ثم فناء يزعج عن الوجود ويخرج على قدر أهل العزم تأتى العزائم المحبة كأس كم جردت من كاس وآس من شمه لم يجد من آس

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا * اذا كان من يجنى على طبيبى

تزاحم أنفاس المحبين على خطرات الصبا تزاحم الهباء على مطارح شعاع الدبا فلولا

بليلها الا اتهبت وتعليل عليلها للتلف الا رماق لذهبت

عليلة في حواشي مرطها بلل * يهدي لكل عليل منه ابلال

المحبة رقة ثم فكرة مستغرقه ثم ذوق يطير به شوق ثم وجل لا يبقى معه طوق ثم لا تحت ولا فوق

أيما كنت لا أخلف رحلا * من رآني فقد رآني ورحلي

الهوى هوان وحمام له ألوان دمع ساجم ووجد هاجم وهيام لا يبرح ثم وراءه مالا يشرح

قال من جن وهل في الورى * ما يبعث الخبل سوى حبه

من اقتحم بحر الهوى هوى لا تدخل في بحر الهوى حتى تشاور صبرك وتجاور قبرك فان كنت منا أو فرح بسلام الهوى طريق ولسلوكه فريق الزاد سر مكتوم ووفاء معلوم

وللميادين ابطال لها خلقوا * وللدواوين حساب وكتاب

الحب ج ثان لا يثنى نفس المريد عنه ثان طريقه التجريد وزاده الذكر وطوافه المعرفة وافاضته الفناء فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين الغرام صعب المرام والدخول فيه حرام مالم يكن فيه شروط كرام من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك وربك يخلق ما يشاء ويختار ظهر الهوى طريقا سهلا فكثر التائهون جهلا

اذا لم يكن عون من الله للفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

والعكس) قد يخبأ المحبوب في مكروهها من يخبأ المكروه في المحبوب

وقال الشيخ

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا * وأوله سقم وآخره قتل

نصحتك علما بالهوى والذى أرى * مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

فمن لم يمت في حبه لم يعش به * ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت واليه الاشارة بقوله موتوا قبل أن تموتوا يدى لا بيد عمرو وقال بعضهم رأيت رب العزة فقلت يارب بم أصل اليك قال فارق نفسك وتعال

رفض السوى فرض على العين * لا تخلطن الحق بالمين

والاين والكيف سوى ظاهر * فاستغن عن كيف وعن أين

النشب الذي يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام وأجزاء جسام *(القسم الاول)* في الحدود والمعرفات والاسماء الواقعة والصفات *(وللسان الدين رحمه الله تعالى) في المواعظ اليد الطولى (قال في الروضة في الفصل الثاني في محركات العزيمة وهي اليقظة مانصه قلت والمحركات المشتركات في باعث اليقظة كثيرة منها الوعظ السائق بعقود الشارد عن الله تعالى الى مربط التوبة ومحرك العزيمة يردد أذانه على نوام أهل الكهف وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم حتى يحول بينهم وبين أذانهم ويركبهم ظهر الرياضة

حتى تلحقهم بالمجذوبين من اخوانهم ولما كان حب الدنيا هو المانع عن الشروع في اطلاق العمل والقاطع به بعده لم يجد اساة خبل الهوى وجنون الكسل أنجع من رقى العذل والتأنيب وتقبيح المحبوب سيما اذا انزعجت نبال نبله عن حنيات ضلوع الصدق وقال بعضهم الكلام اذا خرج من القلب دخل القلب

أوقد النار من رسالة ليلى * واحذر السيل بعدها من دموعي

ولا تعدل الوعظ البليغ باللسان الفصيح والقلب القريح فاذا رأيت الارض قد اهتزت وربت وهضاب القلوب القاسية قد تقلبت فشمر للغراس والزراع عن الذراع واغتنم السراع والاسراع

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكونا

حفر لهيا ماء بريها بدأة * واضمن لها حوضا وان لم تحفر

وارأب بنفسك عن تسامح بائع * واغنم اذا سامتك شهوة مشترى

قالوا الوعظ يضرب وجه النفس عن التبسط في بساط اللذات وينقل خطراتها عن الخطو في ملعب الخطيئات ويمثل لها الصبر عيانا ويبين العواقب المحجوبة بيانا وينشئ سحاب الحزن في أجواف أجزائها ويذكرها بما لهاوا تهائها ويعرض عليها مصارع فنائها وخراب بنائها وفراق حبائها وأبنائها عند نزول هاذم اللذات بفنائها فترجع الى الله تعالى بحكم الاضطرار أفكارها وتخشع من خيفة الله تعالى وجلاله أبصارها والوعظ يكون بلسانين ويوجد فنين لسان حال ولسان مقال وربما كان لسان الحال أبلغ وهو يسمع من القبور الموحشة والقصور الخالية والعظام البالية وفيه حكايات وأخبار ولسان مقال كقوله سبحانه وتعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وهو سبيل الله تعالى التي بعث بها النبيين وضمن فصولها الكتاب المبين والسوط الذي يحمل على الاوبة ويسوق ذود المتطهرين الى غدير التوبة ونحن نجعله هيئة بين يدى الفراسة لتزكية النفوس ان صدق حكم الفراسة فمن ذلك ما صدر عني على لسان واعظ (الحمد لله الولى الحميد المبدئ المعيد البعيد في قربه من العبيد القريب في بعده فهو أقرب من حبل الوريد محيي ربوع العارفين بتحيات حياة التوحيد ومفنى نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار الى العرض الزهيد ومخلص خواطر المحققين من سجون دجون التقييد الى فسح التجريد نحمده وله الحمد المنتظمة درره في سلوك الدوام وسموط التأبيد حمد من نزه أحكام وحدانيته وأعلام فردانيته عن مرابط التقييد ومخابط الطبع البليد ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ونشهد أنه الله الذي لا اله الا هو شهادة نتخطى بها معالم الخلق الى حضرة الحق على كبد التفريد ونشهد أن محمدا عبده ورسوله قلادة الجيد الجيد وهلال العيد وفذلكة الحساب وبيت القصيد المخصوص بمنشور الادلال واقطاع الكمال بين مقام المراد ومقام المريد الذي جعله السبب الاوصل في نجاة الناجي وسعادة السعيد وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد والوعيد فكان مما أوحى به اليه وأنزل

الملك به عليه من الذكر الحميد ليأخذ بالحجز والاطواق من العذاب الشديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى قوله حديد صلى الله عليه وعلى آله صلاة تقوم ببعض حقه الاكيد وتسرى الى تربته الزكية من ظهور المواجد الجائبة على البريد

قعدت لتذكير ولو كنت منصفا * لذكرت نفسى فهى أحوج للذكرى

اذا لم يكن منى لنفسى واعظ * فياليت شعرى كيف أفعل فى الاخرى

آه أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يسمع وفيماذا وقد تبين الرشد من الغى يطمع يامن يعطى ويمنع اذا لم تقم الصنيعة فماذا نصنع اجمعنا بقلوبنا يامن يفرق ويجمع ولين حديدها بنار خشيتك فقد استعاذ نبيك صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع اعلموا رحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الاقوال والاحوال ومن الجماد والحيوان وما أملاه الملوان فان الحق نور لا يضره أن صدر من الخامل ولا يقصر بحموله احتقار الحامل وأنتم تدرون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ولا تتأتى معها اقامة ولا مهلة من الاصلاب الى الارحام الى الوجود الى القبور الى النشور الى احدى دارى البقاء أفى الله شك فلو أبصرتم مسافرا فى البرية يبنى ويفرش ويمهد ويعرش ألم تكونوا تضحكون من جهله وتعجبون من ركاكة عقله ووالله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التى فيها اجتهادكم الا بقاء سفر فى قفر أو اعراس فى ليلة نفر كانكم بها مطرحة تعبرفيها المواشى وتنبو العيون عن خبرها المتلاشى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ما بعد المقيل الا الرحيل ولا بعد الرحيل الا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل وانكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها وعتب أبوابها فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الالباب وما كل حقيقة يشرحها الكلام يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل فى مقام التهديد ان عذابى لشديد أأمنا من مكره مع المنابذة ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اطمعا فى رحمته مع المخالفة وهو يقول فسأكتبها للذين يتقون أو مشاقة ومعاندة ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب أشكا فى الله فتعالوا نعيد الحساب ونقرر العقد ونصف بدعوة الحق أو غيرها من اليوم تفقد عقد العقائد عند التساهل بالوعيد فالعاصى يدمى الاصبع الوجعة والعارف يضع لها مبدأ العصب

هكذا هكذا يكون التعامى * هكذا هكذا يكون الغرور

ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وماعدا عما بدا ورسولكم الحريص عليكم الرؤف الرحيم يقول لكم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى فعلام بعد هذا المعول وماذا يتأول اتقوا الله سبحانه فى نفوسكم وانصحوها واغتنموا فرص الحياة واربحوها أن تقول

نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين وتنادى أخرى هل الى مرد من سبيل وتستغيث أخرى ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل وتقول أخرى رب ارجعونى فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسه وقدم لغده من أمسه وعلم ان الحياة تجر الى الموت والغفلة تقود الى الفوت والصحة مركب الالم والشبيبة سفينة تقطع الى ساحل الهرم * وان شاء قال بعد الخطبة اخوانى ماهذا التوانى والكلف بالوجود الفانى عن الدائم الباقى والدهر يقطع الامانى وهاذم اللذات قد شرع فى نقض المبانى ألا معتبر فى عالم هذه المعانى ألا مرتحل عن مغانى هذه المغانى

الا أذن تصغى الى سمعة * أحدثها بالصدق ماصنع الموت

مددت لكم صوتى فأواه حسرة * على وابدا منكم فلم يسمع الصوت

هو القدر الآتى على كل أمة * فتوبوا سراعا قبل أن يقع الفوت

يا كلفا بما لا يدوم يامفتونا بغرور الوجود المعدوم ياصريع جدار الاجل المهدوم يامشتغلا ببنيان الطرق قد ظهر المناخ وقرب القدوم ياغريقا فى بحار الامل ما عساك تعوم يامغالى الطعام والشراب ولع السراب لابد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم دخل سارق الاجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر وطوى البساط وأنت تكرب واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك النهب ولم يبق الا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد

لو خفف الوجد عنى * دعوت طالب ثارى

كلا انها كلمة هو قائلها كيف التراخى والفوت مع الانفاس ينتظر كيف الامان وهاجم الموت لا يبقى ولا يذر كيف الركون الى الطمع الفاضح وقد صح الخبر من فكر فى كرب الخمار تنغصت عنده لذة النبيذ من أحس بلفظ الحريق فوق جداره لم يصغ بصوته لنغمة العود من تيقن بذل العزلة هان عليه ترك الولاية

ماقام خيرك يازمان بشره * أولى لنا ماقل منك وما كفى

أوحى الله سبحانه الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن ضع يدك على متن ثور فبعدد ماحاذته من شعره تعيش سنين فقال يارب وبعد ذلك قال تموت قال يارب فالآن

رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا

اذا شعرت نفسك بالميل الى شئ فاعرض عليها غصة فراقه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فالمفروح به هو المحزون عليه أين الاحباب مروا فياليت شعرى أين استقروا استكانوا والله واضطروا واستغاثوا من سبقك بأوليائهم ففروا وليتهم اذ لم ينفعوا ماضروا فالمنازل من بعدهم خالية خاوية والعروش ذابلة ذاوية والعظام من بعد التفاضل متشابهة متساوية والمساكن تندب فى اطلالها الذئاب العاوية

صحت بالربع فلم يستجيبوا * ليت شعرى أين يمضى الغريب

وبجنب الدار قبر جديد * منه يستسقى المكان الجديب

غاض قلبى فيه عند التماحى * قلت هذا القبر فيه الحبيب

لا تسل عن رجعتي كيف كانت * ان يوم البين يوم عصيب
باقتراب الموت علت نفسي * بعد السقم كل آت قريب

أين المعمر الخالد أين الوالد أين الوالد أين الطارف أين التالد أين الجاد أين الجالد هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وجوه علاهن الثرى وصحائف تنفض وأعمال على الله تعرض بحث الزهاد والعباد والعارفون والاوتاد والانبياء الذين يهدي بهم العباد عن سبب الشقاء الذي لا سعادة بعده فلم يجدوا الا البعد عن الله تعالى وسببه حب الدنيا لن تجتمع أمتي على ضلالة

هجرت حبائبي من أجل ليلى * فما لي بعد ليلى من حبيب
وماذا أرتجي من وصل ليلى * سيجزي بالقطيعة عن قريب

وقالوا اما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الحتف الا الامل كلما قومتها مشاقف الحدود فتح لها أركان الرخص كلما عقدت صوم العزيمة أهداها طرف الغرور في أطباق حتى واذا ولكن وربما فأفرط القلب في تقليبها حتى أفطر

ما أوبق الانفس الا الامل * وهو غرور ما عليه عمل
يفرض منه الشخص وهما ماله * حال ولا ماض ولا مستقبل
ما فوق وجه الارض نفس حية * الا قد انقض عليها الاجل
لو أنهم من غير ها قد كونوا * لامتلأ السهل بهم والجبل
ما ثم الا القسم قد هيئت * للموت وهو الآكل المستعجل
والوعد حق والورى في غفلة * قد خودعوا بعاجل وضللوا
أين الذين شيدوا واغترسوا * ومهدوا وافترشوا وظللوا
أين ذووا الراحات زادت حسرة * اذ جنبوا الى الثرى وانتقلوا
لم تدفع الاحباب عنهم غير أن * بكوا على فراقهم وأعولوا
الله في نفسك أولى من له * دخرت نصحا وعتابا يقبل
لا تتركنها في عمى وحيرة * عن هول ما بين يديها تغفل
حقر لها الفاني وحاول زهدها * وشوقها الى الذي تستقبل
وفد الى الله بها مضطرة * حتى ترى السير عليها يسهل
هو الفناء والبقاء بعده * والله عن حكمته لا يسأل
يا قرة العين ويا حسرتها * يوم يوفى الناس ما قد عملوا

يا طارد المخالفة انكم مدركون فاستبقوا باب التوبة فان رب تلك الدار يجير ولا يجار عليه فاذا أمنتم فاذكروا الله كما هداكم يا طفيلية الهمة دسوا أنفسكم بزمر التائبين وقد دعوا الى الله دعوة الحبيب فان لم يكن أكل فلا أقل من طيب الوليمة قال بعض العارفين اذا عقد التائبون الصلح مع الله تعالى انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الاعمال وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب معاني هذا المجلس والله نسيم سحر اذا استنشقه مخمور الغفلة أفاق سوط هذا الوعظ ينفض ان شاء الله زكمة البطالة ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء

اكسير هذا الكتاب يلقب بحكمة جابر القلوب المنكسرة عين من كان له قلب انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله الهى دلنا من حيرة يضل فيها الا ان هديت الدليل وأجرنا من غمرة وكيف الاباعانتك السبيل نفوس صدئ على مر الازمان منها الصقيل ونبا بجنوبها عن الحق المقيل وآذان أنهضها القول الثقيل وعثرات لا يقيلها الا أنت يا مقيل العثرات يا مقيل أنت حسبنا ونعم الوكيل انتهى (ومن مواعظ لسان الدين رحمه الله سبحانه) ما أورده فى الروضة اثر ما سبق اذ قال اخوانى صمت الآذان والنداء جهير وكذب العيان والمشار اليه شهير أين الملك وأين الظهير أين الخاصة أين الجماهير أين القبيل والعشير أين كسرى بن اردشير صدق والله الناعى وكذب البشير وغش المستشار وتهم المشير وسئل عن الكل فأشار الى التراب المشير

خذ من حياتك للممات الآتى * وبدار مادام الزمان مواتى
لا تغتر فهو السراب بقيعة * قد خودع الماضى به والآتى
يامن يؤمل واعظا ومذكرا * يوما ليوقظه من الغفلات
هلا اعتبرت ويالها من عبرة * بمدافن الآباء والامات
قف بالبقيع وناد فى عرصاته * فلكم به من جيرة ولدات
درجوا ولست بخالد من بعدهم * متميزا عنهم بوصف حياة
والله ما استهلت حياصارخا * الا وأنت تعد فى الاموات
لا فوت عن درك الحمام لهارب * والناس صرعى معرك الا فات
كيف الحياة لدارج متكاف * سنة الكرى بمدارج الحيات
أسفا علينا معشر الاموات لا * تنفك عن شغل بها الله وهات
ويغرنا لمع السراب فنغتدى * فى غفلة عن هاذم اللذات
والله ما نصح امرأ من غشه * والحق ليس بخافت المشكاة

يامن غدا وراح وألف المراح يامن شرب الراح ممزوجة بالعذب القراح وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الاقتراح كانك والله باختلاف الرياح وسماع الصياح وهجوم غارة الاجتياح فاديل الخذوت من الارتياح ونسيت أصوات الغناء برنات الرياح وعوضت غرر النوب القباح من غرر الوجوه الصباح وتناوات الجسوم الناعمة أيدى الاطراح وتنوسيت العهود الكريمة بمر المساء عليها والصباح وأصبحت كماة النطاح من تحت البطاح وخلت المهندة والرماح ذليلة من بعد الجماح

ولو كان هول الموت لا شئ بعده * لهان علينا الامر واحتقر الهول
ولكنه حشر ونشر وجنة * ونار وما لا يستقل به القول

يا مشتغلا بداره ورم جداره عن اسراعه الى النجاة وبداره يامن صاح بانذاره شيب عذاره يامن صرف عين اعتذاره باقذاره يامن قطعه بعد مزاره وثقل أوزاره يا معتقلا ينتظر هجوم جزاره يا مختلسا للامانة يرتقب مفتش ما تحت ازاره يامن أمعن فى خمر الهوى خف من اسكاره يامن خالف مولى رقه توق من انكاره يامن كلفا بعارية

ترد يا مفتونا بأنفاس تعد يا معولا على الاقامة والرحال تشد كأني بك وقد أوثق الشد وألصق بالوسادة الخد والرجل تقبض والاخرى تمد واللسان يقول يا ليتنا نرد

انا الى الله وانا له * ما أشغل الانسان عن شانه
يرتاح للاثواب يزهى بها * والخيط مغزول لاكفانه
ويخزن الفلس لوراثه * مستنفدا مبلغ امكانه
تقوض عن الفانى رحال امرئ * مد اليه عين عرفانه
ما ثم الا موقف زاهد * قد وكل العدل بميزانه
مفرط يشقى بتفريطه * ومحسن يجزى باحسانه

يا هذا خفى عليك مرض اعتقادك فالتبس الشحم بالورم جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب فسد حس ذوقك فتفكهت بحنظله أين حرصك من أجلك أين قولك من عملك يدركك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة فى البيت بسببه ثم تواقعها بعين خالق العين ومقدر الكيف والاين تالله ما فعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ما يكون من نجوى ثلاثة الى عليم تعود عليك مساعى الجوارح التى سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فتبخل منها فى سبيله بفلس وأحد الامرين لازم اما التكذيب واما الحماقة وجعلك بين الحالتين عجيب برزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسيء الظن به فى يوم توجب الحق وتعتذر بالغفلة فما بال التمادى تعترف بالذنب فما الحجة فى الاصرار والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا يا مدعى النسيان ماذا فعلت بعد التذكير يا معتذرا بالغفلة أين ثمرة التنبيه يا من قطع بالرحيل أين الزاد يا ذبابة الحرص كم ذا تلجج فى ورطة الشهد يا نائما ملء عينيه حذار الاجل قد أنذر يا ثمل الاغترار قرب خمار الندم تدعى الحذق بالصنائع وتجهل هذا القدر تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك هذا الغش اندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزمتك على رمل نبتت خضراء دعوتك على دمنة عقدت كفك من الحق على قبضة ماء أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء اذا عام جو هذا المجلس وابتدأ رش غمام الدموع قالت النفس الامارة حوالينا الا علينا فدات رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف كلما شد طفل العزيمة على درة التوبة صانعته ظئر الشهوة عن ذلك بعصفور اذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الامل حدود الجار قال بعض الفضلاء كانوا اذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطالبهم ولو صدق الواعظ لأثر اللهم لا أكثر طبيب يداوى الناس وهو عليل والخطب جليل والمتفطن قليل فهل الى الخلاص سبيل اللهم انظر الينا بعين رحمتك التى وسعت الاشياء وشملت الاموات والاحياء يا دليل الحائرين دلنا يا عزيز ارحم ذلنا يا ولى من لا ولى له كن لنا كما ان أعرضت عنا فمن لنا نحن المذنبون وأنت غفار الذنوب فقلب قلوبنا يا مقلب القلوب واستر عيوبنا يا ستار العيوب يا أمل الطالب ويا غاية المطلوب انتهى * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) فى المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ونصه

اذا لم اخح يوما على نفسي التي * بجزائها أحييت كل حبيب
وقد صح عندي ان غادية الردى * تدب لها والله كل دبيب
فمن ذا الذي يبكى عليها بأدمعي * اذا كنت موصوفا برأي لبيب

كم قد تطرت الى حبيب تغارمن ارسال طرفك بكتاب الهوى الى انسانه وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه وذوت وردة خده واصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه وهو يجود بنفسه التي كان يبخل منها بالنفس يخاطب بلسان حاله مسترحما وليت الفعل يهضم نفسه وأنت على اثر مسحبه الى دست الحكم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم * ومنها تالله لو لم يكن الخبر صادقا لنشب بحلاق العيش بعده شوكة الشك

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شي

فالحازم من بتر الآمال طوعا وقال بيدى لا بيد عمرو يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال أمير الوعاظ رحمه الله تعالى وبضدها تتميز الاشياء يا مقتولا ماله طالب ثار بريد الموت مطلق الاعنة في طلبك وما يحميك حصن ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك والانفاس تستلب ذرات ذاتك وحركات الزمان قوية في النسج الضعيف فيا سرعة التمزيق يا رابطا مناه بخيط الامل انه ضعيف الفتل صياد التلف قد بث الصقور وأرسل العقبان ونصب الاشراك وقطع المواد فكيف السلامة تهيأ لسرعة الموت واشد منها قلب القلب ليت شعري لما يؤول الامر

فوالله لا أدري أيغلبني الهوى * اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان استطع أغلب وان يغلب الهوى * فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الانفاس ولا بد من عاصف قاصف بفلكه ويغرق الركاب

فاقضوا ما ربكم بها الا انما * أعماركم سفر من الاسفار

وقال كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق وانهزمت جنود الامل واذا بملك الموت قد بارز الروح يجذبها بخطاطيف الشدائد من قيان العروق قد شد كتاف الذبيح وحار البصر لشدة الهول وملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحوا أبواب الجنة وملائكة العذاب عن اليسار قد فتحوا أبواب النار وجميع المخلوقات تسترق الخبر والكون كله قد قام على صيحة سعد فلان أوشقي فلان فهنالك تنجلي أبصار الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ويحك تهيأ لتلك الساعة حصل زادا قبل الفوت

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

مثل لعينيك سرعة الموت وما قد عزمت ان تفعل حينئذ في وقت الاسر فافعله في وقت الاطلاق وقال أبو العتاهية

خانك الطرف الطموح * أيها القلب الجموح

فغدا عين الخير والشـ ـرّ دنوّ ونزوح
كيف اصلاح قلوب * انما هن قروح
أحسن الله بنا ان الخطايا لاتفوح
فاذا المستور منا * بين أيديه فضوح
كم رأينا من عزيز * طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل * طائر الدهر الصدوح
موت بعض الناس في الار * ض على بعض فتوح
سيصير المرء يوما * جسدا مافيه روح
بين عيني كل حيّ * علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والـ * ـدهر يغدو ويروح
لبني الدنيا من الدنـ * ـيا غبوق وصبوح
رحن في الوشي وأصبحـ * ـن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـ * ـر له يوما نطوح
نح على نفسك يا * مسكين ان كنت تنوح
لتنوحن ولو عمرت ما عمر نوح

وقال في المعنى

لمن طلل أسائله * معطلة منازله
غداة رأيته تنعي * أعاليه أسافله
وكنت أراه مأهولا * ولكن باد آهله
وكل لاعتساف الدهـ * ـر معرضة مقاتله
وما متمسك الا * وريب الدهر شامله
فيصرع من يصارعه * وينضل من يناضله
ينازل من يهم به * وأحيانا يخاتله
وأحيانا يؤخره * وتارات يعاجله
كفاك به اذا نزلت * على قوم كلاكله
وكم قد عز من ملك * تحف به قبائله
ويثني عطفه مرحا * وتعجبه شمائله
فلما أن أتاه الحق ولى عنه باطله
نخفض عينه للمو * ت واسترخت مفاصله
فمالبث السياق به * الى أن جاء غاسله
فجهزه الى جدث * سيكثر فيه خاذله
ويصبح ساخط المثوى * مفجعة ثواكله
مخمشة نوادبه * مسلبة حلائله

وكم قد طال من أمل * فلم يدركه آمله
رأيت الحق لا يخفى * ولا تخفى شواكله
الا فانظر لنفسك أي زاد أنت حامله
لمنزل وحدة بين الـ * مقابر أنت نازله
قصير السمك قد رصت * عليك به جنادله
بعيد تجاور الجيرا * ن ضيقة مداخله
أأيتها المقابر فيك * من كنا تنازله
ومن كنا نتاجره * ومن كنا نعامله
ومن كنا نعاشره * ومن كنا نداخله
ومن كنا نشاربه * ومن كنا نواكله
ومن كنا نفاخره * ومن كنا نطاوله
ومن كنا نراقبه * ومن كنا نزايله
ومن كنا نكارمه * ومن كنا نجامله
ومن كنا له القا * قليلا ما نزاوله
ومن كنا له بالامـ * س اخوانا نواصله
فكل محلة من حالها صرمت حبائله
الا ان المنيـ * ـة منهل والخلق ناهله
أواخر من ترى تفنى * كما فنيت أوائله
لعمرك ما استوى في الامـ * ـر عالمه وجاهله
ليعلم كل ذي عمل * بأن الله سائله
فأسرع فائزا بالخيـ * ـر قائله وفاعله

ثم قال لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما سبق ما صورته وهذا الغرض بحر ويكفي من خزائنه عرض ومن بيت ماله قرض ان شاء الله تعالى * ثم قال تنبيه يشتمل على سؤالين أحدهما أن يقال الوعظ غير مناسب للمحبة اذ لا يحصل الا بعد الفراغ واليقظة الثاني أن يقال عظمتم الحسرة لفراق عالم الحس وأطلتم في قشور * فنجيب عن الاول انا لم نجلب الوعظ الا بين يدي تأميل حضور المحبة فكأنه يجري مجرى الاسباب فان الغرض به وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور الى جو الحزن والارتماض ومن هنالك تأخذ بخطامها أيدي الاضطرار فتحصل اليقظة ثم التوبة ومنها يستقيم الطريق في منازل السائرين الى الحق

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وعند ذلك يطوى بساط الزجر والوعظ ويمد بساط الاعتبار والحب ان شاء الله تعالى فانها كالشكلي بطبعها المفارقته من عنصر نور الله تعالى والعوالم الروحانية التي هي الشعار والدثار والاهل والدار والحياة والجمال والوجود والكمال وان كانت

لا تشعر بالسبب ولا تستحضر ذكر العلة فاذا ذكر الفراق أنت أو تنوشدت الآثار حنت وبطرقها الحزن عند الالحان الشجية وتحس بعض الاحيان بالمواجد العشقية

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته ❊ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى ❊ دعوني فهذا كله قبر مالك

❊ وعن الثاني ان كثيرا من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس فضلا عن النظر فيه وان شعرت بذلك عدته نهايته لا ومن كان بهذه المثابة لا سبيل لنداثه الا من باب القشور أولئك ينادون من مكان بعيد الى أن يأتي النداء من باب الله تعالى بفضل الله تعالى فالنفوس الشخصية غير متساوية وهي بهوى الهوى هاوية فالقريب منها يجذب بالانامل والبعيد بالجزل الكوامل وعلى قدر المحمول تكون قوة الحامل (يضع الهناء مواضع النقب)

يكفي اللبيب اشارة مكتومة ❊ وسواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصا ❊ ثم العصا هي رابع الاحوال انتهى

❊(وقال رحمه الله تعالى في فصل ذم الكسل ما صورته ونحن نجلب بعض الامثال في ذمه مما يسهل حفظه ويجب لحظه فمن ذلك الكسل مزلقة الربح ومسغرة الصبح اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير الندامة في الكسل كالسم في العسل الكسل آفة الصنائع وأرضة في البضائع العجز والكسل يفتحان الحول ولا تسل الفلاح اذا امل الحركة عدم البركة

ظهران لا يبلغان المرء ان ركبا ❊ باب السعادة ظهر العجز والكسل

وفي اغتنام الانام من أضاع الفرصة تجرع الغصة ان كان لك من الزمان شئ فالحال وما سواه محال تارك أمره الى غد لا يفلح للابد الانسان ابن ساعته فليحطها من اضاعته التسويف سم الاعمال وعدو الكمال لم يحرم المبادر الا في النادر ما درجت أفراخ ذل الا من وكر طماعة ولا بسقت فروع ندم الا من جرثومة اضاعة العزم سوق والتاجر الجسور مرزوق من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان الربح في ضمن الخساره والمضيع أولى بالخساره ❊ ومن أمثالهم في نظر الانسان لنفسه قبل غروب شمسه قولهم اعلم أن كل حكيم صانع اذا فكر في أمره ونظر في العواقب علم أنه لا بد يوما أن يخرب دكانه الذي هو محل بضاعته وتحل أنقاضه وتكل أدواته وتضعف قوته وتذهب أيام شبابه فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر ولا الى أدوات مجددة فليتجر بما اقتناه ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسبت يداه وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد فبادر واجتهد واحرص واستعجل وتزود قبل خراب دكانك وهدم بنيته فان خير الزاد التقوى قال حسان

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ❊ وأبصرت بعد اليوم من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ❊ ولم ترصد مثل ما كان أرصدا

قال أبو الفرج بن الطيب البغدادي في اغتنام الوقت في كتابه في السياسة والآراء الفاضلة يجب أن نعيد ونمثل فان الفكر مضطرب متشوش بكثرة نوازع النفس واختلاف قواها والعمى في بعض الاوقات فاذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها وأبرمت قانونا أو صورة متوسطة فاضلة يجب أن يقيد بذلك وقت سعد بما لا يعاود أو يعاود * انتهى

(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان سلطانه الى شيخ الموحدين بتونس ابن تفراجين يخبره بالتمحيص الجاري عليه ونصه من أمير المسلمين أيده الله ونصره وأعلى أمره وأظهره الى ولينا في الله تعالى الذي له القدم الرفيع المناصب والمجد السامي الذوائب والسياسة التي أخبارها سمر الركبان وحدو الركائب الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير الهمام الامضى الرفيع الاعلى الامجد الاوحد الاسعد الاصعد الاوفى الطاهر الظاهر الفاضل الباسل الارضى الانقى المعظم الموقر المبرور علم الاعلام سلالة أكابر أصحاب الامام معيد دولة التوحيد الى الانتظام أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الاسعد الامجد الحسيب الاصيل الامضى الارضى الافضل الاكمل المعظم المقدس المرحوم أبي العباس تفراجين وصل الله تعالى له عزة تناسب شهرة فضله وسعادة تتكفل له في الدارين برفعة محله سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ورتبتكم الحافلة ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي يمحص ليثيب ويأمر بالاستقالة ليجيب ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم اليه ثمر الصنع العجيب ويظهر العبر مهما كسر ثم جبر لكل ذي قلب منيب والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي نلجأ الى ظل شفاعته في اليوم العصيب ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ونستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب ونصول منه على العدو بالحبيب والرضا عن آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الائمة من الافول والمغيب فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزة متصلة وعصمة بالامان من نوب الزمان متكفلة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف وجبر وأظهر في الاقالة وحسن الادالة العبر ثم كتب الله تعالى له العقبى لما صبر الا الخير الذي كسا الاعطاف الحبر والصنع الذي صدق خبره الخبر والحمد لله تعالى كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ولمكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده وأعانت مساعده وأثبت التواتر شواهده اذ لا نزال نتعرف بسيركم الذي في التدبيرات يقتفى وعلم يسترشد به اذا العلم اختفى والسبيل عفا وان تلك الدولة بكم استقام أودها وتمت والحمد لله عددها وانكم رعيتم في البنين حقوق آبائها وحفظتم عليها ميراث عليائها ولولم تتصل بنا أنباؤكم الجيدة وآراؤكم السديدة بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ويغري قوى الاستحسان بصفاتكم لغبطنا بمخالطتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل لكم طبعا وجبلة من غير أن نعتبر سببا أو علة فالتعارف بين الارواح لا ينكر والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر وبحسب ذلك نطالعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر وربما

اتصلت

اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذيا ولا برح في جوانب احسانها رائحا وغاديا يتيم حجرها الكافل ورضيع درّها الحافل الشقي الخاسر الخائن الغادر محمد بن اسمعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره الخفية عنا حبل مكره لطول قدمه اذ دعاه محتوم الحين ليهلك الى أن يهلك وسوّلت له نفسه الأمّارة بالسوء أن يملك أخانا الخاسر ثم يملك وسبحان الذي يقول يا نوح انه ليس من أهلك وكيف تمّ لهما أبرماه من تسوّر الاسوار واقتحام البوار وتملك الدار والاستيلاء على قطب المدار وأننا كنفتنا عصمة الله تعالى بتحوّلنا الذي كان به ليلتئذ محل ثوائنا وكفت القدرة الالهية أكف أعدائنا وخلصنا غلابا بحال انفراد الامر عناية ونعم الرفيق وصدق اللجا الى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق ذهبنا تنكر الزمان أو تفرق الفريق وشرذمة الغدر تأخذ علينا كل فج عميق حتى أوينا من مدينة وادي آش الى الجبل العاصم والجنة المرغمة أنف المخاصم ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب وتجهم من الدهر وقطوب وبلاد الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله وقارا ولا يألو شعائره المعظمة احتقارا فأضرمه نارا وجلل وجوه وجوههم خزيا وعارا حتى هتك الباطل حماه وغير اسمه ومسماه وبدد حاميته المخيرة وشذبها وهضم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذبها وأهلك نفوسها وأموالها وأساء لولا تدارك الله تعالى أحوالها ولما تأذن جل جلاله في اقالة العثار ودرك الثار وانشأت نواسم رضاه ادامة الاستغفار ورأينا قلادة الاسلام قد آن انتثارها والملة الحنيفية كادت تذهب آثارها ومسائل الخلافة بتهدم منارها وجعلت المتان نحونا تشير والملك يأمل أن يوافيه بقدومنا البشير تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح ونهضنا نبتدر ما كتب الله تعالى من المنح وقد امتعض لنا الكون بما حل واستخدم الفلك نفسه بمشيئته تعالى واكتمل وكاد يتشرب اقرى ضيفنا الثور والحمل وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم المقدس أبي سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ومهب النصر الممنوح رحمة الله تعالى عليه مظاهرة مثله من الملوك الاعاظم وختم الجميل بالجميل والاعمال بالخواتم وأنف حتى عدوّ الدين لنعمتنا المكفورة وحقوقنا المجحوبة المستورة فأصبح بعد العدوّ حبيبا وعاد بعد الاباية منيبا وسخر أساطيله تحضيضا على الاجازة وترغيبا واستقبلنا البلاد وبحر البشر يزخر موجه وملك الاسلام قد خرّ على الحضيض أوجه والروم مستولية على الثغور وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الامور والخبيث الغادر الذي كان يموّه بالاقدام قد ظهر كذب دعواه وهان مثواه وتورّط في أشراك المندمة تورّط مثله ممن اتبع هواه وجحد نعمة مولاه فلولا أن الله عز وجل تدارك جزيرة الاندلس بركابنا وعاجل أوارها بانسكابنا لكانت القاضية ولم ترلها من بعد تلك الريح العقيم من باقية لكنا بفضل الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو وقد دنا بكلكل وابتززناه منها أي مشرب وما كل واعتززنا عليه بالله تعالى الذي يعز ويذل ويهدي ويضل فلم نسامحه في شرط يجر غضاضة ولا يخلف في القلوب مضاضة

وخضنا بحر الهول وبرئنا الى الله تعالى وبناء عن القوة والحول وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا وما بذلنا فى مصانعة العدو من الاجهاز عليهم من حسن سيرتنا فقويت فينا أطماعهم وانعقد على العزم بنا اجماعهم وقصدنا مالقة بعد أن انثالت الجهة الغربية واذعنت المعاقل الابية فيسر الله تعالى فتحها وهيأ منحها ثم توالت البيعات وصرحت بأذن البلاد الدعاة واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف اليه وحسب كل صيحة عليه فاقتضت نعامته الشائلة ودولته بغيه الزائلة وآراؤه الفائلة أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة وآلة للملك مصونة واستركب أوباشه الذين استباح الحق دماءهم وعرف الخلق اعتزاءهم للغدر وانتماءهم وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ولا مثلى طريقة ولا شيمة بالرعى خليقة لكن الله عز وجل حمله على قدمه لاراقة دمه وزين الوجود بعدمه فظن قدومه عليه راجيا أن يستفزه بعرض أو يحيل صحة عقده المبرم الى مرض ومؤملا هو وشيعته الغادرة كرة على الاسلام مجهزة ونصرة لمواعد الشيطان منجزة تقبض عليه وعلى شيعته وصم عن سماع خديعته وأخشر بهم المثلة وأساء بحسن رأيه فيهم القتلة فأراح الله تعالى بابادتهم نفوس العباد وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد وحثثنا السير الى دار ملكنا فدخلناها فى اليوم الاغر المحجل وحصلنا منها على الفتح الهنىء المعجل وعدنا الى الاريكة التى نبا بنا عنها التمحيص فاحسبناه الاسر وزا أعقبه الكمال ومرضا عاجله الابلال فثابت للدين الآمال ونجحت الاعمال وبذلنا فى الناس من العفو ما غفر الذنوب وجبر القلوب وأشعنا العفو فى القريب والقصى وألبسنا المريب ثوب البرى وتألفنا الشارد وأعذبنا الموارد وأجرينا العوائد وأسنينا الفوائد الا ما كان من شرذمة عظمت جرائرهم وخبثت فى معاملة الله تعالى سرائرهم وعرف شؤمهم وصدق من يلومهم فأقصيناهم وشردناهم وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى وأبعدناهم ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا بادر بعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر واخوان الخديعة والمكر وبعث الينا برؤسهم ما بين رئيسهم الشقى ومرءوسهم وقد طفا على جداول السيوف حبابها وراق بحناء الدماء خضابها وبرز الناس الى مشاهدتها معتبرين وفى قدرة الله تعالى مستبصرين ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين وأحق الله تعالى الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين فأمرنا بنصب تلك الرؤس بسور الغدر الذى فرعته وجعلنا علما على عاتق العمل السيئ الذى اخترعته وشرعنا فى معالجة العلل وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم فاجتمع الشمل كأحسن أحواله وسكن هذا الوطن بعد زلزاله وأفاق من أهواله ولعلمنا بفضلكم الذى قضايا شائعة ومقدماته ذائعة أخبرناكم به على اختصار واجتزاء واقتصار لبسير دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الاقصى بعد استرساله واشرافه على سوء مآله وكنا نخاطب محل أخينا السلطان الجليل المعظم الاسعد الاوحد الخليفة أمير المؤمنين أبى اسحق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدس أبى يحيى بن أبى بكر ابن الائمة المهتدين

والخلفاء

والخلفاء الراشدين وصل الله تعالى أسباب سعده وحرس أكناف مجده لولا أننا تعرفنا كونه فى هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السنية وبين سلفنا وسلفكم من الود الراسخ البنيان والكريم الاثر والعيان ما يدعو الى أن يكون سبب المخاطبة موصولا وآخرة الود خيرا من الاولى لكن الطريق جم العوائق والعزم مفروق البوائق وقبول العذر بشواغل القطر بالفضل لائق ومرادنا أن يتصل الود ويتجدد العهد والله عزوجل يتولى أمور المسلمين بمتوارد احسانه ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه وهو سبحانه يطيل سعادتكم ويحرس مجادتكم وينجح ادارتكم ويسنى ارادتكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته * (ومن نثره رحمه الله تعالى قوله أيها الناس ضاعف الله تعالى بمزيد النعم سروركم وتكفل بلطفه الخفى فى مثل هذا القطر الغريب أموركم أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد اليكم المترادفة يمنه وسعادته نعم الله تعالى عليكم أمتع الله تعالى الاسلام ببقائه وأيده على أعدائه ونصره فى أرضه بملائكة سمائه وان الله تعالى فتح له الفتح المبين وأعز بحركة جهاده الدين وبيض وجوه المؤمنين وأظفره بأطربرة البلد الذى فجع المسلمين بأسرهم فجيعه تشيرالحمية وتحرك النفس الابية فانتقم الله تعالى منهم على يده وبلغه من استئصالهم غاية مقصده فصدق من الله تعالى لاوليائه وعلى أعدائه الوعد والوعيد وحكم بابادتهم المبدئ المعيد وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وتحصل من سبيه بعدما رويت السيوف من دمائهم آلاف عديدة لم يسمع بمثلها فى المدد المديدة والعهود البعيدة ولم يصب من اخوانكم المسلمين عدد يذكر ولا رجل يعتبر فتح هنى وصنع سنى ولطف خفى ووعد وفى فاستبشروا بفضل الله تعالى ونعمته وقفوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته وقابلوا نعمه بالشكر يزدكم واستبصروا فى الدفاع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم واغتبطوا بهذه الدولة المباركة التى لم تعدموا من الله تعالى معها عيشا خصيبا ولا رأيا مصيبا ولا نصرا عزيزا ولا فتحا قريبا وتضرعوا فى بقائها ونصر لوائها الى من لم يزل سميعا للدعاء مجيبا والله عزوجل يجعل البشائر الفاشية فيكم عادة ولا يعدمكم ولا أولى الامر منكم توفيقا وسعادة والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته من مبلغ ذلك فلان انتهى (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما أنشأه عن سلطانه الغنى بالله تعالى حين وصله ابنه الذى كان بفاس يخاطب سلطان فاس ما نصه المقام الذى تقلد نافلة الفضل شفعا وجوّد صورة الكمال افرادا وجمعا واستولى وجمع بين المنح والتهنئة بالفتح فأحرز أصلا وفرعا واستحق الشكر عقلا وشرعا وأغرى أيدى جوده بالقصد الذى هو حظ وليه من وجوده فأثار من جيش اللقاء نقعا ووصل به جمعا مقام محل أخينا الذى أقلام مقاصده ذربة بحسن التوقيع وعيون فضله مذكاة لاحكام الصنيع وعذبات فخره تهفو بذروة العلم المنيع ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع أبقاه الله تعالى وألسن فضله ناطقة وأقيسة سعده صادقة وألويته بالنصر العزيز خافقة وبضائع مكارمه فى أسواق البر نافقة

وعصائب التوفيق لى كتائب أغراضه موافقة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا سلام كريم طيب برّ عميم يخص مقامكم الاعلى وطريقتكم المثلى
واخوتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته مجلّ قدركم وملتزم برّكم وموجب حمدكم
وشكركم فلان أما بعد حمد الله تعالى الذى جعل الشكر على المكرمات وقفا ونهج
منه بازائها سبيلا لاتلتبس ولاتخفى وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا وجعل المودّة فيه
ذاته مما يقرب اليه زلفى مربح تجارة من قصد وجهه بعمله حتى يرى الشئ ضعفا وناصر
هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا وعطفا ومدنى ثمار الآمال
فتتمتع بها اجتناء وقطفا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى العربى الكريم
الرؤف الرحيم الذى مدّ من الرحمة على الامة سجفا وملأ قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفا
القائل من أيقن بالخلف جاد بالعطية ووعد من عامل الله تعالى بربح المقاصد السنية
وعدا لايجد خلفا والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا من بعده للاسلام كهفا وعلى أهله
فى الهواجر ظلالا ملتفا غيوث الندى كلما شاموا اسماحا وليوث العدى كلما شهدوا زحفا
والدعاء لمقام اخوتكم الاسعد بالنصر الذى يكف من عدوان الكفر كفا والجد الذى
لايغادر كتابه من المفاخر التى ترك الاول للآخر حرفا والى هذا أيدكم الله بنصر من عنده
وحكم لملككم الاسمى باتصال سعده وأنجز فى ظهوره على من عاند أمره سابق وعده
فانا نقرر لدى مقامكم وان كان الغنىّ بأصالة عقله عن اجتلاء الشاهد ونقله وجلاء
البيان وصقله أن الهدايا وان لم تحل العين منها كما حلت أو تناولها الاستنزار غاية بهت
فى لحظ الاعتبار ولاجلت أو كانت زيفا كلما أغرى بها الاختبار رقت لابد أن تترك
فى النفوس ميلا وأن تستدعى من حسن الجزاء كيلا وأن تنال من جانب التراحم
والتعاطف نيلا وأى دليل أوضح محجة وأبين حجة من قوله صلى الله عليه وسلم تهادوا
تحابوا من غير تبيين مقدار ولا اعمال اعتبار ولا تفرقة بين لجين ولا نضار فكيف
اذا كانت الهدية فلذة الكبد التى لايلذ العيش بعد فراقها ولا تنفى ظلم الجوانح
الا بطلوع شمسها واشراقها وجمع الشمل الذى هو أقصى آمال النفوس الآلفة
والبواطن المصاحبة لحنين المحالفه لاسيما اذا اقتعدت محل الهنا بالفتح الرائق
السنا وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البرّ وقومة الاعتنا فهنالك تغفر ألسن
الثناء وتتطابق أعلام الشكر السامية البناء وانا ورد علينا كتابكم الذى سطره
البرّ وأملاه وكنفه اللحظ وتولاه ووشحه البيان وحلاه مهنئا بما منح الله جلّ جلاله
من ردّ الحق وتعيين الجمع ورفع الفرق وتطويق الامان وأمان الطوق واسعاد السعد
وبلوغ القصد وقطع دابر من جحد نعمة الاب والجد وسل سيف البغى دامى الحد
والحمد لله تعالى حمدا يلهمه ويتيحه | ونسأله امدادا يسوغه ويبيحه على أن أحسن العقبى
وأعقب الحسنى وأرى النعم بين فرادى ومثنى وجمع الشمل الذى قد تبدّد وجدّد رسم
السعادة لهذا القطر فتجدد وأخذ الظالم فلم يجد من محيص وجمع لنا الاجر والفخر بين
تخصيص وتمحيص وقاد برؤس الفجرة الغدرة الفرضة التى فرعوها وأطفأ براق دمائهم

نار الضلالة التي شرعوها وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر والحق الذي لا يجحد ولا ينكر فلقد اوى لما تبرأت الخلصان وتخفى عند ما تنكر الزمان وسدته الادالة وطلوع الاصالة والجلالة حتى فرج الله تعالى الكربة وآنس الغربة وأقال العثرة وتقبل القربة له الحمد على آلائه وصلة نعمائه ملء أرضه وسمائه ووصل صحبته الولد مكنوفا بجناح اللطف ممهدا له ببركتكم مهاد العطف فبرزنا الى تلقيه تنويها بهديتكم واشادة وابداء فى بركم واعادة وأركبنا الجيش الذى آثرنا الحين استقلالنا ءرضه وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه فبرز الى الفضاء الافيح حسن الترتيب سافرا عن المرأى العجيب ولولا الحنان الذى تجده النفوس للابناء وتستشعره والتشوق الى اللقاء الذى لا يجحده منصف ولا ينكره لما شق علينا طول مقامه فى حجركم ولا نواؤه لصق أريكة أمركم بجواركم محل الاستفادة رسوم الامارة وتعلم السياسة والادارة حتى يرد علينا بقدوم كتيبة جهادكم ويقود الينا طليعة نصركم ايانا وامدادكم فنحن الآن نشكر مقاصدكم التى اقتضى الكمال سياقها وزين المجد آفاقها وقدرها فأحكم طباقها ونقرر لديكم أن حظنا من ودادكم ومحلنا من جميل اعتقادكم حظ بان رجحانه وفضله ولم يتأت بين من سلف من السلف مثله من الصحبة فى المنزل الخشن وهى الوسيله وفى رعيها تظهر الفضيله والاشتراك فى لازم الوصول الى الحق وضم أشتات الخلق والمودة الواضحة الطرق الى ما بين السلف من الود الآمن بدره من الكلف المذخورة أذمته للخلف فاذا كانت المعاملة جارية على حسبه وشعبها راجعة الى مذهبه جنى الاسلام ثمرة حالة واستكفى الدين ايالة كافله فالله عز وجل يمهد البلاد بيمن تدبيركم ويجرى على مهيع السداد جميع أموركم ويجعلكم ممن زين الجهاد عواتق أعماله وكان رضا الله تعالى عنه أقصى آماله حتى تربى ما ثركم على ما ثر أسلافكم الذين عرف هذا الوطن الجهادى امدادهم وشكر جهادهم وقبل الله تعالى فيه أموالهم وأولادهم وحسن من أجله معادهم وقد حضر بين يدينا رسولكم الذى وجهتم الولد أسعده الله تعالى لنظره وتخيرتموه لصحبة سفره فلان وهو من الامانة والفضل والرجاحة والعقل بحيث طابق اختياركم واستحق ايثاركم فأطنب فى تقرير ما لديكم من عناية بهذه الاوطان عينت الرفد وضربت الوعد وأخلصت فى سبيل الله تعالى القصد وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الاركان المؤسسة على التقوى والرضوان فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم وقابلنا بالثناء الجميل قولكم وعملكم والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *

ومن ذلك ما كتبه رحمه الله تعالى على لسان الامير سعد ابن سلطانه الغنى بالله تعالى اليه وهو مولاى ومولى كبيرى ومولى المسلمين ورجى المتكفل بالسعد الراتق الجبين يقبل قدمكم التى جعل الله تعالى العز فى تقبيلها والسعد فى اتباع سبيلها عبدكم الصغير فى سنه الكبير فى خدمتكم وخدمة كبيره فى حياتكم بفضل الله تعالى ومنه الهائم لتمريغ وجهه فى كتابكم من الذراع المنبئة طباعه عن العبودية الكامنة بالبدار الى ذلك

قوله من الذراع وفى نسخة حسن الذراع ولينظر اه

والاسراع عبدكم وولدكم سعد كتبه من بابكم المحوط بعز أمركم المحفف ان شاء الله تعالى بأنباء نصركم وقد وصل الى عبدكم تشريفكم السابغ الحال وتنويهكم المبلغ غايات الامل وخطابكم الكريم وغمامة رحمتكم الهامية الديمه فياله من عز أثبت لى الفخر فى أبناء الملوك وسار بى من الترشيح لرتب حظوتكم على المنهج المسلوك قرر من عافية مولاى وسعادته واقتران السعود حيث حل بوفادته ماتكفل ببلوغ الآمال وتمم لسان الحال فى شكر الله تعالى لسان المقال والله تعالى يديم أيام مولاى حتى يقوم بحق شكر النعم لسانه وتؤدى بعده جوارحه من الدفاع بين يدى سلطانه مايسر به سلطانه وبعث جوابه منقولا ليد حامله من يده ليهنئ تقبيل اليد الكريمة بحال تأكيد ويقرر ما لعبده الى وجهه الكريم من شوق شديد ويعرف شمول نعمة الله تعالى ونعمته لمن ببابه من خدم وحرم وعبيد ويجدد الرغبة لمولاه فى صلة الانعام بتشريفه واعلامه بتزايدات حركاته وتعريفه ففى ضمن ذلك كل عز مشيد وخير جديد ويهدى تحية أهل منزل مولاى على اختلافهم بحسب منازلهم من نعمة لحظه التى يأخذ منها كل بحظه والسلام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *وقال رحمه الله تعالى ومن نثرى ماخاطبت به السلطان على لسان ولده من مالقة وقد وصلت به اليه من المغرب مولاى الذى رضا الله تعالى مقترن برضاه والنجح مسبب عن نيته ودعاه وطاعته مرتبطة بطاعة الله أبقى الله تعالى على بكم ظل رحماه وغمام نعماه وزادنى من مواهبه هداية فى توفية حقه الكبير فان الهدى هدى الله يقبل مواطئ أقدامكم التى ثراها شرف الخدود وفخر الجباه ويقرر من عبوديته مايجعل الحق مقتضاه ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذى يحبه الله تعالى ويرضاه ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة حرسها الله والوجود ألسن بالعز بالله ناطقه والاعلام والشجر ألوية بالسعد خافقه وأنواع التوفيق متوافقه وصنائع اللطف الخبير مصاحبة مرافقه وقد وصل يامولاى لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم مابعث به على مقامكم وجادت به سحائب انعامكم ولمن تحت جبة ستركم المسدول وفى ظل اهتمامكم الموصول وان ارتسم بخدمة أبوابكم الشريفة من الخدام وأولى المراقبة والالتزام مايضيق عنه بيان العباره ويفتضح فيه لسان القول والاشاره من عنايات سنيه ونعم باطنة وجليه وملاحظة مولويه ومقاصد ملكيه فالشمس من قباب مذهبه وملابس منتخبه وأسرة مرتبه ومحاسن لامستورة ولا محجبه واللواء الذى نشرتم على عبدكم ظله الظليل ومددتم عليه جناح العز الجليل جعله الله تعالى أسعد لواء يسير فى خدمتكم ومد على وعليه لواء حرمتكم حتى يكون لجهادى بين يديكم شاهدا وبالنصر العزيز والفتح المبين عليكم عائدا ولطائفة الخلوص لامركم قائدا ولاولياء بابكم هاديا ولاعدائكم كائدا واتفق يامولاى ان كان عبدكم قد ركب مغتنما برد اليوم ومؤثر الرياضة فى عقب النوم والتف عليه الخدام والاولياء الكرام فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايات المجلوة الصور المتلوة السور وقد حشر الناس وحضرت منهم الاجناس فعلا الدعاء وانتشر الثناء وراقت الابصار تلك

الهمة العليا فنسأل الله تعالى يامولاى أن يكافئ مقامكم بالعز الذى لا يتبدل والنصر الذى يستأنف ويستقبل والسعد الذى محكمه لا يتأول والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على أبوابكم الرفيعة المقدار وارتياح لقرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

والعمل على تيسير الحركة متصل والدهر لأوامر سعدكم محتفل بفضل الله تعالى والسلام على مقام مولاى مقام الشفقة والرحمه والمنة والنعمه ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن انشاء لسان الدين) فى تولية الامير يوسف المذكور مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده ما نصه هذا ظهير كريم فاتح بنشر الالوية والبنود وقود العساكر والجنود وأجال فى ميدان الوجود جياد البأس والجود وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود على الطائفين والعاكفين والركع السجود عقد للمعتمد به عقد التشريف والقدر المنيف زاكى الشهود وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ومضاجع المهود وبشر السيوف فى الغمود وأنشأ ريح النصر آمنة من الخمود أمضى أحكامه وأنهد العز أمامه وفتح عن زهر السرور والحبور كمامه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره لكبير ولده وسابق أمده وريحانة خلده وياقوتة الملك على يده الامير الكبير الطاهر الظاهر الاعلى واسطة السلك وهلال سماء الملك ومصباح الظلام الحلك ومظنة العناية الازلية من مدبر الفلك ومجرى الفلك عنوان سعده وحسام نصره وعضده وسمى جده وسلالة فضله ومجده السعيد المظفر الهمام الاعلى الامضى العالم العامل الارضى المجاهد المؤمل المعظم أبى الحجاج يوسف ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حللا لا تخلق جدتها الايام ولا تبلغ كنهها الافهام وبلغه فى خدمته المبالغ التى يسر بها الاسلام وتسجع فى بحار صنائعها الاقلام وحرس معاليها الباهرة بعينه التى لا تنام وكنفه بركنه الذى لا يضام فهو الفرع الذى جرى فضله على أصله وارتسم نصره فى نصله واشتمل حده على فصله وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله وظهرت دلائل سعادته فى بدء كل أمر واعادته لما صرف وجهه الى ترشيحه لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحه بالصبر والحلم والباس والندى وأرهف منه سيفا من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا وأطلعه فى سماء الملك بدر هدى لمن راح وغدا وأخذه بالآداب التى تقيم من النفوس أودا وتبذر فى اليوم فتجنى غدا ورقاه فى رتب المعالى طورا فطورا ترقى النبات ورقا ونورا ليجده بحول الله تعالى يدا باطشة باعدائه ولسانا مجيبا عند ندائه وطرازا على حلة علائه وغماما من غمائم آلائه وكوكبا وهاجا بسمائه وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الاندلسية من جنده قبل أن ينتقل عن مهده وظلله بجناح رايته وهو على كتد دايته واستركب جيش الاسلام ترحيبا بوفادته وتنويها بمجادته وأثبت فى غرض الامارة النصرية بسهم سعادته رأى أن يزيده من عنايته ضروبا وأجناسا ويتبع أثره ناسا فناسا قد اختلفوا ألسانا ولباسا وأنفقوا ابتغاء رضاة الله

والتماسا ممن كرم انتماؤه وزينت بالحسب العلي سماؤه وعرف غناؤه وتأسس على
الجادة بناؤه حتى لا يدع من العناية فنا الا وجلبه اليه ولا مقادة ثغر الا جعلها في يديه
ولا حلة عز الا أضفى ملابسها عليه وكان جيش الاسلام في هذه البلاد الاندلسية أمّن الله
سبحانه خلالها وسكن زلزالها وصدق في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء آمالها
كاف همته ومرمى ذمته وميدان اجتهاده ومتعلق أمل جهاده ومعراج ارادته
الى تحصيل سعادته وسبيل خلاله الى بلوغ كماله فلم يدع له علة الا أزاحها ولا طلبة
الا أجال قداحها ولا عزيمة الا أورى اقتداحها ولا رغبة الا فسح ساحها آخذا مدونته
بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب محسنا في تلقي الغريب وتأنيس المريب
مستنجزا له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ورفع عنه لهذا العهد نظر من حكم
الاغراض في حمايته واستشعر عروق الحسائف لتشذيب كمائه واشتغل عن حسن
الوساطة لهم بمصلحة ذاته وجلب جبايته وتثمير ماله وتوفير أقواته ذاهبا أقصى مذاهب
التعمير بأمد حياته فانفرج الضيق وخلص الى حسن نظره الطريق وساغ الريق
ورضي الفريق رأى والله الكفيل بنجح رأيه وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه أن
يجهد لهم اختياره ويحسن لديهم آثاره ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده وأبطال
جلاده وحماة أحوازه وآلات اعتزازه من يجري مجرى نفسه النفيسة في كل معنى
ويكون له لفظ الولاية وله ايده الله تعالى المعنى فقدمه على الجماعة الاولى كبرى الكتائب
ومقادة الجنائب وأجمة الابطال ومزنة الودق الهطال المشتملة من الغزاة على مشيخة
آل يعقوب نسباء الملوك الكرام وأعلام الاسلام وسائر قبائل بني مرين ليوث
العرين وغيرهم من اصناف القبائل وأولي الوسائل ليحوط جماعتهم ويعرف بتفقده
اضاعتهم ويستخلص لله تعالى ولابيه أيده الله تعالى طاعتهم ويشرف بامارته مواكبهم
ويزين بهلاله الناهض الى الابدار على فلك سعادة الاقدار كواكبهم تقديما أشرق له
وجه الدين الحنيف وتهلل وأحس باقتراب ما أمّل فللخيل اختيال ومراح وللاسل
السمر اهتزاز وارتياح وللصدور انشراح وللآمال مغدى في فضل الله تعالى ورواح
فليتول ذلك أسعده الله تعالى تولي مثله من أسرة الملك أسرته وأسوة النبي صلوات الله
تعالى عليه أسوته والملك الكريم أصل لفرعه والنسب العربي محتد لطيب طبعه آخذا
أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم مغريا بحسن اللقاء بايثارهم شاكرا غناءهم
مستدعيا ثناءهم مستدر الارزاقهم موجبا المزية بحسب استحقاقهم شافعا لديه
في رغباتهم المؤملة ووسائلهم المتحملة مسهلا الاذن لوفودهم المتلاحقة منفقا
ابضاعتهم النافقة مؤنسا لغرمائهم مستجليا أحوال أهليهم وآبائهم مميزا بين أغفالهم
ونبهائهم وعلى جماعتهم رعى الله تعالى جهادهم ووفر أعدادهم أن يطيعوه في طاعة الله
تعالى وطاعة ابيه ويكونوا يدا واحدة على دفاع أعداء الله تعالى وأعاديه ويشدوا في
مواقف الكريهة أزره ويمتثلوا نهيه وأمره حتى يعظم الانتفاع ويشهر الدفاع
ويخلص المصال لله تعالى والمصاع فلو وجد أيده الله تعالى غاية في تشريفهم لبلغها

أو موهبة لسوغها لكن ما تقدّم ولده العزيز عليه مذهب ولا وراءه مباشرته تم يتقسم مغرب والله تعالى منجح الاعمال ومبلغ الآمال والكفيل بسعادة المآل فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع ونخر مستند الى اجماع ووجوب اتباع وليكن خير مرعى لخير راع بحول الله تعالى وأقطعه أيده الله تعالى ليكون بعض المواد لازواد سفره وعماد نفره في جملة ما أولاه من نعمه وسوّغه من موارد كرمه جميع القرية المنسوبة الى عرب غسان وهي المحلة الاثيرة والمنزلة الشهيرة تنطلق عليها أيدي خدامه ورجاله جارية مجرى صريح ماله محررة من كل وظيفة لاستغلاله ان شاء الله تعالى فهو المستعان سبحانه وكتب في كذا انتهى

*(وكتب) لسان الدين رحمه الله تعالى في شأن تقليد الامير سعد أخي المذكور الاصغر منه سنا ما صورته هذا ظهير جعل الله تعالى له الملائكة ظهيرا وعقد منه في سبيل الله تعالى لواء منصورا وأعطى المعتمد به باليمين كتابا منشورا وما كان عطاء ربك محظورا وأطلع صبح العناية المبصرة الآية يبهر سفورا ويسطع نورا وأقر عيونا للمسلمين وشرح صدورا ووعد الاهلة أن تصير بامداد شمس الهدى اياها بدورا وبشر الاسلام بالنصر المنتظر والفتح الرائق الغرر مواسط وثغورا وأتبع حماة الدين لواء الامارة السعيدة النصر به فأسعد بها آمرا وأكرم بها مأمورا أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أعلى الله تعالى رايته وسدد رأيه وشكر عن الاسلام والمسلمين سعيه لقرة عينه ومقتضى حقه من العدو ودينه وغصن دوحه وآية لوحه ودرة قلادته ودرى أفلاك مجادته وسيف نصره وهلال قصره وزينة عصره ومتقبل هديه ورشده ومظنة اشراق سعده وانجاز وعده ولده الاسعد وسليل ملكه المؤيد الامير الاجل الاعز الاسنى الاطهر الاظهر الاعلى لابس أثواب رضاه ونعمته ومنحة الله لنصره وخدمته ومظهر عزه وبعد همته التقي الرضي العالم العامل الماجد حامي الحمى تحت ظل طاعته وكافي الاسلام الذي يأمن من اضاعته المحرز مزايا الاعمار الطويلة حظ الشهر في يومه وحظ اليوم في ساعته الموقر المهيب المؤمل المعظم أبي النصر سعد عززه الله تعالى ببركة سعد بن عبادة جده نال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم مجده ووزيره في حله وعقده وأجناه ثمرة النصر الذي كان به ووصل سببه بسببه فما النصر الامن عنده وأنجز له الفتح المبين من مقتضى نصره وسعده لما صرف وجه عنايته اليه في هذه البلاد الاندلسية التي خاص لله انفرادها وانقطاعها وتمحض لأن تكون كلمة الله هي العليا قراعها وصدق مصالها في سبيله جل وعلا ومصاعها الى ما يهد أرجاءها ويحقق رجاءها من سلم يعقد ولا يعدم الحزم معه ولا يفقد وعطاء ينقد ورأى لا يتعقب ولا ينقد وحرب تضمر له الجياد ويعتقل الاسل المياد وكان الجيش روض أمله الذي في جنابه يسرح ومرمى فكره الذي عنه لا يبرح فديوانه ديوان امانيه الذي تسهب فيه وتشرح أسهمه من

سياسته أوفى الحظوظ وأسناها وقصر عليه لفظ العناية ومعناها ووقف عليه موحدها ومثناها فأزاح علله وأحيا أمله وأنشأ جذله ورفع عنه من لم يبذل الجذل له ولا أخلص لله فيه عمله واختار لقيادة مغازيه المنصوره وامارة غزواته المبروره أقرب الناس الى نفسه نسبا وأوصلهم به سببا وأحقهم بالرتب المنيفه والمظاهر الشريفه ذاتا وأبا وجدا وحسبا وأثره على أشرافه وذلل به الانفال على أعرافه وصرف اليه آماله واستعمل فى اسنته يمينه وفى أعنته شماله وعقد عليه الويته الخافقة لعزة نصره ورأى الظهور على أعداء الله تعالى حتى فهيأ له هصره وأدار هالة قتام الجهاد عن قرب بالولادة على بدره ونبه نفوس المسلمين على جلالة قدره وقدمه على الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الاشياخ من أولاد يعقوب كبار بنى مرين وسائر قبائلهم المكرمين وغيرهم من القبائل المحترمين ينوب عن أمره فى عرض مسائلهم وقرى وافدهم واجراء عوائدهم تقديما تهلل له الاسلام واستبشر وتيقن الظفر فاستبصر لما علم عن استنصر فليخلصوا له فى طاعته الكبرى الطاعه وليعلقوا ببنان نداه بنان الطماعه وليؤملوا على يديه نجح الوسيلة الى مقامه والشفاعه وليعلموا أن اختصاصهم به هو العنوان على رفع محالهم لديه وعزة شأنهم عليه فلو وجد هضبة أعلى لرفعها لهم وأعلاها أو عزة أعز لجلالها أو قبلة أزكى لصرف وجوههم شطرها وولاها حتى تجلى غرة هذا القصد وتعود بالسعد حركة هذا الرصد وتعلو ذؤابة هذا المجد وتشهد بنصر الدين على يده ألسنة الغور والنجد بفضل الله سبحانه وعليه أسعد الله الدولة باستعماله مكافحا بأعلامها وزينا لايامها وسيفا فى طاعة امامها أن يقدم منهم فى مجلسه أهل التقديم ويقابل كرامهم بالتكريم ويستدعى آراء مشايخهم فى المشكلات فى أمور الحرب ويغضى جفون عزائمهم فى موقف الصبر والضرب ويتفقدهم باحسانه عند الغناء ويقابل حميد سعيهم بالثناء على هذا يعتمد وبحسبه يعمل وهو الواجب الذى لا يهمل وقصده بالاعظام والاجلال والانقياد الذى يعود بالآمال وينجح الاعمال بحول الله تعالى متقبل وكتب فى كذا انتهى *

(ومما اشتمل على نظم لسان الدين ونثره) ما كتب به من سلا الى سلطانه الغنى بالله تعالى وقد بلغه ما كان من صنع الله سبحانه له وعودته الى سلطانه

هنيأ بما خولت من رفعة الشان * وان كره الباغى وان رغم الشانى
وأن خصك الرحمن جل جلاله * بمعجزة منسوبة لسليمان
أغار على كرسيه بعض جنه * فألقت له الدنيا مقالد اذعان
فلما رآها فتنة خر ساجدا * وقال الهى امنن على بغفران
وهب لى ملكا بعدها ليس ينبغى * تقلده بعدى لانس ولا جان
فآتاه لما أن أجاب دعاءه * من العز ما لم يؤت يوما لانسان
وان كان هذا الامر فى الدهر مفردا * فأنت له لما اقتديت به الثانى
فقابل صنيع الله بالشكر واستعن * به واجز احسان الاله باحسان
وحق الذى سماك باسم محمد * لو ان الصبا قد عاد منه بريعان

لما بلغ النعما عليك سروره * ألية واف لا ألية خوّان
فانى أنا العبد الصريح انتسابه * كما أنت مولاى العزيز وسلطانى
اذا كنت فى عز وملك وغبطة * فقد نلت أوطارى وراجعت أوطانى

مولاى الذى شأنه عجب والايمان بعناية الله تعالى به قد وجب وعزه أظهره من برداء العزة احتجب اذا كانت الغاية لا تدرك فأولى أن تسلم وتترك ومنة الله تعالى عليك ابست عما يشرح قد عقل العقل خاب يرح وقيد اللسان فبارعى فى مجال العبارة ولا يسرح اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرا ترضاه وامدادا من لدنك نتقاضاه يا الله يا الله سعود آثارت بعد أفول شهابها وحياة كرت بعد ذهابها وأحباب اجتمعت بعد فراقها وأوطان دنت بعد بعد شامها من عراقها وأعداء أذهب الله تعالى رسم بغيهم ومحاه وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه وعباد أعطوا من كشف الغم ماسألوه ونازحون لو سئلوا فى اتاحة القرب بما فى أرماقهم لبذلوه وسبحان الذى يقول ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه فليهن الاسلام بياض وجهه بعد اسوداده وتغلب ايالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده وعودة الملك المظلوم الى معتاده واستواء الحق النائى جنبه فوق مهاده ورد الارث المغصوب الى مستحقه عن آبائه وأجداده والحمد لله الذى غسل عن وجه الامة الحنيفية العار وأنقذ عهد ثار قد ملكها الذعار فرد المعار وأعيد الشعار فحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والعبد يا مولاى قد بهرت عقله آلاء الله تعالى قبلك فالفكر جائل واللسان ساكت والعقل ذاهل والطرف باهت فان أقام رسما للمخاطبة فقلم مرح وركض وطرس هز جناح الارتياح ونفض ليس هذا المرام مما يرام ولا هذه العناية التى تحار فيها الافهام مما تصمى غرضه السهام فنسأل الله تعالى أن يجعل مولاى من الشاكرين وبأحكام تقلبات الايام من المعتبرين حتى لا يغتره السراب الخادع والدهر المرغم للانوف الجادع ولا يرى غير الله فى الوجود من صانع ولا معط ولا مانع ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد والسلام انتهى * (ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى أبا عبد الله بن عمر التونسى قوله سيدى الذى عهده لا ينسى وذكره يصبح فى ترديده بالجميل ويمسى أبقاكم الله تعالى تجلون من السعادة شمسا وتصرفون فى طاعته لسانا فردا وبنانا خمسا وصلنى كتابكم الاشعث الاغبر ومقتضبكم الذى أضغاثه لا تعبر شاهدة بعدم الاعتنا أوضاعه معدوما متاعه قصيرا فى التعريف بالحال المتشوف اليها باعه مضمنا الاحالة على خلى من معناها غير متلبس بوحدها ولا مثناها سألته كما يسأل المريض عما عند الطبيب ويحرص الحبيب على تعرف أحوال الحبيب فذكر أنه لم يحمل غير تلك السحاءة المغنية فى الاختصار المجحفة بحظى الاسماع والابصار فهممت بالعتب على البخل بالكتب ثم عذرت سيدى بما يعترى مثله من شواغل تطرق وخواطر تومض وتبرق واذا كان آمنا سربه مهنئا شربه فهو الامل ويقنع هذا المجمل وان كان التفسير هو الاكمل وما ثم ما يعمل وودّه

في كل حال وده والله سبحانه بالتوفيق يمده والسلام انتهى • وكانت للسان الدين رحمه الله تعالى مخاطبات كثيرة لسلطان الدولة وأعيانها دلت على قوة عارضته في البلاغة وقد أعمنا بجملة منها في هذا الكتاب في مواضع ولم نكثر منها طلبا للاختصار أو التوسط بحسب ما اقتضاه الباعث في الحال والله سبحانه وتعالى يبلغ الآمال ويزكي الأعمال •

(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه عن السلطان أبي الحجاج يوسف بن نصر الى سيد العالمين صلى الله عليه وسلم اثر نظم ونص الكل هو

اذا فاتني ظل الحمى ونعيمه * كفى حسب فؤادي أن يهب نسيمه
ويقنعني أني به متكنف * فزمزمه دمعي وجسمي حطيمه
يعود فؤادي ذكر من سكن الغضا * فيقعده فوق الغضا ويقيمه
ولم أر شيأ كالنسيم اذا سرى * شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفسا مشوقة * ندير عليها كأسه ونديمه
وما شفني بالغور قد مرنح * ولا شاقني من وحش وجرة ريمه
ولا سهرت عيني لبرق ثنية * من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
براني شوق للنبي محمد * يسوم فؤادي برحه ما يسومه
ألا يا رسول الله ناداك ضارع * على النأي محفوظ الوداد سليمه
مشوق اذا ما الليل مد رواقه * تهم به تحت الظلام همومه
اذا ما حديث عنك جاءت به الصبا * شجاه من الشوق الحثيث قديمه
أيجهر بالنجوى وأنت سميعها * ويشرح ما يخفى وأنت عليمه
وتعوزه السقيا وأنت غياثه * وتتلفه الشكوى وأنت رحيمه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى * فأقماره وضاحة ونجومه
لك انهل فضل الله بالارض ساكبا * فأنواؤه ملتفة وغيومه
ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى * خليل الذي أوطاكها وكليمه
لك الخلق الارضى الذي جل ذكره * ومجدك في الذكر العظيم عظيمه
يجل مدى علياك عن مدح مادح * فموسر در القول فيك عديمه
ولي يا رسول الله فيك وراثة * ومجدك لا ينسى الذمام كريمه
وعندي الى أنصار دينك نسبة * هي الفخر لا يخشى انتقالا مقيمه
وكان بودي أن أزور مبوأ * بك افتخرت أطلاله ورسومه
وقد يجهد الانسان طرف اعتزامه * ويعوزه من بعد ذاك مرومه
وعذري في تسويف عزمي ظاهر * اذا ضاق عذر العزم عمن يلومه
عدتني بأقصى الغرب عن تربك العدا * جلالقة الثغر الغريب ورومه
أجاهد منهم في سبيلك أمة * هي البحر يعيي أمرها من يرومه
فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى * لريع حماه واستبيح حريمه
فلا تقطع الحبل الذي قد وصلته * فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذي نستدره * وأنت لنا الظل الذي نستديمه
ولما نأت داري وأعوز مطمعي * وأقلقني شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معوّلا * على مجدك الاعلى الذي جل خيمه
وكلت بها همي وصدق قريحتي * فساعدني هاء الروي وميمه
فلا تنسني يا خير من وطئ الثرى * فمثلك لا ينسى لديه خديمه
عليك صلاة الله ماذر شارق * وماراق من وجه الصباح وسيمه

الى رسول الحق الى كافة الخلق وغمام الرحمة الصادق البرق الحائز في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء شفيع أرباب الذنوب وطبيب أدواء القلوب والوسيلة الى علام الغيوب نبي الهدى الذي طهر قلبه وغفر ذنبه وختم به الرسالة ربه وجرى في النفوس مجرى الانفاس حبه الشفيع المشفع يوم العرض المحمود في ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن على سر الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور المؤيد بكفاية الله وعصمته الموفور حظه من عنايته ونعمته الظل الخفاق على أمته من لو حازت الشمس بعض كماله ماعدمت اشراقا أوكان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم اشفاقا فائدة الكون ومعناه وسر الوجود الذي بهر الوجود سناه وصفي حضرة القدس الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذي سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل عليه سبحان الذي أسرى من الانوار من عنصر نوره مستمده والآثار تخلق وآثاره مستجده من طوى بساط الوحي لفقده وسد باب الرسالة والنبوة من بعده وأوتي جوامع الكلم فوقفت البلغاء حسرى دون حده الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تحيئه وفودها وتزوره وأخبرت الكتب المنزلة على الانبياء بأسمائه وصفاته وأخذ عهد الايمان به على من اتصلت ببعثه منهم أيام حياته المفزع الامنع يوم الفزع الاكبر والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر ذو المعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحس وأقر بها الجن والانس من جماد يتكلم وجذع لفراقه يتألم وقرله ينشق وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين أصابعه يتبجس وغمام باستسقائه يصوب وطوى بصق في أجاجها فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب المسمى بالحاشر العاقب ذو المجد البعيد المرامي والمراقب أكرم من رفعت اليه وسيلة المعترف والمغترب ونجحت لديه قربة البعيد والمقترب سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي فاز بطاعته المحسنون واستنقذ بشفاعته المذنبون وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون صلى الله عليه وسلم مالمع برق وهمع ودق وطلعت شمس ونسخ اليوم أمس من عتيق شفاعته وعبد طاعته المعتصم بسببه المؤمن بالله ثم به المستشفي بذكره كلما تألم المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم الذي ان ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله

وان هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله وان سمع الاذان تذكر صوت بلاله وان
ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله لاثم تربه وموءمل قربه ورهين
طاعته وحبه المتوسل به الى رضا الله ربه يوسف بن اسمعيل بن نصر كتبه اليك يارسول
الله والدمع ماح وخيل الوجد ذات جماح عن شوق يزداد كلما نقص الصبر وانكسار
لا يتاح له الا بدنو من ارك الجبر وكيف لا يعيى مشوقك الامر وتوطأ على كبده الجمر
وقد مطلت الايام بالقدوم على تربك المقدسة اللحد ووعدت الآمال ودانت باخلاف
الوعد وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت والركائب اليك ما رحلت
والعزائم قالت وما فعلت والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح وطيور الآمال
عن وكور العجز لم تبرح فيا لها من معاهد فاز من حياها ومشاهد ما أعطر رياها
بلاد نيطت بها عليك التمائم وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم ونزل في حجراتها
عليك الملك وانجلى بضياء فرقانك فيها الحلك مدارس الآيات والسور ومطالع
المعجزات السافرة الغرر حيث قضيت الفروض وحتمت وافتتحت سورة الرحمن وختمت
وابتدئت الملة الحنيفية وتممت ونسخت الآيات وأحكمت أما والذي بعثك بالحق
هاديا وأطلعك للخلق نورا باديا لا يطفئ غلتي الا شربك ولا يسكن لوعتي الا قربك فما أسعد
من أفاض من حرم الله الى حرمك وأصبح بعد أداء ما فرض عن الله ضيف كرمك
وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك واني
لما عاقتني عن زيارتك العوائق وان كان شغلي عنك بك وعدتني الاعداء فيك عن وصل
سببي بسببك وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه وعدو تتكاثف أفواجه ويحجب
الشمس عند الظهيرة عجاجه في طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم وجعلوا
التوكل على الله وعليك لبوسهم ورفعوا الى مصارختك رؤوسهم واستعذبوا في مرضاة
الله تعالى ومرضاتك بؤوسهم يطيرون من هيعة الى أخرى ويلتفتون والمخاوف عن يمنى
ويسرى ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى لا يبلغون من عدو
هو الذر عند انتشاره عشر معشاره قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا لان تكون كلمة
الله تعالى هي العليا فيا له من سرب مروع وصريخ الا منك ممنوع ودعاء الى الله
واليك مرفوع وصبية حمر الحواصل تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل والصليب
قد قطى فمد ذراعيه ورفعت الاطماع بضبعيه وقد حجبت بالقتام السماء وتلاطمت
امواج الحديد والبأس الشديد فالتقى الماء ولم يبق الا الذماء وعلى ذلك فاضعفت
البصائر ولا ساءت الظنون وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده
العيون الى أن نلقاك غدا ان شاء الله تعالى وقد ابلينا العذر وارغمنا الكفر وأعملنا في
سبيل الله تعالى وسبيلك البيض والسمر استنبت رقعتي هذه لتطير اليك من شوقي بجناح
خافق وتسعد من نيتي التي تصحبها برفيق موافق فتؤدي عن عبدك وتبلغ وتعفر الخد
في تربك وتمرغ وتطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك وتقف وقوف الخضوع
والخشوع تجاه تابوتك وتقول بلسان التملق عند التشبث بأسبابك والتعلق منكسرة

الطرف حذرا بهرجها من عدم الصرف ياغياث الامة وغمام الرحمة ارحم غربتي وانقطاعي وتغمد بطولك قصر باعي وقوِّ على هيبتك خور طباعي فكم جزت من بلج مهول وجبت من حزون وسهول وقابل بالقبول نيابتي وعجل بالرضا اجابتي ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجايا تلك الديم أن لا يخيب قصد من حط بفنائها ولا يظمأ وارد أكب على انائها اللهم يا من جعلته أول الانبياء بالمعنى وآخرهم بالصوره وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشوره وملكت أمته مازوى له من زوايا البسيطة المعموره وجعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطوره وشوقتني الى معاهده المبروره ومشاهده المزوره ووكلت لساني بالصلاة عليه وقلبي بالحنين اليه ورغبتني بالتماس ماليديه فلا تقطع منه أسبابي ولا تحرمني من حبه ثوابي وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره وشط مزاره ولم يجعل بيده اختياره فان لم تكن للقبول أهلا فأنت للاغضاء والسماح أهل وان كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل وان كان الحب يتوارث كما أخبرت والعروق تدس حسبما اليه أشرت فلي بانتسابي الى سعد عبد أنصارك مزيه ووسيلة أثيرة حفيه فان لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نيه فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتتحة بسيف كلمتك على أيدي خيار أمتك فانما نحن بها وديعة تحت بعض أقفالك نعوذ بوجه ربك من اغفالك ونستنشق من ريح عنايتك نفحه ونرتقب من محيا قبولك لمحه ندافع بها عدوا طغى وبغى وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى فواقف التمحيص قد أعيت من كتب ورضخ والبحر قد أصمت من استصرخ والطاغية في العدوان مستبصر والعدو محلق والولي مقصر وبجاهك ندفع مالا نطيق وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق فلا تفردنا ولا تهملنا وناد ربك فينا ربنا ولا تحملنا وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم وربك يقول لك وقوله الحق وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والصلاة والسلام عليك ياخير من طاف وسعى وأجاب داعيا اذا دعا وصلى الله على جميع أحزابك وآلك صلاة تليق بجلالك وتحق لكمالك وعلى ضجيعك وصديقك وحبيبك ورفيقك خليفتك في أمتك وفاروقك المستخلف بعده على جلتك وصهرك ذي النورين المخصوص بيرك ونحلتك وابن عمك سيفك المسلول على حلتك بدر سمائك ووالد أهلتك والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب بحضرة جزيرة الاندلس غرناطة صانها الله تعالى ووقاها ودفع عنها ببركتك كيد عداها انتهت الرسالة *

(وكتب أيضا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان مخدومه السلطان الغني بالله محمد ابن السلطان أبي الحجاج رحمه الله تعالى الجميع ما صورته

دعاك بأقصى المغربين غريب * وأنت على بعد المزار قريب
مدل بأسباب الرجاء وطرفه * غضيض على حكم الحياء مريب
يكلف قرص البدر حمل تحية * اذا ما هوى والشمس حين تغيب
لترجع من تلك المعالم غدوة * وقد ذاع من رد التحية طيب

ويستودع الريح الشمال شمائلا * من الحب لم يعلم بهن رقيب
ويطلب في جيب الجيوب جوابها * اذا ما اطلت والصباح جنيب
اذا اثر الاخفاف لاحت محاربا * يخرّ عليها راكعا وينيب
ويلقى ركاب الحج وهي قوافل * طلاح وقد ابلى النداء لبيب
فلا قول الا انّة وتوجع * ولا حول الا زفرة ونحيب
عليل ولكن من قبولك منهل * عليل ولكن من رضاك طبيب
ألا ليت شعري والامانيّ ضلة * وقد تخطئ الآمال ثم تصيب
اينجد نجد بعد شحط مزاره * ويكثب بعد البعد منه كثيب
وتقضى ديوني بعد ما مطل المدى * وينفذ يحيى والمبيع معيب
وهل أقتضى دهري فيسمح طائعا * وأدعو بحظي مسمعا فيجيب
ويا ليت شعري هل لحومي مورد * لديك وهل لي في رضاك نصيب
ولكنك المولى الجواد وجاره * على أية حال كان ليس يخيب
وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد * وذاك الجناب المستجار رحيب
وما هاجني الا تألق بارق * يلوح بفود الليل منه مشيب
ذكرت به ركب الحجاز وجيرة * أهاب بها نحو الحبيب مهيب
فبت وجفني من لآلئ دمعه * غنيّ وصبري للشجون سليب
ترنحني الذكرى ويهفو بي الهوى * كما مال غصن في الرياض رطيب
وأحضر تعليلا لشوقي بالمنى * ويطرق وجد غالب فأغيب
مرامي لو أعطى الامانيّ زورة * يبث غرام عندها ووجيب
فقول حبيب اذ يقول تشوّقا * عسى وطن يدنو الى حبيب
تعجبت من سيفي وقد جاور الغضى * بقلبي فلم يسبكه منه مذيب
وأعجب أن لا يورق الرمح في يدي * ومن فوقه غيث الشوق سكيب
فيا سرح ذاك الحي لو اخلف الحيا * لاغناك من صوب الدموع صبيب
ويا هاجر الجو الجديب تلبثا * فعهدي رطب الجانبين خصيب
ويا قادح الزند الشحاح ترفقا * عليك فشوقي الخارجيّ شبيب
ابا خاتم الرسل المكين مكانه * حديث الغريب الدار فيك غريب
فؤادي على جمر البعاد مقلب * يباح عليه للدموع قليب
فو الله ما يزداد الا تلهبا * أأبصرت ماء ثار عنه لهيب
فليلته ليل السليم ويومها * اذا اشتد للشوق العصاب عصيب
هواي هدى فيك اهتديت بنوره * ومنتسبي للصحب منك نسيب
وحسبي على اني لصحبك منتم * وللخزرجيين الكرام نسيب
عدت عن مغانيك المشوقة للعدا * عقارب لا يخفى لهن دبيب
سراص على اطفاء نور قدحته * فستاب من دونه وسليب

فكم من شهيد فى رضاك مجدل * يظلله نسر ويندب ذيب
تهز الرياح الغفل فوق كلومهم * فتعبق من أنفاسها وتطيب
لنصرك عنك الشغل من غير منة * وهل يتساوى مشهد ومغيب
فان صح منك اللحظ طاوعنى المنى * ويبعد مرمى السهم وهو مصيب
ولولاك لم يعجم من الروم عودها * فعود الصليب الاعجمى صليب
وقد كانت الاحوال لولا مراغب * ضمنت ووعد بالظهور تريب
فحاشاك من نصر عزيز وأنعم * أثاب بهن المؤمنين مثيب
منابر عز اذن الفتح فوقها * وافصح للعضب الطرير خطيب
تقود الى هيجائها كل صائل * كأن رجع مكحول اللحاظ ربيب
ويجتاب من سرد اليقين مدارعا * [illegible]ها من يجتنى ويثيب
اذا اضطرب الخطى حول غديرها * يروقك منها لجة وقضيب
فعذرا واغضاء ولا تنس صارخا * بعزك يرجو أن يجيب مجيب
وجاهك بعد الله نرجو وانه * لحظ ملىء بالوفاء رغيب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا * عليك مطيل بالثناء مطيب
وما اهتز قد للغصون مرنح * وما افتر ثغر للبروق شنيب

الى حجة الله تعالى المؤيدة ببراهين أنواره وفائدة الكون ونكتة أدواره وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره الى المجتبى وموجود الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه المختوم فى القدم وظلمات العدم عند صدق القدم تفضيله وتقديمه الى وديعة النور المنتقل فى الجباه الكريمة والغرر ودرة الانبياء التى لوسا الفضل على الدرر وغمام الرحمة الهامية الدرر الى مختار الله تعالى المخصوص باجتبائه وحبيبه الذى له المزية على أحبائه وذرية أنبياء الله تعالى آبائه الى الذى شرح صدره وغسله ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله وأتم عليه انعامه الذى أجزله وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله الى بشرى المسيح والذبيح ومن الهم التجر الربيح المنصور بالرعب والريح المخصوص بالنسب الصريح الى الذى جعله فى المحول غماما وللانبياء اماما وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما وأعلم به فى التوراة والانجيل اعلاما وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما الى الشفيع الذى لا ترد فى العصاة شفاعته والوجيه الذى قرنت بطاعة الله تعالى طاعته والرؤف الرحيم الذى خلصت الى الله تعالى فى أهل الجرائم ضراعته صاحب الآيات التى لا يسع ردها والمعجزات التى أربى على الالف عدها من قرشق وجذع حن له وحق وبنان يتفجر بالما فيقوم برى الظما وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره وغمام يظلل به مقامه ومسيره خطيب المقام المحمود اذا كان العرض وأول من تنشق عنه الارض ووسيلة الله تعالى التى لولاها ما أقرض القرض ولا عرف النفل والفرض محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذى الجلال الشاهد بصدقه صحف الانبياء وكتب الارسال وآياته التى

أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال صلى الله عليه وسلم ما ذرّ شارق وأومض بارق وفرّق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق صلاة تتأرّج على شذى الزهر وتتبلج عن سنى الكواكب الزهر وتتردد بين السر والجهر وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر وتدوم بدوام الدهر من عبد هداه ومستقرى مواقع نداه ومزاحم أبناء أنصاره فى منتداه وبعض سهامه المفوّقة الى نحور عداه مؤمّل العتق من النار بشفاعته ومحرز طاعة الجبار بطاعته الآمن باتصال رعيه من اهمال الله تعالى واضاعته متخذ الصلاة عليه وسائل نجاه وذخائر فى الشدائد مرتجاه متاجر بضائعها غير مزجاه الذى ملأ بحبه جوانح صدره وجعل ذكره هالة لبدره وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره محمد بن يوسف بن نصر الانصارى الخزرجى نسيب سعد بن عبادة من أصحابه وبوارق سحابه وسيوف نصرته وأقطاب دار هجرته ظلله الله تعالى يوم الفزع الاكبر من رضاك عنه بظلال الامان كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والايمان وجعله من أهل السياحة فى فضاء حبك والهيمان كتبه اليك يا رسول الله واليراع تقتضى الهيبة صفرة لونه والمداد يكاد أن يحول سواد جونه وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه والدمع يقطر فتنقط به الحروف وتفصل الاسطار وتوهم المثول بمثواك المقدس لا يمرّ بالخاطر سواه ولا يخطر عن قلب بالبعد عنك قريح وجفن بالبكاء جريح وتأوه عن تبريح كلما هبّ من أرضك نسيم ريح وانكسار ليس له الا جبرك واغتراب لا يؤنس فيه الا قربك وان يقض فقبرك وكيف لا يسلم فى مثلها الاسى ويوحش الصباح والمسا ويرجف جبل الصبر بعد ما رسا لولا لعلّ وعسى فقد سارت الركبان اليك ولم يقض مسير وحومت الاسراب عليك والجناح كسير ووعدت الآمال فأخلفت وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الاثيل الاعلى التمثيل ولا من المعالم الملتمسة التنوير الا على التصوير مهبط وحى الله تعالى ومتنزل أسمائه ومتردد ملائكة سمائه ومدافن أوليائه وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه ورزقنى الله تعالى الرضا بقضائه والصبر على جاحم البعد ورمضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاسلام بالاندلس قاصية سبلك ومسجبة رجلك يا رسول الله وخيلك وانأى مطارح دعوتك ومساحب ذيلك حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام وشهبان الاسنة أطلعها منه الاعتام وأسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعقد بها الايامى والايتام حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور والشهداء تحف بها الحور والامم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور حيث المباسم المفترّه تجلوها المصارع البرّه فتحييها بالعراء ثغور الازاهر وتندبها صوادح الادواح برنات تلك المزاهر وتحمل السحاب أشلاءها المعطلة من ظلها بالجواهر وحيث الاسلام من عدوّه المكايد بمنزلة قطرة من عارض غمام وحصاة من ثبير أو شمام وقد سدّت الطريق وأسلم الفراق الفريق وأغص الريق ويئس من الساحل الغريق الا أن الاسلام بهذه الجهة المتمسكة بحبل الله تعالى وحبلك المهتدية بأدلة

سبلك سالم والحمد لله تعالى من الانصداع محروس بفضل الله تعالى من الابتداع مفقود من جديد الملة معدوم فيه وجود الطوائف المضلة الا ما يخص الكفر من هذه العلة والاستظهار على جمع الكثرة من جوعه بجمع القلة ولهذه الايام يارسول الله أقام الله تعالى أوده براً بوجهك الوجيه ورعيا وانجاز الوعد له وهو الذى لا يخلف وعدا ولا يخيب سعيا وفتح لنا فتوحاً أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب وبشرتنا منه تعالى بغفر التقصير ورفع التثريب ونصرنا وله المنة على عبدة الصليب وجعل لا لفنا الرديني ولا منا السمردى حكم التغليب. واذا كانت الموالى التى طوقت الاعناق منها وقررت العوائد الحسان سيرها وسننها تبادر اليها بوابها الصرحاء وخدامها النصحاء بالبشائر والمسرات التى تشاع فى العشائر وتجلو لديها نتائج أيديها وغايات مباديها وتتاحفها وتهاديها بجنى جناتها وأزاهر غواديها وتطرف محاضرها بطرف بواديها فبابك يارسول الله أولى بذلك وأحق ولك الحق الحق والحرمة عبدك المسترق حسبما يحله الرق وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع ومثواك المجمع وملوك الاسلام فى الحقيقة عبيد سدتك المؤملة وخول مثابتك المحسنة بالحسنات الجملة وشهب تعشو الى بدورك المكملة وبعض سيوفك المقلدة فى سبيل الله تعالى المحلة وحرسة مهادك وسلاح جهادك وبروق عهادك وان مكفول احترامك الذى لا يخفر وربى انعامك الذى لا يكفر وملتحف جاهك الذى يمحى ذنبه بشفاعتك ان شاء الله تعالى ويغفر يطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بنوالك ويفاتح صوان القدس الذى أجنك وحوالك وينثر بضائع الصلاة عليك بين يدى الضريح الذى طوالك ويعرض جنى ماغرست وبذرت ومصداق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت وما انتهى اليه طلق جهادك ومصب عهادك لتقر عين نصحك التى أنام العيون الساهرة هجوعها وأشبع البطون ورواها ظموها فى الله تعالى وجوعها وان كانت الامور بمرأى من عين عنايتك وغيبها متعرف بين افصاحك وكنايتك وجملة يارسول الله صلى الله عليك وبلغ وسيلتى اليك هو أن الله سبحانه لما عرفنى لطفه الخفى فى التمحيص المقتضى عدم المحيص ثم فى التخصيص المغنى بعيانه عن التنصيص وفق ببركاتك السارية رحماتها فى القلوب ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب الى استفادة عظة واعتبار واغتنام اقبال بعد ادبار ومزيد استبصار واستعانة بالله تعالى وانتصار فسكن هبوب الكفر بعد اعصار وحل مخنق الاسلام بعد حصار وجرت على سنن السنة بحسب الاستطاعة والمنة السيرة وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة وسهلت المآرب العسيرة ورفع بيد العزة الضيم وكشف بنور البصيرة الغيم وظهر القليل على الكثير وباء الكفر بخطة التعثير واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير فاهتبلنا يارسول الله غرة العدو واتهزناها وشمنا صوارم عزة الغدو وهززناها وأزحنا علل الجيوش وجهزناها فكان مما ساعد عليه القدر والخطب المبتدر والورد الذى حصل بعده الصدر أننا عاجلنا مدينة برغه وقد جرعت الاختين مالقة ورنده من مدائن دينك ومزاين ميادينك أكؤس الفراق

وأذكرت مثل من بالعراق وسدت طرق التزاور عن الطراق وأسالت المسيل بالنجيع المراق في مراصد المراد والمراق ومنعت المراسلة مع هدى الحمام لابل مع طيف المنام عند الالمام فيسر الله تعالى اقتحامها وألحت بيض الشفار في زرق الكفار الحامها وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف التحامها فانطلق المسرى واستبشرت القواعد الحسرى وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومشاقف الاسرى والحمد لله على فتحه الاسنى ومنحه الاسرى ولا اله الا هو منفل قيصر وكسرى وفاتح مغلقاتها المنيعة قسرا واستولى الاسلام منها على قرار جنات وأم بنات وقاعدة حصون وشجرة غصون طهرت مساجدها المغتصبة المكرهه وجمع بحفظها الفيل الافيل وابرهه وانطلقت بذكر الله الالسنة المدرهه وفاز بسبق ميدانها جياد لك الفرهه هذا وطاغية الروم على توفر جموعه وهول مرئيه ومسموعه قريب جواره بحيث يتصل خواره وقد حرك اليها الحنين حواره ثم نازل المسلمون بعدها شجا الاسلام الذي أعيا النطاسي علاجه وكرك هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه ولا تصاول أعلاجه وركاب الغارات التي تطوي المراحل الى مكايدة المسلمين طي البرود وبحر الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود ومنغص الورود في العذب المورود ومقض المضاجع وحلم الهاجع ومجهز الخطب الفاجيء الفاجع ومستدرك فائتك الراجع قبل هبوب الطائر الساجع حصن أشرجاه الله تعالى دعاء لاخبرا كما جعله للمتفكرين في قدرته معتبرا فأحاطوا به احاطة القلادة بالجيد واذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد وحفت به الرايات يسمها وسمك ويلوح في صفحاتها اسم الله تعالى واسمك فلا ترى الانفوسا تتزاحم على مورد الشهادة أسرابها وليوثا يصدق في الله تعالى ضرابها وأرسل الله عليها رجزا اسرائيليا من جراد السهام تنشذ آيانه عن الافهام وسد الى الجبل النفوس القابلة للالهام من بعد الاستغلاق والاستبهام وقد عبثت جوارح صخوره في قنائص الهام وأعيا صعبه على الجيش اللهام فأخذ مسائغه النقض والنقب ورغا فوق أهله الصقب ونصبت المعارج والمراقي وفرعت المناكب والتراقي واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقي وقال الشهيد السابق يا فوز استباقي ودخل البلد فالتهم السيف واستلب البحت والزيف ثم استخلصت القصبة فعلت أعلامك في ابراجها المشيده وظفرنا شد يدك منها بالنشيده وشكر الله تعالى في قصدها مساعي النصائح الرشيده وعمل ما يرضيك يا رسول الله في سد ثلمها وصون مستلمها ومداواة ألمها حرصا على الاقتداء في مثلها باعمالك والاهتداء بمشكاة كمالك ورتب فيها الحماة تشجي العدو وتصل في مرضاة الله تعالى ومرضاتك برواحها الغدو ثم كان الغزو الى مدينة اطريرة بنت حاضرة الكفر اشبيلية التي أظلتها بالجناح الساتر وانامتها في ضمان الامان للحسام الباتر وقد وتر الاسلام من هذه المومسة البائسة بوتر الواتر واحفظ منها باذي الوقاح المهاتر لما جرته على أسراه من عمل الخاتل الخاتر حسب المنقول لا بل المتواتر فطوى اليها المسلمون المدى النازح ولم تشك المطى

الروازح

قوله اشر في بعض النسخ آشر وليحرر اه

الروائح وصدق فى الجد جدها المازح وخفقت فوق أوكارها اجنحة الاعلام وغشيتها أفواج الملائكة المسومة وظلال الغمام وصابت من السهام ودق الرهام وكاد يكفى السهام على الارض ارتجاج أطوادها بكلمة الاسلام وقدم خاطب عروس الشهادة عن الملام وسمح بالعزيز المصون مبايع الملك العلام وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت الابذ كر الله لسان الكلام ووفت الاوتار بالاوتار ووصل بالخطى درع الابيض البتار وسلطت النار على أربابها وأذن الله تعالى فى تبار تلك الامة وتبابها فنزلوا على حكم السيف آلافا بعد أن أتلفوا بالسلاح اتلافا واستوعب المقاتلة كافا وقرنوا فى الجذل اكافا وحملت العقائل والخرائد والولدان والولائد اركابا من فوق الظهور وارادافا وأقلت منها أفلاك الحول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافا واستلأت الايدى من المواهب والغنائم بما لا يصوره حلم النائم وتركت العوافى تتداعى الى تلك الولائم وتفتن من مطاعمها فى الملائم وشنت الغارات على حمص بخلات خارجها مغارا وكست كبار الروم بها صغارا وأجرت ابطالها اجارا واستاقت من النعم مالا يقبل الحصر استبحارا ولم يكن الا أن عدل القسم واستقل بالقفول العزيز الرسم ووضح من التوفيق الوسم فكانت الحركة الى قاعدة جيان قيمة الظل الابرد ونسيجة المنوال المفرد وكاس الغيد الخرد وكرسى الامارة وبحر العمارة ومهوى هوى الغيث الهتون وحزب التين والزيتون حيث خندق الجنة تدنو لاهل النار مجانيه وتشرق بشواطئ الانهار اشراق الازهار زهر مبانيه والقلعة التى تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم وهمت من دون مصابها البيض سحائب الغيث السجوم والعقيلة التى أبدى الاسلام يوم طلاقها وهجوم فراقها سمة الوجوم لذلك الهجوم فرمتها البلاد المسلمة بافلاذ أكبادها الوادعه وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعه وحبتها بالفادحة الفادعه ففصت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل وتجاوبت الخيل بالصهيل وانهالت الجموع المجاهدة فى الله تعالى انهيال الكثيب المهيل وفهمت نفوس العباد المجاهدة فى الله تعالى حق الجهاد معانى التيسير من ربها والتسهيل وسفرت الرايات عن المرأى الجميل وأربت المحلات المسلمة على التأميل ولما صحبتها النواصى المقبلة الغرر والاعلام المكتنبة الطرر برزحاميتها مصحرين والعوزة المستباحة مستنصرين فكاثرهم من سرعان الابطال رجل الدبى ونبت الوهاد والربا فألجموهم من وراء السور وأسرعت أقلام الرماح فى بسط عددهم المكسور وتركت صرعاهم ولائم للنسور ثم اقتحموا ربض المدينة الاعظم فافترعوه وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه واكؤس الحتوف جرعوه ولم يتصل أولى الناس باخراهم ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم حتى جذل الكافر الصبر وأسلم الجلد وأنزل على المسلمين النصر فدخل البلد وطاح فى السيل الجارف الوالد منه والولد وأتهم المطرف والمتلد فكان هولا بعيد الشناعه وبعثا كقيام الساعه أعجل المجانيق عن الركوع والسجود والسلالم عن مطاولة النجود والادى عن ردم الخنادق والاغوار والاكبش

عن مناطحة الاسوار والنفوط عن اصعاق الفجار وعمد الحديد ومعاول البأس الشديد
عن نقب الابراج ونقض الاحجار فهلت الكثبان وأبيد الشيب والشبان وكسرت
الصلبان وفجع بهدم الكنائس الرهبان وأهبطت النواقيس من مراقيها العاليه
وصروحها المتعاليه وخلعت ألسنتها الكاذبه ونقل ما استطاعته الايدى الجاذبه
وعجزت عن الاسلاب ذوات الظهور وجلل الاسلام شعار العز والظهور بما خلت عن
مثله سوالف الدهور والاعوام والشهور واعرست الشهداء ومنوا النفوس المبيعة
من الله تعالى بحل الصدقات والمهور ومن بعد ذلك هدم السور ومحيت عن محيطه
المحكم السطور وكاد يسير ذلك الجبل الذى اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور ومن
بعد ما خرب الوجار عقرت الاشجار وعفر المنار وسلطت على بنات التراب والماء النار
وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب وأصمى لبتها السهم الصائب وجللتها القشاعم
العصائب فالذئاب فى الليل البهيم تعسل والضباع من الحدب البعيد تنسل
وقد ضاقت الجدل عن الخانق وبيع العرض الثمين بالدانق وسكت اسورة
الاسوار وسويت الهضاب بالاغوار واكتسحت الاحواز القاصية سرايا المغوار
وحجبت بالدخان مطالع الانوار وتخلفت فاعتبروا عبرة للمعتبرين وعظة للناظرين وآية
للمستبصرين ونادى لسان الحميه بالثارات الاسكندريه فأسمع آذان المقيمين
والمسافرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين ثم كانت الحركة الى أختها
الكبرى ولدتها الحزينة عليها العبرى مدينة أبدة ذات العمران المستبحر والربض المخترق
المصحر والمبانى الشم الانوف وعقائل المصانع الجمة الحلى والشنوف والغاب الالوف
بلدة التجر والعسكر المجر وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله تعالى الكذب
الفجر فخذل الله تعالى حاميتها التى يعيى الحسبان عددها وسهر بحورها التى لا يرام مددها
وحقت عليها كلمة الله تعالى التى لا يستطاع ردها فدخلت لاول وهله واستوعب جمها
والمنة لله تعالى فى نهله ولم يكف السيف من عليها ولا مهله فلما تناولها العفا والتخريب
واستباحها الفتح القريب وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب
وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب وأضرعت مسايفها الهول المصاب انصرف
عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته والعز الذى سما طرفه واشرأب ليته والعزم الذى
حمد مسراه وصيته والحمد لله ناظم الامر وقد راب شتيته وجابر الكسر وقد أفات الجبر
مفيته ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة
التى على عمل أهلها القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى
الهمل والمصر الذى له فى خطة المعمور الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة
العبشمية الحمل تخيم الاسلام بعقوتها المستباحه وأجاز نهرها المعيى على السباحه
وعم دوحها الاشب بوارا وأدار الكماة بسورها سوارا وأخذوا بمخنقها حصارا وأعمل
النصل بشعرتها اجتناء ما شاء واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انجحارا
فأعمل الى المسلمين اهتصارا حتى فرع بعض جهاتها اعلانا جهارا ورفعت الاعلام اعلاما

بعز

بعز الاسلام واظهارا فلولا استهلال الغوادى وان أتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادى واقتضى تفشه العاكف والبادى فاقتضى الرأى ولذنب الزمان فى اغتصاب الكفر ايها اعتاب تعمل بشراه بفضل الله تعالى أقتاد وأقتاب ولكل أجل كتاب أن راض صعبها حتى يعود ذلولا وتعفى معاهدها الاهلة فتترك طلولا فاذا فجع الله تعالى بمارج النار طوائفها المارجه وباد بجمارجها الطائرة والدارجه خطب السيف منها أمّ خارجه فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت والغلات المستغلات قد دعاها الفضل فما ارتابت وكان صحيفة نهرها لما أضرمت النار حافى ظهرها اذابت وحيته فرّت أمام الحريق فانسابت وتخلفت اغمائم الدخان عمائم تلوى بها رؤس الجبال أيدى الرياح وتنشرها بعد الركود أيدى الاجتياح وأغريت باقطارها الشاسعه وجهاتها الواسعه جنود الجوع وتوعدت بالرجوع فسلب أهلها التوقع الهجوم مذرور الهجوع فاعلامها خاشعة خاضعه وولدانها الثدى البؤس راضعه والله سبحانه يوفد بخير فتحها القريب ركاب البشرى وينشر رحمته قبلها نشرا ثم تنوعت يارسول الله لهذا العهد أحوال العدوّ تنوعا يؤهم افاقته من الغمره وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمره وتوقع الواقع وحذر ذلك السمّ الناقع وخيف الخرق الذى يحار فيه الراقع فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك وموصول عنايتك فأنزل النصر والسكينه ومكن العقائد المكينه فثابت العزائم وهبت واطردت عوائد الاقدام واستتبت وماراع العدوّ الاخيل الله تعالى تجوس خلاله وشمس الحق توجب ظلاله وهلال الذى هديت يدحض ضلاله ونازلنا حصنى قنبيل والحائر وهما معقلان متجاوران يتناجى منهما الساكن سرارا وقد اتخذا بين النجوم قرارا وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا والتف معصمه فى حلى العصب وقد جعل الجسر سوارا فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه وارتفعت أعلام الاسلام بأعلاه وتبرجت عروس الفتح المبين بجلاه والحمد لله تعالى على ما أولاه ثم تحركنا على نفشة تعدى ثغر الموسطة على عدوه المساور فى المضاجع ومصبحه بالفاجئ الفاجع فنازلنا حصن روطة الآخذ بالكظم المعترض بالشجا اعتراض العظم وقد شحنه العدوّ مددا يئيسا ولم يال اختياره رأيا ولا تلبيسا فأعياداؤه واستقلت بالمدافعة أعداؤه ولما أتلع اليه جيد المنجنيق وقد برك عليه بروك الفنيق وشدّ عصام المنع الوثيق لجأ أهله الى التماس العهود والمواثيق وقد غصوا بالريق وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق فسكناه من حامية المجاهدين من يحمى ذماره ويقرّر اعتماره واستولى أهل الثغور الى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها وشرعوا أرشية الرماح الى قلب قلوبها فمتحوها ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الاعراف متراكم الغبار وترتوى عن آباط خيلها شدّ حزم المغار حتى عاودت النفوس شوقها واستتبعت ذوقها وخطبت التى لا فوقها وذهبت بها الآمال الى الغاية القاصيه والمدارك المتصاعبة على الافكار المتعاصيه فقصدنا الجزيرة الخضراء باب هذا الوطن الذى منه طرق وادعه ومطلع الحق الذى صدع الباطل صادعه وثنية الفتح التى

برق منها لامعه ومشرف الهجوم الذى لم تكن لتنثر على غيره مطامعه وفرضة المجاز التى لاتنكر ومجمع البحرين فى بعض مايذكر حيث يتقارب الشطان ويتوازى الخطان وكاد أن تلتقى حلقتا البطان وقد كان الفكر قدر قدر هذه الفرصة التى طرق منها حماه ورماه الفتح الاول بمارماه وعلم أن لاتتصل أيدى المسلمين باخوانهم الامن تلقائها وانه لايعدم المكروه مع بقائها فأجلب عليها برجله وخيله وسدّ أفق البحر بأساطيله ومراكب أباطيله يقطع ليله وتداعى المسلمون بالعدوتين الى استنقاذها من لهواته أوامساكها من دون مهواته فعجز الحول ووقع بها كما أباها القول واحتازها قهرا وقد صابرت الضيق ماينا هز ثلاثين شهرا وأطرق الاسلام بعدها اطراق الواجم واسودّت الوجوه لطيرها الهاجم وبكتها حتى دموع الغيث الساجم وانقطع المدد الامن رحمة من ينفس الكروب ويغرى بالادالة الشروق والغروب ولما شكابثنا الله تعالى نحرها وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الارض تكاثر نجم السماء برّها و بحرها ونازلناها منازلة شديدة النزال وشجبنا بصدق الوعد فى سبيل الاعتزال رأينا بأوالايظاهر الا بالله تعالى ولايطال ومنعة يحاماها الابطال وجنابا روضه الغيث الهطال أمّا أسوارها فهى التى أخذت النجد والغور واستعدت بخلاء الجلاد عن البلاد فارتكبت الدور تحوز بحرا من العمارة ثانيا وتشكك أن يكون الانس لها بانيا وأمّا أبراجها فصفوف وصنوف تزين صفحات السائف منها أنوف وآذان لها من دوامغ الصخر شنوف وأمّا خندقها فصخر مجلوب وسور مقلوب تصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم واقتران اغتصابها بيوسهم وأفول شموسهم فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها وعرجوا الى المراقى البعيدة لفرعون مبناها ونفوسها انقاباً وحصونها عقاباً ودخلوا مدينة البنة بنتها غلاباً واحسبوا السيوف استلالا والايدى اكتسابا واستوعب القتل مقاتلتها السابغة الجنن البالغة المنن فأخذهم الهول المتفاقم وجدلوا كأنهم الاراقم لم تفلت منهم عين تطرف ولا لسان يلبى من يستطلع الخبرا ويستشرف ثم سمت الهمم الايمانية الى المدينة الكبرى فداروا وسوّروا على سورها وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها ودفعوا اليها بالضروب من حيل الحروب بروجا مشيده ومجانيق توثق حبالها منها نشيده وخفقت بنصر الله تعالى عذبات الاعلام واهدت الملائكة مدد السلام نخذل الله تعالى كفارها وأكهم شفارها وقلم بيد قدرته أظفارها فالتمسوا الامان للخروج ونزلوا على مراقى العروج الى الاباطح والمروج من سماء ذات البروج فكان بروزهم من العراء الى الارض تذكرة بيوم العرض وقد جلل المقاتلة الصغار وتعلق بالامان النساء والصغار وبودرت المدينة بالتطهير ونطقت المآذن العالية بالاذان الشهير والذكر الجهير وطرحت كفارها التماثيل عن المسجد الكبير وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير وأزلت عن الصروح أجرامها يعى الهندام مرامها وألقى منبر الاسلام بها جفوة افادت غربته وأعيد اليه قربه وقربته وتلا واعظ الجمع المشهود

قوله ونفوسها انقابا وحصونها عقابا هكذا فى النسخ ولعل فيها سقطا أو تحريفا والاصل ونقبوا بها انقابا وصيروها عقابا أو نحو ذلك مما يلائم المقام وليحرر اه مصححه

قول منجز الوعود ومورق العود وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فكان الدمع يغرق الآماق والوجد يستأصل الارماق وارتفعت الرغبات وعلت السبات وجيء بأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقال وينسلون من أجداث الاعتقال ففكت عن سوقهم أساود الحديد وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد وظللوا بجناح اللطف العريض المديد وترتبت في المقاعد الحاميه وأزهرت بذكر الله تعالى المآذن الساميه وعادت المدينة لاحسن أحوالها وسكنت من بعد أهوالها وعادت الجالية الى أموالها ورجع الى القطر شبابه وردّ على دار الاسلام بابه واتصلت بأهل لا اله الا الله أسبابه فهي اليوم في بلاد الاسلام قلادة النحر وحاضرة البر والبحر أبقى الله تعالى عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك وداثع الله تعالى في ذمتك بكلمة دينك الصالحة الباقيه وسدل عليه أستار عصمته الواقيه وعدنا والصلاة عليك شعار البروز والقفول وهجيرى الشروق والافول والجهاد يا رسول الله الشأن المعتمد ما امتد بالاجل الامد والمستعان الفرد الصمد والهذا العهد يا رسول الله صلى الله عليك ولغ وسياتي اليك بلغ من هذا القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من ادرعه ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه الى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها ورفع التماثيل ببيوت الله تعالى ونصبها فانجاب عنها بنورك الحلك ودار بآذانها الى دعوتك الفلك وعاد الى مكانها القرآن الذي نزل به على قلبك الملك فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الامة المكفولة في حجرك المفضلة بادارة حجرك المهتدية بأنوار فجرك وهل هو الا ثمرات سعيك ونتائج رعيك وبركة حبك ورضاك الكفيل برضا ربك وغمام رعدك وانجاز وعدك وشعاع من نور سعدك وبذر يجني ريعه من بعدك ونصر رايتك وبرهان آيتك وأثر حمايتك ورعايتك واستنبت هذه الرسالة ماثحة بحر الندى الممنوح ومفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح وقارعة المظاهر والصروح وملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح لتمد الى قبولك يد استمناح وتطير اليك من الشوق الحثيث بجناح ثم تقف بموقف الانكسار وان كان تجرها آمنا من الخسار وتقدم بأنس القربه وتحجم بوحشة الغربه وتتأخر بالهيبه وتجهش لطول الغيبه وتقول ارحم بعد داري وضعف اقتداري وانتزاح أوطاني وخلو أعطاني وقلة زادي وفراغ مزادي وتقبل وسيلة اعترافي وتغمد هفوة اقترافي وعجل بالرضا انصرافي مجملي لا انصرافي فكم جبت من بحر زاخر وقفر بالركاب ساخر وحاش لله تعالى أن يخيب قاصدك أو تتخطاني مقاصدك أو تطردني موائدك أو تضيق عني عوائدك ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك مستدعية دعاء من حضر من أمتك وأصحبتها يا رسول الله عرضا من النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتتحة تعين الاقامة والاذان وتسمع الاسماع الضالة والآذان

ممـا قبـل الحركه وسالم المعركه ومكن من نقله الايدى المشتركه واستحق بالقدوم عليك والاسـلام بين يديك السابقة فى الازل البركه وماسواها فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام فنسخ وجودها الاعدام وهى يارسول الله جنى من جنانك ورطب من أفنانك وأثر ظهر علينا من مسحة جنانك هذه هى الحال والانتحال والعائق أن تشد اليك الرحال ويعمل الترحال الى أن نلقاك فى عرصات القيامة شفيعا ونحل بجاهك ان شاء الله تعالى محلا رفيعا ونقدم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك الناهلة غللهم من سجلك ونبتهل الى الله تعالى الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا وأتم الانبياء منك باللبنة الخاتم وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم أن لا يقطع عن هذه الامة الغريبة أسبابك ولا يسد فى وجوهها أبوابك ويوفقها لاتباع هداك ويثبت أقدامها على جهاد عداك وكيف تعدم ترفيها أو تخشى بخسا وأنت موفيها أو يعذبها الله تعالى وأنت فيها وصلاة الله وسلامه تحط بفنائك رحال طيبها وتهدر فى ناديك شقاشق خطيبها ماأذكر الصباح الطالق هداك والغمام السكب نداك وما حن مشتاق الى لثم ضريحك وبليت نسمات الاسحار عما استرقت فى ريحك وكتب فى كذا انتهت الرسالة وفيها مالاخفاء به من براعة لسان الدين رحمه الله تعالى وقدس روحه الطاهرة آمين (ومما) علق بحفظى من نثره رحمه الله تعالى أثناء رسالة فى العزاء خاطب بها ملك المغرب قوله بعد كلام أين مروان بن الحكم ودهاؤه وعبد الملك بن مروان وبهاؤه والوليد وبناؤه وسليمان وغذاؤه وعمر بن عبد العزيز وثناؤه ويزيد ونساؤه وهشام وخيلاؤه والوليد وندماؤه والجعدى وآراؤه أم أين السفاح وحسامه والمنصور واعتزامه والمهدى واعظامه والهادى واقدامه والرشيد وأيامه والامين وندامه والمأمون وكلامه والمعتصم واسراجه والجامه انتهى (وقد تقدم) كلام أبى الخطاب بن دحية فى هذا المعنى بطوله فى الباب الثانى من هذا القسم فليراجع ثمة (قلت) وقد تقدم فى الخطبة نظمى لمثل هذا وقد كنت نسجت على منوال لسان الدين وأنا بالمغرب نثرا مما لم يحضرنى منه الآن غير قولى أين الاسكندر ويونانه وشداد وبنيانه والنمرود وعدوانه وفرعون وهامانه وقارون وطغيانه وكسرى أنوشروان وايوانه وقيصر وبطارقته وأعوانه وسيف بن ذى يزن وغمدانه والمنذر ونعمانه الى أن قلت وأين أبو بكر رضى الله تعالى عنه وثباته وعمر رضى الله تعالى عنه وثباته وعثمان رضى الله تعالى عنه ورهباته أم أين على رضى الله تعالى عنه وشجاعته وعلمه وأين معاوية رضى الله تعالى عنه وحلمه وأين يزيد وظلمه ثم ذكرت ماتقدم للسان الدين وقلت بعده وأين الواثق وغناؤه والمتوكل ومواليه وأولياؤه وأبناؤه والمنتصر وآماله والمعتز وجماله والمستعين وعماله والمهتدى وأعماله والمعتضد وذكاؤه واحاطته بالاخبار واشتماله والمقتدر ونساؤه واهماله الى أن قلت وأين بنو عبيد وضلالهم وبنو بويه وجلالهم وبنو سلجوق ونظامهم وبنو سامان واعظامهم وبنو أيوب وصلاحهم والجراكسة ومبانيهم وسلاحهم (ثم قلت) فى ملوك المغرب وأين عبد الرحمن الداخل وأمراؤه والناصر

وزهراؤه والحكم ووزراؤه والمؤيد وظهراؤه أم أين المنصور بن أبى عامر وغزواته ومواليه والمظفر وأدواته ومعاليه أم أين بنو حمود وعلاهم وأوصافهم وحلاهم وبنو جهور وحزمهم وبنو باديس وعزمهم وأين معتضد بنى عباد ومعتمدهم الذى سنى كرمه للمعتفين باد وبنو ذى النون ومزيتهم وبنو صمادح ومريتهم وبنو الافطس وبنو هود وما كان لهم من المكارم فى الحفل المشهود وأين لمتونه وصبرهم الذى ركبوا متونه أم أين الموحدون وناصرهم ومنصورهم ومصانعهم وقصورهم أم أين بنو الاحمر وغرناطتهم وازالتهم عن حوزة الدين أدناس المعتدين واماطتهم وجعلهم الامور لمثل ابن الحكيم ولسان الدين واناطتهم أم أين بنو مرين وفارسهم ومغانيهم ومدارسهم وأين بنو زيان ومنازلهم الشاهقه وأشجار عزمهم الباسقه وأين الحفصيون ومستنصرهم الذى قضى للمعالى الديون وأبو فارس الذى شنفت بأخباره آذان الطروس والفهارس طحنت والله تعالى الجميع رحى المنون وتايمت الازواج ويتم البنون وطالت الايام والسنون وبقيت القصور العالية خاليه والرسوم المتكاثرة داثره والسلوك المنظومة متناثره وعن قريب يقف الكل بين يدى رب الارباب فى يوم تذهل فيه الالباب وتنقطع الامن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسباب ويقتص للمظلوم من الظالم وتنبهم للنجاة الطرق والمعالم وتبلى السرائر لدى من هو بها عالم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم يحكم الله تعالى فى الخلق بالحق حسبما سبق فى علمه اذ جعلهم قريبا وبعيدا وشقيا وسعيدا اللهم اجعلنا فى ذلك اليوم الصعب ممن فاز بالنجاه وحاز شفاعة نبيك ومصطفاك ذى الحرمة والجاه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم انتهى (رجع) لنثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) ما خاطب به سلطان المغرب أبا زيان لما تم له الامر وهو مشتمل على نظم ونثر ونصه

يا ابن الخلائف يا سمى محمد * يا من علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأنت مجدد الملك الذى * لولاك أصبح وهو رسم داثر
من ذا يعاند منك وارثه الذى * بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقت اليك يد الخلافة أمرها * اذ كنت أنت لها الولى الناصر
هذا وبينك للصريخ وبينها * حرب مضرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره * حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاى عندى فى علاك محبة * والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبى يحدثنى بأنك جابر * كسرى وحظى منك حظ وافر
بشرى بجدودك قد حططت حقيبتى * فوسيلتى لعلاك نور باهر
وبذلت وسعى واجتهادى مثل ما * يلقى لملكك سيف أمرك عامر
فهو الولى لدى الذى اقتحم الردى * وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولى جدك فى الشدائد عندما * خذلت علاه قبائل وعشائر

فاستهد منه النصح واعلم أنه * في كل معضلة طبيب ماهر
ان كنت قد عجلت بعض مدائحي * فهي الرياض وللرياض بواكر

مولانا وعمدة ديننا ودنيانا الذي سخر الله تعالى البر والبحر بأمره وحكم فوق السموات السبع بعز نصره وأغنى يوم سعده عن سل السلاح وشهره وفتق عن زهر الصنع الجميل كمامة تسليمه وصبره وقيض له في علم غيبه وزيرا مدخورا لشد أزره وقود الملك اليه على حال حصره الخليفة الامام الذي استبشر به الاسلام وخفقت بعزه الاعلام ولاح بدر محياه فاقتض الظلام المقتدى بالنبي الكريم سميه في المراشد التي تألق منها الصبح والمقاصد التي لازمها النجح والتمحيص الذي نبع منه المنح حتى في الهجرة التي جاء بعدها الفتح أبو زيان ابن مولانا السلطان ولي العهد ترشيحا ومآلا ومؤمل الاسلام تقلدا للمذهب الصريح وانتحالا وأمير المسلمين لوأوسعه القدر امهالا ووسطى عقد البنين خلالا أتى متعددة وخلالا المتحف بالشهادة ولما يعرف بدره هلالا المعوض بما عند الله تعالى سعادة ألبسته سربالا وأبلغته من رضوان الله تعالى آمالا أبي عبد الرحمن ابن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء وعنصر الصبر والوفاء وستر الله تعالى المسدول على الضعفاء والمجاهد في سبيل الله تعالى بنفسه وماله المنيف على مراكز النجوم بهممه وآماله المقدس أبي الحسن ابن موالينا الخلفاء الطاهرين والائمة المرضيين من قبيل بني مرين وصفوة الله تعالى في هذا المغرب الاقصى من اوليائه المؤمنين وزينة الدنيا وعمدة الدين هنأه الله تعالى ما أورثه من سرير الملك الاصيل وخوله من سعادة الدنيا والدين على الاجمال والتفصيل وتوجه من تاج العزة القعساء عند اشتباه السبيل وعوضه من قبيل الملائكة عند تشتت القبيل وجعل قدمه الراسخه وآياته الناسخه وربوته السامية الباذخه وعزة نصره الشادخه وأوزعه شكر آلائه في الخلاص من ملكة أعدائه وخطر البحر وعدوان مائه وغول السفر وارتكاب الغرر وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدلوا تبديلا ولا ارتضوا القبلة طاعته بعد أن ولوا وجوههم شطرها تحويلا بل صبروا صبرا جميلا وباعوا انفوسهم تتميما للعقدة ايمانهم وتكميلا يسلم على مقامكم الذي وسم السعد مشرق جبينه وذخرت قبل الطاعة ليمينه وأقسم السعد بظاهرة أمره السعد فبر والشكر لله تعالى في يمينه عبدكم الذي اعتلق منكم بالوسيلة الكبرى وقر بملككم عينا وشرح صدرا وبذل الجهد وان قل قدرة وقدرا والتمس لكم الدعاء علنا وسرا ابن الخطيب الذي حط رحل اقتصاده بتراب الملوك الكرام جدودكم محاريب برّكم وأسباب وجودكم وآبائكم الذين في مظاهرتهم ورعيهم يظهر للناس مخايل هداكم وتدر سحائب جودكم ملتحفا منذ سنتين بأصونة قبورهم وثيابها مستظلا بأفنيتها المعظمة وقبابها ممرغا خده بترابها مواصلا الصراخ يا لمرين ويا ليعقوب مستطارها على أبوابها فلم يتح الله تعالى له نعرة ترعى الضيف وتحمي الدخيل أوجية تدفع الضيم وتشفي الغليل الاعلى يدكم يا أيها الكريم ابن الكريم ابن الكريم وبطل الميدان في موقف الهول العظيم المدخور لنصر المظلوم وانصاف الغريم واجالة أقلام الفتح بفتح الاقاليم

كتبه مهنئا بما سنى الله تعالى لملككم من الصنع الذى خرق حجاب العاده وأرى اعجاز السعاده محجلا ذلك بين يدى المبادرة الى لثم بساطكم الذى اشرف وجوهها تلثمه الوجوه وتخشاه الاملاك الجبابرة وترجوه وأداء الواجب من القيام بمنظوم ثنائه فى الحفل المشهود وابلاغ لسان الجد وسع المجهود والقاء ماعند العبد من خلوص وجنوح وحب واضح أى وضوح فولى دعوتكم الشيخ ابو ثابت أعزه الله تعالى يقرره ويبين مجمله ويفسره والعبد واثق بفضل الله تعالى على يديكم وملتمس النصر لديكم وقاطع أن طلبته بكم تتسنى وانكم سبب عاقبته الحسنى اما بالظهور على الوطن الذى تجرأ به المنقلب على ملككم ومد اليد الى نثر سلككم ونقص ارثكم المسلم المحرز وزلزل وطنكم المؤسس على الطاعة المقرر وأضرم النار فى بساطكم وحبالكم وأطلق يد الفتنة على بيوت أموالكم ومتكثرا عليكم بالقله متعززا بالذله جانيا على داركم بما لا تبيحه المله أو بالشفاعة الجازمة ان لم يأذن الله تعالى فى الانتصاف والله تعالى يجعل الظهور بكم من الاوصاف ويعينكم على جبر الكسير وتيسير الامر العسير ويهنيكم منيحة الملك الكبير ويبقى كلمته فى عقبكم بعد علاء التعمير والسلام * (وله رحمه الله تعالى) فى مخاطبة السلطان أبى زيان المذكور المولى الذى طوق المنن وأحيا السنن وأنبت الله تعالى حبه فى القلوب النبات الحسن ناظم كلمة الدين بعد انتشارها ومقيل عثارها والآخذ بثارها والمجدد لآثارها السلطان أبو زيان الى آخره أبقاكم الله تعالى عالى القدم منصور العلم ظاهرا على الامم مقصود الحمى كالركن الملتزم عبد مقامكم الذى آووه غريبا وآنسوه حريبا وألقوه على عدوه الدهر نصرا عزيزا وفتحا قريبا فلم يخش دركا وتثريبا ولا عدم حظوة وشفقة ونعمة وتقريبا ابن الخطيب عن ثناء يعطر الآفاق ويرقم الاوراق ويخرق الجيوب والاطواق وحب بهر نورا وراق وجاس اشتهاره الشام والعراق ويطالع العبد محل مولاه الذى خلف ببابه قلبه وولده وصبره وجلده وصير وطنه داره الحقيق وبلده أنه لما قدم على محل أخيه المعتد بما أودع الله تعالى من الخلال الشريفة فيه مولاى ابن مولاى أبى عبد الله كفل الله تعالى جميل رعيه وكرم عهده وحكم باعلاء جده ومضاء حده رعى الوسيله وصدق المخيله وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيله فلم يدع حقا الا صرفه ولا نكرة الا عرفه ولا نعمة الا سكبها ولا مزية الا أوجبها ولا رتبة الا أعلاها ولا نعمة الا أولاها وما ذاك يا مولاى وان تعددت الرسائل والاذمه وادكرت القرب بعد أمه الا بوصاتكم التى لا تهمل وحرمتكم التى لا تجهل وعطف مقامكم الذى اشتهر واعتنائكم بعبدكم الذى راق وبهر فالعبد عبدكم بكل اعتبار وخديمكم وان نأت الدار ومحسوب على نعمة مقامكم الرفيع المقدار والامل فى مقامكم غير منقطع السبب والاهل والولد تحت كنف مقامكم الاصيل الحسب حتى يمن الله تعالى بحج بيته وزيارة رسوله على يديكم ويكون قضاء هذا الوطر منسوبا اليكم وبعد هذا يستقر القرار حيث يختار من يخلق ما يشاء ويختار بحول الله تعالى والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدى وداعه وبرأى وزيره

السعيد واستماعه من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره ونجاح أحواله واستقامة أموره ويهنيه بصدق الوعد وامطار الرعد وظهور السعد وهي وسيلة اذا عدت الوسائل وروعيت الذمم الجلائل ومثل مولاي من رعى وأبقى وسلك التي هي أبر وأتقى وما قصر عنه القلم من حق مولاى فالرسول أعزه الله تعالى يتممه وما قصر عنه الرسول فالله تعالى يعلمه وهو جل وعلا يديم أيام مولاى ويبقى مجده ويصل سعده والسلام انتهى * (ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) شيخ الدولة يحيى بن رحو قوله سيدى الذى له المزية العظمى والمحل الاسمى شيخ قبيل بنى مرين وقطب مدار الاحرار على الاجمال والتعيين والمتميز بالدهاء والرجاحه والمعرفة الفسيحة الساحه والصدقة المباحه وشروط الصوفية من ترك الاذى ووجود الراحه أسلم على ذاتكم الطاهرة التى بخلت الازمان والله أن تأتى بنظيرها وتنافست الدول فى تكبيرها وسارت المواكب الملوكية بمسيرها وأثنت الالسن بفضلها وخيرها وأقرر لديها انى أعددت من معرفتها بالاندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا اعدادا له وخزنا اذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقه ولا ترد اليد الى الذخيرة الا فى اضاقة وعجز طاقه وما كانت الوصلة يحملها اليهملها مثلى جهلا بقيمتها العاليه وازراء بجهتها الكافلة الكافيه لكن نابت عن يدها أيد وكفى عن ابتذالها ما كف الله تعالى من عمرو وزيد والآن أقرر انى قد كادت حاجتى الى ذلك العتاد أن تتمحض وزبدته أن تتمخض اذ هو حظى من رعى ذلك القبيل الذى قصرت عليه رياسته والوزير الذى من رأيه تستمد سياسته واذا وفد خاصة هذه المدينة مهنين وبشكر ايالته الكريمة مثنين فخيمه ظل ظليل ومشاركته معتمدى فى الكثير فكيف ولا غرض لى الا فى القليل وعندى أن رعيه لمثلى لا يفتقر الى وسيلة تجاب ولا ذمام يحسب فضله من قدر قدر الهناء وشد أعلام الحمد والثناء سامية البناء وعرف أن الدنيا على الله تعالى أحقر الاشياء وقد رفعت أمرى كله بعد الله تعالى الى رأيك وغنيت عن سعى لنفسى بجميل سعيك والسلام * (ومما خاطب به لسان الدين) شيخه سيدى اباعبد الله بن مرزوق التلمسانى رضى الله تعالى عنه قوله شافعا ياسيدى أبقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه وبلغ سيادتكم ماتؤملونه من فضل الله تعالى وترجوه وكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخره وجعل عز الدنيا متصلا لكم بعز الآخره بعد تقبيل يدكم التى يدها لا تزال تشكر وحسنتها عند الله تعالى تذكر أنهى الى مقامكم أن الشيخ الكذا أبا فلان مع كونه مستحق التجلة بهجرة الى أبوابكم الكريمة قدمت ووسائل من اصالة وحشمة كرمت وفضل ووقار وتنويه للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى الفضل بره وأدب شكر الاختبار علمه وسره له بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعيه وفى الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيه وتوجه الى بابكم والتمسك بأسبابكم والمؤمل من سيدى ستره بجناح رعيه فى حال الكبره ولحظه بطرف المبره اما فى استعمال يليق بذوى الاحتشام أو سكون تحت رعى واهتمام واعانة على عمل صالح يكون مسك ختام وهو أحق الغرضين بالتزام

واحالة سيدى فى حفظه رسم مثله على الله تعالى الذى يجزى المحسنين بفضله ومنه نسأل أن يديم أيام المجلس العلى محروسا من النوائب مبلغ الآمال والمآرب والمملوك قد قرر شأنه فى اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم والتحسب فى هذه الابواب عليكم وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذى يعطى ويمنع وبيده الامر أجمع والسلام *(وكتب اليه أيضا فى الشفاعة بمانصه سيدى الاعظم وملاذى الاعصم وعروة عزى الوثقى التى لاتنفصم أبقاك الله تعالى بقاء آثارك آية للعز تأمر الدهر فيأتمر ويلى بفضائلك الطائف والمعتمر بأى لسان أثنى على فواضلك وهى أمهات المنن وطرف الشام واليمن ومقامات بديع الزمن والتحف المترفعة عن الثمن فحسبى دعاء أردده وأواليه وأرتقب مطلوب الاجابة من مقدمه وتاليه وان تشوف المنعم للحال الموقوف خبره بمشيئة الله تعالى على جميل سعيه الموسد على وطاء لطفه المغشى بغطاء رعيه فلب خافق وقلب مؤمن يحول به وسواس منافق وقد تجاوز موسى مجمع البحرين وأصبح سرى بابه سرى العين ولقد كانت مراحل الرمل قصيرة قبل أن يكسبها زحلى ثقل الحركة ويخلطها فى وظائفها المشتركة وليت أمرى برز الى طرف وأفضى الى منصرف وربما ظفر آيس بما يرجوه وبرز المحبوب من المكروه والله تعالى لايفضح جاه الكتاب الذى أحيا وأنشر وحيا وبشر وأعطى صحيفته باليمين وقد جمعت مثابتكم المحشر وموصل كتابى ينوب فى تقبيل اليد العليا منابى وليعلم سيدى أن هذا القطر على شهرته وتألق مشتريه وزهرته اذا انحل كرامه وعهد الفضل لم يبق الا انصرامه فهو لبابه المتخير وزلاله الذى لايتغير أصالة معروفه وهمة الى الايثار مصروفه ونبلا على السن والكبره ورجولية خليقة بصلة الحرمة والمبره والوسيلة لاتطرح والمعنى الذى لايفسر لوضوحه ولايشرح وهو انتماؤه الى جناب سيدى حديثا وقديما واعترافه بنعمه مديرا لها ومديما والله تعالى يوفى من ايثار سيدى حظه ويجدد لديه رعيه ولحظه حتى يعود خافقا علم اقباله معلما بردا احتباله مسرورا ببلوغ آماله فلعمرى ان محل ولايته لكنى وان عهد أمانته لوفى وان عامل جده لظاهر وخفى ومايفعله سيدى من رعيه وانجاح سعيه محسوب من مناقبه ومعدود فى فضل مذاهبه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقد تكررت فى كتابنا هذا مخاطبات لسان الدين رحمه الله تعالى للخطيب بن مرزوق المذكور نظما ونثرا اذ كان أعنى ابن مرزوق رئيس الدوله ومعتمد الجله وسبق منا التعريف ببعض أحواله فى باب مشايخ لسان الدين بما جرته المناسبة فليرجع اليه من أراده والله تعالى يجعل الجميع من أهل السعاده *(ومما اشتمل على نثر لسان الدين ونظمه ماخاطب به الرئيس أبازيد بن خلدون لما ارتحل من بجاية واستقر ببلد بسكرة عند رئيسها أبى العباس بن مزنى فى صحبة رسالة خطبها أخوه ابوزكريا وقد تقلد كتابة صاحب تلمسان ووصل الكتاب عنه من انشائه وهذه صورة ماكتبه لسان الدين رحمه الله تعالى

بنفسى ومانفسى على بهينة * فينزلنى عنها المكاس باثمان

حبيب نأى عني وصم لأنتي * وراش سهام البين عمدا فاصماني
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا * فقد آذني لما ترحل هماني
شرعت له من دمع عيني موردا * فكدر شربي بالفراق واظماني
وأرعيته من حسن عهدي جميمه * فأجدب آمالي وأوحش أزماني
حلفت على ما عنده لي من رضا * قياسا بما عندي فاحنث أيماني
واني على ما نالني منه من قلى * لأشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنوني فيه تقريب عرشه * فقست بجن الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان
وتالله ما أصغيت فيه لعاذل * تحاميته حتى ارعوى وتحاماني
ولا استشعرت نفسي برحمة عابد * تظلل يوما مثله عبد رحمن
ولا شعرت من قبله بتشوق * تخلل منها بين روح وجثمان

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فسل به أية درج بعد أن تجاوز اللوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله تعالى الارج وأني بالصبر على ابر الدبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر وهل للعين أن تسلو سلو المقصر عن انسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد وفي الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعول أعيت مراوضة الفراق على الراق وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي الى السياق

تركتموني بعد تشييعكم * أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سني ندما تارة * وأستميح الدمع أحيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخاليه وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم الباليه أسأل نون النوى عن أهليه وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافي المثلثة عن منازل الموحدين وأحار بين تلك الاطلال حيرة الملحدين لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين كلفت لعمر الله بسال عن جفوني المؤرقه ونائم عن همومي المتجمعة المتفرقه ظعن عن ملال لا متبرما مني بشر خلال وكدر الوصل بعد صفائه وضرح النصل بعد عهد وفائه

أقل اشتياقا أيها القلب ربما * رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

فها أنا أبكي عليه بدم أساله وانهل فيه أسى له وأعلل بذكراه قلبا صدعه وأودعه من الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وانشق رياه أنف ارتياح قد جدعه واستعدي به على ظلم ابتدعه

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذي حله لمزجت الحنين بالعتب وبثثت كتائبه كمينا في شعاب الكتب تهزم من الالفات رماحا حذر الاسنه وتوتر من النونات أمثال

القسى المرنه وتقود من بياض الطرس وسواد النقش بلقا تردى فى الاعنه ولكنه أوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة العوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المزنيه والظلال اليزنيه والهمم السنيه والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنيه حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجرها السنوح والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوابى الجفان الميل والجنوح

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه وتغمد بالعفو ذنبه ولله در القائل حيث يقول

فوحقه لقد انتدبت لوصفه * بالبخل لولا أن حمصا داره

بلد متى أذكره تهتج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا لا كفرا وأين قرارة النخيل من مثوى الاقاف البخيل ومكذبة المخيل وأين ثانية هجر من متبوأ من ألحد وفجر

من أنكر غيثا منشؤه * فى الارض وليس بمخلفها

فبنان بنى مزنى مزن * تنهل بلطف مصرفها

مزن مذ حل ببسكرة * يوما نطقت بمصحفها

شكرت حتى بعبارتها * وبمعناها وبأحرفها

ضحكت بأبى العباس من الايام ثنايا زخرفها

وتنكرت الدنيا حتى * عرفت منه بمعرفها

بل نقول يا محل الولد لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخاد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فحيا الله تعالى زمنا شفيت برقى قربك زمانته واجتليت فى صدف مجدك جمانته ويا من لشوق لم تقض من طول خلدك لبانته وأهلا بروض أظلت أشتات معارفك باته فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتغاشى وعشياته تتخافت وتتلاشى ومزنه باك ودوحه فى مأتم ذى اشتباك كأن لم تكن قرها لات قبابه ولم يك أنسك شارع بابه الى صفوة الظرف ولبابه ولم يسبح انسان عينك فى ماء شبابه فلهفى عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب بينها فى ربوع الجوى ونطق بالزخرف فما نطق عن الهوى وبأى شئ نعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طمى نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والجرب المهنوء من قطع نيل أغار على الصبح فاحتمل وشارك فى الذم الناقة والجمل واستأثر بحد يدر النادى لما كمل نشر الشراع فراع واعمل الاسراع كأنما هو تمساح النيل ضايق الاحباب فى البرهه واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهه ولجج بها والعيون تنظر والغمر على الاتباع يحظر فلم يقدر الا على الاسف والاثر المنشف والرجوع بملء العيبه من الخيبه ووقر الجسره من الحسره وانما أشكو الى الله البث والحزن ونستمطر من عبارتنا المزن وبسيف الرجاء نصول اذا شرعت لليأس النصول

ما أقدر الله أن يدني على شحط * من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلم الفراق رغيبا لما نويت مغيبا وجلات الوقت الهنيء تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه ثقة النفس كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يعتريها الهامن راعت بالبعد باله وأخذت بعاصف البين ذباله أو ترى الشؤن شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت حلال الصبر ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك بعد أن أضرمت واشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التي فعلت أن تترفق بذمي أو ترد بنفسة ما ارماق ظما وتتعاهد المعاهد بتحية يشم منها شذا أنفاسك أو تنظر الينا على البعد بمقلة حوراء من سواد انقاسك وبياض قرطاسك فربما اقنعت الانفس المحبة بخيال زور وتعللت بنوال منزور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يا من ترحل والنسيم لاجله * تشتاق ان هبت شذى رياها
تحيي النفوس اذا بعثت تحية * فاذا عزمت اقرأ ومن أحياها

والئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفديك والله تعالى الى الخير يهديك فنحن نقول معشر مريديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فاني لم أجترئ على خطابك بالفقر الفقيره وأدللت لدى مجراتك برفع العقيره لا عن نشاط بعثت مرموسه ولا اغتباط بالادب تغري بسياسته سوسه وانبساط أوحى الي على الفترة ناموسه وانما هو اتفاق جرته نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وخارق لا مخارق فثم قياس فارق أولحن غني به بعد الممات مفارق والذي سببه وسوغ منه المكروه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيي مد الله تعالى حياته وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشفت به لهذه القريحة بلالتها بعد أن رضي علالتها ورشح الى الصهر الحضرمي سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما عافه فاملت مجيبا ما لا يعد في يوم الرهان نجيبا واسمعت وجيبا لما ساجلت هذه الترهات سحرا عجيبا حتى ألف القلم العريان سبحه وجمح برذون الغزارة فلم اطق كبحه لم أفق من غمرة علوه وموقف متلوه الا وقد تحيز الى فئتك معتزا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش لها برا وان كان لونه من الوجل مصفرا وليس بأول من هجر في التماس الوصل ممن هجر أو بعث التمر الى هجر وأي نسب بيني اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام في محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض واستولى الكسل ونسلت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع برط الحياة سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشيات عند البيات والشيب الموت العاجل واذا ابيض زرع صبحته المناجل والمعتبر الآجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده واسره في ملكة عاده فاغض أبقاك الله واسمح لمن قصر عن المطمح وبالعين الكليلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله تعالى فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك

قوله ثقة النفس في نسخة تقت النفس ولينظر اه

أية سلكت وسمك من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدى وساكن خلدى بل أخى وان عتبته وسيدى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (قلت هذه الرسالة) الرافلة فى حلل البلاغة لم أر مثلها ولم أقف عليه فرحم الله تعالى لسان الدين ووجه سحائب الرحمة اليه فلقد كان آية الله فى النظم والنثر وجميع العلوم على اختلافها وكما خاطب الولى ابن خلدون خاطب أخاه أبا زكريا يحيى حسبما قال فى بعض كتبه ومما خاطبت به الفقيه أبا زكريا بن خلدون لما ولى الكتابة عن السلطان أبى حمو سلطان تلمسان من بنى زيان واقترن بذلك نصر وصنع غبطته به واشدت به قصد تنفيقه وانهاضه لديه تخص الحبيب الذى هو فى الاستظهار به أخ وفى الشفقة عليه ولد والولى الذى ما بعد قرب مثله أمل ولا على بعده جلد والفاضل الذى لا يخالف فى فضله ساكن ولا بلد أبقاه الله تعالى وفاز فوزه وعصمته لها من توفيق الله سبحانه عمد ومورد سعادته المسوغ لعادته لاغور ولا ثمد ومدى امداده من خزائن الهام الله تعالى وسداده ليس له أمد وحيى فرح قلبه بمواهب من ربه أن يطرقه كمد تحية محله من صميم قلبه بمحله المنشى رواق الشفقة مرفوعا بعمد المحبة والمقة فوق ظعنه وحله مؤثره ومجله المعتنى بدق أمره وجله ابن الخطيب من الحضرة الجهادية غرناطة صان الله تعالى خلالها ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها وعمر بأسود الله تعالى أغيالها كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صيالها ولا زائد الا منن من الله تعالى تصوب وقوة يسترد بها المغصوب ويخفض الصليب المنصوب والحمد لله تعالى الذى بحمده ينال المطلوب وبذكره تطمئن القلوب ومودتكم المودة التى غذتها ثدى الخلوص بلبانها وأحلتها خلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ومهدت موات اخوتها الكبرى أساس بنيانها واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة ان شاء الله تعالى واتصال زمانها واقتضاء عهود الايام بيمنها وأمانها ولله در القائل

فان لم يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

وصل الله تعالى ذلك من أجله وفى ذاته وجعله وسيلة الى مرضاته وقربة تنفع عند اعتبار ما روعى من سنن الجبار ومفترضاته وقد وصل كتابكم الذى فاتح بالريحان الروح وحل من مرسوم الولاء محل البسملة من اللوح وأذن لنوافح الثناء بالبوح يشهد عدله بأن البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود وقدح زند اغير صلود واستأثر من محابركم السياله وقضب أقلامكم المياده المياله بأب منجب وأم ولود يقفو شانيه غير المشنو وفصيله غير الجرب ولا المهنو من الخطاب السلطانى سفينة منوح ان لم نقل سفينة نوح ماشئت من آل أزواج وزمر من الفضل وافواج وأمواج كرم تطفو فوق أمواج وفنون بشائر واهطاع قبائل وعشائر وضرب للمسرات أعيا الشائر فلله هو من قلم راعى نسب القنا فوصل الرحم وأنجد الوشيج والملتحم وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم وأخاف من شذ عن الطاعة مع الاستطاعة فقال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ولولم يوجب الحق برقه ورعده ووعيده ووعده لا وجبه عنه

وسعده فلقد ظهرت مخايل نجحه علاوة على نجحه ووضحت محاسن صبحه في وحشة الموقف الصعب وقبحه وصلى الله تعالى له عوائد منحه وجعله اقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله تعالى بفتحه أمّا ماقرّره ولاؤكم من حب زكا على حبة القلب حبه وأنبته النبات الحسن ربه وساعده من الغمام سكبه ومن النسيم اللدن مهبه فرسم ثبت عند المولى نظيره ومن غير معارض بضيره وربما أربى بتذييل مزيد وشهادة ثابت ويزيد ولم لا يكون ذلك وللقلب على القلب شاهد وكونها أجنادا مجندة لا يحتاج تقريرها الى ماهد أو جهد جاهد ومودّة الاخوة سبيلها لاحب ودليلها الدعوة الصادقة مصاحب الى ماسبق من فضل ولقاء ونظافة سقاء واعتقاد لا يراع سربه بذئب انتقاد واجتلاء شهاب وقاد لا يحوج الى ايقاد انما عاق عن مواصلة ذلك نوى شط منها الشطن وتشذيب لم يتعين معه الوطن فلما تعين وكاد الصبح أن يتبين عاد الوميض ديجورا والثماد بحرا مسجورا الى أن اعاق الله تعالى منكم اليد بالسبب الوثيق وأحلكم منجي نيق لايخاف من منجنيق وجعل يراعكم لسعادة موسى معجزة تأتي على الخبر بالعيان فتخر لثعبانها سحرة البيان

أيحيى سقى حيث حلت الحيا * فنعم الشعاب ونعم الركون
وحيا يراعـــك من آية * فقد حركت القوم بعد السكون
دعوت لخدمة موسى عصاه * فجاءت تلقف ما يأفكون
فاذعن من يدعى السحر رغما * وأسلم من أجلها المشركون
وساعدك السعد فيما أردته * فكان كما ينبغي أن يكون

فأنتم أولى الاصدقاء بصلة السبب ورعي الوسائل والقرب أبقاكم الله تعالى وأيدى الغبطة بكم عاليه وأحوال تلكم الجهات بدوككم المهمات حاليه وديم المسرات من انعامكم المدرّات على معهود المبرّات متواليه وأمّا ماتشوّفتم اليه من حال وليكم فأمل متقاص الظل وارتقاب لهجوم جيش الاجل المطل ومقام على مساورة الصل وعمل يكذب الدعوى وطمأنينة تنتظر الغارة الشعوا ويد بالمدخور تفتح وأخرى تجهد وتمنح ومرض يزور فيثقل وضعف عن الواجب يعقل الا ان الطائف تستروح والقلب من باب الرجاء لايبرح وربما ظفر البائس ولم تطرد المقائس تداركنا الله تعالى بعفوه وأوردنا من منهل الرضا والقبول على صفوه وأذن لهذا الخرق في رفوه وأمّا ماطلبتم من انتساخ ديوان واعمال بنان في الاتحاف ببيان فتلك عهود لدي مهجوره ومعاهد لا متعهدة ولا مزوره شغل عن ذلك خوض يعلو لجبه وحرص يقضي من لغط المبالغ عجبه وهول جهاد تساوي جماديه ورجبه فلولا التماس أجر وتعال بربح تجر لقلت أهلا بذات الصين فلئن شكت وبذلت المصون بسبب ما امسكت فلقد ضحكت في الباطن ضعف مابكت ونستغفر الله تعالى من سوء انتحال وايثار المزاح بكل حال وما الذي ينتظر مثلي ممن عرف المآخذ والمتارك وجرّب المبالي المبارك وخبر مسافة الدنيا الفارك هذا أيها الحبيب ماوسعه الوقت الضيق وقد ذهب الشباب الريق فليسمح

فيه معهود كمالك جعل الله تعالى مطاوعة آمالك مطاوعة يمينك لشمالك ووطالك موطأ العز بياب كل مالك وقرن النجح باعمالك وحفظك فى نفسك وأهلك ومالك والسلام انتهى * ومن مخاطبات لسان الدين لصاحبه العلامة أبى القاسم بن رضوان

قد كنت أجهد فى التماس صنيعة * نفسا شهاب ذكائها وقاد
وأقول لو كان المخاطب غيركم * عند الشدائد تذهب الاحقاد

سيدى أبقاكم الله تعالى علم فضل وانصاف ومجموع كمال أوصاف كلام قصير والله تعالى بحسنات الاقوال والافعال بصير واليه بعد هذا الخباط كله المرجع والمصير وليس لنا الا هو مولى ونصير وهذا الرجل سيدى الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق جبره الله تعالى بالامس كانقف ببابه ونتمسك بأسبابه ونتوسل الى الدنيا به فان كنا قد عرفنا خيرا وجبت المشاركه أو كفافا تعينت المتاركه أو شرا اهتبلت غرة الهدى الانفس المباركه واتصفت بصفة من يعصى فيسمح ويسأل فيمنح ويعود الى القبح بالفعل الجميل ويجيب يد التأميل ومع هذا فلم ندر الاخير اكرم منه المورد والمصرف ومن عرف حجة على من لا يعرف وأنتم فى الوقت سراج علم لا يخبو سناه ومجموع تحف عرفنا منه ما عرفناه وهذه هى الشهرة التى تغتنم اذا سفرت والهنة التى تجبر عليها النفس اذا نفرت حتى لا تجد بعون الله تعالى عارضا يعوقها عن الخير وسبيل الكمال الاخير والاجر فى استيفاء كتاب الشفاعة وتحرى المقاصد النفاعه وتنفيق البضاعه قد ضمنه من وعد بقيام الساعه والجزاء على الطاعة وغير الطاعه وهذه المشاركة تسجيل لفضلكم قبلى وهى فى الحقيقة لى فكيف والله تعالى يرى عملكم وعملى والمتروك حقير والوجود الى رحمة من رحمات الله تعالى فقير والسلام انتهى * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى قوله فى مخاطبة شيخ العرب مبارك بن ابراهيم رحمه الله تعالى

ساحات دارك للضياف مبارك * وبضوء نارك يهتدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى * طرا وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى * والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل * والمجد ليس له همام باتك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى * والبأس والرأى الاصيل مبارك
للدين والدنيا وللشيم العلا * والجود ان شح الغمام السافك
عند الهياج ربيعة بن مكدم * فى الفضل والتقوى الفضيل ومالك
ورثا الجلالة عن أبيه وجده * فكأنهم ما غاب منهم هالك
فجياده للآملين مراكب * وخيامه للقاصدين أرائك
فاذا المعالى أصبحت مملوكة * أعناقها بالحق فهو المالك
يا فارس العرب الذى من بيته * حرم لهاجيه ومناسك
يا من يبشر باسمه قصاده * فلهم اليه مسارب ومسالك
أنت الذى استأثرت فيك بغبطتى * وسوالك فيه مآخذ ومتارك

لازلت نورا يهتدي بضيائه * من جنه للروع ليل حالك
ويخص مجدك من سلامي عاطر * كالمسك صالك به الغوالي صائك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالا ووجهك جمالا وقربك جاها ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك آلا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب سيادتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبق ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على قياس المذاهب والطوائف وصرف الالسنة الى مدحك والقلوب الى حبك وماذلك الا سريرة لك عند ربك ولقد كنت أيام تجمعني واياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الامل سالكا لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء والشيم الدالة على العلياء وزكاء الاصول وكرم الآباء وكان والدى رحمه الله تعالى قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تأنيسه عن مخدومه ومنوّها بحسب حال بقدومه واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفه والوسائل المختلفه فعظم لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذى حلوله شرف وفخر ومعرفته كنز وذخر فلما ظهر الآن لحل الاخ الكذا القائد فلان التعلق بك والتعلق بسببك رأيت انه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضي والله تعالى ييسر فى البعض عند تقرير الامن وهدنة الارض وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد وماجدا وابن أمجاد ومثلك لا يوصى بحسن جواره ولا ينبه على ايثاره وقبلك فى الحديث من العرب والقديم وهو الذى أوجب لها مزية التقديم لم يفتخر قط بذهب يجمع ولا ذخر يرفع ولا قصر يبنى ولا غرس يجنى انما فخرها عدو يغلب وثناء يجلب وجزر تنحر وحديث يذكر وجود على الفاقه وسماحة بحسب الطاقه فلقد ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة ان يسر الله تعالى بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما فى الضمير

ومدحى على الاملاك مدح وانما * رأيتك منها فامتدحت على وعى
وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى * ولو أنه قد حل فى مفرق النجم انتهى

*(ومن ذلك) ما خاطب به شيخه الخطيب سيدى أبا عبد الله بن مرزوق وهو

راش زمانى وبرى نبله * فكنت لى من وقعها جنه
ولو قهرت الموت امتنني * منه وأدخلتني الجنه
فكيف لا أنشرها منة * قد عرفتها الانس والجنه

بماذا أخاطب به تلك الجلاله فيتيسر الخطاب وتحصل الدلاله أبسيدى ويشركني فيه من قال لا اله الا الله بقيه أو بروح حياتى وماهية ذاتى وذخرى الكبير الكثير

لابل فلكي الاثير وهو تضييق على الولد والاهل وتعدى المراتب المحدودة من الجهل فلم يبق الا الاشارة الخارجة عن وظائف اللسان وهي بعض دلالات الانسان أفدت الا كسير وجبرت الكسير ورويت يا أبا العلا التيسير وغمرت بالكرم وأمن حمام الحرم الظعن والمسير فمن رام شكر بعض أياديك فلقد شق حقائب الرحال الى نيل المحال والحق أن نيكل جزاك لمن جعل الى المجد اعتزائك ونولى شكرك وثنائك الى من عمر بما يرضيه من الرفق بالخلق واقامة الحق انائك وندعو منك بالبقاء الى الروض المجود وغمام الجود وامام الركع السجود لا بل لنور الله تعالى المشرق على التهائم والنجود ورحمته المبثوثة أثناء هذا الوجود وليعلم سيدى أن النفس طماعة جماعه وسراب آمالها بحاره لماعه فلا تفيق من كد ولا تقف عند حد سيما اذا لم يهذبها السلوك والتجريد ولم يسر منها في عالم الغيب البريد ولا تجلت لها السعادة التي يجذب بها المراد ويشمر لها المريد الى أن يأتي عمادون الحق الحميد ويصح التوحيد وقد مثلت الآن خصما يوسع ظهر استظهاري بالتسليم قصما ويقول المال عدى عند القيم وطبيبي في الاحوال السقيمه وهو نتيجة كدي عند الاقيسة العقيمه ومن استخلصني على شهر في اذا تفاضلت الجواهر وتبينت للحق المظاهر وتعينت المراتب التي يقتعدها على رأى البراهمة النور الاصفهبذى والنور القاهر نخلاص المال طوع يديه وهو كما قال الله تعالى اهون عليه فالاطمها حتى تلين معاطفها واخادعها حتى تلوى اخادعها وأقول قد وقع الوعد وأشرق السعد ولان الجعد وسكن الرعد ولله تعالى الامر من قبل ومن بعد فتحيبني العمر المنام وايام الجاه والقدرة قد يحق لها الاغتنام وهم العاقل الى وقته الحاضر مصروف واذا لم يغير حائط مثل معروف وفي الوقت زبون يرجى به استخلاص الحقوق ويستبعد وقوع العقوق فان رأى مولاى أن يشفع المنه ويقرع بابا ثانيا من أبواب الجنه قبل أن يشغل شاغل أو يكدر الا كل والشرب واش أو واغل أو يشوب للمتعدى نظر في اللجاج أو يدس له ما يحمله على الاحتجاج وأو متسع مناطها فسيح استنباطها كثير هباطها ومباطها فهو تمام صنيعته التي لم ينسج على منوالها الاحرار ولا اهتدت الى حسنتها الابرار ولا عرف بدر مجدها السرار فاليه كان القرار ولله تعالى ثم له خلاص الاضطرار ويستقر تحت دخيله القرار وتطمئن الدار فان ما بشد أبه من عز ضرب على الايدى العادية منه حكم الحكام وقارع الهضاب والا كام على ملا ومجمع وبمرأى من الخلق ومسمع يقتضى اطراد قياس العزة القعساء وسعادة الاصباح والامساء وظهور درجات الرجال على النساء فهو جاه حارت فيه الاوهام وهذه أذياله ومن ركب حقيقة أمرها هان عليه خباله والمال ماله والعيال عياله والوجود سريع زياله والجزاء عند الله تعالى مكياله وعروض المغصوب باقية الاعيان مستقلة الشجر قائمة البنيان تمنع عن شرائها قاعدة الاديان وغيرها من مكيل وموزون بين مأكول ومخزون والكتب ملقاة بالقاع مطروحة بأخبث البقاع فان تأتى الجبر والافالصبر على أن وعد عمادى لا يفارق الانجاز ومكرمته التي طوقها قد بلغت الشام والحجاز وحقيقة الترامه تباين

المجاز وآية مجده تستصحب الاعجاز ولله در ابراهيم بن المهدى يخاطب المأمون لما أكذب فى العفو عنه الظنون

وهبت مالى ولم تبخل على به * وقبل ذلك مالى قد وهبت دمى

وقد كانت هذه المنقبة غريبة فعززتها بأختها الكبرى وفريدة فجئت بأخرى وشفعت وترا أبقاك الله تعالى لتخليد المناقب واعلاء المراتب وجعل أخمص نعلك تاجا للنجم الثاقب وتكفل لك فى النفس والولد بحسن العواقب

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى اضيف اليها ألف آمينا

وأمّا تنبيه سدى على انشاء رزق وتقرير رفد ورفق فلا انبه حاتما وكعبا أن علا قعبا لمن خاض بحرا أو ركب صعبا هذا أمر كفانيه الكافى وداء لو نحز الاشافى اذهبه الشافى والسلام انتهى *(ومن انشاء لسان الدين) رحمه الله تعالى على لسان السلطان قوله هذا ظهير كريم متضمنه استجلاء لامور الرعية واستطلاع ورعاية كرمت منها أجناس وانواع وعدل بهر منه شعاع ووصايا يجب لها اطاع اصدرناه للفقيه فلان لما تقرر لديناديه وعدله وفضله ورأينا انه احق من نقلده الامر الاكيد ونرمى به من اغراض البر الغرض البعيد ونستكشف به احوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شئ من أحوالها ولا يتطرق اليها طارق من أهوالها وينهى الينا الحوادث التى تنشأ فيها انهاء يتكفل بحياطة أبشارها وأموالها وأمرناه أن يتوجه الى جهة كذا حاطها الله تعالى فيجمع الناس فى مساجدهم ويندبهم من مشاهدهم ويبدأ بتقرير غرضنا فى صلاح أحوالهم واحساب أموالهم ومكابدتنا المشقة فى مداراة عدوهم الذى علم من أحواله ما غاب عنهم دفعه الله تعالى بقدرته ووقى نفوسهم وحريمهم من معرته ولما رأينا من انبتات الاسباب التى تؤمل وعجز الحيل التى كانت تعمل ويستدعى انجادهم بالدعاء واخلاصهم فيه الى رب السماء ويسأل عن سيرة القواد وولاة الاحكام بالبلاد فمن نالته مظلمة فليرفعها اليه ويقصها عليه ليبلغها الينا ويوفدها مقررة الموجبات لدينا ويختبر ما افترض صدقة للجبل وما فضل عن كريم ذلك العمل ليعين الى بناء الحصن بجبل فارة يسر الله تعالى لهم فى اتمامه وجعل صدقتهم ذلك مسكة ختامه وغيره مما افترض اعانة للمسافرين وانجاد الجهاد الكافرين فيعلم مقداره ويتولى اختياره حتى لا يجعل منه شئ على ضعيف ولا يعدل به لمشروف عن شريف ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه ولا مخادعة غير المراقب لله ومتى تحقق أن غنيا قصر به عن حقه أو ضعيفا كلف منه فوق طوقه فيجبر الفقير من الغنى ويجرى من العدل على السنن السوى ويعلم الناس أن هذه المعونة وان كانت بالنسبة الى محل ضرورتها يسيره وأن الله تعالى يضاعفها لهم أضعافا كثيره فليست مما يلزم ولا من المعاون التى يتكرر بها بجزم وينظر فى عهود التوفيق فيصرفها فى مصارفها المتبينه وطرقها الواضحة البينه ويتفقد المساجد تفقدا يكسو عاريها ويقيم منها المآرب تتميما يرضى باريها ويندب الناس الى تعليم القرآن لصبيانهم فذلك أصل أديانهم ويحذرهم المغيب

على كل شئ من أعشارهم فالزكاة أخت الصلاة وهما من قواعد الاسلام وقد اخترنا لهم باقصى الجد والاعتزام ورفعنا عنهم رسم التعريف نظرا اليهم بعين الاهتمام وقدمنا الثقات لهذه الاحكام وجعلنا الخوض شرعيا فى هذا العام وفيما بعده ان شاء الله تعالى من الاعوام ومن أهم ما أسندناه اليه وعولنا فيه عليه البحث بتلك الاحواز عن أهل البدع والاهواء والسائرين من السبيل على غير السواء ومن ينبز بفساد العقد وتحريف القصد والتلبس بالصوفية وهو فى الباطن من أهل الفساد والذاهبين الى الاباحة وتاويل المعاد والمؤلفين بين النساء والرجال والمتبعين لمذاهب الضلال فمهما عثر على مطوق بالتهمه منبز بشئ من ذلك من هذه الامه فليشد ثقافه شدا ويسد عنه سبيل الخلاص سدا ويسترع فى شأنه الموجبات ويستوعب الشهادات حتى ينظر فى حسم دائه ويعاجل المرض بدوائه فليتول ماذكرنا نائبا باحسن المناب ويقصد وجه الله تعالى راجيا منه جزيل الثواب ويعمل عمل من لا يخاف فى الله لومة لائم ليجد ذلك فى موقف الحساب وعلى من يقف عليه من القواد والاشياخ والحكام أن يكونوا معه يدا واحدة على ما حررنا فى هذه الفصول من العمل المقبول والعدل المبذول ومن قصر عن غاية من غاياته أو خالف مقتضى من مقتضياته فعقابه عقاب من عصى أمر الله وأمرنا فلا يلم الا نفسه التى غرته والى مصرع النكير جرته والله تعالى المستعان انتهى *(ومن ذلك) ما خاطب به تربة السلطان الكبير أبى الحسن المرينى لما قصدها عقب ما شرع فى جواره وتوسل الى أغراضه بذلك الى ولده رحم الله تعالى الجميع السلام عليك ثم السلام ايها المولى الهمام الذى عرف فضله الاسلام وأوجبت حقه العلماء الاعلام وخفقت بعز نصره الاعلام وتنافست فى انفاذ أمره ونهيه السيوف والاقلام السلام عليك أيها المولى الذى قسم زمانه بين حكم فصل وامضاء نصل واحراز خصل وعبادة قامت من اليقين على أصل السلام عليك يامقرر الصدقات الجاريه ومشبع البطون الجائعة وكاسى الظهور العاريه وقادح زناد العزائم الواريه ومكتب الكتائب الغازيه فى سبيل الله تعالى والسرايا الساريه السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضى والقلب السليم ومفوض الامر فى الشدائد الى السميع العليم ومعمل البنان الطاهر فى اكتتاب الذكر الحكيم كرم الله تعالى تربتك وقدسها وطيب روحك الزكية وآنسها فلقد كنت للدهر جمالا وللاسلام ثمالا وللمستجير مجيرا وللمظلوم وليا ونصيرا لقد كنت للمحارب صدرا وفى المواكب بدرا وللمواهب بحرا وعلى العباد والبلاد ظلالا ظليلا وسترا لقد فرعت أعلام عزك الثنايا واجزلت همتك لملوك الارض الهدايا كانك لم تعرض الجنود ولم تنشر البنود ولم تبسط العدل المحدود ولم توجد الجود ولم تزين الركع السجود فتوسدت الثرى وأطلت الكرى وشربت الكاس التى يشربها الورى وأصبحت ضارع الخد كليل الحد سالكا سنن الاب والجد لم تجد بعد انصرام أجلك الا صالح عملك ولا صحبت لقبرك الا رابح تجرك وما أسلفت من رضاك وصبرك فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك

ويجود بسحاب الرحمة ترابك ويتفعك بصدق اليقين ويجعلك من الائمة المتقين ويعلى درجتك فى عليين ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وليهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك الى نير سعدك وبارق رعدك ومنجز وعدك أرضى ولدك وريحانة خلدك وشقة نفسك والسرحة المباركة من غرسك ونور شمسك وموصل عملك البر الى رمسك فقد ظهر عليه أثر دعواتك فى خلواتك وأعقاب صلواتك فكملتك والمنة لله تعالى باقيه وحسنتك الى محل القبول راقيه يرعى بك الوسيله ويتمم مقاصدك الجميله أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلده وعمر بتقواه يومه وغده وأبعد فى السعد أمده وأطلق بالخير يده وجعل الملائكة أنصاره والاقدار عدده وانى أيها المولى الكريم البر الرحيم لما اشترانى وراشنى وبرانى وتعبدنى باحسانه واستعمل فى استخلاصى خط بنانه ووصية لسانه لم أجد مكافأة الا التقرب اليك واليه بر ثائك واغراء لسانى بتخليد علياتك وتعفير الوجنة فى حرمك والاشادة بعد الممات بجودك وكرمك ففتحت الباب فى هذا الغرض الى القيام بحقك المفترض الذى لولاه لاتصلت الغفلة عن آدائه وتمادت فيبست الالسن ولا كادت متحيرا بالسبق الى أداء هذا الحق بادئا بزيارة قبرك الذى هو رحلة الغرب ما نويته من رحلة الشرق وما أعرضت عنه فلأقطعه اثر مواقع الاستحسان وقد جمع بين الشكر والتنويه والاحسان والله سبحانه يجعله عملا مقبولا ويبلغ فيه من القبول مأمولا ويتغمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمغفرة السنيه والتحيات الطيبه فنعم الملوك الكبار والخلفاء الابرار والائمة الاخيار الذين كرمت منهم السير وحسنت الاخبار وسعد بعزماتهم الجهادية المؤمنون وشقى الكفار وصلوات الله تعالى عودا وبدأ على الرسول الذى اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار وعلى آله وأصحابه الذين هم السادة الابرار وسلم تسليما انتهى * (وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبت به الوزير المتغلب على الملك بالمغرب ما نصه

لا ترج الا الله فى شدة * وثق به فهو الذى أيدك
حاشاك أن ترجو الا الذى * فى ظلمة الاحشاء قد أوجدك
فاشكره بالرحمة فى خلقه * ووجهك ابسط بالرضا أو يدك
والله لا تهمل ألطافه * قلادة الحق الذى قلدك
ما أسعد الملك الذى سسته * يا عمر العدل وما أسعدك

تخص الوزير الذى بهر سعده وحمد فى المضاء قصده وعول على الشيم التى اقتضاها مجده وأورثه اياها أبوه وجده الوزير عمر الكذا ابن الشيخ الكذا أبقاه الله تعالى ثابت القدم خافق العلم شهيرا حديث سعده فى الامم مثلا خبر بسالته وجلالته فى العرب والعجم تحية معظم مجده الكبير المستند الى عهده الوثيق وحسبه الشهير المسرور بما سناه الله تعالى له من نجح التدبير والنصر العديم النظير وانجاده اياه عند اسلام النصير وفراق القبيل والعشير ابن الخطيب والبيد ممدودة الى الله تعالى فى صلة سعد الوزير أبقاه الله تعالى ودوام عصمته واللسان يطنب ويسهب فى شكر نعمته والامل

متعلق

متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته وقد كان شيعه مع الشفقة التي أذابت الفؤاد وألزمت الارق والسهاد على علم بأن عناية الله تعالى عليه عاكفه وديم آلائه لديه واكفه فان الذى أقدره وأيده ونصره وأنفذت مشيئته ما دبره كفيل بامداده ومليّ باسعاده ومرجوّ لاصلاح دنياه ومعاده وفى أثناء هذه الاراجيف استولى على معظم وزارته الجذع وتعاورته الافكار تأخذ وتدع فانى كما يعلم الوزير أعزه الله تعالى منقطع الاسباب مستوحش من الجهة الاندلسية على بعد الجناب ومستعدى على تكونى من المعدودين فيمن له من الخلصاء والاحباب فشرعت فى نظر أحصل منه على زوال اللبس وأمان النفس واللحاق بمامن يرعانى برعى الوزير بخلال ما يدبر الامر من له التدبير فى أثنائه وتمهيد أساس بنائه ورد البشير بما سناه الله تعالى لسيدى وجابر كسرى ومنصفى بفضل الله تعالى من دهرى من الصنع الذى ظهر وراق نوره وبهر فامنت وان لم أكن ممن جنى وحفتنى المسرات بين فرادى ومثنى وانشرح بفضل الله تعالى صدرى وزارتنى النعم والتهانى من حيث أدرى ولا أدرى ووجهت الولد الذى شملته نعمة الوزير واحسانه وسبق اليه امتنانه نائباً عنى فى تقبيل يده وشكر يده والوقوف ببابه والتمسك بأسبابه آثرته بذلك لامور منها المزاولة فيما كان يلزمنى من اخوته الاصاغر وتدريبه على خدمة الجلال الباهر وافرادى له بالبركه ولعائق ضعف عن الحركه وبعد ذلك أشرع بفضل الله تعالى فى العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العليه عارضاً من شأنها ما يكون وفق الامنيه ورب عمل أغنى عنه فضل نيه والسلام الكريم على سيدى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (قال وكتبت اليه أيضا على أثر الفتح الذى تكيف له سيدى الذى أسر بسعادته وظهور عناية الله تعالى به فى ابدائه واعادته وأعلم كرم مجادته واعترف بسيادته الوزير الميمون الطائر الجارى حديث سعده ومضائه مجرى المثل السائر أبقاه الله تعالى عزيز الانصار جارية بيمن نقيبته حركة الفلك الدوار معصوماً من المكاره بعصمة الواحد القهار معظم سيادته الرفيعة الجانب وموقر وزارته الشهيرة المناسب الداعي الى الله تعالى بطول بقائه فى عز واضح المذاهب وصنع واكف السحائب ابن الخطيب عن الذى يعلم سيدى من لسان طلق بالثناء ويد ممدودة الى الله تعالى بالدعاء والتماس لما بعد من جزيل النعماء والفتح الذى تفتح له أبواب السماء وقد اتصل ما سناه الله تعالى له من النصر والظهور والصنع البادى السفور لما التقى الجمعان وتوردت أكؤس الطعان وتبين الشجاع من الجبان وظهر من كرات سيدى وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان حتى كانت الطائلة لحزبه وظهرت عليه عناية ربه فقلت الحمد لله الذى جعل سعد عمادى متصل الآيات واضح الغرر والشيات وقد كنت بعثت أهنئه بما قدم من صنع جميل وبلوغ تأميل فقلت اللهم أفد علينا التهانى تترى واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هى الصغرى واجمع له بين نعم الدنيا والاخرى والناس أبقى الله تعالى سيدى لهم مع الاستبداد الملك جهات وأمور مشتبهات الا المحب المتشيع فجهتك هى

التي آنست الغربه وفرجت الكربه ووعدت بالخير وضمنت عاقبة الضير وانا أرتقب ورود التعريف المولوى على عبيده بهذه المدينة واصل الله تعالى لمباشرتها الهناء وقرة العين بمشاهدة الآلاء والله عزوجل يديم سعادة سيدى ويطيل بقاءه ويرادف قبله نعمه وآلاءه بفضله انتهى *(وقال ومما خاطبت به المذكور وأنا ساكن بسلا

أباعمر العدل الذى مطل المدى * بوعد الهدى حتى وفيت بدينه
ويا صارم الملك الذى يستعده * لدفع عداه أو لحلى زينه
هنت عينك اليقظى من الله عصمة * كفتك وجه دين الله موقع شينه
وهل أنت الا الملك والدين والدنا * ولا يلبس الحق المبين بمينه
اذا نال منك العين طرفا فانما * أصيب به الاسلام فى عين عينه

الوزير الذى هو للدين الوزر الواقى والعلم السامى المراقب والمراقى والحلى المقلد فوق الترائب والتراقى والكنز المؤمل والذخر الباقى حجب الله تعالى العيون عن عين كمالك وصير الفلك الدوار مطية آمالك وجعل اتفاق اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقودا بشمالك اعلم أن مطلق لسان الثناء على مجدك والمستضىء على البعد بنور سعدك ومعقود الرجاء بعروة وعدك لايزال فى كل ساعة يسحب الفلك فيه ذيلها ويعاقب يومها وليلها مصغى الاذن الى نبإ يهدى عنك لله تعالى دفاعا أو عيد فى ميدان سعدك باعا وأنت اليوم النصير على الدهر الظلوم وآسى الكلوم وذو المقام المعلوم فتعرفت أن بعض ماتلاعب به بين أيدى السادة الخدام وتتفكه به المثاقفة والاقدام من كرة مرسلة الشهاب أو نارنجة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب حرمت حول عينك لا كدر صفاؤها ولا هدم فوق مهاد الدعة والامن اغفاؤها فرعت حول حماها ورامت أن تصيب نخيب الله تعالى مرماها

نرى السوء مماتتقى فنهابه * ومالانرى ممايقى الله أكثر

فقلت مكروه أخطأ سهمه وتنبيه من الله تعالى لمن نبل عقله وفهمه ودفاع قام دليله وسعد أشرق جليله وأيام أعربت عن اقبالها وعصمة غطت بسربالها وجوارح جعل الله تعالى الملائكة تحرسها فلا تغتالها الحوادث ولاتفترسها والفطن يشعر بالشىء وان جهل أسبابه والصوفى يسمع من الكون جوابه فبادرت أهنئه تهنئة من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه من جوارحه ويرسل طير الشكر لله تعالى فى مساقط اللطف الخفى ومسارحه وسألته سبحانه أن يجعلك عن النوائب بحرا لايقرب وربعك ربعا لايخرب ماسبح الحوت ودبت العقرب ثم انى شفعت الهناء ووترته وأظهرت السرور فسترته بماسناه التدبير لك من مسالمة تكذب الارجاف وتغنى عن الايجاف وتخصب للابل العجاف وتريح من كيد وتفرغ الى مجادلة عمرو وزيد وكأنى بسعدك قد سدل الامان وعدل الزمان وأصلح الفاسد ونفق الكاسد وقهر الروع المستأسد وسر الحبيب وساء الحاسد والسلام انتهى *(ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى مانخاطب به الرئيس عامر بن محمد بن على الهنتاتى معزيا له عن أخيه عبد العزيز

أبا ثابت كن فى الشدائد ثابتا • أعيذك أن يلقى حسودك شامتا
عزاؤك عن عبد العزيز هو الذى • يليق بعز منك أعجز ناعتا
فقد وحتك الغناء طالت ذوائبا • وسرحتك الشماء طابت منابتا
لقد هد أركان الوجود مصابه • وأنطق منه الشجو من كان صامتا
فمن نفس حرا وثق الحزن كظمها • ومن نفس بالوجد أصبح خافتا
هو الموت للانسان فصل لحده • وكيف ترجى أن تصاحب مائتا
وللصبر أولى أن يكون رجوعنا • اذا لم نكن بالحزن نرجع فائتا

اتصل بى أيها الهمام وبدر المجد الذى لا يفارقه التمام ما جنته على علياك الايام واقتنصه محلق الردى بعد أن طال الحيام وما استأثر به الحمام فلم يغن الدفاع ولا نفع الذمام من وفاة صنوك المكريم الصفات وهلال وسطى الاسلاك وبدر الاحلاك ومجير الاملاك وذهاب السمح الوهاب وأما الديغ صل الفراق الذى لا يفيق بالفراق وجريح سهم البين ومجارى العيون الجارية بدمع العين لنقد أيس سهل على مضض النكبه ونحى ليث الخطب عن فريستى بعد صدق الوثبه وآنسنى فى الاغتراب وصحبنى الى منقطع التراب وكفل أصاغرى خير الكفاله وعاملنى من حسن العشرة بما جعل عقد الوكاله انتزعه الدهر من يدى حيث لا أهل ولا وطن والاغتراب قد ألقى بعطن وذات اليد يعلم حالها من يعلم ما ظهر وما بطن ورأيت من تطارح الاصاغر على شلو الغريب النازح عن الذيب والقريب ما حملنى على أن جعلت البيت له ضريحا ومدفنا صريحا لا يخدع من يرى انه لم يزل مقيما لديه وأن ظل شفقته منسحب عليه فأعيا مصابى عند ذلك القرح وأعظم الظمأ البرح ونكا القرح القرح اذ كان ركنا قد بنته لى يد معرفتك ومتصفا فى البر بى والرعى لصاغيتى بكريم صفتك فو الهفا عليه من حسام وعزسام وأياد جسام وشهرة بين بنى حام وسام أى جمال خاق ووجه للقاصد طلق وشيم تطمح للمعالى بحق وأى عضد لك يا سيدى لا يهين اذا سطا ولا يقهر اذا خطا يوجب لك على تحابيه بالشيبه ما توجبه البنوة من الهيبه ويرد ضيفك آمنا من الخيبه ويسد ثغرك عند الغيبه ذهبت الى الجذع فرأيت مصابه أكبر ودعوت بالصبر فولى وأدبر واستجدت الدمع فنضب واستصرخت الرجاء فانكر ما روى واقتضب وبأى حزن يلقى عبد العزيز وقد جل فقده أو يطلى لا يجه وقد عظم وقده اللهم لو بكى بندى أياديه أو بغمائم غواديه أو بعباب واديه وهى الايام أى شامخ لم تهده أو جديد لم تبله وان طالت المده فرقت بين التيجان والمفارق والخدود والنمارق والطلى والمعقود والكاس وابنة العنقود فما التعالل بالاسان وانما هى اغفاءة أجفان والتشبث بالحبائل وانما هو ظل زائل والصبر على المصائب ووقوع سهمها الصائب أولى ما اعتمد طلابا ورجع اليه طوعا أو غلابا فانا يا سيدى أقيم رسم التعزيه وان بؤت بضاعف المرزيه ولا عتب على القدر فى الورد من الامر والصدر ولولا أن هذا الواقع مما لا يجدى فيه الخلصان ولا يغنى فيه اليراع ولا الخرصان لابلى جده من اقترضتموه معروفا وكان بالتشييع الى

تلك الوضيئة معروفا لكنها سوق لا ينفق فيها الا سلعة التسليم للحكيم العليم وطى الجوانح على المضض الاليم ولعمرى لقد خلدت لهذا الفقيد وان طمس الحمام محاسنه الوضاحه لما كبس منه الساحه صحفا منشره وثغورا بالحمد موشره يفخر بها بنوه ويستكثر بها مكتسب الحمد ومقتنوه وأنتم عماد البازه وعلم المفازه وقطب المدار وعامر الدار وأسد الاجمه وبطل الكتيبة المحجمه وكافل البيت والستر على الحى والميت ومثلك لا يهدى الى نهج لاحب ولا ترشده نار الحباحب ولا ينبه على سنن نبى كريم أو صاحب قدرك أعلى وفضلك أجلى وأنت صدر الزمان بلا مدافع وخير معل لاعلام الفضل ورافع وانا وان أخرت فرض بيعتك لما خصنى من المصاب ونالنى من الاوصاب ونزل بى من جور الزمان الغصاب ممن يقبل عذره الكرم ويسعه الحرم المحترم والله سبحانه الكفيل لسيدى وعمادى ببقاء يكمل به الابناء وابناء الابناء ويعلى لقومه رتب العز سامية البناء حتى لا يوحش مكان فقيد مع وجوده ولا يحس بعض زمان مع جوده ويقر عينه فى ولده وولد ولده ويجمل أيدى مناويه تحت يده والسلام * (وخاطبه لسان الدين أيضا بما نصه سيدى الذى هو رحل المغرب كله والمجمع على طهارة بيته وزكاء أصله علم أهل المجد والدين وبقية كبار الموحدين بعد السلام الذى لتلك الجلالة الراسخة القواعد السامية المصاعد والدعاء الله أن يفتح لك فى مضيقات هذه الاحوال مسالك التوفيق ويمسكك من عصمته بالسبب الوثيق أعزك ان حبلك اليوم وقد عظم الرجفان وفاض التنور وطمى الطوفان توقى النفوس الغرقى جودى جوده وتغتبط غاية الاغتباط بوجوده ووالله لولا العلائق التى يجب لها الالتزام ماوقع على غير قصدك الاعتزام والله تعالى يمد لنا باعانته على تحمل القصاد ويبقى محلك رفيع العماد كثير الرماد ويجعل أبا يحيى خلفا منك بعد عمر النهاية البعيدة الآماد ويبقى كلمة التوحيد فيكم الى يوم التناد وحامله القائد الكذا معروف البسالة والجهاد ومحله لا ينكر فى الفؤاد لما استبهمت السبل والتبس القول والعمل لم يجد أنجى من الركون الى جنابك والتمسك بأسبابك والانتظام فى جملة خواصك وأحبابك حتى ينبلج الصبح ويظهر النجح ويعظم المنح ويكون بعد هجرته الفتح ومثلكم من قصد وأمل وأنضى اليه المطا وأعمل وأما الذى عندى من القيام بحق تلك الذات الشريفه والقول بمناقبها المنيفه فهو شئ لا تفى به العباره ولا تؤديه الالفاظ المستعاره والله تعالى المسؤل فى صلة عز سيدى ودوام سعده والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ومما خاطبت به شيخ الدولة وقد استقل من مرض مانصه

لا أعدم الله دار الملك منك سنى * يجلى به الحالكان الظلم والظلم
وأنشدتك الليالى وهى صادقة * الجد عرفى اذ عوفيت والكرم

من علم أعلى الله تعالى قدرك أن الجد جواد حلاك شبابه لا بل الملك بدر أنت آياته لا بل الاسلام جسم أنت حياته دعا منك بالبقاء لجديروق بك جبينه ومعك نميره وتزينه

والدين تعاملي الله تعالى باعزازه وتدينه فلقد ألمت نفوس المؤمنين لآلامك ووجم الاسلام لتوقع اسلامك وتأخرت الاعلام لتأخر اطرافك بمصالح الملك واعلامك فانما آمال الدين والدنيا متشبثة بأذيال أيامك ورحال الامل محطوطة بين ظلالك وخيامك فاذا قابلت الاشراف نعم الله تعالى بشكر ورمت الغفلة عن ذلك بنكر فاشكره جل وعلا بملء لسانك وجنانك واجر في ميدان حمده مطلق أعنة عنانك على ما طوقك من استرقاق حر وافاضة ايادي غر واتساء مسعد من الجدود در واتاحة نفع ودفع ضر وادالة حلو من مر وكر على ثقة من مدافعة الله تعالى عن حمالك وعز تبلغ ذوائبه السماك ورزق يجره قال منتهاك ودونك مجالس الامامة فقد تديره بزمامك وحظوة الخلافة فاستحقها بوسائلك البديعة وذمامك ومحاسن الدولة فاجلها على منصة أمامك ورسوم البر فاغربها عين اهتمامك وذروة المنبر فامض بها طبة حسامك وأجز الآمل من زهر الايادي البيض من كمائم أكمامك فيا عز دولة بك يا جملة الكمال قد استظهرت وأذلت المعاند وقهرت وباعمال آرائك اشتهرت فراقت فضائلها وبهرت بجزالة كاشق الجو جارح ولطافة كما طارح به التأليف مطارح وفكر في الغيب سارح ودين لغوامض الحلم والعدل شارح ومكارم محت آثار الكرماء ونسخت وحلت عقود أخبار الاجواد في الاعصار وفسخت فلم تدع لفضل الفضل ذكرا وتركت معروف يحيى بن خالد نكرا لا بل لم يبق لكعب من علو كعب وأنست دعوة حاتم بأي ماح وحاتم فصارت سبي جوار ومنع جوار وعقر نابه عند اقشعرار حبائه وأين يقع من كبر قدره ترفع عن الكبر وجود خضب الايدي بحناء التبر وعز استخدم الاسل الطوال بيراع أقل من الشبر وحقن الدماء المراقة باراقة نجيع الحبر وفلك العقال ورفع النوب الثقال وراعى الذرة والمثقال وعثر الزمان فاقال ووجد لسان الصدق فقال أقسم ببارئ النسم وهو أبر القسم ما فازت بمثلك الدول ولا ظفرت بمثلك الملوك الاواخر والاول ولو تقدمت لم يضرب الابك المثل ولم يقع الاعلى سنتك وكتابك والاجماع المنعقد على آدابك العمل والمملوك لما شام مالكه برق العافيه وتدرع بالالطاف الخافيه كتب مبشرا بالهناء ومذيعا ما يجب من الحمد والثناء وشاكرا ما له بوجوده من الاعتناء فقد بادر ركن الدين بالبناء وأبقى الستر والمنة على الآباء والابناء فنسأل الله تعالى أن يمتع منك بأمير الملوك ووسطى السلوك وسلالة أرباب المقامات والسلوك ويبقيك وجنة الصحة وافره وعزة العزة القعساء سافره وغادة عادة السعادة غير نافره وكتيبة الامل في مقامك السعيد غانمة ظافره ما زحفت للصباح شهب المواكب وتفتحت بشط نهر المجرة ازهار الكواكب والسلام انتهى

*(ومن ذلك ما خاطب به سيدي أبا عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه وقد استقر خطيب السلطان بتونس

ولما أن نأت منكم ديار * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لانظركم بشيء مثل عيني

بم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي كيف أهدي سلاما فلا أحذر ملاما أم أتخب لك

كلاما فلا أحد ابدعه النقصير في حقك الكبير الا ما ان قلت تحية كسرى في الثناء وتبع فكلامة في مربع الجسمة تربع ولها المصيف فيه والمربع والجسيم والمتبع فتروى متى شاءت وتشبع وان قلت اذا العارض خطر ومهما همى أو قطر سلام الله يا مطر فهو في الشريعة بطر وركبه خطر ولا يرعى به وطن ولا يقضى به وطر وانما العرق الاوشج ولا يستوى البان والبنفسج والعوسج والعرفج

سلام وتسليم وروح ورحمة ❊ عليك وممدود من الظل سجسج

وما كان فضلك ليمنعني الكفران أن أشكره ولا لينسيني الشيطان أن أذكره فأتخذ في البحر سربا أو أسلك غير الوفاء مذهبا تأبى ذلك والمنة لله تعالى طباع لها في مجال الرعي باع وتحقيق واشباع وسوائم من الانصاف ترعى في رياض الاعتراف فلا يطرقها ارتياع ولا تخيفها اسباع وكيف تجحد تلك الحقوق وهي شمس ظهيره وأذان عقيرة جهيرة فوق مئذنة شهيرة أدت الاكاد لها ديون تستغرق الذمم وتسترق حتى الرمم فان قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرتضيها ولا نقنع من عامل الدهر المساعد الا أن ينفذ مراسمها ويمضيها وان قطع الاجل فالغني الحميد من خزائنه التي لا تبيد يقضيها ويرضي من يقتضيها وحيا الله تعالى أيها العلم السامي الجلال زمنا بمعرفتك المبرة الى الآمال بر وأتحف وان اساء بفراقك وأجحف وأعرى بعد ما ألحف وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزائن ثم أوحش منها أسونة هذه الخزائن فآب حنين الامل بخفيه وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات ونستهديه دليلا في مثل هذه الفلوات وأي ذنب في الفراق للزمن أو لغراب الدمن أو للرواحل المدلجة ما بين الشام الى اليمن وما منهم الا عبد مقهور وفي رقبة القدر مبهور عقدوا الحمد لله مشهور وحجة لها على النفس اللوامة ظهور جعلنا الله تعالى ممن ذكر المسبب في الاسباب وتذكر وما يذكر الا أولو الالباب قبل غلق الرهن وسد الباب وبالجملة فالفراق ذاتي ووعد ماتي فان لم يكن فكأن قد ما أقرب اليوم من الغد والمرء في الوجود غريب وكل آت قريب وما من مقام الا زيال من غير احتيال والاعمار مراحل والايام أميال شعر

نصيدك في حياتك من حبيب ❊ نصيبك في منامك من خيال

جعل الله تعالى الادب مع الحق شاننا وأبعد عنا الفراق الذي شاننا واني لاسر لسيدي بان رعى الله تعالى صالح سلفه وتداركه بالتلافي في تلفه وخلص سعادته من كلفه وله من الامر في كنفه وعلى قدرها تصاب العلياء واشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء هذا والخير والشر في هذه الدار الموسسة على الاكدار ظلان مضمحلان فقد ارتفع ما ضر أو نفع وفارق المكان فكأنه ما كان ومن كلمات الملوك البعيدة عن الشكوك الى أن يشاء ملك الملوك

خذ من زمانك ما تيسر ❊ واترك بجهدك ما تعسر

ولرب مجمل حالة ❊ ترضى به ما لم يفسر

والدهر ليس بدائم ❊ لا بد أن سيسوء ان سر

واكتم حديثك جاهدا * شمت المحدث أو تحسر
والناس آنية الزجا * ج اذا عثرت به تكسر
لاتعدم التقوى فمن * عدم التقى فى الناس أعسر
واذا امرؤ خسر الاله فليس خلق منه أخسر

وان الله تعالى فى رعيك اسرته ولطفا مستقرا مستقرا اذ ألقاك اليم الى الساحل فاخذ بيدك من ورطة الواحل وحرك منك عزيمة الراحل الى الملك الحلاحل فادالك من ابراهيمك سميا وعرفك بعد الولى وسميا ونقلك من عناية الى عنايه وهو الذى يقول وقوله الحق ماننسخ من آية الآيه وقد وصل كتاب سيدى يحمد ولله الحمد العواقب ويصف المراقى التى حلها والمراقب وينشر المفاخر المفصية والمناقب ويذكر ماهيأ الله تعالى لديها من اقبال ورخاء بال خصوصى اشتمال ونشوة آمال وانه اغتبط وارتبط وألقى العصا بعدما خبط ومثل تلك الخلافة العلية من تزن الذوات المخصوصة من الله تعالى بتشريف الادوات بميزان تميزها وتفرق بين شبه المعادن وابريزها وشبه الشئ مثل معروف ولقد أخطأ من قال الناس ظروف انما هم شجرات مربع فى بقعة ماحله وابل مائة لاتجد فيها راحله وماهو الا اتفاق ونجح للملك واحقاق وقلما كذب اجماع واصفاق والجليس الصالح لرب سياسة أمل مطلوب وحظ اليه مجلوب وان سئل أطرف وعمر الوقت ببضاعة اشرف وسرق الطباع ومد فى الحسنات الباع وسلى فى الخطوب وأضحك فى اليوم القطوب وهدى الى اقوم الطرق وأعان على نوائب الحق وزرع له المودة فى قلوب الخلق زاد الله تعالى سيدى لديها قربا وأثرا وجعل فيه للجميع خيرا كثيرا بفضله وكرمه ولعلى بأنه أبقاه الله تعالى يقبل نصحى ولا يرتاب فى صدق صبحى أغبطه بمثواه وأنشده ماحضر من البديهة فى مسارة هداه ونجواه

بمقام ابراهيم عذواصرف به * فكرا لورق عن بواعث تنبرى
لجواره حرم وأنت حمامة * ورقاء والاغصان عود المنبر
فلقد أمنت من الزمان وريبه * وهو المروع للمسىء وللبرى

وان تشوف سيدى فاعمر وليه لو كان المطلوب دينا الوجب وقوع الاجتزاء ولاغتبط بما تحصل فى هذه الجزور المبيعة فى حانوت الزور من السهام الوافرة الاجزاء فالسلطان رعاه الله تعالى يوجب مافوق مزية التعليم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم وترك لما بالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم ولا ينكر ذلك فى الحديث ولا فى القديم لكن النفس منصرفة عن هذا الغرض نافضة يدها من العرض قد فوقت الحاصل ووصلت فى الله تعالى القاطع وقطعت الواصل وصدقت لما نصح الفود الناصل وتأهبت للقاء الحمام الواصل وقلت

انظر خضاب الشيب قد نصلا * وزائر الانس بعده انفصلا

ومطلبي والذي كلفت به * حاولت تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف ولا عمل * ونحن في ذا الموت قد وصلا

والوقت الى الامداد منكم بالدعاء في الاصائل والاسحار الى مقبل العثار شديد الافتقار والله عز وجل يصل لسيدي رعي جوانبه ويتولى تيسير آماله من فضله العميم ومآربه واقرأ عليه من التحيات المحلة من فوق رحال الاريحيات أزكاها ما أوجع البرق الغمائم فأبكاها وحسد الروض جمال النجوم الزواهر فقاسها بمباسم الازهار وحكاها واضطرم هرم الليل عند الميل عصا الجوزاء وتوكاها ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) ابن مرزوق المذكور قوله سيدي وعمادي كشف قناع النصيحة من وظائف صديق أو خديم اصيق وأنا بكلتا الجهتين حقيق ويتلجلج في صدري كلام الجالي نفثه ذواستياج ولو في سبيل هياج وخرق سياج وخوض دياج وقد أصبحت سعادتي عن أصل سعادتك فرعا فوجب النصح طبعا وشرعا فليعلم سيدي أن الجاه ورطه والاستغراق في تيار الدول غلطه وعمدار العلو الآن بقي الله تعالى تكون السقطه وانه والله تعالى يعصمه من الحوادث ويقيه من الخطوب الكوارث وان تبعه الجمع فهو متفرد وبسهام الحسدة مقصد وان الذي يقبل يده يفضم حسده ومأمن يوم الاوالعلل تستشري والحيل تربش وتبري وعموم المكايد تسري والعين الساهرة تطرق العين النائمة من حيث تدري ولا تدري وهذا الباب الكريم مخصوص بالزيارة والبركه وخصوصا في مثل هذه الحركه فثم ظواهر تخالف السرائر وحيل تصيب في الجو الطائر وما عسى أن يتحفظ المحسود وقد عوت الكلاب وزأرت الاسود وان ظن سيدي أن الخطة الدينية تذب عن نفسها أو تنفع مع غير جنسها فقياس غير صحيح وهبوب ريح والعلى درجة فوق الوزارة والحجابه ودهر يدعي فيبادر بالاجابه وجاه يجرّ على القبيل الاذيال ويفسد العز والمال ويجر هالي وصدور تحمل الجبال وان قطع بالامان من جهة السلطان لم يؤمن أن يقع فيه والله سبحانه يقيه ويمتع به ويبقيه ما البشر بصدده والحي يجري الى أمده فيستظهر الغير بقبيل ويجري من التغلب على سبيل ويبقى سيدي والله تعالى يعصمه طائرا بلا جناح ومحاربا دون سلاح ينادي من مكان بعيد ودّه في طلل ويقرع سن النادم والامر جلل ومثله بين غير صنفه ممن لا يتصف بظرفه ولا يلتفت الى الانسانية بطرف ولا يعبد الله تعالى ولو على حرف محمول عليه من حيث الصنفيه متعمد بالعداوة الخفيه وان ظن غير هذا فهو مخدوع مسحور ومفتون مغرور وبالفكر في الخلاص تفاضلت النفوس واستدفع البوس وله وجوه كلها متعذر الحصول دونه بيض النصول والا ما كان من الغرض الذي بان فيه بعد الجد الفتور وعدل عنه وقد أخذ الدستور وتيسرت الامور وتقررت الايمان والنذور فانه عرض قريب وسفر قاصد ومسعى لا ينفق فيه سيدي من المال درهم واحد ووطن لحركته راصد لا يمنع عليه اهله ولا يستصعب سهله وأميره جبره الله تعالى يتطارح في تعيينكم لاقتضائه واحكام

آرائه وتأمين خائفه واستقدام أصنافه وطوائفه ويحركون حركة العز والتنويه والقدر النبيه لا يعوزكم من وراءكم مطلب ولا يلوي عن مخالفتكم مذهب ولا يكدر لكم مشرب وتمر أيام وشهور وتظهر بطون للدهر وظهور وتفتح أبواب وتسبب أسباب من رجوع يتأتى بعد السكون والفتور وقد سكنت الخواطر وتنوعت الامور أو مقام تمهد به البلاد ويعمل في ترتيب الصلة الحسنة الاجتهاد وتستغرق في هذا الغرض الآماد ويتأتى ان حدث وتراكم حادث الاستقلال والاستبداد تنهتا فيه الاعمار ويكون لمن ينتقل به على الشرق والغرب الخيار أو التحكم في ذخيرة سما منها المقدار وذهل عند مشاهدتها الاعتبار وخزانة الكتب بجملتها وفيها الامهات الكبار قد تجافت عنها الحاجة وعدم اليها الاضطرار والربع الذي يسوغ بالشرع والعقار فهذا كله حاصل وثم ضامن لاتيهم وكافل وعهود صبغها غير ناصل وبالجملة فالوطن لاغراض الملك جامع ولمقاصده من المقام او الانتقال مطيع وسامع وان توقع اثارة فتنة أو ارتكاب احنة فالامر أقرب وحالة التيسير أغرب وهذه الجهة في تلمسان غير معتبرة وأجوبتها مقررة وقدوم رسول الطاغية واعانته تحصل في الغالب على هذه المطالب وبالجملة فالدنيا قد اختلت والاقدام قد زلت والاموال قد قلت وشيمة الدهر وات وذلك القطر على علاته أحكم لمن يروم الجاه وأمنع وأجدى بكل اعتبار وأنفع وقد حضرت لاستخلاصكم اياه الآلة التي لا تتأتى في كل زمان وتهيأ امكانه أي امكان واقتضيت أيمان وعرضت سلع تقل لها اثمان وارتهنت الوفاء مروآت وأديان وتحقق بذلك القطر الفساد الذي اشتهر به مأموره وأميره والمنكر الذي يجب على كل مسلم تغييره فان شئت شرعا فالحكم ظاهر أو طبعا فالطبع حاضر وما ثم عاذل بل عاذر والمؤنة التي تلزم أقل من أن تكون ثمن بعض الحصون فضلا عن الشجرة ذات الغصون وما يستهلك في هذا الغرض شيء له خطر ولا يستنفذ من الصحيفة سطر واليد محكمة بكل أو شطر وما يخص المملوك من هذا الامر الا استنقاذ نشب واستخلاص مؤمل بين موروث ومكتسب وبعد أن لا ينفرد في زمن من الازمان مملوك في كل وقت وأعيان ومروآت وأحساب وأديان والله سبحانه كل يوم هو في شان وأما خدمة دولة فهي علي حرام لا ينجح لي فيها ان أعتمدها مرام وكاني بالمشرق لاحق ولا نفاسه الزكية ناشق فما هي الا أطماع سرابها لماع فاذا انقطعت انفسحت الدنيا واتسعت ومعاش في غمار أو عكوف في كسر دار لمداومة استقالة واستغفار والله ما توهم أن من تلك البلاد يستنسر بغاثه عليكم أو يحتقر ما لديكم فقد ظهر الكائن وتطابق المخبر والمعاين فسبحان من يقوي الضعيف ويهين المخيف ويجري يد المشروف والشريف والهم بيد الله تعالى ينجدها ويخذلها والارض في قبضته يرعاها ويهملها هذا بث لا يسع افشاؤه وسر ان لم يطو سقط به على السرحان شاؤه وفيه ما ينكره الآمر وتتعلق به الظنون وتعمل الخواطر فتدبروه واعتبروه وبعقلكم فاسبروه ثم غطوه بالاحراق واستروه والله تعالى يرشدكم للتي هي أسعد ويحملكم على ما فيه لكم العز السرمد

قوله تنهتا فيه هكذا في نسخة وهو ساقط في النسخة الاخرى ولعله محرف عن تهافت أو غيره مما يناسب المقام وقوله ويكون لمن ينتقل الخ في نسخة ويكون على من ينتقل وكذلك قوله بعد ذلك والربع الخ موجود في نسخة ساقط من الاخرى فلينظر ذلك كله ويحرر اه مصححه

والفخر الذى لا ينفد والسلام انتهى *(وقال) رحمه الله تعالى ومما صدر عنى ما اجبت به عن كتاب بعث به الى الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان أبى عبد الله محمد بن يوسف القيسى الثغرى

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدره المكنون
ماشئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالممنون
أوشئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة أم يحيي أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

ماهذا النشر والصف والحشر واللف والنشر والفجر والليالى العشر شذا كما تنفست دارين وسطور رقم خلالها التزيين وبيان قام على ابداعه البرهان المبين ونقس وشى به طرس لجباه كأنه العيون العين لا بل ماهذه الكتائب الكتيبة التى أطلقت علينا الاعنه وأشرعت الينا الاسنه وراعت الانس والجنه فأقسم بالرحمن لولا انها رفعت شعار الامان وحيت بتحية الايمان لراعت السرب وعاقت الذود أن يرد الشرب أظنها مدد الجهاد قدم وشارد العرب استعمل فى سبيل الله واستخدم والمتأخر على مافاته ندم والعزم وجد بعد ماعدم نستغفر الله انما هى رقاع الرقاع وصلات صلاة ليس فيها سبق ولا ارقاع وبقاع لها بطل الطباع الكريمة انتفاع وألحان بيان يعضدها ايقاع ودر منسوق ورطب لفظها بسوق ولله در القائل الملاسوق ومن نصر الشيخ على كتيبة تعقبها كتيبه واقتضاء وجيبة من ذى غلة غير نجيبه بيناهو يكابد من مراجعة الحى من حضرموت الموت ولا يكاد يرجع الصوت اذ صبحته قيس وهى التى شذت عن القياس وأحجمت عن مبارزتها أسود الاخياس فلولا امتثال أمر وصبر على جمر لاعاد ماحكى فى مبارزة الوصى عن عمرو فحرج من الحطل وبين عذر المكره عن مناجزة البطل ألم يدر فاندر عيلها وزائر غيلها انى أمت بذمة من عميده لا تخفر وان ذنب اضافتى اليه لا يغفر وحقه الحق الذى لا يجحد ولا يكفر

لما رأت راية القيسى زاحفة * الى ريعت وقالت لى وما العمل
قلت الوغى ليس من رأيى ولا عملى * لاناقة لى فى هذا ولا جمل
قد كان ذا الوزنات الصهيل ضحى * تهز عطفى كأنى شارب ثمل
والآن قد صوح المرعى وقيضت السخيمات والركب بعد اللبث محتمل
قالت ألست شهاب الدين تضرمها * حاشى العلا أن يقال استنوق الجمل
وان أحسن من هذا وذا وزر * بمثله فى الدواهى يبلغ الامل
هو الحمى لابى حمو واسرته ففيه الامن منسدل والفضل مكتمل
والله لو أعمل الراعى النقاد به * ماخاف من أسد خفان به همل
تكون من قوم موسى ان قضوا عدلوا * وان تقاعد دهر جائر حملوا
هم الجبال الرواسى كلما حكموا * هم البحار الطوامى كلما جادوا

فقلت

فقلت كان الله الرحمن بعدي ما * سواه معتمد والرأي معتقل
فها أنا تحت ظل منه يلحفني * والشمل مني بستر العز يشتمل
فقل لقيس لقد خاب القياس فلا * تذكر المصاع وتحت الليل فاحتملوا
دامت لديم النعمى مساجلة * عناه تنهمل اليمنى فتنهمل
وآمنت شمس علياه الافول الى * طي الوجود فلا شمس ولا حمل

ولو شئوى والعوذ بالله شيم هذا المتات ولم يتصف السبب وحاشاه بالاتصال ولا بالانبتات فرعى العدل مكفول وسبب الرفق موصول وان اشتجرت نصول والهرم تأبى الابطال التنزل الى نزاله والناسك التائب يدين ضرب الغارات باعتزاله الامن أعرق في مذهب الخارجي الاخرق نافع بن الازرق وحسبي وقد ساء كسبي أن أترك الخطر لراكبه وأخلي الطريق لمن يبتغي المناربه ونسير بسير أمثالي من الضعفاء وتنكف نهو زمان الانكفاء ونسلم مخطوبة هذا الفن الى الاكفاء ونقول بالبنين والرفاء فقد ذهب الزمن المذهب وتبين المذهب وشاخ البازي الاشهب وعناد العمر ينهب ومرهب الفوت من فوق الفود يرهب اللهم ألهم هذه الانفس رشدها واذكرها السكرات وما بعدها ايه أخي والفضل وصفك ونعتك والزيف يبهرجه بحثك وسهام البراعة انفرد بها بريك ونحتك وصلتني رسالتك البره بل غمامتك الثره وحيتني ثغور فضلك المفتره فعظمت بورودها المسره جددت العهد بحبوب لقائك وانهلت ظامي الاستطلاع من سقائك واقتضت تجديد الدعاء ببقائك الا انها رماذهلت عند وداعك وأبهر عقلها مانور ابداعك فلم تلقن الوصيه وسلكت المسالك القصيه وابعدت من التطوف وجاءت تبتغي من أسرار التصوف ومتى تقرن هيبة السبع الشداد بحانوت الحداد أو تنظر أحكام الاعتكاف بدكان الاسكاف أو يتعلم طبع المثقال بحانوت البقال والظن للغالب وقد تلتبس المطالب انكم أمرتموها لما أصدرتموها باعمال التشوف فطردت حكم الابدال غائبة عما يلزم من الجدال وسمت الشين صادا وعينت لزرع الوصية حصادا والله تعالى يجعل الحب عند ظن من نظر بمرآته أو وصفه ببعض صفاته وهي تزلق عن صفاته فالتصوف أشرف وظلاله أورف من أن ينال كاف بباطل ومغرور بسراب ماطل لا رباب هاطل ومفتون بحال حال أو عاطل ومن قال ولم يتصف بمقاله نعقله لم يرم عن عقاله وجبال أثقاله مانعة له عن انتقاله وعلى ذلك وبعد تقرير هذه المسالك فقد عمرت يدها كيلا تعودها صفرا بعد اعمال السفر أو ترى انها قد طولبت بذنب الغلط المغتفر وأصحبت المراجعة بمجلس وعظ فتحت به باب الخروج الى انكار الامام أبي الفرج وفن الوعظ لما سأل الاخ هو الصديق المسعد والمبرق قبل غمام رحمته والمرعد ولله در القائل لست به ولم تبعد والاعتراض بعد ملازم لكن الاسعاف لقصده لازم وعامله عند الاعتلال بالعذر جازم واغضاؤه ملتمس وفضله لا يخبو منه قبس وعذرا أيها الفاضل وبعد الاعتذار عن القلم المهذار واغفال الحذار اقرأ عليهم من طيب السلام ما يخجل ازهار الكمام عقب الغمام

ورحمة الله تعالى ممن يمليه على الكاتب ولعلها تفتؤ من عتب العاتب ابن الخطيب فانى كتبته والليل دامس وبحر الظلام طامس وعادة الكسل طبع خامس والنافخ بشكوى البرد هامس والذبال المتادم خافت لا يهتدى اليه الفراش المتهافت يقوم ويقعد ويفيق ثم يرعد ويزفر ثم يخمد وربما صار ورقة آس أو مبضع آس وربما اشبه العاشق فى البوح بما يخفيه وظهوره من فيه فتميله الآمال وتلويه وتميته النواسم الهفافة بعدما تحييه والمطر قد تعذر معه الوطر وسائله الخطر وفعل فى البيوت المتداعية ما لا تفعل الترك والططر والنشاط قد طوى منه البساط والجوارح بالكلال تعتذر ووظائف الغد تنتظر والفكر فى الامور السلطانية جائل وهى بحر هائل ومثلى مقنوع منه باليسير ومعذور فى قصر الباع وضعف المسير والسلام انتهى وهى من البلاغة فى الذروة ٥ (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) قوله ومما صدر عنى فى السياسة حديث من امتاز باعتبار الاخبار وحاز درجة الاشتهار بنقل حوادث الليل والنهار وولج بين الكمائم والازهار وتلطف بخجل الورد من تبسم النهار (قال) سهر الرشيد ليلة وقد مال فى هجر النبيذ ميله وجهد ندماؤه فى جلب راحته والمام النوم بساحته فشحت عهادهم ولم يغن اجتهادهم فقال اذهبوا الى طرق سماها ورسمها وأمّهات قسمها فمن عثرتم عليه من طارق ليل أو غثاء سيل أو ساحب ذيل فبلغوه والامنة سوّغوه واستدعوه ولا تدعوه فطاروا عجالى وتفرقوا ركبانا ورجالا فلم يكن الا ارتداد طرف أو فواق حرف وأتوا بالغنيمة التى اكتسبوها والبضاعة التى رجحوها يتوسطهم الاشعث الاغبر واللج الذى لا يعبر شيخ طويل القامه ظاهر الاستقامه سبلته مشمطه وعلى أنفه من القبح مطه وعليه ثوب مرقوع لطير الخرق عليه وقوع ينبئ بذكر مسموع وينبئ عن وقت مجموع فلما مثل سلم وما نبس بعدها ولا تكلم فأشار اليه الملك فقعد بعد أن انشمر وابتعد وجلس فما استرق النظر ولا اختلس انما حركة فكره معقودة بزمام ذكره ولحظات اعتباره فى تفاصيل أخباره فابتدره الرشيد سائلا وانحرف اليه مائلا وقال ممن الرجل فقال فارسىّ الاصل أعجمىّ الجنس عربىّ الفصل قال بلدك وأهلك وولدك قال أمّا الولد فولد الديوان وأمّا البلد فمدينة الايوان قال النحله وما أعملت اليه الرحله قال أمّا الرحلة فالاعتبار وأمّا النحلة فالامر الكبار قال فنسك الذى اشتمل عليه دنك فقال الحكمة فى الذى جعلته أثيرا وأضجعت فيه فراشا وثيرا وسبحان الذى يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما سوى ذلك فتبع ولى فيه مصطاف ومرتبع قال فتعاضد جذل الرشيد وتوفر كأنما أغشى وجهه قطعة من الصبح اذا أسفر وقال ما رأيت كالليلة أجمع لامل شارد وأنعم بمؤانسة وارد يا هذا انى سائلك وان تخيب بعد وسائلك فأخبرنى ما عندك فى هذا الامر الذى بلينا بحمل أعبائه ومنينا بمراوضة ابائه فقال هذا الامر قلادة ثقيله ومن خطة العجز مستقيله ومفتقرة لسعة الذرع وربط السياسة المدنية بالشرع يفسده الحكم فى غير محله ويكون ذريعة الى حله ويصلحه مقابلة الشكل بشكله

ومن

ومن لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع الى أكله فقال الملك أجملت ففصل وبريت فنصل وكانت فاوصل وانثر الحب لمن يحوصل واقسم السياسة فنونا واجعل لكل لقب قانونا وأبدأ بالرعيه وشروطها المرعيه (فقال) رعيتك ودائع الله تعالى قبلك ومرآة العدل الذى عليه جبلك ولا تصل الى ضبطهم الا باعانة الله تعالى التى وهب لك وأفضل ما استدعيت به عونه فيهم وكفايته التى تكفيهم تقويم نفسك عند قصد تقويمهم ورضاك بالسيرة التى ترضيك من غيرهم ... باليسير لتقويمهم وحراسة كهلهم ورضيعهم والترفع عن تضييعهم وأخذ كل طبقة بما عليها ومالها أخذا يحوط مالها ويحفظ عليها كمالها ويقصر عن غير الواجبات آمالها حتى تستشعر عليتها رأفتك وحنانك وتعرف أوساطها فى النصب امتنانك وتحذر سفلتها سنانك وحظر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها أو تخالف دورها أو تجاوز بأمر طاعتك فورها وسد فيها سبل الذريعه وأقصر جميعها عن خدمة الملك بموجب الشريعه وامنع أغنياءها من البطر والبطاله والنظر فى شبهات الدين بالتشدق والاطاله وليقل فيما شجر بين الناس كلامهما ويرفض مما تجزبه أقلامها فان ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق وامنعهم من فحش الحرص والشره وتعاهدهم بالمواعظ التى تجلو البصائر من المره واحملهم من الاجتهاد فى العمارة على أحسن المذاهب وانههم عن التحاسد على المواهب ورضهم على الانفاق بقدر الحال والتعزى عن الفائت فرده من المحال وحدد البخل على أهل اليسار والسخاء على أولى الاعسار وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر وامنعهم من تأويلها منع القاهر ولا تطلق لهم التجمع على من أنكروا امره فى نواديهم وكف عنهم أكف تعديهم ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم ولتكن غايتهم فيما توجهت اليه اباتهم ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم انهاءه الى من وكلته بمصالحهم من ثقاتك المحافظين على أوقاتك وقدم منهم من أمنته عليهم مكره وجدت على الانصاف شكره ومن كفر حياؤه من التأنيب وقابل الهفوة باستتابة المنيب ومن لا يتخطى عن محله الذى حله فربما عمد الى المبرم فحله وحسن النية لهم بجهد الاستطاعه واغتفر المكاره فى جنب حسن الطاعه وان ثار جوادهم واختلف فى طاعتك مرادهم فحصن ثغورهم وابت فورهم فاذا سألوا وسلوا وتفرقوا وانسلوا فاستقر كثرتهم ولا تقل عثرتهم واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ولا تتركهم على حالك اتكالا (ثم قال) والوزير الصالح أفضل عددك وأوصل مددك فهو الذى يصونك عن الابتذال ومباشرة الانذال ويثب لك على الفرصه وينوب فى تجرع الغصه واستجلاء القصه ويستحضر ما نسيته من أمورك ويغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك ولا يسعه ما يمكنك المسامحة فيه حتى يستوفيه واحذر مصادمة تياره والتجوز فى اختياره وقدم استخارة الله تعالى فى ايثاره وأرسل عيون الملاحظة على آثاره وليكن معروفا بالاخلاص لدولتك معقود الرضا والغضب برضاك وصولتك زاهدا عما فى يديك مؤثرا لكل ما يزلف لديك بعيد الهمه راعيا للاذمه كامل الآله محيطا بالايالة رحيب الصدر رفيع القدر معروف

الميت نبيه الحي والميت مؤثراً للعدل والاصلاح دربا بحمل السلاح ذا خبرة بدخل المملكة وخرجها وظهرها وسرجها صحيح العقد متحرزاً من النقد جاداً عند لهوك متيقظا في حال سهوك يلين عند غضبك ويصل الاسهاب بمقتضبك قلقا من شكره دونك وحمده ناسبا لك الاصابة بعمده وان أعيا عليك وجود أكثر هذه الخلال وسبق الى نقضها شئ من الاختلال فاطلب منه سكون النفس وهدوءها وأن لا يرى منك رتبة الارأى قدره دونها وتقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب وهي للفضائل فذلكة الحساب وساوق حفظ غيبه بين قربه ونأيه واجعل حظه من نعمتك موازيا لحظك من حسن رأيه واجتنب منهم من يرى في نفسه الى الملك سبيلا أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلا أو من كاثر مالك ماله أو من تقدم لعدوك استعماله أو من سمت لسوالك آماله أو من يعظم عليه اعراض وجهك ويهمه نادر نجهك أو من يداخل غير أحبابك أو من ينافس أحدا ببابك (وأما الجند) فاصرف التقديم منهم للمقاتله والمكايدة والمخاتله واستوف عليهم شرائط الخدمه وخذهم بالثبات للصدمه ووف ما أوجبت لهم من الجراية والنعمه وتعاهدهم عند الغناء بالعلفة والطعمه ولا تكرم منهم الا من أكرمه غناؤه وطاب في الذب عن ظلك ثناؤه وول عليهم النبهاء من خيارهم واجتهد في صرفهم عن الافتتان بأهاليهم وديارهم ولا توطئهم الدعة مهادا وقدمهم على حصصك وبعوثك مهما أردت جهادا ولا تلن لهم في الاغماض عن حسن طاعتك قيادا وعودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا ولا تسمح لاحد منهم في اغفال شئ من سلاح استظهاره أو عدة اشتهاره وليكن ما فضل من شبعهم وريهم مصروفا الى سلاحهم وزيهم والتزيد في مراكبهم وغلمانهم من غير اعتبار لاثمانهم وامنعهم من المشغلات والمتاجر وما يتكسب به غير المشاجر وليكن من الغزو اكتسابهم وعلى المغانم حسابهم كالجوارح التي تفسد باعتيادها أن تطعم من غير اصطيادها واعلم انها لا تبذل نفوسها من عالم الانسان الا لمن يملك قلوبها بالاحسان وفضل اللسان ويملك حركاتها بالتقويم ورتبها بالميزان القويم ومن تنق باشفاقه على أولادها ويشترى رضا الله تعالى بصبره على طاعته وجلادها فاذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك الى مواقف التلف مطيعة دواعي الكلف واثقة منك بحسن الخلف واستبق الى تمييزهم استبقاقا وطبقهم طباقا أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك اخطارا وأبعدهم في مرضاتك مطارا وأضبطهم لما تحت يده من رجالك حزما ووقارا واستهانة بالعظائم واحتقارا وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا اذا أجدت اختبارا وأشدهم على مماطلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا ومن يلي في الذي عز لك احلاء وامرارا ويلحقه الضمر في معارض الدفاع عنك مرارا وبعده من كانت محبته لك أزيد من نجدته وموقع رأيه أنفع من موقع صعدته وبعدهما من حسن انقياده لامرائك واجتهاده لآرائك ومن جعل نفسه من الامر حيث جعله وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ولم يستحي من

التزيد باضعاف ما بذله من الدفاع وشكا البخس فيما تعذر عليه من فوائدك وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله وأظهر الكراهية لحاله (وأما العمال) فانهم ينوبون عن مذهبك وحالهم فى الغالب شديدة الشبه بك تعرّفهم فى أمانتك السعاده وألزمهم فى رعيتك العاده وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم فى الاتصاف بالعدل والانصاف وأحلهم من الحظايه بنسبة مراتبهم من الامانة والكفايه وقفهم عند تقليد الارجاء مواقف الخوف والرجاء وقرر فى نفوسهم أن أعظم مايه اليك تقربوا وفيه تدربوا وفى سبيله أجهدوا وأعربوا اقامة حق ودحض باطل حتى لا يشكو غريم مطل ماطل وهو آثر لديك من كل رباب هاطل وكدّهم من الرزق الموافق عن التصدي لدنىء المرافق واصطنع منهم من تيسرت كلفته وقويت للرعايا ألفته ومن زاد على تأميله صبره وأربى على خبره خبره وكانت رغبته فى حسن الذكر تشف على بنات الفكر واجتنب منهم من يغلب عليه التخرق فى الانفاق وعدم الاشفاق والتنافس فى الاكتساب وسهل عليه سوء الحساب وكانت ذريعته المصانعة بالنفايه دون التقصي والكفايه ومن كان منشؤه خاملا ولا عباء الدناءة حاملا وابغ من يكون الاعتذار فى أعماله أوضح من الاعتذار فى أقواله ولا يفتننك من قادته اجتلاب الحظ المقنع والتنفق بالسعي المسمع ومخالفة السنن المرعيه واتباعه رضاك بسخط الرعيه فانه قد غشك من حيث بلك ورشك وجعل من يمينك فى شمالك حاضر مالك ولا تضمن عاملا مال عمله وحل بينه فيه وبين أمله فانك تميت رسومك بمحياه وتخرجه من خدمتك فيه الا أن تملكه اياه ولا تجمع له بين الاعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد والاحتجاج على والد بولد واحرص على أن يكون فى الولاية غريبا ومنتقله منك قريبا ورهينة لا يزال معها مريبا ولا تقبل مصالحته على شئ اختانه ولو برغيبة فتانه فتقبل المصانعة فى أمانتك وتكون مشاركاله فى خيانتك ولا تطل مدة العمل وتعاهد كشف الامور بمن يرعى الهمل ويبلغ الامل (وأما الولد) فأحسن آدابهم واجعل الخير دابهم وخف عليهم من اشفاقك وحنانك أكثر من غلظة جنانك واكتم عنهم ميلك وأفض فيهم جودك ونيلك ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك وأثبهم على حسن الجواب وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب وعلمهم الصبر على الضرائر والمهلة عند استخفاف الجرائر وخذهم بحسن السرائر وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس وحسن الاصطناع والاحتراس والاستكثار من أولى المراتب والعلوم والسياسات والحلوم والمقام المعلوم وكره اليهم مجالسة الملهين ومصاحبة الساهين وجاهد أهواءهم عن عقولهم وحذر الكذب على مقولهم ورشحهم اذا آنست منهم رشدا أو هديا وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثديا لتمرنهم على الاعتياد وتحملهم على الازدياد وروضهم رياضة الجياد واحذر عليهم الشهوات فهى داؤهم واعداؤك فى الحقيقة وأعداؤهم وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت واقذعها اذا هجمت قبل أن يظهر تضعيفها ويقوى ضعيفها فان أعجزتك فى الصغر الحيل عظم الميل

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

واذا قدروا على التدبير وتشوّفوا المحل الكبير اياك أن توطنهم فى مكانك جهد امكانك وفرّقهم فى بلدانك تفريق عبدانك واستعملهم فى بعوث جهادك والنيابة عنك فى سبيل اجتهادك فان حضرتك تشغلهم بالتحاسد والتبارى والتفاسد وانظر اليهم بأعين الثقات فان عين الثقة تبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة (وأما الخدم) فانهم بمنزلة الجوارح التى تفرّق بها وتجمع وتبصر وتسمع فرضهم بالصدق والامانه وصنهم صون الجمانه وخذهم بحسن الانقياد الى ما آثرته والتقليل مما استكثرته واحذر منهم من قويت شهواته وضاقت عن هواه لهواته فان الشهوات تنازعك فى استرقاقه وتشاركك فى استحقاقه وخيرهم من سترذلك عنه بلطف الحيله وأدأب للفساد مخيله وأشرب قلوبهم أن الحق فى كل ما حاولته واستنزلته وأن الباطل فى كل ما جانبته واعتزلته وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب وباين الادب وتجنب وأعط من اكددته واضقت منه ملكه وشددته روحة يشتغل فيها بما يعنيه على حسب صعوبة ما يعانيه تغبطهم فيها بمسارحهم وتجم كاملة بجوارحهم ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذى لا يبطر اعلامهم ولا يؤسف الاصاغر فيفسد أحلامهم ولا ترم محسنهم بالغاية من احسانك واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك وحذر عليهم مخالفتك ولو فى صلاحك بجد سلاحك وامنعهم من التواثب والتشاجر ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر واستخلص منهم لسرك من قلت فى الافشاء ذنوبه وكان أصبر على ما ينوبه ولو داعك من كانت رغبته فى وظيفة لسانك أكثر من رغبته فى احسانك وضبطه لما تقلده من وديعتك أحب اليه من حسن صنيعتك وللسفارة عنك من حلا الصدق فى فمه وآثره ولو باختطار دمه واستوفى لك وعليك فهم ما تحمله وعنى بلفظه حتى لا يهمله ولن تودعه أعداء دولتك من كان مقصور الامل قليل القول صادق العمل ومن كانت قسوته زائدة على رحمته وعظمه فى مرضاتك آثر من شحمته ورأيه فى الحذر سديد وتحرزه من الحيل شديد ولخدمتك فى ليلك ونهارك من لانت طباعه وامتد فى حسن الصحبة باعه وأمن كيده وغدره وسلم من الحقد صدره ورأى المطامع فاطمع واستثقل اعادة ما سمع وكان بريئا من الملال والبشر عليه أغلب الخلال ولا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولا قول ولا تؤيسهم من طول ومكن فى نفوسهم أن أقوى شفعائهم واقرب الى الاجابة من دعائهم اصابة الغرض فيما به وكلوا وعليه شكلوا فانك لا تعدم بهم انتفاعا ولا يعدمون لديك ارتفاعا (وأما الحرم) فهم مغارس الولد ورياحين الخلد وراحة القلب الذى أجهدته الافكار والنفس التى تقسمها الاجماد الى المساعى والافكار فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم المترفعة عن القيم ما لا يسوءك فى خلدك أن يكون فى ولدك واحذر أن تجعل لذكر بشر دون بصر اليهن سبيلا وانصب دون ذلك عذابا وبيلا وارعهن من النساء العجز من بانت فى الديانة والامانة سبله وقويت غيرته ونبله وخذهن بسلامة النيات والشيم السنيات وحسن الاسترسال والخلق السلسال

وحذر

وحذر عليهنّ التغاضن والتغاير والتنافس والتخاير واش بينهنّ فى الاغراض والتصامم
عن الاعراض والمحاباة بالاعراض واقلل من مخالطتهنّ فهو أبقى لهيبتك وأسبل
لحرمتك ولتكن عشرتك لهنّ عند الكلال والملال وضيق الاحتمال بكثرة الاعمال
وعند الغضب والنوم والفراغ من نصب اليوم واجعل مبيتك بينهنّ تنم بركاتك وتستتر
حركاتك وافصل من ولدت منهنّ الى مسكن يختبر به استقلالها ويعتبر بالتفرّد خلالها
ولا تطلق لحرمة شفاعة ولا تدبيرا ولا تنط بها من الامر صغيرا ولا كبيرا واحذر أن
يظهر على خدمهنّ فى خروجهنّ عن القصور وبروزهنّ من أجمة الاسد الهصور
زىّ بارع ولا طيب للانوف مسارع واخصص بذلك من طعن فى السنّ ويئس من
الانس والجنّ ومن توفر النزوع الى الخيرات قبله وقصر عن جمال الصورة ورسم بالبله
ثم لما بلغ الى هذا الحد حمى وطيس استجفاره وختم حزبه باستغفاره ثم صمت مليا
واستعاد كلاما أوليا ثم قال واعلم يا امير المؤمنين سدد الله تعالى سهمك لاغراض
خلافته وعصمك من الزمان وآفته انك فى مجلس الفصل ومباشرة الفرع من ملكك
والاصل فى طائفة من عز الله تعالى تذب عنك حماتها وتدافع عن حوزتك كماتها
فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه بضاعه أو يجمح بك رضاك على اضاعه
ولتكن قدرتك وقفا على الانصاف بالعدل والانصاف واحكم بالسويه واجنح بتدبيرك
الى حسن الرويه وخف أن تقعد بك اناتك عن حزم تعين أو تستفزك العجلة فى أمر
لم يتبين وأطع الحجة ما توجهت اليك ولا تحفل بها اذا كانت عليك فانقيادك اليها أحسن
من ظفرك والحق أجدى من نفرك ولا تردّنّ النصيحة فى وجه ولا تقابل عليها بجبه
فتمنعها اذا استدعيتها وتحجب عنك ان استوعيتها ولا تستدعها من غير أهلها
فيشغلك ولو الاغراض بجهلها واحرص على أن لا ينقضى مجلس جلسته أو زمن
اختلسته الا وقد أحرزت فضيلة زائده أو وثقت منه فى معادك بفائده ولا يزهدنك
فى المال كثرته فتقل فى نفسك أثرته وقس الشاهد بالغائب واذكر وقوع
ما لا يحتسب من النوائب فالمال المصون أمنع الحصون ومن قل ماله قصرت آماله
وتهاون بيمينه شماله والملك اذا فقد خزينه أخنى على أهل الجدة التى تزينه وعاد على
رعيته بالاجحاف وعلى جبايته بالالحاف وساء معتاد عيشه وصغر فى عيون جيشه
ومنوا عليه بنصره وأنفوا من الاقتصار على قصره وفى المال قوة معاويه تصرف
الناس لصاحبه وتربط آمال أهل السلاح به والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة
الى خلافه فتجمع بالشهوات بين اتلافك واتلافه واستأنس بحسن جوارها واصرف
فى حقوق الله تعالى بعض أطوارها فان فضل المال عن الاجل فأجل ولم يضر ما خلف
منه بين يدى الله عز وجل وما ينفق فى سبيل الشريعه وسد الذريعه مأمول خلفه
وما سواه فتعين تلفه واستخلص انواديك الخاصه ومجالسك العامة والخاصه من يليق
بولوج عتبها والعروج لرتبها أما العامية فمن عظم عند الناس قدره وانشرح بالعلم
صدره أو ظهر يساره وكان لله تعالى اخباته وانكساره ومن كان للعتياه متصلا وبتاج

المشورة معتصبا وأما الخاصة ففى رقت طباعه وامتد فيما يليق بتلك المجالس باعه ومن تبحر فى سير الحكماء وأخلاق الكرماء ومن له فضل سافر وطبع للدنية منافر ولديه من كل ما تستتر به الملوك من العوام حظ وافر وصف اليابهم بحصول خيرك وسكن قلوبهم بين طيرك وأغنهم ما قدرت عن غيرك واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعل المتألقه والمصابيح المتعلقه وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الاشياء وفزعها لتصير ما زين مقتدك ويحسن من بعد البلاء جدتك وبعناية الاواخر ذكرت الاول واذا محيت المفاخر خربت الدول واعلم أن بقاء الذكر مشروط بعمارة البلدان وتخليد الآثار الباقية فى القاصى والدان فاحرص على ما يوضح فى الدهر سبيلك ويحرز المزية على من قبلك وان خير الملوك من ينطق بالحجة وهو قادر على القهر ويبذل الانصاف فى السر والجهر مع التمكن من المال والظهر ويسار الرعية جمال للملك وشرف وفاقتهم من ذلك طرف فغلب أليق الحالين بعلاك وأولاهما بظعنك وحلك واعلم أن كرامة الجود داثره وكرامة العدل متكاثره والغلبة بالخير سياده وبالشر هواده واعلم أن حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكاية الخوارج ويسمو بك الى المعارج فانما اقصد أنواع البدع وتورى بتغيير البدع وأطلق على عدوك أيدى الاقوياء من الاكفاء وألسنة اللفيف من الضعفاء واستشعر عند تمكنه شعار الوفاء ولتكن ثقتك بالله تعالى أكثر من ثقتك بقوة تجدها وكتيبة تحشدها فانه الاخلاص يمنحك قوى لا تكتسب ويهدك مع الاوقات نصرا لا يحتسب والتمس أبدا سلم من ساماك بنفيس ما فى يدك وفضل حاصل يومك على منتظر غدك فان أبى وضحت محجتك وقامت عليه للناس بذلك حجتك فللنفوس على الباغين ميل ولها من جانبه نيل واستهد فى كل يوم سيرة من يناويك واجتهد أن لا يوازيك فى خير ولا يساويك واكذب بالخير ما يشيعه من مساويك ولا تقبل من الاطراء الا ما كان فيك فضل عن اطالته وجد يزرى على بطالته ولا تلق المذنب بجميتك وسبك واذكر عند حركة الغضب ذنوبك الى ربك ولا تنس أن رب المذنب أجلسك مجلس الفصل وجعل فى قبضتك رياش النصل وتشاغل فى هدنة الايام بالاستعداد واعلم أن التراخى منذر بالاشتداد ولا تهمل عرض دوانك واختبار أعوانك وتحصين معاقلك وقلاعك وعم ايالتك بحسن اطلاعك ولا تشغل زمن الهدنة بلذاتك فتجنى فى الشدة على ذاتك ولا تطلق فى دولتك ألسنة الكهانة والارجاف ومطاردة الآمال العجاف فانه يبعث سوء القول ويفتح باب العول وحذر على المدرسين والمتعلمين والعلماء والمتكلمين حمل الاحداث على الشكوك الخالجه والمزلات الوالجه فانه يفسد طباعهم ويغرى سباعهم ويقدح فى مخيلة الملة باعهم وسد سبيل الشفاعات فانما تفسد عليك حسن الاختيار ونفوس الخيار وابذل فى الاسرى من حسن ملكتك ما يرضى من ملكك رقابها وقلدك ثوابها وعقابها والق بدء نهارك بذكر الله تعالى فى ترفعك وابتذالك واختم اليوم بمثل ذلك واعلم انك مع كثرة حجابك وكثافة حجابك بمنزلة الظاهر للعيون المطالب بالديون لشدة البحث عن

أمورك وتعرف السر الخفي بين أمرك ومأمورك فاعمل في سرك ما لا تستقبح أن يكون ظاهرا ولا تأنف أن تكون به مجاهرا واحكم برأيك في الله وتحتك وخف من فوقك يخف من تحتك واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أو زادت مؤنته على نصيبه منك وفرضه فأصمت الجيج وتوق اللجج واستر بالامل ولا يحملنك انتظام الامور على الاستهانة بالعمل ولا تحقرن صغير الفساد فيأخذ في الاستئساد واحبس الالسنة عن التخالي باغتيابك والتشبث بأذيال ثيابك فان سوء الطاعة ينتقل من الاعين الباصره الى الالسن القاصره ثم الى الايدي المتناصره ولا تثق بنفسك في قتال عدو ناواك حتى تظفر بعدو غضبك وهواك وليكن خوفك من سوء تدبيرك أكثر من عدوك الساعي في تدبيرك واذا استنزلت ناجما أو امنت ثائرا هاجما فلا تقلده البلد الذي فيه نجم وهمى عارضه فيه وانسجم يعظم عليك القدح في اختيارك والغض من ايثارك واحترز من كيده في جوارك ومأتك فانك أكبرهمه وليس بأكبرهمك وحل المملكة بتأمين الفلوات وتسهيل الاقوات وتجديد ما يتعامل من الصرف في البياعات واجراء العوائد مع الايام والساعات ولا يبخس عيار قيم البضاعات ولتكن يدك عن أموال الناس محجوره وفي احترامها الاعن الثلاثة ماجوره مال من عدا طوره طور أهله وتشاوق في الملابس والزينه وفضول المدينه يروم معارضتك بجهله ومن باطن اعداك وامن اعتبدادك ومن أساء جوار رعيتك باحساره وبذل الاذاية فيهم بيمينه ويساره وأضر ما منيت به التمادي بين عبدانك أو في بلد من بلدانك فسد فيه الباب واسأل عن الاسباب وانقلهم بوساطة أولي الالباب الى حالة الاحباب ولا تطوق الاعلام أطواق المنون بهواجس الظنون فهو أمر لا يقف عند حد ولا ينتهي الى عد واجعل ولدك في احتراسك حتى لا يطمع في افتراسك * ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف وعوده يريد أن ينقصف ومجال الوصايا أكثر مما يصف قال يا أمير المؤمنين بحر السياسة زاخر وعمر المتتبع بناديك مستأخر فان أذنت في فن من فنون الانس يجذب بالمقاد الى راحة الرقاد ويحقق النفس بقدرة ذي الجلال من ملكة الكلال فقال أما والله قد استحسنا ما سردت فشأنك وما أردت فاستدعى عودا فأصلحه حتى جوده وأبعد في اختباره أمده ثم حركه وأطال الجس ثمه ثم تغنى بصوت يستدعي الانصات ويصدع الحصاة ويستفز الحليم عن وقاره ويستوقف الطير ورزق بنيه في منقاره وقال

صاح ما أعطر القبول بنجد * أتراها أطالت اللبث ثمه
هي دار الهوى مني النفس فيها * أبد الدهر والاماني جمه
ان يكن ما تأرج الجو منها * واستفاد الشذا والانسمه
من لطرفي بنظرة ولأنفي * في رباها وفي ثراها بشمه
ذكر العهد فانتفضت كأني * طرقتني من الملائك لمه
وطن قد نضيت فيه شبابا * لم تدنس منه البرود مذمه

بنت عنه والنفس من أجل من قد * خلقته خلاله مغتمه
كان حلمافويح من أمّل الدهر وأعماه جهله وأصمه
تأمل العيش بعد أن خلق الجسم وبنيانه عسيرالمرمه
وغدت وفرة الشبيبة بالشيب على رغم أنفها مغتمه
فلقد فاز سالك جعل الله الى الله قصده ومأمّه
من بيت من غرور دنيا بهم * يلدغ القلب اكثرالله همه

ثم أحال اللحن الى لون التنويم فأخذ كل فى النعاس والتهويم وأطال الجس فى الثقيل عاكفا عكوف الضاحى فى المقيل فخاط عيون القوم بخيوط النوم وعمر بهم المراقد كأنما أدار عليهم الفراقد ثم انصرف فما علم به أحد ولا عرف ولما أفاق الرشيد جد فى طلبه فلم يعلم عنقلبه فأسف للفراق وأمر بتخليد حكمة فى بطون الاوراق فهى الى اليوم تتلى وتنقل وتجلى القلوب بها وتصقل والحمد لله رب العالمين انتهى *(وقال) فى الاحاطة بعد ايراد نبذة من نثره ما صورته فهذا ما حضر من المنثور وحظه عندى من الاجادة ضعيف وغرضه كما شاء الله تعالى سخيف لكن الله سبحانه بعباده لطيف انتهى *(ومما) علق بحفظى من نثره قوله فى تحليته لبعض أهل زمانه هو امام الفتنه وعين أعيان هذه المائة * وقوله فى وصف فاس نم العرين لاسود بنى مرين ذات المشاهد التى منها مطرح الجنة ومسجد الصابرين

بلد اعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس
فكانما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤوس

جمعت ماولد سام وحام وكثرة الالتئام والالتحام واشتد الزحام الى أن قال يلقى الرجل أبا مثواه فلا يدعوه لبيته ولا يطعمه من بقله وزيته ولا يطرق الضيف حماهم ولا يعرف اسمهم ولا مسماهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم * وقوله فى وصف مراكش المحروسة ذات المقاصر والقصور ومأوى الليث الهصور ومسكن الناصر والمنصور الى أن قال ومنارها فى الفلاه بمنزلة والى الولاه ثم قال بعد كلام الا أن خرابها هائل وزحامها حرب وائل وعقاربها كثيرة الدبيب منغصة لمضاجعة الحبيب انتهى ما كتبته من حفظى لطول العهد *(وقال رحمه الله تعالى فى وصف مدينة بسطة من كلام لم يحضرنى جميعه الآن محل خصيب ومنزل رحيب وكفاها مسجد الجنة دليلا على البركة وباب المسك دليلا على الطيب ولها من اسمها نصيب اذ هى بحر الطعام وينبوع العيون المتعددة بتعدد أيام العام انتهى *(ولما) أجرى ذكر بسطة الامام أبو الحسن القلصادى فى رحلته قال سقى الله تعالى أرجاءها المشرقه وأغصانها المورقه شآبيب الاحسان ومهدها بالهدنة والامان دار تخجل منها الدور وتتقاصر عنها القصور وتقرّ لها بالقصور مع ما حوته من المحاسن والفضائل من صحة أجسام أهلها وما طبعوا عليه من كرم الشمائل وحسبك فيها من عدم الحرج أن داخلها باب الفرج ثم قال ولله درّ القائل

دار مشى الاتقان فى تجديدها * حتى تناسب روضها وبناؤها
مرقومة الجنبات ذات قرارة * يستخدم العيون فضاؤها
مازال يضحك دائما نوارها * فى وجه ساحته ويلعب ماؤها

ولبعض أصحابنا فيها وهو الاديب الكاتب أبو عبد الله بن الازرق

فى بسطة حيث الاباطح مشرقه * أضحت جفونى بالمحاسن مغلقه

وله أيضا فى توريه

قل لمن رام النوى عن وطن * قولة ليس بها من حرج
فرج الهم بسكنى بسطة * ان فى بسطة باب الفرج   انتهى

(رجع) ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به السلطان على لسان جدته وهو الى قرة أعيننا وأعين المؤمنين وفلذة كبدنا الذى نصل للقائه الحنين بالحنين وعزنا الذى حللنا من كنفه بالحرم الامين وسترنا الذى خلفنا رضاه فى أفقده الدهر من كرم البنين ووارثنا المستأثر بعدنا بطول السنين أمير المسلمين الاسعد المؤيد الموفق الطاهر البر الرحيم الارضى الكامل الفاضل حفيدنا محمد ابن ولدنا الرضى وواحدنا الكريم الحفى السلطان الكبير الجليل السعيد الطاهر الظاهر المقدس جعل الله تعالى من عصمته لزيما يرافقه وأجرى القدر بما يوافقه وحفظ عليه الكمال الذى تناسب فيه خلاله وخلائقه والبر الذى حسنت فيه طرقه وطرائقه من المستظلة بظلال رضاه وبره المبتهلة الى الله تعالى فى عز نصره وسعادة أمره الداعية الى الله تعالى أن يسترها فى الحياة وما بعدها بستره وما يفضل عمرها من عمره جدته التائقة اليه كتبته من كنفه العزيز بحمرائه العلية عن الخير الدائم بدوامه واليسر الملازم ببركة أيامه ولا زائد بفضل الله تعالى الا الشوق اليه وتحويم الكبد الخافقة خفوق رايته عليه وتجهيز مواكب الدعاء المقبول من خلفه ومن بين يديه وقد وصل كتابه العزيز الوفادة والوصول الكريم الجمل والفصول مطلع وجه السرور والجذل ومهدى قصى الامل ومجدد العهد بحديثه الذى فى ضمنه شفاء الغلل وبرء العلل مهديا تحفة عافيته وهى الهدية التى جلت عن المكافاه وترفعت عن المجازاه انما يجازى عليها من يصل بفضله عادتها ويوالى بعد الابداء اعادتها ووصفتم يا ولدى ما عرفتم من نعم الله تعالى التى اتصلت عليكم سحائبها وعنايته التى يلتقى ركائبكم تسهيلها وترحابها واستبشار الجهات بقدومكم الميمون واجتلاء وجهكم الذى فيه للاسلام قرة العيون وكيف لا يكون ذلك وأنتم ذخرهم العزيز وحرزهم الحريز والندرة التى خلصها من معادن سلفكم الذهب الابريز فى أيامكم والحمد لله نامت أجفانهم وتكيف أمانهم نسأل الله تعالى أن يديم لنا ولهم نعمة بقائكم ويعلى الدين بعلاء كم فى معارج العز وارتقائكم فقابلنا ما قرره سلطانكم بالحمد والثنا والشكر المتصل على الآنا ومحضتكم من خالص الدعاء ما يتكفل لكم بالحسنى وما وعد الله تعالى من نيل الرجاء وتمهيد الارجاء وأصدرت هذا الجواب لكم مصدر الهناء بنعم الله تعالى المغدقة والآلاء ونسأل من فضلكم وبركم صلة التعريف بمثل هذه الاخبار السارة والانباء

واتحافنا بمثلها مع الصباح والمساء وان كان مجدكم غنيا عن الشبه لمثل هذه الاشياء أدام الله تعالى لكم أسباب البقاء وكان لكم في كل حال من اقامة وارتحال بعزته وجهه وقدرته انتهى * ورحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب فانه يعبر في كل مقام بما يليق فتارة يترقى في أدراج البراعه وطورا يهتك عنان اليراعه *(وأما شعر لسان الدين رحمه الله تعالى) فهو من النهاية في الحسن وقد قدمنا في هذا الكتاب منه نبذة في أثناء نثره وكلامه الذي جلبناه وفي مواضع غيرهما جملة مفيدة من شعره رحمه الله تعالى وقال رحمه الله تعالى في الاحاطة ما نصه الشعر ولنثبت جملة من مطولاته ونتلوه بشيء من مقطوعاته ونقدم من المطولات أمداح رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركا بها فمن ذلك قوله

هل كنت تعلم في هبوب الريح * نفسا يؤجج لاعج التبريح
أهدت لك من شيح الحجاز تحية * فاحت لها عرض الفجاج الفيح
بالله قل لي كيف نيران الهوى * ما بين ريح في الفلاة وشيح
ومخضبة المنقار تحسب أنها * نهلت بورد دمي المسفوح
باحت بما تخفي وناحت في الدجى * فرأيت في الآماق دعوة نوح
نطقت بما تخفيه قلبي أدمعي * ولطالما صمتت عن التصريح
عجبا لاجفاني حملن شهادة * عن خافت بين الضلوع جريح
ولقلما كتبت رواة مدامعي * في صفحتيها حلية التجريح
جاد الحمى بعدي وأجراع الحمى * جود تكفل بمتون الريح
حتى المنازل مافؤادي بعدها * سال ولا ووجدي بها بجريح
حسبي ولوعا أن أزور بفكرتي * زوارها والجسم رهن نزوح
فأبيت فيها من حديث صبابتي * وأحث فيها من جناح جنوحي
ودجنة كادت تضل بها السرى * لولا وميض بارق وصفيح
وعشت كواكب جوها فكأنما * ورق تقلبها بنان شحيح
صابرت منها الجنة مهما ارتمت * وطمت رميت عبابها بسبوح
حتى اذا الكف الخضيب بأفقها * مسحت بوجه للصباح صبيح
شمت الالي وحمدت ادلاج السرى * وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما ليلي نسيب قصيدتي * والصبح فيه تخلصي لمديح
لما حططت بخير من وطئ الثرى * بعنان كل مولد وصريح
رحمى الله العرش بين عباده * وأمينه الارضى على ما يوحى
والآية الكبرى التي أنوارها * ضاءت اشعتها بصفحة يوح
رب المقال الصدق والآي التي * راقت بها أوراق كل صحيح
كهف الانام اذا تفاقم معضل * مثلوا بساحة بابه المفتوح
يردون منه على مثابة راحم * جم الهبات عن الذنوب صفوح

لهفي على عمر مضى أنضيته * في ملعب للترهات فسيح
يازاجر الوجناء يعتسف الفلا * والليل يعثر في فضول مسوح
يصل السرى سبقا الى خير الورى * والركب بين موسد وطريح
لى في حمى ذاك الضريح لبانة * ان أصحب لبنى أنا ابن ذريح
ويهبط الروح الامين أمانة * اليمن فيها والامان لروحى
ياصفوة الله المكين مكانه * ياخير مؤتمن وخير نصيح
أقرضت فيك الله صدق محبتى * أيكون تجرى فيك غير ربيح
حاشا وكلا أن تخيب وسائلى * أوأن أرى مسعاى غير نجيح
ان عاق عنك قبيح ماكسبت يدى * يومافوجه العفو غير قبيح
واجتلى من حلبة الفكر التى * أغريتها بغرامى المشروح
قصرت خطاها بعد ماضمرتها * من كل موفور الجمام جموح
مدحتك آيات الكتاب فماعسى * يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح
صلى عليك الله ماهبت صبا * فهفت بغصن في الرياض مروح
واستأثر الرحمن جل جلاله * عن خلقه بخفى سر الروح

وأنشدت السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الاعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة هذه القصيدة:

تألق نجديا فاذكرنى نجدا * وهاج بى الشوق المبرح والوجدا
وميض رأى برد الغمامة مغفلا * فمد يدا بالتبر اعلمت البردا
تبسم فى بحرية قد تجهمت * فمابذلت وصلا ولاضربت وعدا
وراود منها فاركا قد تنعمت * فاهوى لها نصلا وهددها رعدا
وأغرى بها كف الغلاب فاصبحت * ذلولا ولم تسطع لامرته ردا
فحلتها الحمراء من شفق الضحى * نضاها وحل المزن من جيدها عقدا
لك الله من برق كان وميضه * يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
تعلم من سكانه شيم الندى * فغادر أجراع الحمى روضة تندى
وتوج من نوارها قنن الربا * وختم من أزهارها القضب الملدا
لسرعان ما كانت مناسف للصبا * فقد ضحكت زهرا وقد خجلت وردا
بلاد عهدنا فى قرارتها الصبا * يقل لذاك العهد أن يألف العهدا
اذا ماالنسيم اعتل فى عرصاتها * تناول فيها البان والشيح والرندا
فكم فى مجانى وردها من علاقة * اذا ما استشيرت أرضها أنبتت وجدا
اذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى * اذا التمحتها العين عاقدت السهدا
ومن عاشق حر اذا ما استماله * حديث الهوى العذرى صيره عبدا
ومن ذابل يحكى المحبين رقة * فيثنى اذا ماهبت عرف الصبا قدا

سقى الله نجدا ما انفحت بذكرها * على كبدى الا وجدت لها بردا
وآنس قلبى فهو للعهد حافظ * وقل على الايام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق الا ذبالة * اذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا
صبور اذا الشوق استجاد كتيبة * تجوس خلال الصبر كان لها بندا
وقد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى * ذمائى وأن يستأصل العظم والجلدا
أأجحد حق الحب والدمع شاهد * وقد وقع التسجيل من بعد ما أدى
تناثر فى اثر الحمول فريده * فلله عينا من رأى الجوهر الفردا
جرى يققا فى ملعب الخد اشهبا * واجهده ركض الاسى فجرى وردا
ومرتحل أجريت دمعى خلفه * ليرجعه فاستن فى اثره قصدا
وقالت لقلبى طر اليه برقعتى * فكان حماما فى المسير بها هدا
سرقت صواع العزم يوم فراقه * فلج ولم يرقب سواعا ولا ودا
وكلت عيونى من غبار طريقه * فأعقبها دمعا وأورثها سهدا
لى الله كم أهدى بنجد وحاجر * وأكنى بدعد فى غرامى او سعدى
وما هو الا الشوق ثار كمينه * فاذهل نفسا لم تبن عنده قصدا
ومالى الا أن سرى الركب موهنا * وأعمل فى رمل الحمى النص والوخدا
وجاشت جنود الصبر والبين والاسى * لدى فكان الصبر أضعفها جندا
ورمت نهوضا واعتزمت مودعا * فصدنى المقدور من وجهتى صدا
رقيق بدت للمشترين عيوبه * ولم تلتفت دعواه فاستوجب الردا
تخلف عن ركب طيبة عانيا * أما آن للعانى المعنى بأن يفدى
مخاف سرى قد أصيب جناحه * وطرن فلم يسطع مراحا ولا مغدى
نشدتك يا ركب الحجاز تضاءلت * لك الارض مهما استعرض السهب وامتدا
وجم لك المرعى وأذعنت الصوى * ولم تفتقد ظلا ظليلا ولا وردا
اذا أنت شاهدت الديار بطيبة * وجئت بها القبر المقدس واللحدا
وآنست نورا من جناب محمد * يجلى القلوب الغلف والاعين الرمدا
فنب عن بعيد الدار فى ذلك الحمى * وأذر به دمعا وعفر به خدا
وقل يا رسول الله عبد تقاصرت * خطاه وأضحى من أحبته فردا
ولم يستطع من بعد ما بعد المدى * سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدى
تداركه يا غوث العباد برحمة * لجودك ما أجدى وكفك ما أندى
أجارك الله العباد من الردى * وبوأهم ظلا من الامن ممتدا
حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا * وتوجك العليا وألبسك الحمدا
وطهر منك القلب لما استخصه * فجلله نورا وأوسعه رشدا
دعاه فما ولى هداه فما غوى * سقاه فما يظما جلاه فما يصدا
تقدمت مختارا تأخرت مبعثا * فقد شملت علياؤك القبل والبعدا

وعلة هذا الكون أنت وكل ما * أعاد فأنت القصد فيه وما أبدا
وهل هو الا مظهر أنت سره * ليمتاز في الخلق المكب من الاهدى
ففي عالم الاسرار ذاتك تجتلي * ملامح نور لاح للطور فانهدا
وفي عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشقي من استشقي وتهدي من استهدى
فما كنت لولا أن ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولا حدا
فماذا عسى يثني عليك مقصر * ولم يأل فيك الذكر مدحا ولا حمدا
عاذا عسى يجزيك هاو على شفى * من النار قد أوردته بعدها الخلدا
عليك صلاة الله يا كاشف العمى * ومذهب ليل الروع وهو قد ارتدا
الى كم أراني في البطالة كانعا * وعمري قد ولى ووزري قد اعتدا
تقضى زماني في لعل وفي عسى * فلا عزمة تمضي ولا لوعة تهدا
حسام بجبان كلما شيم نصله * تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
ألا ليت شعري هل أراني ناهدا * اقود القلاص البدن والضامر النهدا
رضيع لبان الصدق فوق شملة * مضمرة وسدت من كورها مهدا
فتهدي باشواق السراة اذا سرت * وتحدي باشعار الركاب اذا تحدى
الى أن أحط الرحل في تربك الذي * تضوع نداما رأينا له ندا
وأطفئ في تلك الموارد غلتي * واحسب قربا مهجة شكت البعدا
لمولدك اهتز الوجود فاشرقت * قصور ببصرى ضاءت الهضب والوهدا
ومن رعبه الاوثان خرت مهابة * ومن هوله ايوان كسرى قد انهدا
وغاض له الوادي وصبح عزه * بيوت النار الفرس أعدمها الوقدا
رعى الله منها ليلة أطلع الهدى * على الارض من آفاقها القمر السعدا
وأقرض ملكا قام فينا بحقها * لقد أحرز الفخر المؤثل والمجدا
وحيا على شط الخليج محلة * بحالف من يثنابها العيشة الرغدا
وجاد الغمام العد فيها خلائفا * مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
عليا وعثمانا ويعقوب لاعدا * رضا الله ذاك النجل والاب والجدا
سواوهم وفي حومة البأس والندى * فكانوا الغيوث المستهلة والاسدا
ولله ما قد خلفوا من خليفة * حوى الارث عنهم والوصية والعهدا
اذا ما أراد الصعب أغرى بنيله * صدور العوالي والمطهمة الجردا
وكم معتد اردى وكم تائه هدى * وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدى
أبا سالم دين الاله بك اعتلى * أبا سالم ظل الاله بك امتدا
فدم من دفاع الله تحت وقاية * كفالك بها أن تسحب الحلق السردا
ودونكها من نتيجة فكرة * اذا سترشحت للنظم كانت صفا صلدا
ولو تركت مني الليالي صبابة * لاجهدتها ركضا وارهقتها شدا
ولكنه جهد المقل بلغته * وقد أوضح الاعذار من بلغ الجهدا

وقلت أخاطب السلطان الملك الكبير العالم أبا عنان على أثر انصرافي من بابه رحمه الله تعالى

أبدى لداعي الفوز وجه منيب * وأفاق من عذل ومن تأنيب
كاف الجنان اذا جرى ذكر الحمى * والبان حنّ له حنين النيب
والنفس لا تنفك تكلف بالهوى * والشيب يلحظها بعين رقيب
رحل الصبا فطرحت في أعقابه * ما كان من غزل ومن تشبيب
أترى التغزل بعد أن ظعن الصبا * شأني الغداة أو النسيب نسيبي
أني لمثلي بالهوى من بعد ما * للوخط في الفودين أيّ دبيب
لبس البياض وحلّ ذروة منبر * مني ووالى الوعظ فعل خطيب
قد كان يسترني ظلام شبيبتي * والآن يفضحني صباح مشيبي
واذا الجديدان استجدّا أبليا * من لبسة الاعمار كل قشيب
سلني عن الدهر الخؤن وأهله * تسل المهلب عن حروب شبيب
متقلب الحالات فاخبر تقلبه * مهما أعدت يدا الى تقليب
فكل الامور اذا اعترتك لربها * ما ضاق لطف الرب عن مربوب
قد يخبأ المحبوب في مكروهها * من يخبأ المكروه في المحبوب
واصبر على مضض الليالي انها * لحوامل سيلدن كل عجيب
واقنع بحظ لم تنله بحيلة * ما كل رام سهمه بمصيب
يقع الحريص على الردى ولكم غدا * ترك التسبب أنفع التسبيب
من رام نيل الشئ قبل أوانه * رام انتقال يلملم وعسيب
فاذا جعلت الصبر مفزع معضل * عاجلت علته بطب طبيب
واذا استعنت على الزمان بفارس * لبى نداءك منه خير مجيب
بخليفة الله الذي في كفه * غيث يروض ساح كل جديب
المنتقى من طينة المجد الذي * ما كان يوما صرفه بمشوب
يرمي الصعاب بصعبه فيقودها * ذللا على حسب الهوى المرغوب
ويرى الحقائق من وراء حجابها * لا فرق بين شهادة ومغيب
من آل عبد الحق حيث توشحت * شعب العلا وربت بأيّ كثيب
أسد الشرى سرج الورى فقامهم * لله بين محارب وحروب
اما دعا الداعي وثوّب صارخا * ثابوا وأشوا حومة التثويب
شهب ثواقب في سماء عجاجة * مأثورها قد صح بالتجريب
ما شئت في آفاقها من رامح * يبدو وكف بالنجيع خضيب
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم * فتبسمت والجو في تقطيب
نظموا ابليات العلا واستوسقوا * كالرمح أنبوبا على أنبوب
تروي العوالي والمعالي عنهم * أثر الندى المولود والمكسوب
من كل موثوق به اسناده * بالقطع أو بالوضع غير معيب

فابو عثمان عن علىّ نصه * للنقل عن عثمان عن يعقوب
جاؤا كما اتسق الحساب أصالة * وغدوا فذلك ذلك المكتوب
متجسدا من جوهر النور الذى * لم ترم يوما شمسه بغروب
متألقا من مطلع الحق الذى * هو نور أبصار وسرّ قلوب
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا * من بعد طول تجهم وقطوب
هى دعوة الحق التى أوضاعها * جمعت من الآثار كل غريب
هى دعوة العدل الذى شمل الورى * فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا * ألقى اليه بتاجه المعصوب
لما حللت بأرضه مستمليا * ماشئت من بر ومن ترحيب
شمل الرضا فكانّ كل اقاحة * تومى بثغر للسلام شنيب
وأتيت فى بحر القرى أمّ القرى * حتى حططت بعرفا التقريب
فرأيت أمن الله فى ظلّ التقى * والعدل تحت سرادق مضروب
ورأيت سيف الله مطرور الشبا * يمضى القضاء بحده المرهوب
وشهدت نور الحق ليس بآفل * والدين والدنيا على ترتيب
ووردت بحر العلم يقذف موجه * للناس من درر الهدى بضروب
لله من شيم كازهار الربا * غبّ انثيال العارض المسكوب
وجمال مرأى فى رداء مهابة * كالسيف مصقول الفرند مهيب
يا جنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبى
أسفى على ما ضاع من حظى بها * لا تنقضى ترحاته ونحيبى
ان أشرقت شمس شرقت بعبرتى * وتفيض فى وقت الغروب غروبى
حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوى وجانحة الاصيل شحوبى
وشهادة الاخلاص توجب رجعتى * لنعيمها من غير مس لغوب
يا ناصر الدين الحنيف وأهله * انضاء مسغبة وفلّ خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم * يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا * بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم * أوليس صبحك منهم بقريب
فانظر بعين العز من ثغر غدا * حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك اندلس ومجدك ضامن * أن لا يخيب لديك ذو مطلوب
غصب العدوّ بلادها وحسامك الـ*ـماضى الشبا مسترجع المغصوب
أرض السوابح فى المجاز حقيقة * من كل قيدة محرب وجنيب
يتأود الاثل المثقف فوقها * وتجيب صاهلة رغاء نجيب
والنصر يضحك كل مبسم غرّة * واليمن معقود بكل سبيب
والروم فارم بكل نجم ثاقب * يذكى بأربعها شواظ لهيب

بذوابل السلب التي تركت بني * زيان بين مجدل وسليب
وأضف الى لام الوغى الف القنا * تظهر لديك علامة التغليب
ان كنت تجسم بالعزائم عودها * عود الصليب اليوم غير صليب
ولك الكتائب كالخمائل أطلعت * زهر الاسنة فوق كل قضيب
فرح العطفين لامن نشوة * ومورد الخدين غير مريب
يبدو سداد الرأى فى راياتها * وأمورها تجرى على تجريب
وترى الطيور عصائبا من فوقها * لحلول يوم فى الضلال عصيب
هذبتها بالعرض يذكر يومه * عرض الورى للموعد المكتوب
وهي الكتائب ان تنوسي عرضها * كانت مدونة بلا تهذيب
قدمت سابقة العدو وبعدها * أخرى بعز النصر ذات وجوب
حتى اذا فرض الجلاد جداله * ورأيت ريح النصر ذات هبوب
واذا توسط وصل سيفك عندها * بجرأى قياسك فزت بالمطلوب
وتبرأ الشيطان لما أن علا * حزب الهدى من حزبه المغلوب
الارض ارث والمطامع جمة * كل يهش الى التماس نصيب
وخلائف التقوى هم ورّاثها * فالملك ها بالحظ والتعصيب
لكانني بك قد تركت ربوعها * قفرا بكر الغزو والتعقيب
وأقمت فيها مأتما لكنه * عرس لنسر بالفلاة وذيب
وتركت مقلتها بقلب واجب * رهبا وخدّ بالاسى مندوب
تبكي نوادبها وينقلن الخطا * من شلو طاغية لشلو سليب
جعل الاله البيت منك مثابة * للعاكفين وأنت خير مثيب
فاذا ذكرت كأن هبات الصبا * فضت بعدرجها لطيمة طيب
لولا ارتباط الكون بالمعنى الذى * قصر الحجا عن سره المحجوب
قلنا لعا لملك الذى شرّفته * حسد البسيط مزية التركيب
ولاجل قطرك شمسها ونجومها * عدلت من التشريق للتغريب
تبدو بمطلع أفقها فضية * وتغيب عندك وهي فى تذهيب
مولاى أشواقى اليك تهزنى * والنار تفضح عرف عود الطيب
بحلى علاك أطلتها وأطبتها * ولكم مطيل وهو غير مطيب
طالبت أفكارى بفرض بديعها * فوفت بشرط الفور والترتيب
متنبئ انا في حلى تلك العلا * لكن شعرى فيك شعر حبيب
والطبع نخل والقريحة حرّة * فاقبله بين نجيبة ونجيب
هابت مقامك فاطمأنت صعابها * حتى غدت ذللا على التدريب
لكنني سهلتها وأذلتها * من كل وحشي بكل ربيب
ان كنت قد قاربت فى تعديلها * لابدّ فى التعديل من تقريب

عـذرى لتقصيرى وعجزى ناسخ * ويحل منك العفو عن تثريب
من لم يدن لله فيـك بقربة * هو من جناب الله غير قريب

ولما احتفل السلطان لاعذار ولده نظمت هـذه القصـيدة مساعدة لمن نظم من الاصحاب وتشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التى أرسلها والطلبة التى نصبها فى الهواء للفرسان يرسلون العصى اليها والثيران التى أرسل عليها الاكاب الرومية تمسكها فى صورة القرط من آذانها وهى آخر النظم فى الاغراض السلطانية قصر الله تعالى ألسنتنا على ذكره وشغلها به عن غيره

شحطت وفودا لليل بان به الوخط * وعسكره الزنجى هزمه القبط
اتاه وليد الصبح من بعد كبرة * أبو لد اجنى ناحل الجسم مشمط
كأن النجوم الزهر اعشار سورة * ومن خطرات الرجم أثناءها مط
وقد وردت نهر المجرة سحرة * غوائص فيه مثل ما تفعل البط
وقد جعلت تفلى باغلها الفلا * ويرسل منها فى غدائره مشط
يشف عباب الليل منها جواهرا * فيكثر فيها النهب للعين واللقط
فسارت خيالا مثلها غير أنه * من البث والشكوى يبين له لغط
سمرت سلخ شهر فى تلفت مقـلة * على قتب الاحلام تسمو وتنحط
لى الله من نفس شعاع ومهجة * اذا قدحت لم يخب من زندها سقط
ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوى * وعن نقطة مفروضة ينشأ الخط
فأقسم لولا زاجر الشيب والنهى * ونفس لغير الله ماخضعت قط
لريع لها الاحراس منى بطارق * مفارقه شمط وأسيافه شمط
تناقله كوماء سامية الذرا * ويقذفه شهم من النيق منحط
ولولا النهى لم تستبن سبل الهدى * وكاد وزان الحق يدركه الغمط
ولولا عوادى الشيب لم يبرح الهوى * يعبه نوء على الرمل مختط
ولولا أمير المسلمين محمد * لهالت بحار الروع واحتجب الشط
ينوب عن الاصباح ان مطل الدجى * ويضمن سقى السرح ان عظم القحط
تقرّ له الاملاك بالشيم العلا * اذا بذل المعروف أو نصب القسط
أرادوه فارتدوا وجاروه فانثنوا * وساموه فى مرقى الجلالة فانحطوا
تبرّ على المداح غرّ خلاله * وما رسموا فوق الطروس وما خطوا
تعلم منه الدهر حالمه فى الورى * فآونة يسخو وآونة يسطو
ويجمع بين القبض والبسط كفه * بحكمة من فى كفه القبض والبسط
خلائق قد طابت مذاقا ونفحة * كما مزجت بالبارد العذب اسفنط
اسبط الامام الغالبى محمد * وياخر ملك كنت انت له سبط
وقتك أواقى الله من كل غائل * فأى سلاح ما الجن وما اللمط
لقد زلزلت منك العزائم دولة * اناخت على الاسلام تجنى وتشتط

اباية غدر ضيع الله ركنها * ونادى باهليها التبار فلم يطوا
على قدر جلى بك الله بؤسها * ولا يكمل البحران أو ينضج الخلط
وكانوا نعيم الجنتين تفيؤا * ولما يقع منها النزول ولا الهبط
فقد عوضوا بالاثل والخمط بعدها * وهيهات أين الاثل منها او الخمط
نجن طائح فوق العراء مجدل * ومن راسف فى القيد أرهقه الضغط
وأتحف منك الله أمة أحمد * أمانا كما يضفو على الغادة المرط
انامت على مهد الامان عيونها * فيسمع من بعد السهاد لها غط
وصم صدى الدنيا فلما رحمتها * تزاحم مرتاد عليها ومختط
واحكمت عقد السلم لم تأل بعده * وجاء فصح العقد واستوثق الربط
وأيقن مرتاب وأصحب نافر * وأذعن معتاص وأقصر مشتط
ولله مبناك الذى معجزاته * سمت أن توافيها الشفاه أو الخط
وأنست غريب الدار مسقط رأسه * ومن دون فرخيه القتادة والخرط
تناسبت الاوضاع فيك وأحكمت * على قدر حتى الارائك والبسط
فجاء على وفق العلا رائق الحلى * كما سمط المنظوم أو نظم السمط
ولله اعذار دعوت له الورى * فهبوا الداعيه المهيب وان شطوا
تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضا * ويحدوهم الخصب المضاعف والغبط
وأغربت بالبهم العلاج تحفيا * فلم يدخر الشئ الغريب ولا السمط
أتت صورة معلولة عن مزاجها * واصل اختلاف الصورة المزج والخلط
قضيت بها دين الزمان ولم يزل * أكذ كذوب الوعد يلوى ويشتط
وأرسلت يوم السبق كل طمرة * كما قذف الملومة النار والنفط
رنت عن كحيل كالغزال اذا رنا * وأوفت بهاد كالظليم اذا يعطو
وقامت على منحوتة من زبرجد * تخط على الصم الصلاب اذا تخطو
وكل عتيق من تماثل رومة * تأنق فى استخطاطه القس والقمط
وطاعته نحو السكاك أعانها * على الكون عرق واشج ولى سبط
تلقف حيات العصى اذا هوت * فثعبانها لا يستقيم له سرط
أزرت بها بحر الهواء سفينة * على الجو لا الجودى كان لها حط
وطاردت مقدام الصوار بجارح * يصاب به منه الصماخ أو الابط
متين الشوى فى رأسه سمهرية * مقصرة عنهن ما ينبت الخط
وقد كان ذا تاج فلما تعلقا * بسامعتيه زانه منهما قرط
وجىء بشبل الملك ينجد عزمه * عليه الحفاظ الجعد والخلق السبط
سمحت به لم ترع فرط ضنانة * وفى مثلها من سنة يترك الفرط
فأقدم مختارا وحكم عاذرا * ولم يشتمل مسك عليه ولا ضبط
ولو غير ذات الله رامته نصنفت * قنا كالافاعى الرقط أودونها الرقط

وأسد نزال من ذؤابة خزرج * بها يل لا روم القديم ولا قبط
جلادهم مثنى اذا اشتجر الوغى * كأن رعاه بالعضاه بها خبط
كتائب أمثال الكتاب تتاليا * فمن بيضها شكل ومن سمرها نقط
دليلهم القرآن يا حبذا الهدى * ورهطهم الانصار يا حبذا الرهط
وبيض كامثال البروق غمامها * اذا وشحت سحب القتام دم عبط
ولكنه حكم يطاع وسنة * وأعمال بر لا يليق بها الحبط
وربة نقص للكمال مآله * ولا غرو فالاقلام يصلحها القط
فهنيته صنعا ودمت مملكا * عزيزا تشيد المعلوات وتختط
ودون الذي يهدى تناولنى الورى * من الطيب ما تهدى الالوة والقسط
رضيت ومن لم يرض بالله حاكما * ضلالا فلله الرضا وله السخط
حياتك للاسلام شرط حياته * ولا يوجد المشروط ان عدم الشرط

هذا كاف فى المطولات لتجلب منها عرضا يدل على حبو بها ونتحف منها انفس الغرفاء بمطلوبها منقولة من الكتاب المسمى بأبيات الابيات ومن الكتاب المسمى بالصيب والجهام (فن التورية) على طريقة المشارقة قولى

مضجعى فيك عن قتادة يروى * وروى عن أبى الزناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك امسى * من دموعى يهيم فى كل وادى

ومن هذا الباب أيضا

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقد رابها صبرى على موقف البين
اتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

وفى هذا المعنى

كتبت بدمع عينى صفح خدى * وقد منع الكرى هجر الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا * كتاب العين ينسب للخليل

ومن الاغراض الظريفة فيها

تعجلت وخط الشيب فى زمن الصبا * لخوضى غمار الهم فى طلب المجد
فهسما رأيتم شيبة فوق مفرقى * فلا تنكروها انها شيبة الحمد

ومن التورية بالنجوم والكاتب بيته بيت شرفه

باوت على زمنى همة * فأعتبنى الزمن العاتب
وشرفنى الله فى موطنى * وفى بيته يشرف الكاتب

وابدع منها قولى لمن يدعى بشمس الدين

قل لشمس الدين وقيت الردى * لم يدع سقمك عندى خلدا
رمدت عينك هذا عجب * أوعين الشمس تشكو الرمدا

وقلت فى غرض التورية بما يظهر من الابيات

أفل الالى كانوا نجوم * ما للورى فالكون مظلم

وتناكر الناس الحديث الحق * وافتقد المعلم
اما كاتب السلطان ما * طالعت قط كتاب مسلم
الا سخاما قادحا * فى الدين والله المسلم

وفى معنى الدعابة مع بعض الطلبة

قال لى عند ما أتى بجدال * وشكوك على اصول الدين
واسانى بيذل الدال تاه * عاجز فى الامور عن تبيين
التمس مخرجا يوافق قولى * قلت احسنت يا جلال التين

وفى التورية

اذم ذوى التطفيل مهما أتى * وان تكن أجلتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع انه * من جنس من يمشى على بطنه

وقلت

أفقد جفنى لذيذ الوسن * من لم ازل فيه خليع الرسن
عذاره المسكى فى خده * انبته الله النبات الحسن

وقلت فى رثاء من اسمه حسن

اشكو الى الله من بثى ومن شجنى * لم أجن من محنتى شيأ سوى محنى
اصابت الحسن العين التى رشقت * وعادة العين لا تصمى سوى الحسن

وفى الشيب

تفر عن الشيب الغوانى تعززا * كما يعتريها ان رأت سام ابرصا
بدا واضحا فى جدة العمر شانيا * فمن سام شيخا فهو قد سام ابرصا

وقلت فى السها من النجوم الجوفية

قالوا السها بادى النحول كانه * متستر تبدو مخايل خوفه
اتراه يشكو قلت هذا ممكن * والله يعلم داءه من جوفه

وقلت

عابوا وقالوا بساقه شعر * لقد عداه الكمال من ساق
قلت انظروا ورد روض وجنته * وكل ورد مشوك الساق

وقلت فى التضمين

رفعت قصة اشتياقى ليحيى * فزوى الوجه رافضا للفتوه
ورمى بالكتاب ضعف اهتبال * قلت يحيى خذ الكتاب بقوه

وقلت

وذى حيل يعيى التقية أمره * مكايده فى لجة الليل تسبح
يدب بشبول الليث والليث ساهر * ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت

لما رأوا كلفى به ودروا * مقدار مالى فيه من حب

قالوا النقي حلو فقلت لهم * طلعت حلاوته على قلبي
وقلت ولهما حكاية
وذي زوجة تشكو فقلت له اسقها * دواء من الحب الملين للبطن
فقال أبت شرب الدواء بطبعها * فقلت اسقها ان عافت الشرب بالقرن
وقلت
لعنوا برياً من خبائث ظنهم * فالله يلعن أهل سوق العنبر
والله لا أوطأت ساقي سوقهم * أبد الزمان فتلك سوق العنبري
ومن الفكاهات
ولما دعاني داعي الهوى * وأخلف ما كنت أمّلته
ولم يبق غير البكا حيلة * بكيت بمقدار ما نلته
وقلت وقد رفع للسلطان باكورة بنفسج
قدم البنفسج وهو نعم الوارد * قدماً منه الى طيب زائد
فسألته ما باله فأجابني * والحق لا يخفى عليه شاهد
أقبلت أطلب من بنان محمد * صلة فعاد على منه عائد
وقلت من التشبيه
سهرنا وفي سير النجوم اعتبارنا * الى أن صفا الليل من فوقنا ربط
تخلنا شهاب الرجم ابرة خائط * مسوحا وما يبقى من الذنب الخيط
وقلت أودّع صديقاً أنست به
فلا حة مثلي ممقوتة * وان أعجب البدء منها وراق
زرعت اللقاء وعالجته * فلم أستفد منه الا الفراق
ومن تضمين المثل
لا تهج بالذكر في كبدي * نار وجد شق محمله
ويقول الناس في مثل * لا تحرك من دنا أجله
ومن المدح
عجباً لراحتك الملثة بالندى * أن لا تكون على الغمام غماما
يهمي ووجهك نوره متألق * والقطر ان سحب السحاب اغاما
ومن أبيات المدح
يا ناصر الدين لما قلّ ناصره * ومطلع الجود في الدنيا وقد أفلا
لولا التشهد والترداد منك له * لم يسمع الناس يوماً من لسانك لا
ومن أوصاف صنيع سلطاني
ماذا أحدث في صنيع خلافة * هشت اليه الشهب في آفاقها
فكأنما الجوزاء حين تعرضت * شدت لتخدم فيه عقد نطاقها
ومن قصيدة في وصف فرس

فبوّأته من مهجتى متبوّأ * خفيا على سرّ الفؤاد المكتم
ويا عجبا منى وفرط تشيعى * أهيم بوجدى فيه وهو ابن ملجم

ومن الحماسة فى التورية بالمنطق

حتى اذا فرض الجلاد جداله * ورأيت ريح النصر ذات هبوب
قدمت سالبة العدوّ بعدها * أخرى بعز النصر ذات وجوب
واذا توسط حدّ سيفك عندها * جزأى قياس فزت بالمطلوب

وفى خاتمة قصيدة

ماضرّنى ان لم أجئ متقدما * السبق يعرف آخر المضمار
ولئن غدا ربع البلاغة بلقعا * فلرب كنز فى أساس جدار

ومن المدح

ان أبهم الخطب جلى فى دجنته * رأيا يفرّق بين الغىّ والرشد
وان عتا الدهر أبدى من أسرّته * وكفه هدى حيران ورىّ صدى
وان نظرت الى لألاء غرّته * يوم الهياج رأيت الشمس فى الاسد

ومن الاوصاف فى قصيدة

كم ليال بت فى ظلمائها * امتطى من نار شوقى فرشا
وكأن النجم شرب ثمل * واصل الخمرة حتى ارتعشا

ومن التورية بالكفتين من الحيل العددية

لاعدل فى الملك الا وهو قد نصبه * وصير الخالق فى ميزانه عصبه
والكفتان ترى من كفه درتا * أن تخرج العدد المجهول للطلبه

وفى رجل يحتال على الولاية

حلفت لهم بأنك ذو يسار * وذو ثقة وبرّ فى اليمين
ليستندوا اليك بحفظ مال * فتأكل باليسار وباليمين

وقلت ولهما حكاية تظهر من الابيات

قلت لما استقلّ مولاى زرعى * ورأى غلة الطعام قليله
دمنتى لا تجاعى الحرث كانت * فهى اليوم دمنة وكليله

ومما صدّرت به كتابا لاحد الفضلاء

يامن تقلد للعلاء سلوكا * والفضل صير نهجه مسلوكا
كاتبتنى متفضلا فلكتنى * لازلت منك مكاتبا مملوكا

وقلت فى غرض يظهر منه

جلس المولى لتسليم الورى * وانفصل البرد فى الجوّ احتكام
فاذا ماسألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت من التورية

ياما أبكى بجلال * تهدى الى القلب حيره

اضرمت قلبي نارا * يا مالك بن نويره

وقلت أيضا

أضاف الى الجفون السود شعرا * كجنح الليل أو صبغ المداد
فقلت اميرهذا الحسن تزكو الاجور له بتكثير السواد

وقلت أيضا

بابي بدر غزاني * مستبيحا شرح صدري
فانا اليوم شهيد الحب من غزوة بدر

وقلت واهما حكاية

ايا ليلة بالحصب لم تأل شهرة * كما اشتهرت في فضلها ليلة القدر
فما من قلب اللوز من علة النوى * واصبح فيها التين منشرح الصدر

ومن النزعات المشرقية في التورية

يا قائدى نحو الغرام بعقله * نفقت حلاوتها بكل فؤاد
ماذا جنيت علي من مضض الهوى * الله ينصف منك يا قوادي

ومن هذا النمط المشرقي

وقالت حلقت الكس مني بنورة * فقلت لها استنصرت من ليس ينصر
الا فابلغي عني فديتك واصدقي * محلق ذاك الكس الى مقصر

ومنها

قال لي والدموع تهمل سحبا * في عراض من الخدود محول
بك مابي فقلت مولاي عافا * ك المعاني من عبرتي ونحولي
انا جفني القريح يروي عن الاعمش والجفن منك عن مكحول

ومن أبيات التورية أو ما داخلها

في مصر قلبي من خزائن يوسف * حب وعبر مدامعي تمتاره
حليت شعري باسمه فكأنه * في كل قطر حله ديناره

ومن المدح أيضا ولا أستحضر لقبه

رأيت بكفك اعتبارا * بأسا وندى ما ان يبارى
فقلت وقد عجبت منها * يا بحر متى تدعو نوارا

وقلت مما يجري مجرى الحكم

ان الهوى لشكاية معروفة * صبرا التصبر من اجل علاجها
والنفس ان الفت مرارة طعمه * ضمنت بذلك صلاح منهاجها

ومن الغرائب في الاوصاف

كأنما الروض ملك * باهى به جلساه
يرضى النديم فيهما * سقي الرياض كساه

وفي غرض النسيب

أصبح الخد منك جنة عدن * مجتلى أعين وشم أنوف
ظللته من الجفون سيوف * جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقال في النسيب

أرسلت طرفي في حلاك بنظرة * هي كانت السبب الغريب لمأبي
وأراك بالعبرات قد عاقبتها * ليس الرسول بموضع لعقاب

ومن تحسين القبيح

وأحول يعدى القلب سهم جفونه * فتضحى صحيحات القلوب به مرضى
رأى الحسن أن اللحظ منه مهند * فحرفه كيما يكون له أمضى

ومن النزعات الحسنة

من لي بذكرى كلما أوجستها * تمحو سلوى واشتياقي تثبت
وسحاب دمع كلما أمطرته * غير القتاد بمضجعي لا ينبت

ومن النسيب

جاء العذار بظل غير ممدود * فمنتهى الحسن منه غير محدود
ناديت قلبي اذ لاحت طلائعه * يا صبر أيوب هذا درع داود

وفي نقيضه

ما ضر مني ان أخلفت موعودي * وروض خدك أضحى ذاوي العود
وقال قوس عذار فوق صفحته * سفينة الحسن قد حطت على الجودي

ومن التضمين

يا من بأكناف فؤادي ربع * قد ضاق بي عن حبك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أرعوى * شح مطاع وهوى متبع

ومن الاغراض المخترعة

أنكرت لما أطل عارضه * فقال لي حين رابه نظري
ألم تقل لي بأنني قمر * فانظر الى وبر ارنب القمر

ومن التضمين

يا كوكب الحسن يا معناه يا قمره * يا روضه المتناهي الربيع يا ثمره
امرتني بسلو عنك ممتنع * مامور حسنك لما يقض ما أمره

وقال

لما رضيت بفرقتي وبعادي * وصرمت آمالي وخنت ودادي
لاعنت أم الصبر فيك وبعده * ورثت للاشجان كنز فؤادي
فالصبر مني أجنبي بعدها * ولواعج الاشجان من أولادي

ومن الاغراض المشرقية

سار بي للامير يشكو اعتراضي * يوسف والشهود أبناء جنسه
قال لي ما تقول قلت مجيبا * لم تخف من نكاله أو لحبسه

حصحص الحق يا خوند فدعني * أنا راودت يوسفا عن نفسه

ومن الاوصاف

بتنا نطارح هم القحط ليلتنا * وأيد الهم والسهد البراغيثا
وكان يحمد ما كنا نكابده * من المشقة لو أن البراغيثا

وفي قريب من المعنى

وقالوا ابدت منكم على الجسم حمرة * فقلت براغيث لكم رقطونا
عدت نحونا ليلا ومن بعدنا اغتدت * كما رقصت في القلو بزر قطونا

ومن التضمين

قال جوادي عندما * همزت همزا أعجزه
الى متى تهمزني * ويل لكل همزه

وفي رثاء السلطان أبي الحجاج رحمه الله تعالى

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب
يا يوسف أنت لنا يوسف * وكلنا في الحزن يعقوب

وقلت ولهما حكاية

طال حزني لنشاط ذاهب * كنت أسقى دائما من حانه
وشباب كان يندى نضرة * نزل الثلج على ريحانه

وقلت وقد اعجبني نشاط ولدي

سرق الدهر شبابي من يدي * ففؤادي مشعر بالكمد
وجدت الامر اذ أبصرته * باع ما أفقدني من ولدي

وقلت ولهما حكاية

قلت للشيب لا يريبك جفائي * في اختصاري لك البرور ومقتك
انت بالعتب يا مشيبي أولى * جئتني غفلة وفي غير وقتك

ومما خططته في رملة نزلتها

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقلت أيام مقامي بسلا

ايا أهل هذا القطر ساعده القطر * بليت فدلوني لمن يرفع الامر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطا * وفي شغلي أو نومتي سرق العمر

وقلت والبقاء لله وحده وبه نختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت
كيف ترجو حالة البقيا لمصباح وزيت

انتهى ما نقلته من الاحاطة من ترجمة نظامه وبعض ماذكرهنا قد تقدم وكررته لكونه

بلفظه فى الاحاطة وقد ذكرت أثناء الابواب غير هذا الباب من نظم لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ولنعزز ذلك هنا بذكر مالم يتقدم ذكره اذ نظمه بحر لا ساحل له ولذا كتب ابنه أبو الحسن على على هذا المحل من الاحاطة ما صورته ولوالدى أيضا المترجم به رحمه الله تعالى فى سكين الاضاحى لسلطانه أبى الحجاج يوسف بن نصر فيما يكتب بالسكين المضحية

لى الفخران أبصرتنى أو سمعت بى * على كل مصقول الغرارين مرهف
كفانى فخرا أن ترانى قائما * بسنة ابراهيم فى كف يوسف

ومقطوعاته كثيرة لم يتضمن هذا الديوان منها الا القليل بسبب الاختصار ومن اراد الوقوف على جملتها فعليه بكتاب الصيب والجهام فى شعره رحمه الله تعالى قال ذلك ولده على لطف الله تعالى به آمين انتهى *(فمن ذلك) قوله رحمه الله تعالى

عسى خطرة بالركب يا حادى العيس * على الهضبة الشماء من قصر باديس
لنظفر من ذاك الزلال بعلة * وننعم فى تلك الظلال بتعريس
حبست بها ركبى فواقا واغا * عقدت على قلبى بها عقد تحبيس
لقد رسخت آى الجوى فى جوانحى * كارسخ الانجيل فى قلب قسيس
عيدان جفنى للسهاد كتيبة * تغير على سرح الكرى فى كراديس
ومابى الا نغبة حاجرية * سرت والدجى ما بين وهن وتغليس
ألا نفس يا ريح من جانب الحمى * تنفس من نار الجوى بعض تنفيس
ويا قلب لا تلق السلاح فربما * تعذر فى الدهر اطراد المقاييس
وقد تعتب الايام بعد عتابها * وقد يعقب الله النعيم من البوس
ولا تخش لج الدمع يا خطرة الكرى * الى الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا * مقالة تأنيب يشاب بتأنيس
وقد كنت تعطو كلما هبت الصبا * بريان فى ماء الشبيبة مغموس
ومن رابح الايام يا ابنة عامر * بجوب الفلا راحت يداه بتفليس
فلا تحسبى والصدق خير سجية * ظهور النوى الا بطون النواميس
وقفراء أمار كبها فضلل * وصرنعها من آنس غير مأنوس
سحبنا بها من هضبة لقرارة * ضلالا وملنا من كناس الى خيس
اذا ما نهضنا عن مقيل غزالة * نزلنا فعرسنا بساحة عتريس
أدرنا بها كاسادها قامن السرى * أملنابها عند الصباح من الروس
وحانة خمار هدانا لقصدها * شميم الحيا واصطكاك النواقيس
تطلع رهبانيها من جداره * يهيم فى جنح الظلام بتقديس
بكرنا وقلنا اذ نزلنا بساحة * عن الصافنات الجرد والضمر العيس
أيا عابد الناسوت انا صبابة * أتينا لتثليث بلى ولتسديس
وما قصدنا الا المقام بحانة * وكم ألبس الحق المبين بتلبيس
فأنزلنا فورا على جنباتها * محاريب شتى لاختلاف النواميس

بدرنا بها طين الختام بسعدة * أردنا بها تجديد حسرة ابليس
ودار العذارى بالمدام كأنها * قطا تتهادى فى رياش الطواويس
وصار فنافيها نضارا بشمله * كأنا ملأنا الكاس للامن الكيس
وقمنا نشاوى عند ما متع الضحى * كأنم تحت غاب الاسود من الخيس
فقال لبئس المسلمون ضيوفنا * أما وأبيك الخير ما فعن بالبيس
وهل فى بنى مشوالك الامبرز * بحلبة شورى أوبحلقة تدريس
اذا اهتز عسال اليراعة فاتكا * أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
يقلب تحت النقع مقلة ضاحك * اذا التفت الابطال عن مقل شوس
سبينا عقار الروم فى عقر دارها * بحلية تمويه وخدعة تدليس
لئن أنكرت شكلى ففضلى واضح * وهل جائز فى العقل انكار محسوس
رسبت بأقصى الغرب ثغر مضلة * وكم درّة علياء فى قاع قاموس
وأغربت شوقى بالعذيب وبارق * على وطن دانى الجوار من السوس

قوله الغرب فى نسخة الارض اه

(ومن أبدع ما صدر عن لسان الدين رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التى خاطب بها سلطانه حين عاد من المغرب الى الاندلس واعاد الله تعالى عليه ملكه الذى كان خلع منه ويقال ان السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصور دار الحمراء حيا بها وانها الى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التى استولى عليها العدو الكافر اعادها الله تعالى للاسلام وأول هذه القصيدة

الحق يعلو والاباطل تسفل * والله عن أحكامه لا يسأل

قال لسان الدين رحمه الله تعالى نظمتها للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا لما اتصل طالباً حقه بالاندلس كان صنع الله تعالى براعة استهلالها ووجهت بها اليه الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح وفاء بنذرى وسميتها المنح الغريب فى الفتح القريب ومنها

واذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عزوجل لا يتبدّل
واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل
والمستعد لما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا
أمجد والحمد منك سجية * بجليها دون الورى تتجمل
أما سعودك فهو دون منازع * عقد بأحكام القضاء مسجل
ولك السجايا الغر والشيم التى * بغريبها يتمثل المتمثل
ولك الوقار اذا تزلزلت الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل
عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما يكمل
تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الجانى الذى * أرضاك فيما قد جناه الاول

والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فأى صبر يجمل
والبحر قد حنيت عليك ضلوعه * والريح تقطع للزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت وقد غدت * تختال فى برد الشباب وترفل
جوفاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل

ومنها

صهب تسم غرر الجياد كانما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجلاد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن ممشقة وطرف اكحل
فكانما هو صورة فى هيكل * من لطفه وكانما هو هيكل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه * مورد والشط منه مهدل
وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * مرء العيون فبالعجاجة تكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له أن النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

ومنها

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مشتجر القنا * اذ ثوب الداعى المهيب وأقبلوا
قوم اذا لفح الهجير وجوههم * حجبوا برايات الجهاد وظللوا

وهى طويلة لم يحضرنى الآن منها سوى ما كتبته ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

يا امام الهدى وأى امام * أوضح الحق بعد اخفاء رسمه
انت عبد الحليم حلمك نرجو * فالمسمى له نصيب من اسمه

وقال يخاطب عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى أبا مالك ابن سلطان افريقية مودعا

أبا مالك أنت نجل الملوك * غيوث الندى وليوث النزال
ومثلك يرتاح للمكرمات * ومالك بين الورى من مثال
عزيز بأنفسنا أن نرى * ركابك مؤذنة بارتحال

وقد خبرت منك خلقا كريما * أناف على درجات الكمال
وفازت لديك بساعات أنس * كما زار فى الليل طيف الخيال
ولولا تعللنا أننا * نزورك فوق بساط الجلال
ونبلغ فيك الذى نبتغى * وذلك على الله سهل المنال
لما فترت أنفس من أسى * ولابرحت أدمع فى انهمال
تلقتك حيث احتللت السعود * وكان لك الله فى كل حال

وتوفى أبو مالك الخاطب بهذا فى بلاد الجريد سنة ٧٤٠ ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى

ماذا أحدث عن بحر سبحت به * من البحار فلا اثم ولا حرج
وعاء مبتدع الاشياء مستويا * ماان به درك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا * صحت ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة * والشاهد العدل هذا الطيب والارج

وقال رحمه الله تعالى

كأنا بتامسنا نجوس خلالها * وممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبطت * ولاجهة تدرى ولا البر يبصر

وقال سامحه الله تعالى وهو مكتوب بالمدرسة التى بناها السلطان أبو الحجاج بن نصر رحمه الله تعالى

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم * وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا * وتجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما * تقدم خصم فى الفخار الى خصم
فاجدى اذا ضن الغمام من الحيا * وأهدى اذا جن الظلام من النجم
فياظاعنا للعلم يطلب رحلة * كفيت اعتراض البيد أولجج اليم
ببابى حط الرحل لاتنو وجهة * فقد فزت فى حال الاقامة بالغنم
فكم من شهاب فى سمائى ثاقب * ومن هالة دارت على قمر تم
يفيضون من نور مبين الى هدى * ومن حكمة تجلوا القلوب الى حكم
جزى الله عنى يوسفا خير ما جزى * ملوك بنى نصر عن الدين والعلم

وقال رحمه الله تعالى مررت يوما مع شيخنا أبى البركات بن الحاج ببعض مسالك غرناطة حرسها الله تعالى فأنشدنى من نظمه

غرناطة مامثلها حضره * الماء والبهجة والخضره

واستجازنى رحمه الله تعالى فقلت

سكانها قد أسكنوا جنة * فهم يلقون بها نضره

وقال فى تورية طبية

انى وان كنت ذا اعتلال * رث القوى بين الهزال

في عارض التيس لي شفاء * فكيف في عارض الغزال

وقال رحمه الله تعالى يخاطب شيخه سيدي أبا عبد الله بن مرزوق موطئا على بيت المشارقة في العذار

أما والذي تبلى لديه السرائر * لما كنت أرضى الخسف لولا الضرائر
غدوت لضيم ابن الربيب فريسة * اما ثار من قومى لنصرى ثائر
اذا التمست كفي لديه جرايتي * كأنى جان أو بقته الجرائر
وما كان ظني أن أنال جراية * بحكم من جرائها في جائر
متى جاد بالدينار أخضر زاقا * ودارته دارت عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيت كيس مرادق * ورقت لبلواى النفوس الامائر
تذكرت بيتا في العذار لبعضهم * له مثل بالحسن في الارض سائر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر
وجاه ابن مرزوق لدي ذخيرة * وللشدة العظمى تعد الذخائر
ولو كان يدرى ما دهاني لساءه * وأنكر ما صارت اليه المصائر

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحد الشرفاء

أعيا اللقاء على الاحبة * في جلة لاتقبل التفصيلا
فجعلت بابك عن يمينك نائبا * أهديه عند زيارتي تقبيلا
فاذا وجدتك نلت ما أملته * أولم أجدك فقد شفيت غليلا

ولما دخل رحمه الله تعالى مدينة انفا ومر منها على دار عظيمة تنسب الى والى جبايتها عبو من بني الترجمان قارون قومه وغني صنفه قال

قد مررنا بدار عبو الوالي * وهي ثكلي تشكو صروف الليالي
أقصدت ربها الحوادث لما * رشقته بصائبات النوال
كان بالامس والياً مستطيلا * وهو اليوم ماله من وال

وقال في الشيخ ابن بطان الصنهاجي

لله درك يا ابن بطان فما * لشهير جودك في البسيطة جاحد
ان كان في الدنيا كريم واحد * يرنا الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا بحليه * ما كان من يحيى فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مفرد * ولذاك ما شاء العلا مووالد
وهى الليالي لاتزال صروفها * يشقى بموقعها الكريم الماجد
ونستعين الله يصلح منك ما * قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله تعالى وقد انتابه البرغوث

زحفت الى كتائب البرغوث * تحت الظلام بركبها المحثوث
بالجبة السوداء قابل مقدمي * لله أي قرى اعد خبيث
نسجت بهن ذباب سرح تجلدى * ليلا فحبل الصبر جد رثيث

ان صابرت نفسي اذاه تعبدت * أوهمت منه انفت من تخنيثي
جيشان من ليل وبرغوث فهل * جيش الصباح لصرختي بمغيث

وقال يخاطب الوالي محمد بن حسون بن أبي العلا وصدر بها رسالة

لم يبق لي جود الولاية حاجة * في الامن أو في الجاه أو في المال
بعد اللقاء أولى الفضائل بغيتي * ورأيت هذا القصد شرط كمال
أجملته وتشوقت لبيانه * همم فكنت مفسر الاجمال
وخصصت بالالقاء غيرك غيرة * وجعلت ذكرك شاهد الاعمال
للبست يا ابن أبي العلا قشب الملا * وتركت أهل الارض في أسمال
ان دون الفضلاء فضلا معلما * فلقد أتيت عليه بالاكمال
تثني عليك رعية آمالها * في أن تفوز يداك بالآمال
أرعيتها هملا فلم يطرق لها * بمنيع سورك طارق الاهمال
من كنت واليه تولته العلا * ومن اطرحت فما له من وال

وقال في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح

أسمي ذي النورين وجهك في الوغى * شمس الضحى حلت بليث عرين
ان تفتخر بعرين أرض العدوة الـ * ـقصوى فانك أنت فخر مرين

وقال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار اليه أمرها

بلد قد غزاه صرف الليالي * وأباح المصون منه مبيح
فالذي خر من بناه قتيل * والذي خر منه بعض جريح
وكأن الذي يزور طبيب * قد تأتى له بها التشريح
اعجمت منه أربع ورسوم * كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغاني * وجمال اخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما * أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى * قال ماشاء ذابل وصفيح
حين شبت لهم من الباس نار * ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما * طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى * جسد بعد ما تولى الروح

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي ابي محمد صالح النائم في ظل صيته رحمه الله تعالى

يا حفيد الولي يا وارث الفخـ * ـر الذي نال في مقام وحال
لك يا احمد بن يوسف جبنا * كل قطر يعيي اكف الرحال

وقال في نفاضة الجراب لما خرجت من اسفي سرت الى منزل ينسب الى ابي حذو وفيه رجل من بني المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف واجزل وآنس في الليل وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته فكتبت له

نزلنا على يعقوب نجل أبي حذو * فعرّفنا الفضل الذي ماله حدّ
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى * فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه * ويلقاه منا البرّ والشكر والحمد

وقال

أألقى الى الايام فضل مقادتي * فتجنبني ما بين كدّ وارهاق
واتلف بين الخلق والرزق فكرتي * ولست بخلاق ولست برزاق
اذا كنت بالاثراء لى فى تعلق * رضيت بعز النفس فى عز املاق

وقال

لك الملك ملك الحسن فاقض بما الذى * تشاء فما يعصى لامرك واجبه
اذا ما كسرت العظم من تحت حاجب * تحكم فى الالباب كسرى وحاجبه

وقال

سالنا ربيع العام للعام رحمة * فضنّ ولم يسمح بذرّة انعام
فقلنا وقد ردّ الوجوه ولم ينل * قليل الحيا قبحت والله من عام

وقال

تخوّنه صرف الزمان وهل ترى * بقاء لشئ أو دواما على أمر
هو الدهر ذو وجهين يوم وليلة * ومن كان ذا وجهين يعتب فى غدر

وقال رحمه الله تعالى فى شجر الجوز

انظر الى شجر وحسن بسوق * يهفو النسيم بقدّه الممشوق
يجلو اللواحظ منظرى حسنا كما * يجلو ثغور الغانيات عروقى

وقال رحمه الله تعالى فى ساق

كيف آمنتما على الشرب ظبيا * لحظه فى القلوب غير أمين
راح يسقى فصب فى الكاس نزرا * ثقة منه بالذى فى العيون

وقال يخاطب السلطان

أنت للمسلمين خير عماد * وملاذ وأى حرز حريز
لو رأى ما شرعت للخلق فيه * عمر الفاضل بن عبد العزيز
لجزى ملكك المبارك خيرا * وقضى بالشفوف والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل * وبقول مطوّل أو وجيز
كل ملك يرى بصحبة أهل الشعر قد باء بالمحل العزيز
فاذا ما ظفرت منهم باكسير ملأت البلاد من ابريز
والبرايا تبيد والملك يفنى * أين كسرى الملوك مع ابرويز

وقال رحمه الله تعالى

مالى أهذب نفسى فى مطامعها * والنفس تأنف تهذيبى وتهذى بى
اذا استعنت على أهلى بتجربة * تأبى المقادير تجريبى وتجرى بى

وقال

من لانصيب لصحبه فى خيره * واذا سعى لم يقض حاجة غيره
فاقصد أباه متى أردت وقل له * الله يلهمه العزاء بايره

وقال رحمه الله تعالى

أمستخرجا كنز العقيق بآماق * أناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى اطواقى

وقال رحمه الله تعالى

اذا لم أشاهد منك قبل منيتى * نهاية آمالى وغاية غاياتى
فحسن عزائى حيل بينى وبينه * وقرة عينى لم تحصل بمرآتى
شهودك أمنى من عداة خواطرى * وقربك حرزى من توقع آفاتى
فان لم يكن وصل فهبها اشارة * فيا حسن شاراتى بها من اشاراتى

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الدنيا

دنيا خدعت الذى سفرت له * عن صفحة لم يحل بها كرم
سرقت حظ الاله من يده * فهان ما كان منه يحترم
هذا الذى نال منك ليس له * منقطع دائم ومنصرم
وحبه نال الذى أراد أما * بين يديه المشيب والهرم

ولما أورد رحمه الله تعالى قول القائل فى وصف الدنيا

كلما أنبت الزمان قناة * ركب المرء فى القناة سنانا
وكأنا لم نرض فيها بريب الـ * ـدهر حتى أعانه من أعانا

قال اثره مانصه والحق ماقلته من أبيات تناسب ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله

والله ان لم يداركها وقد وحلت * بلمحة أو بلطف من لدنه خفى
ولم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائر الا الى تلف

فحب الدنيا رأس كل بليه ولولاه لم تزل النفس صافية عالية عن سجيتها الاوليه انتهى
ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

ان رأى الحق فيك منه بقيه * فاتق البعد فيه حق التقيه
واذا لم يكن لذاتك رسم * قائم تلك حالة حقيه

وقوله رحمه الله تعالى

فسامح اذا مالم تفدك عبارة * وان أشكلت يوما فخذها كما هيا
وتخلص ما دندنت بالقول حوله * اذا فت بالباقى فمازلت باقيا

وقال رحمه الله تعالى

ففى عالم الاسرار ذاتك تجتلى * ملامح نور لاح للطور فاندا
وفى عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشقى من استشقى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا ان ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولاحدا

قوله ثبت هكذا تقدم فى سرد القصيدة وفى نسخة هنا أتيت وفى أخرى هديت اهـ

وهذه الابيات في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال رحمه الله تعالى

حمامة البان ماهذا البكاء علي * مرّ الليالي وماذا البث والحزن
لا منزل بنت عنه أنت تندبه * ولا حبيب ولا خلّ ولا سكن
لو كنت تنفث عن شوق منيت به * اذا الصار رمادا تحتك الغصن

وقال رحمه الله تعالى مضمنا

أمط عنك مهما اسطعت كل ارادة * والا تخفى القوم عنك بعيد
تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

وقال رحمه الله تعالى

تعلقته من دوحة الجود والباس * قضيبا لعوبا بالرجاء وباليأس
ضروبا بضرب للسيراعة والقنا * طروبا بحمل المشرفية والكاس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه * بجمال رواء في تأرّج أنفاس
ويبدو لعيني شعره وجبينه * اذا ما سفحت الحبر في صفح قرطاس

وقال رحمه الله تعالى

أحبّ لحبها جلي ورحلي * وعزمي والقتادة والطريقا
ومن أحشاه من سبع واص * فكيف فريقها سلوا فريقا
وكيف أخص باسم الحبّ ان لم * أحبّ لاجلها الاصديقا

وقال رحمه الله تعالى وقلت من قصيدة

انا نسخة الاكوان أدمج خطها * فسرّ ذوى التحقيق في طيّ أوراقي
فمن عالم الاشباح ليلي وظلمتي * ومن عالم الارواح نوري واشراقي

وقال رحمه الله تعالى

مولاي مولاي ان أرضاك بذل دمي * فقد أتيت به أسعى على قدمي
وان تعاظم ذنب قد جنته يدي * وطال قرعي عليه السنّ من ندم
فهبه لي واغتفر ما كان من خطا * وزلة وارع لي سعيي على القدم

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التي وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده

بوليّ الله فابدأ وابتدر * واحد الآحاد في باب الورع

قلت هذا الوليّ هو العارف بالله تعالى سيدي الحاج أحمد بن عاشر أحد الصلحاء أصحاب الكرامات المشهورة بالمغرب وقد زرت قبره بسلا عام تسعة وألف وهو أحمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الاندلسي نزيل سلا الوليّ الزاهد المشهور بالمناقب والاحوال قال ابن عرفة ما أدركت مبرّزا في زماننا هذا الا الشيخ أبا الحسن المنتصر وأحمد بن عاشر بسلا انتهى وقال بلدينا أبو عبد الله بن صعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان أحد الاولياء الابدال معدودا في كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروفا بالكرامات مقدما في صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحي العباد

ملازما للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر في أمر الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع له العلم والعمل والقى عليه القبول من الخلق شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكر والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل اليه عام سبعة وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فاجابه بما قطع رجاءه منه وأيس من لقائه واشتد حزنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى حجبه الله عنا انتهى ولما أجرى ذكره لسان الدين في نفاضة الجراب قال ما ملخصه واقمت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع القرين فرارا عن زهرة الدنيا وعزفا عنها واغفاء في الورع وشهرة بالكشف واجابة الدعوة وظهور الكرامة أبا العباس بن عاشر يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبة تأتيه وكثف هيبته قاعدا بين القبور في الخلاء رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة قد ضرسه أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من قاصده مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به انتهى وقال ابن الخطيب القسطميني الشهير بابن قنفذ لقيته بسلا سنة ٧٦٣ وهو على أتم حال في الورع والفرار من الامراء والتمسك بالسنة وهو الشيخ الفقيه الولي توفي في سنة خمس وستين وسبعمائة انتهى وممن انتفع به ونال بركته الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم وقد ترجمناه في هذا الكتاب وقال ابن عباد المذكور في رسائله وقد كنت قدما خرجت في يوم مولده صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الاكل فقلت اني صائم فنظر الي سيدي الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظني من النوم انتهى وقال ابن قنفذ السابق في رحلته ما صورته وكان ابن عاشر رحمه الله تعالى فريدا في الورع ميسرا عليه في ذلك أتم تيسير محفوظا من كل ما فيه شبهة كثير النفور من الناس وخصوصا أصحاب الولايات في الاعمال وخرجت على يده تلامذة نجباء أخيار وطريقه أنه جعل احياء علوم الدين بين عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد وصدق وانقياد وكان الحجة في ذلك الطريق وأول اجتماعي به نفر مني فحبسته بيدي وهززته فتبسم ووقف معي وسألني عن نسبي ودعا لي وطلبته بما يطعمني فاعتذر لي بالاقلال ثم قال أمهل فدخل وأخرج لي حبات تين يابسة في يده اليمنى وغطاها باليد اليسرى ودفعها الي وضحك معي وعجب الحاضرون من ليانته وانشراحه معي لانه لا ينبسط الى أحد وحصل لي بذلك فخر لا يدري قدره الا من حاول بعضه معه وقصدني كثير من الخواص فسألني عن مجلسي معه وما وقع من جوابه وسؤاله وقد حاول ملك المغرب لما ارتحل اليه في عام سبعة وخمسين وسبعمائة على لقائه فلم يقدر عليه بوجه وحجبه الله تعالى حتى تبعه يوم جمعة من الجامع الاعظم على قدميه والناس ينظرونه وهو لم يره فرجع ولم يكن قوته الا من نسخ العمدة في الحديث وكيف يبيعها ولمن يبيعها ولا يأخذ الا قيمتها ولم تزل

قوله على لقائه لعله ضمن حاول معنى تحيل تأمل اهـ مصححه

حالته وبركته فى زيادة الى أن توفى سنة ٧٦٥ وسأله بعض الاخيار بحضرى عن الفرق بين مكاشفة المسلم ومكاشفة النصرانى لوجود ذلك من بعضهم فقال المسلم الذى له هذه الدرجة يبرئ من العاهة والنصرانى لا يبرئ ثم قال وهل يبرئ الفقيه من العاهة فقال له نعم ثم نظر يمينا وشمالا ليجد صاحب عاهة فيأتى بالعيان فلم يجد أحدا وكأنه اغتاظ لهذا السؤال ثم أخرج يده وقال يأتى لمن يقعد عن الحركة فيمسه بيده ويقيمه وقد ذهب ألمه بعد أن جئنا الى الارض فى الصفة ثم قال وسئل بعضهم عن هذا وكان السائل نصرانيا فى زى المسلم فقال له الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك قال فسقط وفضحه الله تعالى وأسلم بسبب ذلك انتهى كلام ابن قنفذ القسطميني رحمه الله تعالى وترجمة ولى الله تعالى سيدى الحاج ابن عاشر نفعنا الله تعالى ببركاته متسعة جدا وكراماته ومناقبه لا نبلغ لها حدا ولا نطيق لها عدا وانما المقصد ذكره قصد التبرك به والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (رجع) الى نظم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول ومن مداعباته رحمه الله تعالى قوله

ومولع بالكتب يبتاعها * بأرخص السوم وأغلاه

فى نصف الاستذكار أعطيته * مختصر العين فأرضاه

ويعنى بمختصر العين الزبيدى فافهم وقال رحمه الله تعالى من قصيدة

ووالله ما اعتل الاصيل وانما * تعلم من شجوى فبان اعتلاله

وهذا غاية فى المبالغة وحسن التعليل * وقال رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بالله فى مدينة اغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار عام واحد وستين وسبعمائة وهو بمقبرة اغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جنبه قبر اعتماد حظية مولاه رميك وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات

لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات

وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى

أناف قبرك فى هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات

كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فأنت سلطان أحياء وأموات

ما ريء مثلك فى ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر فى حال ولا آت

وقد تقدم هذا فى القسم الاول فى الباب السابع منه وكررته هنا والله الموفق * وقال رحمه الله تعالى مورّيا حين أكل مشرف الدار القابض أى أكل ماله

مشرف دار الملك ما باله * منتفخ الجوف شكا نافضا

فقيل لى ليس به علة * لكنه قد أكل القابضا

وقال

يا نفس لا تصغى الى سلوة * كم أخلف الموعد عرقوب

وأنت يا قلبي وصالك بشراهيم بالحزن وبعقوب

وقال فى السعيد أبي بكر ابن السلطان ابن عنان

أمير كان قمر الدجى * أفاض الضياء على صفحته
تملا قلبي من حبه * غداة تطرت بعينى اليه
فلا بسط الدهر كف الردى * لذاك الشخص وذاك الوجه

وقال يخاطب الخطيب بن مرزوق

تعلم طبقوري خلال مقيه * وان كان منسوبا الى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خرقة * فليس براض غير صحبة صوام
فديتك لاترده عنك مخيبا * ودرسه يا مولاى قصة بلعام

وقال مما كتبت به الى ابن مرزوق المذكور وقد وصل ولده الى سلا ومنع ابن الخطيب عن لقائه عذر مرض وكان نزوله بزاوية النساك

صدنى عن لقاء نجلك عذر * يمنع الجسم عن تمام العباده
واختصرت القرى لان حط رحلا * فى محل الغنى ودار الزهاده
ولوانى احتفلت لم يعن الدهر ولانات بعض بعض اراده
وعلى كل حالة فقصورى * عادة اذ قبولك العذر عاده
لاعدمت الرضا من الله والحسنى كما نص وحيه والزياده

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبي الحسن بشالة لاستنهاض عزيمته فى قضاء غرضه

برئت لله من حولى ومن حيلى * ان نام عنى وليى فهو خير ولى
أصبحت مالي من عطف أؤمله * من غيره فى مهمات ولا بدل
ما كنت أحسب أن أرمى بقاصية * للهجر أقطع فيها جانب الامل
من بعد ماخلصت نحوى الشفاعة ما * بين العلا والدجا والبيض والاسل
ان كنت لست بأهل للذى طمحت * اليه نفسى وأهوى نحوه أملى
فكيف يأتى ولا ترعى وسيلته * دخيل قبر أمير المسلمين على
من بعد ما اشتهرت حالى به وسرت * بها الركائب فى سهل وفى جبل
والرسل تترى ولا تخفى نتائجها * عند التأمل من قول ولا عمل
ولا الليالى من صبح أطالعه * كأن همى قد مدة الدجنة لى
لو أننى بابن مرزوق عقدت يدى * وكان محتكما فى خيرة الدول
لكان كربى قد أفضى الى فرج * وكان حزنى قد أوفى على جذل
المحت بالعتب لم أحذر مواقعه * أنا الغريق فما خوفى من البلل
ولست أجحد ما خولت من نعم * لكنها النفس لا تنفك عن أمل
ولست أيأس من وعد وعدت به * وانما خلق الانسان من عجل

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا الحجاج

أمولاى ان الشعر ديوان حكمة * يفيد الغنى والعز والجاه من كانا

وقد وجد المختار في الفضل منصفا * له وحبا كعبا عليه وحسانا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا * بذلك ديوانا صحيحا فدونوا
بأن أبا بكر خليفته الرضا * وفاروقه الادنى اليه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعهم * وكثر منا بالقرب منهم وحيانا
لهم في ضروب القول اذهم نحوله * خطاب وشعر يستقران تبيانا
وفاض على أهل القريض نوالهم * فروض روض القول سحاوتهتانا
وأنت أحق الناس أن تفعل الذي * به فعل المختار دينا وايمانا
فما زلت تهدي في البرية هديه * وتقضي بما يرضيه سرا واعلانا
وان قيل قدر المرء ما هو محسن * فصنعة نظم القول أرفعه شانا

وقال مورّيا

بنفسي حبيب في ثناياه بارق * ولكنها للواردين عذاب
اذا كان لي منه عن الوصل حاجر * فدمعي عقيق بالجفون مذاب

وقال

عذبت قلبي بالهوى لقيامه * في نار هجرك دائما وقعوده
ولقد عهدت القلب وهو موحد * فعلام يقضي في العذاب خلوده

وقال في التجنيس

دعوتك للود الذي جنباته * تداعت مبانيها وهمت بأن تهي
وقلت لعهد الوصل والقرب بعدما * تناءى وهل أسلو حياتي وأنت هي
ومن شام من جو الشبيبة بارقا * ولم تنهه عنه النهى كيف ينتهي

وقال

ناديت دمعي اذ جدّ الرحيل بهم * والقلب من فرق التوديع قد وجبا
سقطت يادمع من عيني غداة نأى * عني الحبيب ولم تقض الذي وجبا

وقال

شلبراهمري أساء الجوار * وسد على رحيب الفضا
هو الشيخ أبرد شيء يرى * اذا لبس البرنس الابيضا

وقال قلت أخاطب بعض من أدل عليه وما أولاني بذلك

اذا قمت قل بعقب الكرى * الهي أنت اله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب * وأنشأتني بينهم من خرا

قلت ولا خفاء بشناعة هذا فحذفه أولى من اثباته * وقال يداعب بعض أصحابه

شيخ رباط ان أتى شادن * خلوته عند انسدال الظلام
أدلى وقد أبصره دلوه * وقال يابشراي هذا غلام

وقال في غرض يظهر

لم أجد فيه لين بث لقلبي * وقبولا لحجتي واعتذاري

ثقل الله ظهره بعيال * سود الله وجهه بعذار

وقال من قصيدة

أخذت وأمواج الردى متلاطمه * بضبعي يا نجل الوصي وفاطمه

وقال

ووجه غرست الورد فيه بنظرة * فيا ليت كفي متعت بجني غرسي
كأن سواد الخال في وجناته * علامة مولانا على أحمر الطرس
وبينهما في باطن الامر نسبة * لذلك أمضيت الغرام على نفسي

وقال يشير الى بعض طبقات الغناء

ضرط الفقيه فقلت ذا لغريبة * ما كان ذلك منه بالمعلوم
فدنا الى وقال قد أصرفتكم * من ضرطتي بغريبة المزموم

وفي آخر سنة أربع وسبعين وجه الى السلطان أبي حمو سلطان تلمسان أبياتا زومية في غرض الهناء وهي

وقف الغرام على ثناك لساني * رعيا لما أوليت من احسان
فكأنما شكري لما أوليته * شكر الرياض لعارض النيسان
أنا شيعة لك حيث كنت قضية * لم يختلف في حكمها نفسان
ولقد تشاجرت الرماح فكنت في * ميدان نهرك فارس الفرسان
ورويت غر مآثر اسندتها * لعلاك بين صحائح وحسان
ولانت أولى بالتشيع شيمة * لم تتفق لسواك من انسان
الشمس أنت قد انفردت وهل يرى * بين الورى في مطلع شمسان
جبرت بجبرك كل نفس حرة * وشدا بشكر الله كل لسان
وبدت سعودك مستقيما سيرها * وعلت فقر أمامها النحسان
فاستقبل السعد المعاود سافرا * عن أي وجه للرضا حسان
وابغ المزيد بشكر ربك ولتثق * بمضاعف الانعام والاحسان
فالشكر يقتاد المزيد ركائبا * تنتاب بابك منه في أرسان
ثم السلام عليك يزري عرفه * طيبا بعرف العود والبلسان

وقال

بحق ما بيننا يا ساكني القصبه * ردوا على حياتي فهي مغتصبه
ماذا جنيتم على قلبي ببينكم * وأنتم الاهل والاحباب والعصبه

قلت ولعل ابن زمرك قال أبياته التي على هذا الروي المذكورة في غير هذا الوضع من هذا الكتاب جوابا لهذه حين كان ابن زمرك من جملة أتباع لسان الدين رحم الله تعالى الجميع وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

حين سار رواعي وقد خنقتني * عبرات قد أعربت عن ولوعي
صحت من ينصر الغريب فلما * لم أجد ناصرا بلعت دموعي

وقال

قال لى والدموع تنهل سحبا * فى عراض من الخدود محول
بك مابى فقلت مولاى عافا * ك المعافى من عبرتى ونحولى
أنا جفنى القريح يروى عن الاعمش والجفن منك عن مكحول

وقال

أشكو لمبسمه الحريق وقد حمى * عنى لماه المشتهى ووحبقه
يا ريقه حيرتنى ومطلتنى * ماأنت الا بارد يا ريقه

وقال فيمن ركب البحر ومادا

ركب السفينة واستقل بأفقها * فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا اليه بميده فأجبتهم * لاغروان ماد القضيب الاملد

وقال عند ماخرج السلطان ابن الاحمر من فاس متوجها الى الاندلس لطلب حقه

ولما حثثت السير والله حاكم * بملكك فى الدنيا بعز وفى الاخرى
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى * ينقل من بيضاء الا الى حمرا

ويعنى بالبيضاء فاسا الجديدة وبالحمراء حمراء غرناطة وتذكرت هنا أن بعض علماء الاندلس وأظنه أبا عبدالله بن جزى لما رمدت عين بعض أهل فاس سأله عنها فقال

يا سيدى عينى قد * أودى قذاها بالانس
فانظر اليها ترها * دار مليك الاندلس

يعنى حمراء فأجابه بقوله

وقيت مما تشتكى * من القذى والوصب
لما رمدت عينك النبل * عين العلا والادب
فاتحمدن أن لم تكن * دار مليك المغرب

يعنى بيضاء وهذا من غريب مايحاضر به (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى

أجاد يراع الحسن خط عذاره * وأودعه السر المصون الذى يدرى
ولم يفتقر فيه لختم وطابع * فبسمه أغناه عن طابع السر

وقال فى غرناطة

أحبيك يا معنى الكمال بواجب * وأقطع فى أوصافك الغر أوقاتى
تقسم منك الترب قومى وجيرتى * ففى الظهر أحيائى وفى البطن أمواتى

وقال فى غرض يعرض نحو المشارقة

رموا بالسلو حليف الغرام * وأدمعه كالحيا الهاطل
أعوذ بعزك ياسيدى * لذلى من دعوة الباطل

وقال

ياليل طلت ولم تجد بتبسم * وأريتنى خلق العبوس النادم
هلا رحمت تغربى وتفرقى * لله ما أقساك يا ابن الخادم

قوله قال لى الخ هذه الابيات مكررة حيث تقدمت فى صحيفة ١٨٩ اه

قوله وأظنه أبا عبدالله الخ فى نسخة وأظنه عبد الرحمن الخ اه

وقال

وقال في مروحة سلطانية

كأني قوس الشمس عند طلوعها * وقد قدمت من قبلها نسمة الفجر
والا كما هبت بمقدم الوغى * بنصر ولكن من بنود بني نصر

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب

بين السهام وبين كتبك نسبة * فبها يصاب من العدو المقتل
واذا أردت لها زيادة نسبة * هذى وهذى في الكنانة تجعل

وقال يتغزل وفيه معنى غريب

ان اللحاظ هي السيوف حقيقة * ومن استراب فحجتي تكفيه
لم يدع غمد السيف جفنا باطلا * الا لشبه اللحظ يغمد فيه

قيل وأحسن منه قول غيره

ان العيون النجل أمضى موقعا * من كل هندى وكل يمان
فضل العيون على السيوف بانها * قتلت ولم تخرج من الاجفان

وأصل ما قال لسان الدين قول الاول

بين اللحاظ وعينيه مناسبة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في الساعة وتسميها المغاربة المنجانة

تأمل الرمل في المنجان منقطعا * يجرى وقد ردّ عمرا منك منتهبا
والله لو كان وادى الرمل يجرى ده * ما طال كامله الا وقد ذهبا

وقال

أقول لعاذلى لما نهانى * وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بانه مرّ التجنى * وفاتك أنه حلو اللسان

وقال في غرض صوفي

لا تنكروا ان كنت قد أحببتكم * أو أنني استولى على هواكم
طوعا وكرها ما ترون فانني * طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقال يمدح وفيه تورية

وان نظرت الى لألاء غرته * يوم الهياج رأيت الشمس في الاسد

وقال مما يكتب على طاق الماء بباب القبة

أنا طاق تزهو بى الايام * تعبت في بدائعى الافهام
وتبدت للنواظر سحرا * باسكان الاناء فى امام
واقف للصلاة حتى اذا ما * جئت للشرب حان منى سلام

وقال في ذلك أيضا

يا صبا نعى لله ما أحكمته * فلانت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجى يوم صيغت رقوشه * فصبت اليه مفارق ورؤس
وأقمت في محرابه فكأنه * مجلى اناء الماء فيه عروس

وقال في المشيب

انى لبسلي بالهوى من بعد ما * للوخط في الفود بن أي دبيب
لبس البياض وحل ذروة منبر * مثى وولى الوعظ فعل خطيب

وقال رحمه الله تعالى

والله ما جان على ماله * أو جاهه من ذب عن عرضه
والناس في خير وفي ضده * هم شهداء الله في أرضه

وقال

الهي بالبيت المقدس والمسعى * وجمع اذا ما الخلق قد نزلوا جمعا
وبالموقف المشهود يارب في منى * اذا ما أسال الناس من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والصحب عجل اقالتي * وأنجح دعائي فيك ياخير من يدعى
صدعت وأنت المستغاث جنابه * أقل عثرتي يامو ئلي واجبر الصدعا

وقال رحمه الله تعالى في بنبونش سبتة

بنبونش أسنى الاماكن رفعة * وأجل أرض الله طراشانا
هي جنة الدنيا التي من حلها * نال الرضا والروح والريحانا
قالوا القرود بها فقلت فضيلة * حيوانها قد قارب الانسانا

وفي بنبونش هذه يقول أبو عبد الله بن مجبر

بنبونش جنة ولكن * طريقها يقطع النياطا
وجنة الخلد لا يراها * الا فتى يقطع الصراطا

وقال ابن الخطيب رحمه الله تعالى

ان الهوى لشكاية معروفة * صبرا فصبر من أجل علاجها
والنفس ان ألفت مرارة طعمه * يوما ضمنت لها صلاح مزاجها

وقال رحمه الله تعالى

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى * وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري دموعها * فقابلت من دمعي بمختصر العين

وقال رحمه الله تعالى

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى * وأقصر من المام طيف خياله
فيا ليت شعري من اتاح لي المنى * وعذب بالي هل أمر بباله

وقال رحمه الله تعالى

عشق جنت فعلام تحرق أضلعي * ابها جني جار بعذب جار
ياقلب لا تدهشك نيران الهوى * فكنار ابراهيم تلك النار
فاصبر على ماحل واتنل المنى * بالسبك أدرك نقشه الدينار

وقال رحمه الله تعالى

وما كان الا أن جنى العارف نظرة * غدا القلب رهنا في عقوبة ذنبه

قوله مجبر في نسخة محمد اه

قوله ان الهوى الخ هذان البيتان سبقا أيضا في صحيفة ٥٨١ غير ان الشطر الاخير فيه بعض تغيير اه

قوله ولما رأت الخ قد سبق هذان البيتان أيضا في صحيفة ٥٧٧ اه

وما العدل أن يأتي امرؤ بجريرة * فيؤخذ في أوزارها جار جنبه

وقال رحمه الله تعالى

برى جسدى فيكم غرام ولوعة * اذا سكن الليل البهيم تثور
فلولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي * خيالكم بالليل حين يزور
ولو شئت في طي الكتاب لزرتكم * ولم تدر عني أحرف وسطور

وقال رحمه الله تعالى

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا حمو صاحب تلمسان ويشكره على ما كان أعان به أهل الاندلس

لقد زار الجزيرة منك بحر * يمد فليس نعرف منه جزرا
أعدت لها بعهد لك عهد موسى * سميك فهي تتلو منه ذكرا
أقمت جدارها وأفدت كنزا * ولو شئت اتخذت عليه أجرا

وقال أيضا

وقالوا الجزيرة قد صوحت * فقلت غمام الندى تنتظر
اذا وكفت كف موسى بها * فماذا يعود الجناب الخضر

وقال رحمه الله تعالى عقب الاياب من الرحلة المراكشية

أفادت وجهتي بند الدمالا * قضى ديني وأصلح بعض حالي
ومتعت الخواطر بانشراح * وأطرفت النواظر باكتحال
وأبت خفيف ظهر والمطايا * بجاهك تشتكي ثقل الرحال
وشاني للمعالم غير شان * وحالي بالمكارم جد حال
يخيب علاك ايماني وعقدي * وشكر نداك ديني وانتحالي
كما قد صح لله انقطاعي * بمأملي جنابك وارتحالي
وما يبقى سوى فعل جميل * وحال الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقال رحمه الله تعالى في الضراعة الى ربه والاعتراف بذنبه

مولاي أن أذنبت ينكر أن يرى * منك الكمال ومني النقصان
والعفو عن سبب الذنوب مسبب * لولا الجناية لم يكن غفران

وقال رحمه الله تعالى

سلام على تلك المرابع انها * معاهد آلافي وعهد صحابي
ويا أسف المغنى انعمي فلطالما * سكبت على مثواك ماء شبابي

وقال سامحه الله تعالى

أموطني الذي أزعجت عنه ❊ ولم أرزأ به مالا ولا دم
لئن أزعجت عنك بغير قصد ❊ فقبلي فارق الفردوس آدم

ومن ميلادياته رحمه الله تعالى قوله

ما على القلب بعدكم من جناح ❊ أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب اذا هب بانفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحي والحديث شجون ❊ والليالي تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبي ❊ بعدكم لا وفالق الاصباح
ولو انى أعطى اقتراحي على الايام ما كان بعدكم باقتراحي
ضايقتني فيكم صروف الليالي ❊ واستدارت على دور الوشاح
وسقتني كاس الفراق دهاقا ❊ في اغتباق مواصل واصطباح
واستباحت من جدتي وفتائي ❊ حرما لم أخله بالمستباح

ومنها

يا ترى والنفوس أسرى أماني ❊ ما لها من وثاقها من سراح
هل يتاح الورود بعد دياد ❊ أو يتاح اللقاء بعد انتزاح
واذا أعوز الجسوم التلاقي ❊ ناب عنه تعارف الارواح

وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ما ذكرته وقد حذا حذوها الفقيه الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون صاحب التاريخ فقال في مولد عام ثمانية وسبعين وسبعمائة واستطرد لمدح السلطان أبي حمو موسى صاحب تلمسان الذي تقدم ذكره قريبا

ما على الصب في الهوى من جناح ❊ أن يرى حلف عبرة وافتضاح
واذا ما الهجب عيل اصطبارا ❊ كيف يصغي الى نصيحة لاح
يا رعى الله بالمحصب ربعا ❊ آذنت عهده النوى بانتزاح
كم أدرنا كأس الهوى فيه مزجا ❊ رب جد من الهوى في المزاح
هل الى ربعه الجميل سبيل ❊ يا حداة المطي تلك البطاح
نسأل الدار بالخليط ونسقي ❊ ذلك الربع بالدموع السفاح
أي نجم عاينت بعد نواها ❊ من أسى لازم وصبر مزاح
أهل ودي ان رابكم برح وجدي ❊ من صبا بارق وبرق لياح
فاسألوا البرق عن خفوق فؤادي ❊ والصبا عن سقام جسمي المتاح
يا أهيل الحمى نداء مشوق ❊ ما له عن هوى الدمى من براح
طالما استعذب المدامع وردا ❊ فدعوا كم عن كل عذب قراح
عاده بالطلول للشوق عيد ❊ من حمام بدوحهن صداح
من لقلب من الجوى في ضرام ❊ ولجفنين من البكا في جراح
واصب تيمه الذكر شوقا ❊ فهو سكران ماد من غير راح

قوله بارق الخ في نسخة بارح وبرق براح اه

وليال قضيت للهو فيها * وطرا والشباب ضافى الجناح
راكبا فى الهوى ذلول تصاب * ساحبا فى الغرام ذيل مراح
ونجوم المنى تشير الى أن * زوّح الشيب سربها بالصباح
أى عمرى حدت لم أخل منه * بسوى حسرة وطول افتضاح
واخسارى يوم القيامة ان لم * يغفر الله زلتى واجتراحى
لم أقدم وسيلة فيه الا * حب خير الورى الشفيع الماحى
سيد العالمين دنيا وأخرى * أشرف الخلق فى العلا والسماح
سيد الكون من سماء وأرض * سره بين غاية وافتتاح
زهرة الغيب مظهر الوحى معنى النور كنه المشكاة والمصباح
آية المكرمات قطب المعالى * مصطفى الله من قريش البطاح
أول الانبياء تخصيص زلفى * آخر المرسلين بعث نجاح
صفوة الخلق أرفع الرسل قدرا * وسراج الهدى وشمس الفلاح
من لميلاده بمكة ضاءت * من قرى قيصر جميع الضواحى
وخبت نار فارس وتداعت * من مشيد الايوان كل النواحى
من رقى فى السماء سبعا طباقا * ورأى آى ربه فى اتضاح
ودنا منه قاب قوسين قربا * ظافرا فى العلا بكل اقتراح
من هدى الخلق بين حمر وسود * وجلا ليل غيهم بالصباح
من يجير الورى غدا يوم يجزى * كل عاص وطائع باجتراح
من الى حوضه وظل لواه * يلجأ الناس بين ظام وضاح
أحمد المجتبى حبيبا وأنى * فوق عز الحبيب مرمى طماح
فى أناجيله المسيح تلاه * باسمه والكليم فى الالواح
ولكم حجة وبرهان صدق * فى سماع أتى بها والتماح
ان فى النجم والنبات لآيا * بهرت والجماد والارواح
معجزات فتن المدارك وصفا * وحسابا كالزهر أو كالصباح
يا رواة القريض والشعر عجزا * ما عسى تدركون بالامداح
انما حسبنا الصلاة عليه * وهى للفوز آية استفتاح
يا الهى بحق أحمد عفوا * عن ذنوب جنيتهن قباح
وأدم دولة الخليفة موسى * ذى المعالى المبينة الاوضاح
مفخر الملك مستقر المزايا * مظهر اللطف ذو التقى والصلاح
ناصر الحق خاذل الجور عدلا * ملجأ الخائفين بحر السماح
يلتقى الندى بوجه حيى * ويلاقى العدا بأس صفاح
وله المكرمات ارثا ولبسا * حاز حدا بها معلى القداح
من علا باذخ وفخر صميم * وكمال بحت ومجد صراح

* وأحاديث في المعالي حسان * رويت عنه في العوالي الصحاح
عاقد صفقة العلا كل حين * فائز فيه سعيه بالرباح
للندى والهدى يروح ويغدو * أي مغدى الى العلا ومراح
ملك تشرق الأسرة منه * في سماء السرير نور صباح
واذا ما علا بعالى العوالي * صهوة الجرد فهو ليث الكفاح
لبس الدهر منه حلة حسن * وثنى للسرور عطف مراح
وعلى عاتق الخلافة منه * طرز فخر سني النهى بالتماح
ورث الملك شامخا عن سراة * شيدوا ركنه بأيدى الصفاح
من بني القاسم الذين تحلوا * بالمعالي واستأثروا بالفلاح
فرعوا هضبة الخلافة مجدا * رفعوا سقفه على الارماح
نشروا راية المفاخر حمدا * شاقق النور بالربا والبطاح
يا اماما به الملوك جلالا * وجمالا فديت بالارواح
أنت شمس الكمال دمت عليها * في اغتباق من المنى واصطباح
وبنوك الاعلون أنجم سعد * زاهرات بنورك الوضاح
وابو تاشفين بدر منير * زانه الله بالخلال الصباح
أكمل العالمين خلقا وخلقا * أشرف الناس في الندى والكفاح
وبكم زينت سماء المعالي * واهتدى الناس في الدجى والصباح

وكان السلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والاندلس في ذلك العصر وما قبله (ومن احتفاله له) ما حكاه شيخ شيوخنا الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني في كتابه راح الارواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الامداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه انه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالاسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبرا مذاب ويفاض على الجميع أنواع الاطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة فتشتهيها الانفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الارواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب في الاقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن الى فن ومن اسلوب الى اسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت

فى أحسن صوره فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره فتضعها بين يدى السلطان بلطافه ويسراها على فيها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافه هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادى حى على الفلاح انتهى وقال التنسى المذكور فى كتابه المسمى بنظم الدر والعقيان فى شرف بنى زيان وذكر ملوكهم الاعيان مانصه وكان السلطان أبو حمو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وشمع كالاسطوانات وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة بأعلاها ايكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها أرقم خارج من كوة بجذر الايكة صاعدا وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دون رأس الخزانة قمر اكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره فى الفلك ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان فى يد كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه فهنالك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كاظرف ما أنت راء بيمناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا وقد اشتملت من انواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الانفس وتستحسنها الاعين وتلذ بسماع أسمائها الآذان ويشره مبصرها للقرب منها والتناول وان كان ليس بغرثان والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدأ جلوسه فيه وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلى هنالك صلاة الصبح على هذا الاسلوب تمضى ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع أيام دولته أعلى الله تعالى مقامه فى عليين وشكر له ذلك صنيعه الجميل آمين وما من ليلة مولد مرت فى أيامه الا ونظم فيها قصيدا فى مديح مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المسمع فى ذلك الحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلى فى تلك الليلة نظما انتهى وهو أتم مساقا مما فى راح الارواح ولا بأس أن نلم ببعض المقطوعات التى أنشأها الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون المذكور على لسان جارية المنجانة فى مخاطبة السلطان أبى حمو معلمة بما مر من الليل فنى مضى ساعتين قوله

أخليفة الرحمن والملك الذى ● تعنو لعز علاه أملاك البشر
لله مجلسك الذى يحكى علا ● بك مالكى أفق السماء لمن نظر
أوما ترى فيه النجوم زواهرا ● وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت ● تثنى عليك ثنا الرياض على المطر
لازال هذا الملك منصورا بكم ● وبلغت مما ترتجى أسنى الوطر

وقوله في مضي ثلاث ساعات

أمولاي يا ابن الملوك الالى * لهم في المعالي سني الرتب
تولت ثلاث من الليل أبقت * لك الفخر في عجمها والعرب
فدم حجة الله في أرضه * تنال الذي شئته من أرب

وقوله في مضي ست ساعات

يا ماجدا وهو فرد * تخاله في عساكر
ست من الليل ولت * ما ان لها من نظائر
دامت لياليك حتى * الى المعاد نواضر

وقوله في مضي ثمان ساعات

يا أكرم الخلق ذاتا * وأشرف الناس أسره
مرت ثمان وأبقت * في القلب منى حسره
فيهن كان شبابي * أخا نعيم ونضره
ولى بها الدهر عنى * ترى لها بعد كره
فالله يبقيك مولى * يطيل في السعد عمره

وقوله في مضي عشر ساعات

يا مالك الدهر والخيل التي حكمت * له بعز على الايام مقتبل
هذا الصباح الذي لاحت بشائره * والليل ودعنا توديع مرتحل
لله عشر من الساعات باهرة * مضين لاعن قلي منا ولا ملل
كذا تمر ليالي العمر راحلة * عنا ونحن من الآمال في شغل
نمسي ونصبح في لهو نسر به * جهلا وذلك يدنينا من الاجل
والعمر يمضي ولا ندري فوا أسفي * عليه اذ مر في الآثام والزلل
يا ليت شعري غدا كيف الخلاص به * ولم نقدم له شيئا من العمل
يا رب عفوك عما قد جنته يدي * فليس لي بجزاء الذنب من قبل
يا رب وانصر أمير المسلمين أبا * حمو الرضى وأنله غاية الامل
وأبق في العز والتمكين مدته * وأعل دولته الغرا على الدول انتهى

(رجع الى نظام لسان الدين رحمه الله تعالى) فنقول وأما موشحاته وأزجاله فكثيرة وقد انتهت اليه رياسة هذا الفن كما صرح بذلك قاضي القضاة ابن خلدون في مقدمة تاريخه الكبير ولنذكر بعض كلامه اذ لا يخلو من فائدة زائدة قال رحمه الله تعالى ما ملخصه وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها

ويمدحون كما يفعل فى القصائد ويتجاوزون فى ذلك الى الغاية واستظرفه الناس وجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم ابن معافى القبرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المروانى وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد ولم يذكرلهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع فى هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم * شمس ضحى * غصن نقى * مسك شم
ما أتم * ما أوضحا * ما أورقا * ما أنم
لاجرم * من لمحا * قد عشقا * قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمان ملوك الطوائف وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول

قد ترنم * بأبدع تلحين * وشقت المذانب * رياض البساتين

وفى انتهائه حيث يقول

تخطر ولم تسلم * عسى المأمون * مروع الكتائب * يحيى بن ذى النون

ثم جاءت الحلبة التى كانت فى مدة الملثمين فظهرت لهم البدائع وفرسان حلبتهم الاعمى التطيلى ثم يحيى بن بقى وللتطيلى من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفى المعالم * أشجان
والركب وسط الفلا * بالخرد النواعم * قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعمى التطيلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقى حين وقع له

أما ترى أحمد * فى مجده العالى لا يلحق
أطلعه المغرب * فأرنا مثله يا مشرق

وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر الابيض وكان فى عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قيناته موشحته جرر الذيل أيما جر فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلا أبى بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف الايمان المغلظة أن لايمشى ابن باجة لداره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهبا فى نعله ومشى عليه ثم قال ابن خلدون بعد كلام واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف الى أن قال وابن هردوس الذى له يا ليلة الوصل والسعود بالله عودى وابن مؤهل الذى له

ما العيد فى حلة وطاق * وشم طيب * وانما العيد فى التلاقى * مع الحبيب

وأبو اسحق الدوينى قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجرى * من مقلة الفجر * على الصباح

ومعصم النهر * فى حلل خضر * من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال أنت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فأخبره فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التى أدركت هو أبو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك فى التوشيح فقال كنت أقول

ما للموله * من سكره لا يفيق * ياله سكران

هل تستعاد * أيامنا بالخليج * ولياليـــنا

اذ يستفاد * من النسيم الاريج * مسك دارينا

واذ يكاد * حسن المكان البهيج * أن يحيـــينا

نهر أظله * دوح عليه أنيق * مورق فينان

والماء يجرى * وعائم وغريق * من جنى الريحان

واشتهر بعده ابن حيون الى أن قال وبعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجى دخل عليه فى مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف فقال على مثل ماذا فقال على مثل قولى

ياهاجرى * هل الى الوصال * منك سبيل

أوهل يرى * عن هواك سال * قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يعجب بقوله

ان سيل الصباح فى الشرق * عاد بحرا فى أجمع الافق

فتداعت نوادب الورق * أتراها خافت من الغرق

فبكت سحرة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل ابن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

قوله ابن أبى الفضل فى نسخة ابن فضل اه

أواحسرتى لزمان مضى * عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لابالرضا * وبت على جمرات الغضى
أعانق بالفكر تلك الطلول * وألثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبابكر بن الصابونى ينشد الاستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير مامرة فما سمعته يقول لله در ك الا فى قوله

قسما بالهوى لذى حجر * ما لليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد * ما لليلى فيما أظن غد
صح ياليل أنك الابد
أو نقصت قوادم النسر * فنجوم السماء لا تسرى

ومن موشحات ابن الصابونى قوله

ما حال صب ذى ضنى واكتئاب * أمرضه ياويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفونى النوم لكننى * لم أبكه الا لفقد الخيال
وذو الوصال اليوم قد غرنى * منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صدنى * بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزائرى صاحب الموشحة المشهورة

يد الاصباح * قدحت زناد الانوار * من مجامر الزهر

وابن خزر البجائى وله من موشحة

ثغر الزمان موافق * حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره فقال

جادك الغيث اذا الغيث همى * يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما * فى الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى * ينقل الخطو على مايرسم
زمرا بين فرادى وثنا * مثل مايدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا * فثغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما * كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهى منه بأبهى ملبس
فى ليال كتمت سر الهوى * بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر

وطرماقيه من عيب سوى * أنه مر كلمح البصر
حين لذ الانس شيأ أوكما * هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا أوربما * أثرت فينا عيون النرجس
أى شئ لامرئ قد خلصا * فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار منه الفرصا * أمنت من مكره ماتتقيه
فاذا الماء تناجى والحصا * وخلا كل خليل بأخيه
تبصر الورد غيورا برما * يكتسى من غيظه مايكتسى
وترى الآس لبيبا فهما * يسرق السمع بأدنى فرس
ياأهيل الحى من وادى الغضى * وبقلبى سكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا * لاأبالى شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى * تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله وأحيوا مغرما * يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما * افترضون عفاء الحبس
وبقلبى منكم مقترب * بأحاديث المنى وهو بعيد
قمر أطلع منه المغرب * شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أومذنب * فى هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى * جال فى النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى * ففؤادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول * ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
أمره معتمل ممتثل * فى ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما * لم يراقب فى ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما * ومجازى البر منها والمسى
مالقلبى كلما هبت صبا * عاده عيد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتتبا * قوله ان عذابى لشديد
جلب الهم له والوصبا * فهو للاشجان فى جهد جهيد
لاعج فى أضلعى قد أضرما * فهى نار فى هشيم اليبس
لم يدع فى مهجتى الاذما * كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يانفس فى حكم القضا * واعمرى الوقت برجعى ومتاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى * بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفى القول الى المولى الرضا * ملهم التوفيق فى أم الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى * أسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما * ينزل الوحى بروح القدس

الى هذا الحد انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ولا أدرى لم لم يكملها وتمامها قوله

مصطفى الله سمى المصطفى * الغنى بالله عن كل أحد
من اذا ما عقد العهد وفا * واذا ما فتح الخطب عقد
من بنى قيس بن سعد وكفى * حيث بيت النصر مرفوع العمد
حيث بيت النصر محمى الحمى * وجنى الفضل زكى المغرس
والهوى ظل ظليل خيما * والندى هب الى المغترس
هاكها يا سبط أنصار العلا * والذى ان عثر الدهر أقال
غادة ألبسها الحسن ملا * تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظا ومعنى وحلى * قول من أنطقه الحب فقال
هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس

ثم قال ابن خلدون وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا الملك المصرى التى اشتهرت شرقا وغربا وأولها

حبيبى ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على كافور * فى جلنار

كالى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك منعطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد رأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر الاشبيلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء على صفائح من الحجر فقال

وعريش قد قام على دكان * بحال رواق
وأسد قد ابتلع ثعبان * من غلظ ساق
وفتح فمو بحال انسان * به الفواق
وانطلق من ثم على الصفاح * وألقى الصياح

وكان ابن قزمان مع انه قرطبى الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها الى أن قال ابن خلدون وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب فى هذه الطريقة فن

قوله فى زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض * وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجى الينا * ثم تستحى وترجع

ومن محاسن ازجاله قوله * لاح الضيا والنجوم سكارى * ثم قال وظهر بعد هؤلاء فى اشبيلية ابن جحدر الذى فضل على الزجالين فى فتح ميورقة بالزجل المشهور الذى أوله

من يعاند التوحيد بالسيف يمحق * انا برى ممن يعاند الحق

قال أبو سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعمع صاحب الزجل المشهور الذى أوله

ياليتنى ان ريت حبيبى * اقبل اذنو بالرسيلا
لش اخذ عنق الغزيل * وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع فن محاسنه فى هذه الطريقة

امزج الاكواس واملالى نجدد * ما خلق المال الا أن يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششترى منهم

بين طلوع وبين نزول * اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن * وبقى من لم يزول

ومن محاسنه أيضا قوله فى ذلك المعنى

البعد عنك يابنى أعظم مصائبى * وحين حصل لى قربك سيبت قاربى

انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون وقد أطال رحمه الله تعالى فى هذا المقصد ولم أرد ايراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلق الغرض به وفيما ذكرته منه كفاية لتعلقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى وشهادته له انه شاعر الاسلام غير مدافع وانه انتهت اليه رياسة الصناعة الزجلية والتوشيحية وأبو بكر بن باجة الذى أشار اليه ابن خلدون هو أبو بكر ابن الصائغ التجيبى السرقسطى الذى قال فى حقه لسان الدين فى الاحاطة انه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب القلائد معاداة فلذلك هجاه فى القلائد وجعله آخر ترجمة فيها اذ قال مانصه الاديب أبو بكر بن الصائغ هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ فى غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ماتطهر من جنابه ولا أظهر مخيلة انابه ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار فى جدث ولا اقر بباريه ومصوره ولا افتر بتباريه فى ميدان تهوره الاساءة اليه أجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر فى تلك التعاليم وفكر فى أجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثانى عطفه وأراد ابطال مالا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من

ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وانكر أن تكون منبه الى الله تعالى فيئه وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد أن الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فماله فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم وانتمت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق الموسيق وهام بحادى القطار وسيق فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف عليه كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ قادنا الى الله تعالى فى أسلس مقاد مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوهها الله تعالى وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد دنسها وفند لا يعمر الا كنفه ولدد لا يقيم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجاده وشارف الاحسان أو كاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه فاشتمل عليه اسر سعى الى حشاه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال

يا شائقى حيث لا استطيع ادركه * ولا اقول غدا أغدو فالقاه
أما النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فاولاه كاخراه
اغترت نفسى بآمال مزورة * منها القاؤك والايام تاباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته

ألا يارزق والاقدار تجرى * بما شاءت نشا أو لا نشاء
هل أنت مطارحى شجوى فتدرى * واورى كيف يحتمل القضاء
يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وله فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تعالى تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبات الاوان ونظمت على كل شتيت من الاحسان فمن ذلك قوله

يوضح فى الدجى طرف ضرير * سنى بلوى الصريمة يستطير
فيابابى ولم ابذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لا تقل هو ثغر سلمى * فتبا انه حوب وزور
فكيف وما اطل الليل منه * ولا عبقت بساحته الخمور
تراءى بالسدير فؤاد قلبى * من البرحاء ما شاء السدير
فلولا أن يوم الحشر يقضى * على بحكم مولى لا يجور
دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور

ومنها

لقد وسع الزمان عليه عدوى * وضرب شبله الليث الهصور
وقل بنى الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور
سوى ذكر اطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير

همام جوده يصف السوارى * وسطوته بغيرها البحير
وقلنا قد كيف وراحتاه * بحور يلتطى فيها سرور
فهل فيما سمعت به خصام * يكون الخصم فيه هو العزير

وكان الامير أبو بكر يعتقد له هذه المانة ويراها ويجود ابداثراها فلما ولى الثغر والشرق لم يغفله من رعى ولم يكله الى شفاعة وسعى وحله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما كان يقتضيه خلق الوقت من اقامة الوعد وتسويغه كل نعيم رغد وتغلب حجة داحضه وانهاض عثرة غير ناهضه فتقلد وزارته ودولته تزهى منه باندى من الوسمى المبتكر واهدى من النجم فى الليل المعتكر والويته تميس زهوا ميس الفتاه ورعيته تبتهج بملكها ابتهاج حى بابن الموماه ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها وكائبه لا يكاد العدو يعشرها فجاش اليه وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ماشاء من مقابحته واسمعهم مايصم بين خمه ومقابحته فوغرت صدورهم السليمه واعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الاليمه ولم يزل يأخذ فى الاضرار بهم ولم يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر السباب والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجردها من حماتها فاستعجل العدو بذلك واستشرى وزار منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى الشر قد ثار قتامه وبدا من ابلها اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل وأقام بالنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ونجوم سعدها كل يوم غائره والعدو يتربص بها السوأدائره ويروم منازلتها ثم يدع الاقحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاوله وأثناء تلك المطاوله عاجل الامير أبابكر حمامه واستشعر فيها اتمامه وأجنه الثرى وحازمنه بدر دجنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه ضجيعا

أيها الملك قد لعمرى نعى السجد يوم النساء قبل فحنا
كم تقارعت والخطوب الى أن * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير أنى اذا ذكرتك والدهر أحال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقيل الحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا ما يغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من اربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب فهذا مما أطال به كمد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه

فيا ركب المنون ألا رسول * يبلغ روحها ارج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت نفوس المسلمين فرقا منهم فى يد الاستسلام ارتاب بقبح افعاله وبرئ من احتذائه بتلك الآراء وانتعاله واخافه ذنبه ونبا عن مضجع الامن جنبه فكر الى الغرب ليتوارى فى نواحيه ولا يتراءى لاعين لائمه ولاحيه

فلما وصل شاطبة حضرة الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب نفاذه وهو مبهم وعاقه عنه مدلول عليه ملهم فاعتقله اعتقال الاشقي الدين من آلامه وشهد له بعقيدة اسلامه وفي ذلك يقول وهو معتقول ويصرح بمذهبه الفاسد وغرضه المستاسد

خفض عليك فما الزمان وريبه * شئ يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفس لم تضع لتحلها * حيث احتللت بها وأنت عليم
ياصاحبي افظا ومعنى خلته * من قبله حتى يبين تقسيم
دع عنك من معنى الاخاء ثقيله * وانبذ بذاك العبء وهو ذميم
واسمع وطارحني الحديث فانه * ليل كاحداث الزمان بهيم
خذني على اثر الزمان فقد مضى * بؤس على أبنائه ونعيم
فعسى أرى ذاك النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم أجداثهم * وتشابه المحسود والمحروم

ولما خلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا احتال في اخفاء ماله واستيفاء آماله فأظهر الوفاء للامير أبي بكر بالرثاء له والتأبين وتداهيه في ذلك واضح مستبين فانه وصل بهذه النزعة من الحماية الى حرم وحصل في ذمة ذلك الكرم واشتمل بالرعي وأمن من كل سعي فاقتنى قيانا ولقنهن أعاريض من القريض وركب عليها ألحانا أشجى من النوح ولطف بها الى اشادة الاعلان باللوعة والبوح فسلك بها أبداع مسلك وأطلعهن نيرات ما لهن غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله

ان غرابا جرى ببينهم * جاوبه بالثنية الصرد
طاروا فها أنت بعدهم جسد * وفارق الروح ذلك الجسد
واكتتموا صحبة بينهم * أليس لله بئس ما اعتقدوا

وكقوله

سلام والمام ووسمي مزنة * على الجدث النائي الذى لا أزوره
أحقا أبو بكر تقضي فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن آنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت أنصاره وقصوره

ومن قلة عقله ونزارته انه في مدة وزارته سفر بين الامير أبي بكر رحمه الله تعالى وبين عماد الدولة بن زهور رحمه الله تعالى بعد سعايات عليه اسلفها وذخائر كانت له على يديه أتلفها فوافاه أوغر ما كان عليه صدرا وأصغر ما كان لديه قدرا فآل به ذلك الانتقال الى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلة شوهاء وتنازله الاوهام بفطرته الورهاء وفي ذلك يقول

لعلك يا يزيد علمت حالي * فتعلم أي خطب قد لقيت
واني ان بقيت بمثل ما بي * فمن عجب الليالي ان بقيت
يقول الشامتون شقا بجنت * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الامان من الليالي * وسالمهم بها الزمن المقيت

وما يدرون انهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

وعزم عماد الدولة يوما على قتله والزم المرتقبين به التحيل على ختله فنمى اليه الامر الوعر وارتمى به في لجج اليأس الذعر فقال

اقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
قرى تحمدى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الامنى

ثم قضى له قدر قضى بانظاره وما امضى من اباحته ما كان رهين انتظاره ويمهل الفاجر حكمة من الله تعالى وعلما واغا نملي لهم ليزدادوا اثما انتهى نص القلائد واين هذا من تحليته له فى بعض كتبه بقوله فيه ما صورته نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع تتوجت بعصره الاعصار وتأرجت من طيب ذكره الامصار وقام وزن المعارف واعتدل ومال للاذهان فنناوتهدل وعطل بالبرهان التقليد وحقق بعدعدمه الاختراع والتوليد اذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق وان طما بحر خاطره فهو لكل شئ مغرق مع نزاهة النفس وصونها وبعد الفساد من كونها والتحقيق الذى هو للايمان شقيق والجد الذى يخلق العمر وهو مستجد وله ادب يود عطارد أن يلتحفه ومذهب يتمنى المشترى أن يعرفه ونظم تعشقه اللبات والنحور وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور وقد أثبت منه ما تهوى الاعين الكحل أن يكون اثمدها ويزيل من النفوس حزنها وكمدها فمن ذلك قوله يتغزل

اسكان نعمان الاراك تيقنوا * بأنكم فى ربع قلبى سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استحفظوا خانوا
سلوا الليل عنى اذ تناءت دياركم * هل اكتحلت لى فيه بالنوم أجفان
وهل جردت أسياف برق سمائكم * فكانت لها الا جفونى أجفان

وله

أتاذن لى آتى العقيق اليمانيا * أسائله ما للمعالى وماليا
وهل داركم بالحزن قفر لانني * تركت الهوى يقتاد فضل زماميا
فيا مكرع الوادى أما فيك شربة * لقد سال فيك الماء أزرق صافيا
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة * وقد فاء فيك الظل أخضر ضافيا

واورد له فى المطمح انه استأذن على المستعين بالله فوجده محجوبا فقال

من مبلغ خير امام نشا * ذا عزة وساميا قدرا
قول امرئ لوقاله للصفا * أنبت فيه ورقا خضرا
عبدك بالباب له خجلة * لوانها بالنرجس احمرا انتهى

وحكى غير واحد انه مات له سكن كان يهواه فبات مع بعض اصحابه عند ضريحه ومثواه وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل فزور فى نفسه بيتين فى خطاب القمر أتقنهما ولحنهما حتى اذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنى فيهما بذلك الصوت المشجى واللحن يسوق الشوق ويزجى وهما

شقيقك غيب في لحده * وتشرق يا بدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسوف * حدادا لبست على فقده

فكسف القمر في الحال وعدت هذه من نوادره التي جيد الاخبار بفرائدها حالٍ سامحه الله تعالى ثم رأيت في الاحاطة نسبة ذلك لغيره ونصه محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي يكني أبا عبد الله (حاله) شاعر مفلق وأديب شهير مشار اليه في التعاليم منقطع القرين منها في الموسيقى مضطلع بفك المعمى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح وقال ابن بسام كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيره وبحر خبره وسيره وديوان تعاليم مشهوره وضح في طريق المعارف وضوح الصبح المتهلل وضرب فيها بقداح ابن مقبل الى جلالة مقطع وأصالة منزع ترى العلم ينم على أشعاره ويبين في منازعه وآثاره (تآليفه) ديوان شعره كبير معروف وله في العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الالحان الموسيقية والآراء الخليلية (بعض أخباره) حدث بعض المؤرخين بما يدل على ظرفه أنه فقد سكنا عزيزا عليه واحوجته الحاجة الى تكلف سلوة فلما حضر الندماء وكان قد رصد الخسوف القمري فلما تحقق أنه ابتدأ أخذ العود وغنى شقيقك غيب الى آخره وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا واعترضه الخسوف وعظم من الحاضرين التعجب ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره وقال

اقبلن في الحبرات يقصرن الخطا * ويرين في حال الورا شين القطا
سرب الجوى لا الجو عوّد حسنه * أن يرتعي حب القلوب ويلقطا
مالت معاطفهن من سكر الصبا * ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
ويسقط العلمين أوضح معلم * لمهفهف سكن الحشى والمسقطا
ما أخجل البدر المنير اذا مشى * يختال والغصن النضير اذا خطا

ومنها في المدح

يا وافدي شرق البلاد وغربها * اكرمتما خيل الوفادة فاربطا
ورأيتما ملك البرية فاهنا * ووردتما أرض المرية فاحططا
يدمي نحور الدارعين اذا ارتأى * ويذل عز العالمين اذا سطا

انتهى المقصود منه وأورد له في الاحاطة قصيدة نائية أولها

حديثك ما احلى فزيدي وحدثي * وهي طويلة وكتب عليها ابن المؤلف ما صورته سمعتها من لفظ شيخي أبي جعفر بن خاتمة بالمرية في سنة خمس وستين وسبعمائة قاله علي بن الخطيب انتهى (رجع) الى أخبار ابن الصائغ ومن نظمه قوله

ضربوا القباب على اقاحي روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا
وتركت قلبي سار بين حمولهم * دامي الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت أسيرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت عبورا
لا والذي جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
ما مر بي ريح الصبا من بعدهم * الا شهقت له فعاد سعيرا

وتوفى ابن الصائغ فى شهر رمضان سنة ٥٢٣ وقيل سنة خمس وعشرين مسموما فى باذنجان بمدينة فاس وهو تجيبى بضم التاء وفتحها وباجه بالباء الموحدة وبعد الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى الفضة بلغة الفرنج وسرقسطة بفتح السين والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة مدينة كبيرة بالاندلس استولى عليها العدو سنة ٥١٢ وقال الامير ركن الدين بيبرس فى تأليفه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ان ابن الصائغ كان عالما فاضلا له تصانيف فى الرياضات والمنطق وانه وزر لابى بكر الصحراوى صاحب سرقسطة ووزر أيضا ليحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادوه فقتلوه مسموما انتهى وأنشد له بعضهم

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا وودعوا
ولما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعى قالت الى أين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولادم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينين قد أعماهما كثرة البكا * وأذن بصت عن عذل العذل تسمع

وقد قال بعضهم فى تعزيز بيتى الحريرى انه لابن الصائغ الاندلسى وليس هو بهذا فيما أعلم

انقد مهوى ازره فاتنى * مه يا عذولى فى الذى انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

(رجع) الى ابن باجه وقد ذكر لسان الدين فى الاحاطة سبب العداوة بينه وبين الفتح فى ترجمة الفتح ولنذكرها بنصه فنقول قال رحمه الله تعالى الفتح بن محمد بن عبيد الله الكاتب من قرية تعرف بقلعة الواد من قرى يحصب يكنى أبا نصر ويعرف بابن خاقان (حاله) كان آية من آيات البلاغة لايشق غباره ولايدرك شأوه عذب الالفاظ ناصعها أصيل المعانى وثيقها لعوبا باطراف الكلام معجزا فى باب الحلى والصفات الا انه كان مجازفا مقدورا عليه لايعلى من المعاقرة والقصف حتى هان قدره وابتذلت نفسه وساء ذكره ولم يدع بلدا من بلاد الاندلس الا دخله مسترفدا أميره واغلافى عليته قال الاستاذ فى الصلة وكان معاصرا للكاتب أبى عبد الله بن أبى الخصال الا ان بطالته أخلدت به عن مرتبته وقال ابن عبد الملك قصد يوما الى مجلس قضاء أبى الفضل عياض مخمرا فتنسم بعض حاضرى المجلس رائحة الخمر فاعلم القاضى بذلك فاستثبت وحده حدا تاما وبعث اليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير وعمامة فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه عزمت على اسقاط القاضى أبى الفضل من كتابى المرسوم بقلائد العقيان قال فقلت لاتفعل وهى نصيحة فقال وكيف ذلك فقلت له قصتك معه من الجائز أن تنسى وأنت تريد أن تتركها مؤرخة اذ كل من ينظر فى كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه فى العلم والصيت فيسأل عن ذلك فيقال له فيتوارث العلم عن الاكابر الاصاغر قال فتبين ذلك وعلم صحته واقر اسمه وحدثنى بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجه أبى بكر آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس ما كان من ازرائه به فى تكذيبه اياه فى مجلس اقرائه اذ جعل يكثر ذكر ما وصله به

أمراء الاندلس ووصف حليا وكان يسمو من أنفة فضلة خضراء اللون فقال له من تلك الجواهر اذن الزمردة التي على شاربك فنشأ به في كتابه بما هو معروف وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده غفر الله تعالى له (مشيخته) روى عن أبوي بكر بن سليمان بن القصيرة وابن عيسى ابن اللبانة وأبي جعفر بن سعدون الكاتب وأبي الحسن بن سراج وأبي خالد بن بشتغير وأبي الطيب بن زرقون وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب وأبي عبد الرحمن بن طاهر وأبي عامر ابن سرور وأبي محمد بن عبدون وأبي الوليد بن حجاج وابن دريد الكاتب (تواليفه) ومصنفاته شهيرة منها قلائد العقيان ومطمح الانفس والمطمح أيضا وترسيله مدون وشعره وسط وكتابته فائقة (شعره) من شعره قوله وثبت في قلائده يخاطب أبا يحيى بن الحاج

أكعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيأ الملك زار أفقك نوره * وفي صفحتيه من مضائك أسطر
واني لخفاق الجناحين كلما * سرى لك ذكر أو نسيم معطر
وقد كان واش هاجنا لتهاجر * فبت واحشائي جوى تتفطر
فهل لك في ود ذوى لك ظاهرا * وباطنه يندى صفاء ويقطر
ولست بعلق بيع بخسا وانني * لارفع أعلاق الزمان وأخطر

قد وجع عنه بما ثبت أيضا في قلائده مما أوله

ثنيت أبا نصر عناني وربما * ثنت عزمة السهم المصمم أسطر

(نثره) ونثره شهير وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهراكته عن بعض الامراء لصاحب الشرطة ولا خفاء بادلاله وبراعته وهو هذا كتاب تأكيد اعتناء وتقليد ذي منة وغناء أمر بانفاذه فلان أيده الله تعالى لفلان بن فلان صانه الله تعالى ليتقدم لولاية المدينة الفلانية وجهاتها ويصوح ماتكاثف من العدوان في جنباتها تنويها لحظاه بعلائه وكساء رائق ملائه لما علمه من سنائه وتوسمه من غنائه ورجاه من حسن منابه وتحققه من طهارة ساحته وجنابه وتيقن أيده الله تعالى انه مستحق لما ولاه مستقل بما تولاه لا يعتريه الكسل ولا تثنيه عن المضاء الصوارم والاسل ولم يكل الامر منه الى وكل ولا ناطه بمناط عجز ولافشل وأمره أن يراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه وليعلم انه زاجره عن الجور وناهيه وسائله عما حكم به وقضاه وأنفذه وأمضاه يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله فليتقدم الى ذلك بحزم لا يخمد توقده وعزم لا ينفد تفقده ونفس مع الخير ذاهبه وعلى متن البر والتقوى راكبه وليقدم للاحتراس من عرف اجتهاده وعلم ارقه في البحث وسهاده وحمدت أعماله وأمن تفريطه واهماله ويضم اليهم من يحذو حذوهم ويقفو شأوهم ممن لا يستراب بمناحيه ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه وأن يذكي العيون على الجناة وينفي عنهم الذنبا السنات ويفحص عن مكامنهم حتى يغص بالريق نفس آمنهم فلا يستقر بهم موضع ولا يفترمنهم خب ولا موضع فاذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه وبث السؤال في مواضع تصرفه ومواطنه فان لاحت شبهة ابداها الكشف والاستبراء وتعداها النفي والافتراء

شكله بالعقوبة أشد نكال وأوضح له منها ما كان ذا اشكال بعد أن يبلغ اناه ويقف في طرفه مداه وحدّ له أن لا يكشف بشرة الا في حدّ يتعين وان جاء فاسق أن يتبين وأن لا يطمع في صاحب مال موفور وأن لا يسمع من مكشوف في مستور وأن يسلك السنن المحمود وينزه عقوبته من الافراط وعفوه من تعطيل الحدود واذا انتهت اليه قصة مشكلة أخرها الى غده فهو في العقاب أقدر منه على ردّه فقد تبين في وقت ما لا يتبين في وقته والمعاجلة بالعقوبة من المقت وأن يتغمد هفوات ذوي الهيآت وان يستشعر الاشفاق ويخلع التكبر فانه من ملابس أهل النفاق وليحسن لعباد الله تعالى اعتقاده ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده وأن يعاقب المجرم قدر زلته ولا يعتز عند ذلته وليعلم أن الشيطان أغواه وزين له مثواه فيشفق من عثاره وسوء آثاره وليشكر الله تعالى على ما وهبه من العافيه وألبسه من ملابسها الضافيه ويذكره جلّ وعلا في جميع أحواله ويفكر في المحشر وأهواله ويتذكر وعدا ينجز فيه ووعيدا يوم تجد كل نفس الى بعيدا والامير أيده الله تعالى وليّ له ما عدل وأقسط وبرىء منه ان جار وقسط فمن قرأه فليقف عند حدّه ورسمه وليعرف لمستوق قطع الشرّ وحسمه ومن وافقه من شريف أو مشروف وخالفه في نهي عن منكر أو أمر بمعروف فقد تعرض من العقاب لما يذيقه وبال خبله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وكتب في كذا (وفاته) بمراكش ليلة الاحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة ألفي قتيلا بيت من بيوت فندق أسد فنادقها وقد ذبح وعبث به وما شعر به الا بعد ثلاث ليال من قتله انتهى نص الاحاطة

وقال في المغرب ما ملخصه فخر أدباء اشبيلية بل الاندلس أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي صاحب القلائد والمطمح ذكره الحجاري في المسهب الدهر من رواة قلائده وحملة فرائده طلع من الافق الاشبيلي شمسا طبق الآفاق ضياؤها وعم الشرق والغرب سناها وسناؤها وكان في الادب أرفع الاعلام وحسنة الايام وله كتاب قلائد العقيان ومن وقف عليه لا يحتاج في التنبيه على قدره الى زيادة بيان وهو وأبو الحسن بن بسام الشنتري مؤلف الذخيرة فارسا هذا الاوان وكلاهما قس وسحبان والتفضيل بينهما عسير الا أن ابن بسام أكثر تقييدا وعلما مفيدا واطنابا في الاخبار وامتاعا للاسماع والابصار والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه أكثر تعلقا وتعشقا بالانفس ولولا ما اتسم به مما عرف من أجله بابن خاقان لكان أحد كتاب الحضرة المرابطية بل مجليها المستولي على الرهان وانما أخل به ما ذكرناه مع كونه اشتهر بذم أولي الاحساب والتمرين بالطعن على الادباء والكتاب وقد رماه الله تعالى بما رمى به امام علماء الاندلس أبا بكر بن باجه فوجد في فندق بحضرة مراكش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه وتركه مقتولا وفي دبره وتد والله سبحانه يتغمده برحمته ومن شعره قوله من أبيات في المدح

الى أين ترقى قد علوت على البدر * وقد نلت غايات السيادة والقدر
وجدت الى أن ليس يذكر حاتم * وأغنيت أهل الجدب عن سبل القطر

وكم رام أهل اللوم بالوم وقفة * وبحر له مد لا يؤول الى جزر
ولو لم يكن فيك السماح جبلة * لاثر ذاك اللوم فيك مع الدهر

وذكره ابن الامام فى سمط الجمان وأنشد له

لله ظبى من جنابك زارنى * يختال زهوا فى ملاء مراح
ولى التماسك فى هواه كأنه * مروان خاف كتائب السفاح
فخلعت صبرى بالعرا ونبذته * وركبت وجدى فى عنان جماح
أهدى لى الورد المضعف خده * فقطفته باللحظ دون جناح
واردت صبرا عن هواه فلم أطق * وارين جدا فى خلال مزاح
وتركت قلبى للصبابة طائرا * تهفو به الاشواق دون جناح

وذكره ابن دحية فى المطرب ونعته بابن خاقان قال والشيخ أبو الحجاج البياسى ينكر هذا ويقول انما قيل له ابن خاقان لما تقدم ذكره فى كلام الحجارى وقال ابن دحية انه قتل ذبحا بمسكنه فى فندق بيت من حضرة مراكش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة أشار بقتله على بن يوسف بن تاشفين وقال أبو الحسن بن سعيد رأيت فضلاء الاندلس ينتقدون على الفتح أول افتتاحه فى خطبة قلائده الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أجنتنا لكون ما تضمنته الفقرة الاولى أصوب مما تضمنته الفقرة الثانية والصواب ضد ذلك انتهى وقال ابن الابار فى معجم أصحاب الصدفى انه لم يكن مرضيا وحذفه أولى من اثباته انتهى ولذا لم يذكره فى التكملة وقال ابن خاتمة انه لم يعرف من المعارف بغير الكتابة والشعر والآداب انتهى وما حكاه فى الاحاطة من تاريخ وفاته مخالف لما حكاه ابن الابار انه ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة قال وقرأت ذلك بخط من يوثق به وحكى ابن خلكان قولا آخر انه توفى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قيل وهو خطأ على انه حكى القول الآخر أيضا ودفن بباب الدباغين رحمه الله تعالى وقد قيل ان قتله كان باشارة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أخى ابراهيم الذى ألف برسمه قلائد العقيان وقد ذكر ابن خلكان أن المطمح ثلاث نسخ صغرى ووسطى وكبرى والذى قاله ابن الخطيب وابن خاتمة وغير واحد من المغاربة انه نسختان فقط صغرى وكبرى ولعله الصواب اذ صاحب البيت أدرى بما فيه ومن تآليف الفتح بداية المحاسن وغاية المحاسن ومجموع فى ترسيله وتأليف صغير فى ترجمة ابن السيد البطليوسى نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلائد * ومن بديع انشاء الفتح المذكور سامحه الله تعالى قوله أطال الله تعالى بقاء الوزير الاجل عتادى الاسرى وزنادى الاورى وأيامه أعياد وللسعد فى زمانه انقياد أما انا أدام الله تعالى عزه فخوى عاتم وأعيادى مآتم وصبحى عشاء ومالى الامن انخطوب انتشاء أبيت بين فؤاد خافق وطرف مسهد نائى المحلة من مزار العود حين لا أرى الروض المنور ولا أحس سهيلا اذا لاح ثم تغور وقد بعدت دار الى حبيبه ودنت منى حوادث بادناها تؤذى الشبيبه وأى عيش لمن لزم الفلاوزلا ربعها حتى ألفه ربعها قد رمته النوائب فما اتقى وارتقت له الجوائح فى وعور المرتقى يواصل النوى ولا يهجر سيرا

ولم يزجرفي الاراحة طيرا قد هام بالوطن هيام ابي طالب بالحوض والعطن وحن الى تلك البقاع حنينه الى أثلات القاع ولا سبيل أن يشعب صدع بينه شاعب أو تكلمه أحجار الدار وملاعب وليس له الى أين يجنح ولا يرى أمله يسنح. قد طوى البلاد وبسطها ونطرف الارض ووسطها ولم يلف مقيلا ولا وجد مقيلا الى الله أشكو ما أقاسي وأقاسي وبيده الاقدام والنواصي ولقاؤه موعد لكل موعد وكل معمر سيدركه يوما حمام الموعد وانفذته وقد صدرت عن فلانة بعد أهوال لقيتها وانكال سقيتها وسفر لقيت منه نصبا وكدر أعقبني وصبا والى متى يعتزلني السعد ولله الامر من قبل ومن بعد انتهى * وكتب رحمه الله تعالى من رسالة لسيدي لاعدمت ارتفاقا ولا حرمت تكيفا من السعد واتفاقا أنا الآن مشتغل البال لا أفرق بين الاعراض والاقبال وعند توجهي أفرغ لك ما حضر ومثلك أرجأ الامر وأنظر وفي علم الله تعالى لو أمكنني لحملتك على كاهل وأوردتك منه أعذب المناهل وأبعث لك السعد ثغرا ترشفه وخلعته بردا عليك تلتحفه لكن الزمان لا يجد وصروفه لا تجد وعلى أي حال فلا بد أن تجد قرارك وتحمد سرارك ان شاء الله تعالى * وكتب الى أبي بكر بن علي عند ولايته اشبيلية أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل أبي بكر للارض تملكها ويستدير بسعده فلكها استبشر الملك وحق له الاستبشار وأومأ اليه السعد في ذلك وأشار بما اتفق له من توليتك وخفق عليه من ألويتك فالقدحي منك بالك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يقدم حيث يتأخر الذابل ويكرم اذا بخل الوابل ويحمي الحمى كريمة بن مكدم ويسقي الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس لقد استردت عهد خلفائها واستمدت تلك الامامة بعد اغفائها حتى كان لم تمر أعصارها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم ومابذلا الا المشرفية مهرا والله تعالى أسأله انتصار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم ونصرك أعز من نصرهم والسلام انتهى * وقال بعضهم من أحسن ما رأيت له قوله معاليك أشهر رسوما وأعطر نسيما من أن يغرب شهاب مسعاها أو يجدب لرائد مرعاها فان نبهتك فانما نبهت عمرا وان استنرتك فانما استنيرقرا والامير أيده الله تعالى أجل من اعتصم في ملكه وانتظم في سلكه فانه حسام بيد الملك طلاقته فرنده وشهامته حده وقضيب في دوحة الشرف رطيب بشره زهره وبره ثمره وقد توسمت نارك لعلي آنوز منها بقبس أو تكون كنار موسى بالوادي المقدس وعسى الامل أن تعلو بكم قداحه ويشف من أفقكم صباحه فجرد أيدك الله تعالى صارم عزم لا يفل غروبه وأطلع كوكب سعد لا يخاف غروبه انتهى * ولنذكر بعض كلامه في المطمح لغرابته في هذه البلاد المشرقية بخلاف القلائد فانها موجودة بأيدي الناس فيه قال رحمه الله تعالى في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي امام اللغة والاعراب وكعبة الآداب أوضح منها كل ابهام وفضح دون الجهل بها محل الاوهام وكان أحد ذوي الاعجاز وأسعد أهل الاختصار والايجاز نجم والاندلس في اقبالها والانفس أول تمسكها بالعلم

واهتبالها

واهتبالها فنفقت له عندهم البضاعه واتفقت على تفضيله الجماعه وأشاد الحكم بذكره فأورى بذلك زناد فكره وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثيل ولحن العامة وطبقات النحويين وكتاب الواضح وسواها من كل تاليف محجل لمن أتى بعده فاضح وله شعر مصنوع ومطبوع كانما يتفجر من خاطره ينبوع وقد أثبت له منه مايقترح ولا يطرح فمن ذلك قوله

كيف بالدين القديم * لك من أم تميم
ولقد كان شفاء * من هوى القلب السقيم
يشرق الحسن عليها * فى دجى الليل البهيم

وكتب مراجعا

أغرقتنى فى بحور فكر * فكدت منها أموت لما
كلفتنى غامضا عويصا * أرجم فيه الظنون رجما
مازلت أسبر السجوف عنه * كانى كاشف لظلما
أقرب من ليله وأنأى * مستبصرا تارة وأعمى
حتى بدا مشرق المحيا * لما اعتلى طالعا وتما
لله من منطق وجيز * قد جل قدرا وجل فهما
أخلصت لله فيه قولا * سلمت لله فيه حكما
اذ قلت قول امرئ حكيم * مراقب للاله علما
الله ربى ولى نفسى * فى كل بؤس وكل نعما

وكتب الى أبى مسلم بن فهد وكان كثير التكبر عظيم التجبر متغيرا لسانه مقفرا من المعالم جنانه

أبا مسلم ان الفتى بفؤاده * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليس رواء المرء يغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد الحلم والعلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسى

واستدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعجل اليه وأسرع فامرع من آماله ماأمرع فلما طالت نواه واستطالت عليه لوعته وجواه وحن الى مستكنه باشبيلية ومثواه استأذنه فى اللحوق بها فلومه ولواه فكتب الى من كان يالفه ويهواه

ويحك ياسلم لاتراعى * لابد للبين من مساعى
لاتحسبينى صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ماخلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
مابينها والحمام فرق * الا المناحات فى النواعى
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان فى اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

وقال سامحه الله تعالى بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صمادح ما نصه ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله فتى الراح المعاقر لدنانها المهتصر لاغصان الفتوة وافنانها المهجر لفلاة الظباء والآرام المشتهر في باب الصبابة والغرام نشأ في حجر أبيه نديم قهوه ونديم صبوه وخديم شهوه لا يريم كاسا ولا يروم الا اقتضاء واحتساء كاسا ما شهد قتلا ولا قتالا ولا تقلد صارما الا اختيالا قد أمن منه جنان الجبان وعدت له غصون البان ومازال مرتضعا اخلاف البطاله مقتطعا ما شاء من اطاله متوغلا في شعاب الضلال متغلغلا في طريق الانتهال الى أن وجهه أبوه الى أمير المسلمين سفيرا عند ما بدت له وجوه الفتنة تسفر ومعاهد الهدنة تقفر مع أكامل أصحبهم نقصانه وذوي اديان جعلهم خلصانه يسمعون بوادر بذاذته وينظرون منا كر لذاذته فآلت سفرته الى الاعتقال وقصرت نخوته ما بين قيد وعقال فجاء كالمهر لا يعرف لجاما وصار حبيس قوم لا يألونه استجماما وحين شالت نعامته وسالت عليه ظلامته كتب الى أبيه

ابعد السنا والمعالي خمول * وبعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا * أنا اليوم عبد أسير ذليل
حللت رسولا بغرناطة * فحل بها في خطب جليل
وثقفت اذ جئتها مرسلا * وقبلي كان يعز الرسول
فقدت المرية أكرم بها * فما للوصول اليها سبيل

فراجعه أبوه بقطعة منها

عزيز على ونوحي دليل * على ما أقاسي ودمعي يسيل
وقلت البيض أغمادها * وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه * ويوسف أنت فصبر جميل

ولم يزل يحتال في تخلصه وأخذه من يد مقتنصه فسرق وحراسه منه بمكان السماك من النحر وطرق به على ثبج البحر فوافى المرية وقد أخذ البحث عليه آفاق البرية فهنئ المعتصم بخلاصه وبقي مستقرا بعراصه الى أن أخلوها ومضوا الطلبة ما نووها فجاء أخوه الى حيث ذكرنا من بلاد الناصر ولجأ هو الى أحد المرابطين لاذمة كانت بينهما وأواصر وأقام معه يميرلهوه وأميرسهوه الى أن انقرض أمده وطواه سروره ولا كمده فلم يزل الا خالعا العذاره طالعا في ثنيات اغتراره غير مكترث باتضاعه ولا منحرف عن ارتشاف الغي وارتضاعه وبدا منه في هذه الحال ندى كاثر به السحاب وظاهر بسببه الصحاب وتخدم الاوطار وتقدم لذوي الرتب فيها والاخطار حسنا من ذكره وأولع الالسن بشكره فارتفع عنه الكدح وشفع له في الذم ذلك المدح وكان نظمه بديع الوصف رفيع الرصف وقد أثبت له ما يشهد باجادته واحسانه شهادة الروض بجود نيسانه أخبرني ابن القطان انه سار الامير يحيى بن أبي بكر الى طليطلة في جيوش فاضت سيلا وخاضت المطايا قتامها الليلا وكان ما لكلام يعقد على مثله لواء ولم يحتو على شبهه حواء بجمال محيا وكمال عليا وحسن شيم وبعد همم أغنى العفاة وأحيى الرفاة والغى

الاجواد

قوله الانتهال في نسخة الانهمال اهـ

الاجواد وأنسى كعب بن مامة وابن أبي دواد فلما شارف طليطلة وكثبها واشتف بلالتها وارتشفها وضرب بكنفها مضاربه واجال بساحتها نازعه واعاربه سقط أحد الويته عن يد حامله وانكسر عند عامله فطائفة تفاءلت وطائفة تطيرت وفرقة ابتهجت وأخرى تغيرت فقال

لم ينكسر عود اللواء لطيرة * يخشى عليك بها وان تتأولا
لكن تحقق انه سيدق في * نحر العدا ولدى الوغى فتعجلا

وأخبرني أخوه رفيع الدولة أن ابن اللبانة كتب اليه والخلع قد نضا لبوسه وقسر بوسه وكدر صفاءه وعذر وفاءه وطوى ميدان جوده واذوى أفنان وجوده قوله

ياذا الذي هز أمداحي بحليته * وعز أن يهز المجد والكرما
واديك لازرع فيه اليوم تبذله * خذ عليه لايام المنى سلما

فدعته دواعي الندى وأولعته بالجدا في ذلك المدى فتحيل في برّ طبعه وكتب معه

المجد يخجل من نقديك في زمن * ثناه عن واجب البر الذي علما
فدونك النزر من مصف مودته * حتى يوفيك ايام المنى سلما

(ابنه الثاني) رفيع الدولة أبو يحيى بن المعتصم من بيت امارة والى السعد طوافه بها واعتماره عمرت اندية ونشرت به رايات العز وألويته الى أن خوى كوكبهم وهوى مرقبهم فتفرقوا أيادي سبا وفرقوا من وقع الاسنة والظبا وفارقوا أرضا كارض غسان ووافقوا أيلما كيوم أهل اليمامة مع حسان بعد ما خامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق واتهم الناس من كل مكان سحيق وانتجعوا انتجاع الانواء واستطعموا في المحل واللاواء وصالوا بالدهر وسطوا وبين النهي والامر فيه خطوا ورفيع الدولة هذا غرة ذلك الصباح وضوء ذلك المصباح وغصن تلك الدوحة وعرف تلك النفحة لم يهن والدهر قد بذله ولا ترك الانتصار والامر قد خذله فالتحف بالصون وارتدى وراح على الانقباض واغتدى فما لقاه الاساك جددا ولا زاه الالابسا سوددا وله أدب كالروض المجود اذا ازهر ونظم كزهر التمائم والعقود بل كالصبح اذا اسفر واشتهر أرققه على النسيب وصرفه الى المحبوبة والحبيب فمن ذلك قوله

مالي وللبدر لم يسمح بزورته * لعله ترك الاجمال أو هجرا
ان كان ذاك الذنب ماشعرت به * فأكرم الناس من يعفو اذا قدرا

وله أيضا

ياعابد الرحمن كم ليلة * أرقتني وجدا ولم تشعر
اذ كنت كالغصن ثنته الصبا * وعصن ذاك الخد لم يشعر

وله أيضا

وأهيف لايلوي على عتب عاتب * ويقضي علينا بالظنون الكواذب
يحكم فينا أمره فنطيعه * ونحسب منه الحكم ضربة لازب

وله أيضا رحمه الله تعالى

وعلقته حلو الشمائل ماجنا * خنث الكلام مرنح الاعطاف
مازلت انصفه وأوجب حقه * لكنه يأبى من الانصاف

وله أيضا

حبيب متى ينأى عن العين شخصه * يكاد فؤادى أن يطيرمن البين
ويسكن مابين الضلوع اذا بدا * كان على قلبى تمائم من عين

وله أيضا

افدى أباعمرووان كان جانيا * على ذنوبا لا تعدّد بالعتب
فما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم اظلم للقلب

وله وقد بلغه موتى وتحقق عنده فوتى

مثلى الوزارة قد اودى فما فعلت * تلك المحابر والاقلام والطرس
ما كنت احسب يوما قبل ميتته * ان البلاغة والآداب تختلس

واستأذن ليلة على أحد الامراء وأنا عنده فى أسنى موضع وأبهى مطلع وجوانب حفده بين يدى محتله وسحائب رفده على منهله وكان أجل من مقل وا كمل من من المهد الى سرير الملك قد نقل وكتب الى يهنيني بقدوم من سفر

قدمت أبابكر على حال وحشة * فجاءت بك الآمال واتصل الانس
وقرت بك العينان واتصل المنى * وفازت على يأس ببغيتها النفس
فاهلا وسهلا بالوزارة كلها * ومن رايه فى كل مظلمة شمس انتهى

(وقال فى المطمح فى ترجمة الوزير أبى الوليد بن حزم) واحد دونه الجمع وهو للجلالة بصر وسمع روضة علاء رائقة السنا ودوحة بهاء طيبة الجنى لم يتزر بغير الصون ولم يشتهر بفساد بعد الكون مع نفس برئت من الكبر وخلصت خلوص التبر وعفاف التحف به برودا ومارتشف به ثغرا برودا فعفت مواطنه وما استرابت ظواهره ولا بواطنه وأما شعره ففى قالب الاحسان أفرغ وعلى وجه الاستحسان يلقى ويبلغ وكتب اليه ابن زهر

أأبا الوليد وأنت سيد مذحج * هلا فككت اسير قبضة وعده
وحياة من امد الحياة بوصله * وذهابها حتما بيسر صده
لاقاتلنك ان قطعت برهف * من جفنه وبصعدة من قده

فراجعه أبو الوليد

لبيك يا اسد البرية كلها * من صادق عبث المطال بوعده
يمضى بأمرك سار أوسد الفضا * ويفل حد النائبات بحده
ايه روافقت الصبا فى معرض * ذهب المشيب بهزله وبجده

(وقال فى المطمح فى ترجمة أبى بكر الغسانى ماصورته) صليب العود مهيب الوعود لو دعى له الاسد الورد لاجاب ولو رمى بذكره الليل البهيم لانجاب ولو قعدت بين يديه الاطواد لتحركت سكونها ولو عصته الطيور ما آوتها وكونها مع وقار تخاله يذبلا ونخار يفضح بالبلا وشيم لو كانت بالروض ماذوى أو تقاسمت فى الخلق مارمد أحد بعد ماشوى وسجايا تنجلى

عنها

بينهما الظلماء كان من أجمعها مثل زماء انتهى وهذا الغساني هو صاحب تفسير القرآن وقد عرف به في الاحاطة فليراجع ثمة * وقال أيضا في المطمح ما صورته (أبو عامر بن عقال) كان له ببني قاسم تعلق وفي سماء دولتهم تألق فلما خوت نجومهم وعفت رسومهم انحط عن ذلك الخصوص وسقط سقوط الطائر المقصوص وتصرف بين وجود وعدم وتحرف قاعدا حينا وحينا على قدم وفي خلال حاليه وأثناء انتحاليه لم يدع حظه من الحبيب ولا ثنى لحظه عن الغزال الربيب ولم يزل يطير ويقع والدهر يخرق حاله ويرقع الى أن ارقاه الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى أعلى ربوه وأراه أيمن حظوه فأدرك عنده رتبة أعلام التحبير والانشا وترك الدهر قلق الحشى وتسنم منزلة لا يتسنمها الا من تطهر من درنه وجرى احسانه في ميدان حرنه والحظوظ أقسام لا تسام والدنيا انارة واعتام (شعر)

ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وقد أثبت عنه بعض ما انتقيته والذي أخذته مباين لما أبقيته فمن ذلك قوله

يا ويح أجسام الانا * م فما تطيق من الاذى
خلقت لتقوى بالغذا * وسقمها ذاك الغذا
وتنال أيام السلا * مة بالحياة تلذذا
فاذا انقضى زمن الصبا * ورمى المشيب فانفذا
وجد السقام الى المفا * صل والجوارح منفذا
ويقول مهما يعط شيأ ناولني غيرذا

وحذا في هذه القصيدة حذو الصابي في قوله

وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى
رد الذي استحسنته * والناس من حظي كذا
والعمر مثل الكاس ير * سب في أواخره القذى

وله يعتذر عن زيارة اعتقدها ومواصلة اعتقدها فعاقته عنها حوادث لونه وعدته عن ذلك وثنته

بينما كنت راجيا للقائه * والتشفي بالبشر من تلقائه
وترقبت من سماء تراعي * قمر الانس طالعا من سمائه
اذ دهاني اعتراض خطب ثناني * عن تمام يشفي الغليل بمائه
فتدلهت وانزويت حياء * منه والعذر واضح لسنائه

وله فصل كتب به عن الامير ابراهيم يصف اجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه أيده الله تعالى من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذل بعد استصعابه وسهل بعد أن أرى الشامخ من هضابه وصار حيه ميتا وهدره صمتا وحباله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وضعف تعاطيه وعقد السلم بين موجه وشاطيه فعبر آمنا من لهواته متملكا لصهواته على جواد يقطع

أبا زبيجا ويكاد يبدو من البرق لها * لم يحمل لجاما ولا سرجا ولا عهد غير اللجة الخضراء مرجا * عنانه في رجله وهدب العين يحكى بعض شكله فلله هو من جواد له جسم وليس له فؤاد يخرق الهوى ولا يرهبه ويركض الماء ولا يشربه * (وقال في ترجمة الفقيه أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني ما نصه) من ثنية شرف وحسب ومن أهل حديث وادب امام في اللغة متقدم فارع لرتب الشعر متسنم له رواية بالاندلس ورحلة الى المشرق ثم عاد وقد تتوج بالمعارف المفرق وأقام بقرطبة علما من أعلامها ومتسنما لترفعها واعظامها تؤثره الدول وتصطفيه أملاكها الاول مازال فيها مقيما ولا برح عن طريق احانيها مستقيما الى أن اغتيل في احدى الليالي بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولا في فراشه مذهولا كل أحد من انبساط الضرب اليه على انكماشه وقد أثبت من محاسنه ما يجب السامع وتصغي اليه المسامع فمن ذلك قوله

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم * على ما به منهم حنين الاباعر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا * الا ان قلبي سائر غير صابر

ولما رجع الى قرطبة وجلس ليروي ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وما له عندهم من الاثرة قال

انى اذا حضرتني ألف محبرة * يكتبن حدثني طورا وأخبرني
نادت بفخري الاقلام معلنة * هذي المفاخر لاقعبان من لبن

وكتب الى ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون

أبا الوليد وما شطت بنا الدار * وقل منا ومنك اليوم زوار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم * وللصبا ورق خضر وأنوار
وكل عتب واعتاب جرى فله * بدائع حلوة عندي وآثار
فاذكر أخاك بخير كل ما لعبت * به الليالي فان الدهر دوار

(وقال في ترجمة صاحب العقد الفقيه العالم أبي عمر أحمد بن عبد ربه) عالم ساد بالعلم ورأس واقتبس به من الحظوة ما اقتبس وشهر بالاندلس حتى سار الى المشرق ذكره واستطار شرر الذكاء فكره وكانت له عناية بالعلم وثقة ورواية له متسقة وأما الادب فهو كان حجته وبه غمرت الافهام لجته مع صيانة وورع وديانة ورد ماءها فكرع وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد وحماه عن عثرات النقد لانه أبرزه مثقف القناة مرهف الشباة تقصر عنه ثواقب الالباب وتبصر السحر منه في كل باب وله شعر انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسماه أخبرني ابن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب لبه وألهب قلبه فبينما هو واقف تحت القصر اذ رش بماء من أعاليه فاستدعى رقعه وكتب الى صاحب القصر بهذه القطعه

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن في أحد
لو أن أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده * صوتا يجول مجال الروح في الجسد

قوله أبي عمر في نسخة أبي عمرو اه

أمّا النبيذ فانى لست أشربه * ولا أحبل الانسوتى بيدى

وعزم فتى كان يألفه وخامره كلفه على الرحيل فى غده فأذهبت عزمته قوى جلده فلما أصبح عاقته السماء بالانواء وساقته مكرها الى الثواء فاستراح أبو عمر من كده وانفسح له من التواصل ضائق أمده فكتب الى المذكور العازم على البكور

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر

مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر

يابرده من حيا مزن على كبدى * نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

ومن شعره الذى صرّح به تصريح الصب وبرّح به وقائع اسم الحب قوله

الجسم فى بلد والروح فى بلد * ياوحشة الروح بل ياغربة الجسد

ان تبك عيناك لى يامن كلفت به * من رحمة فهما سهماك فى كبدى

ومنه قوله

ودّعتنى بزفرة واعتناق * ثم نادت متى يكون التلاقى

وبدت لى فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق

ياسقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق أقطع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله أيضا

ياذا الذى خط الجمال بخدّه * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى لبست بعارضيك حمائلا

وأخبرنى بعضهم أن الخطيب أبا الوليد بن عيال حج فلما انصرف تطلع الى لقاء المتنبى واستشرف ورأى أن لقياه فائدة يكتسبها وحلة فخر لا يحتسبها فصار اليه فوجده فى مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلا ثم قال أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فأنشده

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ماان رأيت ولا سمعت بمثله * درّا يعود من الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا

يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل انشادها استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا وله أيضا

ومعذر نقش الجمال بخطه * خدّا له بدم القلوب مضرّجا

لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وله أيضا

وساحبة فضل الذيول كأنها * قضيب من الريحان فوق كثيب

اذا مابدت من ثغرها قال صاحبى * أطعنى وخذ من وصلها بنصيب

وله أيضا

هيج الشوق دواعي سقمي * وكسا الجسم ثياب الألم
أيها البين أقلني مرة * فاذا عدت فقد حل دمي
يا خليّ الروع نم في غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج بجسمي سقما * حب من لو شاء داوى سقمي

وبلغ سن عوف بن محلم واعترف بذلك اعتراف متألم عند ما وهت شدته وبليت جدته وهو آخر شعره وقال ثم شمر في اذيال الردى وما استقال

كأنني لما بي عاذلي كفاني * طويت زماني برهة وطواني
بليت وأبليت الليالي مكرها * وصرفان للايام معتوراني
ومالي لا أبلى لسبعين حجة * وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علتي * ودونكما مني الذي تريان
واني بحول الله راج افضاله * ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي من تباريح علتي * اذا كان عقلي باقيا ولساني

وفي أيام اقلاعه عن صبوته وارتجاعه عن تلك الغفلة وأوبته وانثنائه عن مجون المجون الى صفاء توبته محص أشعاره في الغزل بما يشاكلها ونصل من قوادمها وخوافيها باشعار في الزهد على أعاريضها وقوافيها منها القطعة التي أولها هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر محصها بقوله

يا راقد العين يغفو غير مقتدر * ماذا الذي بعد شيب الرأس ينتظر
عاين بقلبك ان العين غافلة * عن الحقيقة واعلم أنها سقر
سوداء تزفر من غيظ اذا سعرت * للظالمين فلا تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة * لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئا * هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر انتهى

(وقال في ترجمة أبي القاسم المنيشي ما صورته) أبو القاسم المنيشي أحد أبناء حضرة اشبيلية المقلين الناهضين بأعباء الضرائر المستقلين لم يزل يعشو لكل ضوء ويتتبع مصاب كل نوء فيوما يخصب ويوما يجدب وآونة يفرح وأخرى يندب الى ان صدقت مخايله فزمقت بخونه وتحايله وأتى من العجب بمنسدل الحجب ومن الاشر ما لم يأت من بشر وما تصرف الا في أرذل الاعمال ولا تعرف الا بأخون العمال لم يفرع ربوة ظهور ولم يقرع باب رجل مشهور وله أدب ولسن ومذهب فيهما يستحسن لكنه نكب عن المقطع الجزل وذهب مذهب الهزل الا في النادر فربما جد ثم أخلق منه ما استجد وعاد الى ديدنه دعوة أبي عباد الى واوانه ومدنه وأخذ في ذلك الغرض وليس شرط كتابي بذاه ولا أن يقف حذاه وقد أثبت له ما هو عندي نافق ولغرض كتابي موافق فمن ذلك قوله

يا روضة باتت الانداء تخدمها * أتى النسيم وهذا أول السحر

ان كان قدك غصنا فالثراء به * مثل الكمائم قد زرت على الزهر
اربأ بخديك عن ورد وعن زهر * واغنا بقرطيك عن شمس وعن قمر
يا قاتلي الله لحظي كم شقيت به * من حيث كان نعيم الناس بالنظر

وله من رثاء في والدتي رحمة الله عليها

يا ناصحي غير مفتات ولا نجن * على النصائح والنصاح مفتات
لا أستجيب ولو ناديت من كثب * وقد قدتني تعلات وعلات
ان كان رأيك في بري وتكرمتي * بحيث قد ظهرت منه علامات
لا ترض لي غير شجو لا أفارقه * فذاك أختاره والناس أشتات

ومنها

يا ذا الوزارات من مثنى وواحدة * لله ما اصطنعت منك الوزارات
لله منك أبا نصر أخو جلد * اذا المت ملمات مهمات
استودع الله نورا ضمه كفن * كما تواري بدور التم هالات
قضت وايت شبابي كان موضعها * هيهات لو قضيت تلك اللبانات
مضت ولما يقم من دونها أحد * هلا وقد أعذرت فيها المروات

وله يصف زرزورا

أمنبر ذاك أم قضيب * بفرعه مصقع خطيب
يختال في بردتي شباب * لم يتوضح بها مشيب
كأنما ضمخت عليه * ابراده مسكة وطيب
أخرس لكنه فصيح * أبله لكنه لبيب
جهم على أنه وسيم * صعب على انه أريب

(أبو الحسن البرقي) بلنسي الدار نفيسي المقدار ما سمعت له بشرف ولا علمت له بسلف ولا اطلعت منه على غير سرف ورد اشبيلية سنة تسع وتسعين وأربعمائة واتصل بابن زهر فنا هيك من حظ في اكنافه جال ومن لحظ فيما أراده أجال ومن أمل استوفر وحظ مسك أذفر ومن وجه جاه له أسفر سلك به ساحة الرغائب وقلك بسببه اباحة الحاضر والغائب وقال فانبذت مقالته واقال فاقيدت اقالته وكان حلو المجالسه مجاوز المؤانسه ذا نشب وافر ومذهب في المساهمة سافر الا انه كان كلفا بالفتيان معنى بهم في كل الاحيان ونيف على السبعين وهو برداء الصبوة مرتد وبعترها معتد مع أدب زهرته ترف وكانه بحر والالباب منه تغترف وقد أثبت له بعض ما وجدت له في الغلمان وأنشدت له في تلك الازمان فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى

ان ذكرت العقيق هاجك شوق * رب شوق يهيجه الادكار
يا خليلي حدثاني عن الركب سحيرا أأنجدوا أم أغاروا
شغلوا ناعن الوداع وولوا * ماعليهم لو ودعوا ثم ساروا
أنا أهواهم على كل حال * عدلوا في هواهم أم جاروا

وعلق باشبيلية فتى يعرف بابن المكر وبات من حبه طريحا بين أيدى الوساوس والمكر لا يعشى الاصبا ولا يغشى الاغراما وحبا ومازال يقاسى لوعته مقاساة يناجى بها صرعته ويكابد جواه ويلازم هواه حتى اكتسى خده بالعذار وانمحت عنه بهجة آذار فسلا من كلفه وتصدى ذلك لمواصلته بصلته فقال

الآن لما صوّحت وجناته * شوكا وأصحت سلوة العشاق
واستوحشت منه المحاسن واكتست * أنوار وجهك واهن الاخلاق
أمسيت تبذل لى الوصال تصنعا * خلق اللئيم وشيمة المذاق
هلا وصلت اذ الشمائل قهوة * واذ المحيا روضة الاحداق
يا كم أطلت غرام قلب موجع * كم قد ألب اليك بالاشواق
ما كنت الا البدر ليلة تمه * حتى قضت لك ليلة بمحاق
لاح العذار فقلت وجد نازح * ان ابن داية مؤذن بفراق

وله فيه مناقضا لذلك الغرض معارضا للوعة سلو الذى كان عرض

يلومون فى ظبى تزايد حسنه * بخطين خطا الوعتى وغراميا
وقد كنت أهوى خده وهو عاطل * فكيف وقد أضحى لعينى حاليا

وله أيضا فى مثله

أجيل الطرف فى خد نضير * يردّ نواظرى نظرى اليه
اذا رمدت بحمرته جفونى * شفاها منه اثمد عارضيه

(أبو الحسن على بن جودى) برز فى الفهم وأحرز منه أوفر سهم وعانى العلوم بقريحة ذكيه ووافى يتفسر فى المعارف زكيه وله أدب واسع مداه يانع كالروض بلله نداه ونظم أرق من دمع العانى ولطيف المعانى وأعبق من نفس الخمائل فى أكف الصبا والشمائل ونثر كالزهر المطلول أو السلاف المحلول الا انه سها فاسرف وزها بما لا يعرف وتصدى الى الدين بالافتراء ولم يراقب الله تعالى فى ذلك الاجتراء واشتهرت عنه فى ذلك اقوال سدد الى الملة نصالها وأبدى بها ضلالها فعظمت به المحنه وكمنت له فى كل نفس احنه ومازال يتدرج فيها ويتنقل حتى عثر وما كاد يستقل فرلا يلوى على تلك النواحى وفرلا ينثنى الى لوائم ولواحى ومازال يركب الاهواء ويخوضها ويذل النفس بها ويروضها حتى أسمحت ببعض الاسماح وكفت عن ذلك الجماح واستقر عند ابى مالك فآواه ومهد له مثواه وجعله فى جملة من اختص من المبطلين واستخلص من المعطلين فكثيرا ما يصطفيهم ولا يدرى أيدخرهم أم يقتنيهم وقد أثبت له ما يبهر سامعا ويظهر برقا لامعا فمن ذلك قوله

احنّ الى ريح الشمال فانها * تذكرنا نجدا وماذ كرنا نجدا
تمرّ على ربع أقام به الهوى * وبدّل من أهليه جاثمة ربدا
فيا ليت شعرى هل تقضى لبانة * فأرتشف اللميا وأعتنق القدّا
خليلىّ لا والله ما أجمل الهوى * وان كنت فى غير الهوى رجلا جلدا

وقوله

وقوله أيضا

سل الركب عن نجد فان تحية * لساكن نجد قد تحملها الركب
والا فبا بال المطى على الوجا * خفافا وما للريح من جهها رطب

وقوله أيضا

اذا ارتحلت غربية فاعرضا لها * فبالغرب من نهوى له البلد الغربا
لقد ساءنا أنا بعيد وأننا * بارضين شتى لامزورا ولا قربا
يفجعنا اما بعاد مبرح * واما أمور باعثات لنا كربا
ظعنا على حكم الليالى وخطبها * فياليت لم ندر الليالى ولا الخطبا
وكنت أرجي الدهر بعد الذى مضى * ديارا وقربا والاصادق والصحبا
احقا يسير الركب لم ترتحل بنا * اليك ولم تحد الحداة لنا ركبا

وقوله أيضا

لقد هيج النيران يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامع
عشية لا أرجو لقاءك عندها * ولا انا ان يدنو مع الليل طامع

وقوله أيضا

حننت الى البرق اليمانى وانما * نعالج شوقا أما هنالك هانيا
فيارا كبا يطوى البلاد تحملن * تحيتنا ان كنت تلقا لاقيا
ليالينا بالجزع جزع محسر * سقى الله بالفيحاء تلك اللياليا
وما ضر صحبي وقفة بمحسر * أحيى بها تلك الرسوم البواليا

وله أيضا

خليلى من نجد فان بجدهم * مصيفا لبيت العامرى ومربعا
ألا رجعا عنها الحديث فاننى * لاغبط من ليلى الحديث المرجعا
عزيز علينا يا ابنة القوم أننا * غريبان شتى لانطيق التجمعا
فريق هوى منا يمان ومشئم * يحاول يأسا أو يحاول مطمعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما * حرام على الايام أن نتجمعا

ووجدت له فى بعض نسخ المطمح قوله أيضا

سقى دارك اللائى ببطن محصب * مشاكيل من وفد الغمام المرنح
ألم تعلمى يا فتنة القلب أننى * تطارحت من حبى لكم كل مطرح
اذا نعبت غربان دار وجدتنى * وشوقى مقيم بين ناء ونزح

وله أيضا

ألا خبر وللبلوى ضروب * وفيك لكل مشتاق حبيب
حبالك الله بالنعمى فدونا * وجزلكم مع النعمى خطوب
متى تقضى بخسفتك الليالى * وتعصف فيكم ريح هبوب
فانكم تجزون المنايا * وتعمر من مجانبكم قلوب

انتهى

وقد ذكر في المطمح له تخميسا جاريا على ألسنة الناس الى الآن وهو

أيا ساكنين بأرض اللوا * وصالكم لسقامي دوا
وعافاكم الله من ذا الجوى * ملكتم فؤادي فصار الهوى
على رقيب رقيب
ولما تبدت لهم حالتي * وما حل الهجر من زفرتي
بكوا رحمة لي من ساعتي * فقلت متى الوصل يا سادتي
فقالوا قريب قريب قريب

انتهى

وهو وان لم يكن في ذروة البلاغة فقد ذكرته لانه مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم ولنذكر بعض نص خطبة المطمح قال رحمه الله تعالى فيه أما بعد حمد الله الذي أشعرنا ايمانا والهاما وصيرنا أفهاما وبصرنا سرائر وآداب ونشرت للانبعاث لاثباتها والانتداب وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه رحمة ونبأه منة منه ونعمة وسلم تسليما فانه كان بالاندلس أعلام فتنوا بسحر الكلام ولقوا منه كل تحية وسلام فشعشعوا البدائع وروقوها وقلدوها بمحاسنهم وطوقوها ثم هووا في مهاوي المنايا وانطووا بأيدي الرزايا وبقيت مآثرهم الحسان غير مثبتة في ديوان ولا مجملة في تصنيف يجتلي فيه العيون ويجتنى منه زهر الفنون الى أن أراد الله تعالى اظهار اعجازها واتصال صدورها بأعجازها فخاطبني من الوزير أبي العاصي حكم بن الوليد عند من رحب وأهل وأعل بمكارمه وأنهل وندبني الى أن أجمعها في كتاب وأدركني من التنشط الى اقبال ماندب اليه وكتابة ما حث عليه فأجبت رغبته وحليت بالاسعاف لبته وذهبت الى ابدائها وتخليد عليائها وأمليت منها في بعض أيام ثلاثة أقسام القسم الاول يشتمل على سرد غرر الوزراء وتناسق درر الكتاب والبلغاء القسم الثاني يشتمل على محاسن أعلام العلماء وأعيان القضاة والحكماء القسم الثالث يشتمل على ذكر محاسن الادباء النوابغ النجباء انتهى وهذه خطبة المطمح الصغير وأما الكبير والاوسط ففيهما ذكر الملوك والسلاطين حسبما نقلنا بعضه فيما مر من هذا الكتاب على أنا نقلنا بعضا من الصغير أيضا فليعلم ذلك من يقف على هذا الكتاب ومن له أدنى ممارسة وليراجع من الترجمة الفرق بين كلامه في الصغير وغيره وبالجملة فما رأيت ولا سمعت أحلى من عبارة الفتح رحمه الله تعالى في تحلية الناس ووصف أيام الانس وليس الخبر كالعيان وقد سردنا بعض كلامه في القلائد وفي المطمح (ولنرجع) الآن الى ما كنا بصدده من أمر التوشيح فنقول وتمام موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين هو قوله

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس
يا بدورا أطلعت يوم النوى * غررا تسلك في نهج الغرر
ما لقلبي في الهوى ذنب سوى * منكم الحسن ومن عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى * والتذاذي من حبيبي بالفكر

كلما أشكو وجدا بسما * كالربا بالعارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما * وهي من بهجتها في عرس
غالب لي غالب بالتوده * بأبي أفديه من جاف رقيق
ما رأينا مثل ثغر نضده * أقحوانا عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العربده * وفؤادي سكره ما ان يفيق
فاحم اللمة معسول اللمى * أكحل اللحظ شهي اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما * وهو من اعراضه في عبس
أيها السائل عن ذلي لديه * لي يجني الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه * مشرقا للصب فيه مغرب
ذهبت أدمع أجفاني عليه * وله خد بلحظي مذهب
يطلع البدر عليه كلما * لاحظته مقلتي في الخلس
ليت شعري أي شيء حرما * ذلك الورد على المفترس
كلما أشكو اليه حرقي * غادرتني مقلتاه دنفا
تركت ألحاظه من رمقي * أثر النمل على صم الصفا
وأنا أشكره فيما بقي * لست ألحاه على ما أتلفا
فهو عندي عادل ان ظلما * وعذولي نطقه كالخرس
ليس لي في الحب حكم بعدما * حل من نفسي محل النفس
منه للنار بأحشائي اضطرام * يلتظي في كل حين ما يشا
وهي في خديه بردوسلام * وهي ضر وحريق في الحشا
اتقي منه على حكم الغرام * أسد الغاب واهواه رشا
قلت لما أن تبدى معلما * وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنما * اجعل الوصل مكان الخمس

وقد عارض هذا الموشح أيضا بعض متأخري المغاربة فقال

يا عريب الحي من حي الحمى * أنتم عيدي وأنتم عرسي
لم يحل عنكم ودادي بعدما * حلتم لا وحياة الانفس
من عذيري في الذي احببته * مالك قلبي شديد البرحا
بدرتم أرسلت مقلته * سهم لحظ افؤادي جرحا
ان تبدى أوتثنى خلته * غصن بان فوقه شمس ضحا
تطلع الشمس عشاء عندما * تتجلى منه بأبهى ملبس
وترى الليل أضا منهزما * وترى الصبح أضا في الغلس
يا حياة النفس صل بعد النوى * والهامضني شديد الشغف
قد براه السقم حتى ذا الهوى * كاد أن يفضي به للتلف
آه من ذكر حبيب باللوا * وزمان بالمنى لم يسعف

كنت أرجو الطيف يأتي حلما * عائدا يانفس من ذا فايأس
هل يعود الطيف صبا مغرما * ساهرا أجفانه لم تنعس
همت في أطلال ليلى وأنا * ليس في الاطلال لي من أرب
تام رادى رامة والمنحنى * لا ولا ليلى وسعدى مطلبي
انما سؤلى وقصدى والمنى * سيد العجم وتاج العرب
احمد المختار طه من سما * الشريف ابن الشريف الكيس
خاتم الرسل الكريم المنتمى * طاهر الاصل زكى النفس

وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة

لا تلمني ياعذولى تائها * ماترى جسمى بسقم قد كسى
مثل ما شرح غرامى علما * حيث اشكو وحشة من مؤنس
طلبى أنس عن فؤادى نفرا * وفؤادى مكثو من صده
وعذولى في هوى الحب فرى * بعلام مذهبى عن وده
أنت أعمى ياعذولى ماترى * يانع الورد بدا من خده
وله ثغر اذا ما ابتسما * كبروق أومضت في الغلس
وثناياه كدر نظما * فضاها في الدجى كالقبس
كم ترى سحرا بجفنيه بدا * لفؤادى في الهوى أضحى كاليم
ليس سحر مقلتى هذا سدى * يافؤادى ان شفى السحر السقيم
خيفة أوجس قلبى وغدا * راحلا صبرى وهاشوقى مقيم
ياله العرش يارب السما * ياعليما بضمير الا نفس
قلبى الولهان يشكو ألما * من جفا ظبى أغن أكيس
آغيد يسبى البرايا بالمقل * أدعج الجفن بعينيه حور
لو رأته الشمس أضحت في خجل * وهو للبدر بوجه قد قهر
من معانى حسنه رق الغزل * فى غزال قد غزانى بالنظر
آخذ بالروح منى كلما * رمق الصب بطرف أنعس
يقنص الاسد بلحظ قد رمى * اسهما تفتك من غير قسى
يارعى الله زمانا سلفا * بلويلات تقضت بانشراح
مثل دينار وها قد صرفا * في ألذ العيش مع حب وراح
فاعذروا القلب الذى قد شغفا * بحبيب ماله عنه براح
بدر تم أهيف حلو اللمى * ريقه شهد شهى اللعس
كسلاف عهدها قد قدما * تنجلى في كأسها كالعرس
قهوة بكر عجوز عتقت * زمنا في دنها من قبل نوح
هى لما في زجاج أشرقت * شمس راح غربت في كل روح
جددت بسطا وكم قد مزقت * قلب صب في غبوق وصبوح

حلف الخمار عنها قسما * أنها بالمسك كادت تنتسي
فاسقني صرفا ولا تمزج بما * راحة كم أذهبت من عبس
في رياض قد شدا شحروره * عاطفيها بين اكناف الشجر
وانظم الشمل ودع منشوره * حول وردواقاح وزهر
واذا الطل بدا شبوره * كال الاوراق منه بالدرر
ماترى الريحان عبدا خدما * حيث أضحى واقفا في المجلس
جلس النسرين لكن ربما * استحت منه عيون النرجس
فتنزه في رياض خضر * وغصون غردت فيها هزار
وانتشق عرف زهور عطر * ياسمين زينته الجلنار
وشذا الزهر كمسك أذفر * واقبل العذر لابن البزدار
طامع في رحمة الله وما * خاب عبد طامع لم ييأس
يا الهي جد علينا كرما * يا كريما قبل أخذ الانفس

(رجع) الى موشحات ابن الخطيب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ومما قلته من الموشحات التى انفرد باختراعها الاندلسيون وطمس الآن رسمها

رب ليل ظفرت بالبدر * ونجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا ورعى * أي شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا * ليت نهرا النهار لم يجر
حكم الله لي على الفجر
عللى النفس يا أخا العرب * بحديث أحلى من الضرب
في هوى من وصاله أربي * كلما مر ذكر من تدرى
قلت يا برده على صدرى
صاح لا تهتم بامر غد * وأجز صرفها يدا بيد
بين نهر وبلبل غرد * وغصون تميل من سكر
أعلنت يا غمام بالشكر
يا مرادى ومنتهى أملى * هاتها عسجدية الحلل
حلت الشمس منزل الحمل * وبرود الربيع في نشر
والصبا عنبرية النشر
غرة الصبح هذه وضحت * وقيان الغصون قد صدحت
وكأن الصبا اذا نفحت * وهفا طيبها عن الحصر
مدحة في علا بني نصر
هم ملوك الورى بلا ثنيا * مهدوا الدين زينوا الدنيا
وحمى الله منهم العليا * بالامام المرفع الخطر
والغمام المبارك القطر

انما يوسف امام هدى * حاز فى المعلوات كل مدى
قل لدهر بالكد سعدا * افتخر جملة على الدهر
كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العلاء والمجد * أطلع العيد طالع السعد
ووفى الفتح فيه بالوعد * وتجلت فيه على القصر
غرر من طلائع النصر
فتهنأ من حسنه البهج * بحياة النفوس والمهج
واستمعها ودع مقال شج * قسما بالهوى لذى حجر
ما لليل المشوق من فجر

ومن بديع موشحات لسان الدين رحمه الله تعالى قوله

كم ليوم الفراق من غصه * فى فؤاد العميد
نرفع الامر فيه والقصه * للولى الحميد
رحل الركب يقطع البيدا * بسفين النياق
كل وجناء تتلع الجيدا * وتبذ الرفاق
حسبت ليلة اللقا عيدا * فهى ذات اشتياق
صائمات لا تقبل الرخصه * قبل فطر وعيد
فهى مذ أممته مختصه * بجهاد جهيد

ومنه فى آخره

يا امام العلا والفخر * ذا السنا المبهج
ها كها لا عدمت فى الدهر * آملا يرتجى
عارضت قول بايع التمر * بمقال شج
غر بولك الجمال يا حفصه * من مكان بعيد
من سجلماسة ومن قفصه * وبلاد الجريد

وقد ألف رحمه الله تعالى فى هذا الفن كتابه المسمى بجيش التوشيح وأتى فيه بالغرائب وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب العلم الشهير المنفرد فى عصره بحيازة قصب السبق فى البلاغة سيدى عبد العزيز بن محمد القشتالى رحمه الله تعالى بكتاب سماه مدد الجيش واستهله بقوله حمدا لمن أمد جيش محمد بعترته وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبى العباس أحمد الشريف الحسنى رحمة الله تعالى ورضوانه عليه ما زاده زينا وأخبرنى رحمه الله تعالى أنه ذكر فيه لاهل العصر فى أمير المؤمنين ولامير المؤمنين المذكور أزيد من ثلثمائة موشح ولا حرج فى ايراد بعضها هنا فمنها قول أحد الوافدين من أهل مكة على عتبة السلطان مولانا المنصور وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد وقد عارض بها موشحتى لسان الدين وابن سهل السابقتين

ليت شعرى هل أروى ذا الظما * من لمى ذاك الثغير الالعس
وترى عيناى ربات الحمى * باهيات بقد ودميس
يدخلون السقم من دار اللوى * كام الهجر فؤادى واسر
هد من ركن اصطبارى والقوى * مبدلا أجفان نومى بالسهر
حين عز الوصل عن وادى طوى * هملت أعين دمعى كالمطر
فعساكم أن تجودوا كرما * بلقاكم فى سواد الحندس
وتداووا قلب صب مغرما * من جراحات العيون النعس
كلما جن ظلام الغسق * هزنى الشوق اليكم شغفا
واعترانى من جفاكم قلق * مذ تذكرت جيادا والصفا
وتناهت لوعتى من حرق * ثم زاد الوجد فى التلفا
فانعموا لى ثم جودوا لى بما * يطفى نيران الجوى ذى القبس
ساعة لى من رضاكم مغنما * وتداوى جثتى مع نفسى
كنت قبل اليوم فى زهو وتيه * مع أحبابى بسلع العسب
ومعى ظبى باحدى وجنتيه * مشرق الشمس وأخرى مغرب
فرمانى بسهام من يديه * ضارب البين فقلبى متعب
لست أرجو للقاهم سلما * غير مدحى للامام الارأس
أحمد المحمود حقا من سما * الشريف ابن الشريف الكيس

ومنها قول بعض المزاكشيين

واجلتنا للصباح والشمس * اذلاح جوذر
ساق يدير الكؤسا * تضئ جمرا وتزهر
تقادمت فى الدنان * من عهد نوح ترق
فى لونها الهرمانى * تدار فينا وتعبق
قد اطلعت من عنان * من عن صبوح يرق
يسعى بها من ملاح * من كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبى الجليسا * ويستخف الموقر
يثير كامن وجد * فى قلب كل سقيم
يسطو علينا بقد * يزرى بغصن قويم
أشقى بعشق وودى * فى جنة ونعيم
من ذى الوجوه الصباح * ياشادنا غن واذكر
وهات لنا نفيسا * نرويه عنك ونأثر
فى مدح من ساد طفلا * هذى البرايا وفاقا
من حاز مجدا وفضلا * بين الانام وفاقا
فى عدله قال قولا * يسرى فبغداد والعراقا

في أحمد ذي السماح * في الشرق والغرب ينصر
أحيي الهدى والنفوسا * وذل مله قيصر
تراه سلما وحربا * من رأيه في جنود
يختال لم يبغ عجبا * من عزه في برود
يحوي المعالي كسبا * ويقتنيها بجود
نخار أهل البطاح * وعز من قد تمصر
ثناه يجلا الطروسا * عن صورة المجد عبر
ملك بني في البديع * منا زلا كالدرارى
فيا له من صنيع * الروض والماء جارى
وقل بصوت رفيع * اذ بان فجر النهار
أهدى نسيم الصباح * مسكا شميما وعنبر
وجئ بها خندريسا * من خد ساقيه تعصر

ومن موشحات السلطان المنصور المذكور

ريان من ماء الصبا * أهيف وممتلى البرد
كالغصن هزته الصبا * فوق الربا الشهب
قد قلت لما أن سبى * بحسنه يسبى
من عينه سل ظبا * وغمدها قلبى
أسرنى ماضى الشبا * اوطف مرنح القد
يا فاضح الروض سنا * ومخجل البدر
وقاطعى ظلما عنا * ومن مقره صدرى
ألم تكن شمس دنا * فانها تجرى
علقته من الظبا * أهيف يسطو على الاسد
قلت له وقد نهد * وجد في حربى
وغلب الظبي الاسد * وفاز بالغلب
الشمس برجها الاسد * فاسعى الى قلبى

ولم يحضرني الآن تمامها ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابوني

وليالى الشعور اذ تسرى * مالنهر النهار من فجر
حبذا الليل طال لي وحدي * لوتراني جعلته بردى
فاطميا في خلعة الجعدي * هي ليلى أخت بني بشر
فأين أنت يا أبا بدر
كم سقطنا الطف من طل * واجتمعنا وما درى ظلى
واسترحنا من كاشح نذل * رب ليل ظفرت بالبدر
ونجوم السماء لم تدر

وبنفسي مهفهف المي * ومطيع قد غرني لما
سالته وفاني عما * في رباط قسمتني صدري
للحنين وناظري بدر
وهلال في حسنه اكتملا * هو شمس وأضاء الجلا
قام ينشد وينثني في ملا * قسما بالهوى لذي حجر
ماالليل المشوق من فجر

ثم عن لنا أن نورد هنا جملة من مقطوعات مولانا السلطان المنصور مما تلقيناه عنه أيام كوننا في ايالته الشريفة فمن ذلك قوله رادا على من قال في ابن أبي الحديد

لقد أتى باردا ثقيلا * ولم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شئ * أشهر ما كان في الحديد

ماصورته

لقد أتى صارما صقيلا * ولم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادي * وشدة البأس في الحديد

ومن نظمه قوله

لله ثغر طيب * وافى على الثغر انطوى
يا حسنه مجتمعا * يحلو لنا بلا نوى

وقوله معميا في قمر على طريقة الاكتفاء

معذبي أعجزني نيله * من لي بمن مسكنه في السما
لم انس اذ قال الاتكتفي * قلت بمن بالطرف قلبي رمى

وقوله

تبدى وزند الشوق تقدحه النوى * فنوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش اتوديعي فاعرضت مشفقا * على كبد حزنا وقلب يقسم
ولولا نواه بالحشى لاهتشها * ولكنها تعزى اليه فتكرم
فاعجب لاساد الثرى كيف أحجمت * على انه ظبي الكناس ويقدم

قوله فاعجب الخ فيه الخرم كما لا يخفى أو يقرأ بصيغة المضارع ساكن الباء للضرورة اه مصححه

وقال قدس الله تعالى روحه موريا

ان يوما لناظري قد تبدى * فتملى من حسنه تكحيلا
قال جدي اصنوه لاتلاقى * ان بيني وبين لقياك ميلا

وقد تبارى خدام حضرة هذا السلطان في تخميس هذين البيتين ومن أشهر ذلك قول الاستاذ الحافظ سيدي أحمد الزموري رحمه الله تعالى وكان يصلي بالسلطان التراويح

قوله الزموري في نسخة الزيتوري اه

ورقيب يرد اللحظ ردا * ليس يرضى سوى ازديادي بعدا
ساء الطرف مذ جنى الخد وردا * ان يوما لناظري قد تبدى
فتملى من حسنه تكحيلا
ونصدى من خشه في استباق * يمنع اللحظ من جنى واعتناق

أيأس العين من لحاظ انتلاق * قال جفني اصنوه لاتلاقى
ان بيني وبين لقياك ميلا

ومن نظم السلطان المذكور وهو من أوليات شعره قوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبه

ووردة شفعت لي عند من تهوى * راقت وقد سهدت افاتر الحدق
كان خضرتها من فوق حمرتها * خال على خده من عنبر عبق

وقال أيضا من أولياته

شادن نم عليه عرفه * من خلاصي من سهام كامنه
احلالي فيه أني خائف * وحلالي بعد خوفي آمنه

وقال في وصف رقيب ملازم

رقيبي كان الارض مرآة شخصه * فأين تولى الطرف مني يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كانما * وصالي هلال والسواد صداه

وقال

أيا روضة ضنت على بزهرها * ولم يشف ناظراي سوالك
أبيحي لنفسي من شذا الابقاءها * اذاقت طرفي على الانف رالك

وقال أيضا

على جدول غطت عليه بشعرها * لئلا يرى الشمس الرقيب الى طرف
فبت أرى في جدول بدر وجهها * غريقا ونقطات العبير به كاف

وقال

طرقت حماه والاسود خوادر * به فتولى بالظبا وهو يبعد
فعلمت آساد الشرى كيف تقدم * وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وقال

لما نأى المحبوب رق لي الدجى * وأتى يعللني برعي كواكبه
أولى غراب البين رد يا حشا * والبين من في الصباح كواكبه

وقال معميا باسم حظية الشهيرة الحسن والاحسان نسيم

ياهلالا لاطلوعه بين جفني * وغزالا كناسه بين جنبي
ان سهما رميت غادرها * لو تناهى ماشك آخر قلبي

ورأيت بخطه على هذا المحل ماصورته قولي ان سهما تنصيص وغادرهما اسقاط وهو اشارة لاسقاط هما من هذا الاسم وقولي لو تناهى انتقاد والانتقاد الاشارة الى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب كان يذكر الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس ويعني به الحرف الاول من الكلمة والقلب والجوف والحشا والخصر ويراد به الوسط والآخر والمنتهى والختام ويقصد به آخر الكلمة فقولي لو تناهى معناه انه أخذ لفظة هم غير منتقاد فبقيت الميم من هما وقولي ماشك آخر قلبي انتقاد أيضا وأردت بآخر قلبي الياء ويسمى أيضا التسمية وهو أن تذكر الاسم وتريد المسمى أو تذكر المسمى وتريد الاسم وقدتم الاسم واعلم

قوله على الانف يقرأ بدرج همزة أنف لضرورة الوزن اه مصححه

قوله ورأيت بخطه الخ لم يبين في هذه العبارة ما خذ النون من الاسم المطلوب ولعله لم يتعرض لذلك لظهور مأخذها وهو النون من ان تأمل اه مصححه

انهم لم يشترطوا فى استخراج الاسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ويسمى العمل التذييلي انتهى كلامه على البيتين فى اسم نسيم وقال فى اسم غزال وقد جمع تعميتين والغزا

واملد مطوى الحشا زال ردفه * فلا خصر الا أن
بنصف اسمه برمى القلوب وعكس ما * بقى ابدا الاذن المحب به اصمى

وكتب عليه ما صورته قولى املد أردت به بعمل الترادف غصن ومطوى الحشا انتقاد وزال ردفه قصدت به غرضين أزلت به النون بعمل الاسقاط الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه واثبته أعنى زال فى موضعها اى النون من غصن والحال أن الصاد محذوفة وذلك بعمل الانتقاد وأوضحت ذلك بقولى ولا خصر وان كنت لا أحتاج اليه الا لا يكون فى البيت شئ خارج عن التعمية انتهى تفسيره رحمه الله تعالى ويعنى بقوله بنصف اسمه يرمى القلوب غزلا لانه نصف غزال ويعنى بقوله وعكس ما بقى الى آخره لفظة لا لانها مقلوب ما بقى وهو ال * وقال فى اسم سلاف على منهاج ما تقدم

واحور وسنان الجفون كأنما * سقى لحظه من ريقه بقرقف
نضى صارما لا فل صارم لحظه * تزايد فيه منه نصل تلاه فى

وفسره بقوله قولى تلاه من طريق التسمية وفى من العمل التذييلي وهو أن يأتى بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق انتهى * وقال فى اسم آمنة من التعمية أيضا

من شقائى قد صنته وهو خشف * فى رضاه عن الملوك استذلت
املد منه مذ تحلل خصر * وثنى عن حمه ماء دلت

وكتب عليه ما صورته قولى املد اردت الالف بعمل التشبيه وخصر منه انتقاد وأردت بالخصر وسط لفظة منه وتحلله أن يحل منه السكون الذى على النون وقولى وثنى أى الالف من التثنية لا الثنى فتم الاسم بحركاته وعدده انتهى تفسيره * وقال وقد لبس منصورية من النوع الذى يقال له قلب حجر والمنصورية نوع لبس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه الى اسمه

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم * قول الحبيب أنا انا فيه
قلبى له حجر فقلت مغالطا * للعاذل المؤذى انا فيه

قال وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية منها جناس التركيب المسمى بالملفق وحده وهو بأن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من فرق بينهما ومنها الانسجام ومنها الاستخدام وعهدى بالفقيه على بن منصور الشيظمى تعرض الى شرحهما فى كراسة والتعمية فى هذين البيتين بالعمل الحسابى وهو كثير الا أن هذا العمل احسبنى ابا عذرته اذلم أره لغيرى ومادة التعمية فيه انا انا فيه قلبى له حجر فقولى انا انا فيه معناه أن تضرب أنا فى * وقولى فى * نص فى

قوله واملد الخ كذا هو فى النسختين اللتين بيدى ساقط الآخر ويمكن تكميله بان يقال هكذا (فلا خصر الا أن ذا لم يكن وصما) فتدبر اه مصححه

الضرب ويخرج من هذا ماتتان وستون عدد حروف هيمانى وحقك وقولى قلبى له حجر بعمل القلب يصير برج فصار المجموع هيمانى وحقك برج وفيه التورية وهيمانى وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشى فهو من المحسنات أيضا أعنى قوله وحقك ويصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان لان الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة فظاهر أنا انافيه يضاده هيمانى وحقك برج الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولى للعاذل المؤذى انافيه انتهى والاستخدام الذى أشار اليه هو فى قوله أنا فيه أى فى هذا الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية وأما المعنى الثانى لقوله أنا فيه فظاهر * وقال وقد قطف وردة من روض المسرة فى زمن النرجس

وافى بها البستان صنوك وردة * يقضى بها للمامطات وعودا
أهدى البهار محاجرا واتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا

وقال

لى حبيب يأتى بكل غريب * هو عندى منكر ومعرف
لست أشكو اصبرفى وبخوى * انه بى نحاوفى تصرف
فعله فى لازم متعد * ومزيد مجرد ومضعف

وقال

لا وطيف علم السهد * فى قوام كقنا الخط نهد
ووميض لاح لما ابسمت * فأرتنا منه درا أو برد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

وقد ضمن قوله ماهلال الافق أديب زمانه الشيخ امام الدين الخليلى الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال

قسما بالبيت والركن الذى * طاب حجا واستلاما للابد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد

وقد اتفق لامام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المنصورية هو والعقاد المكى السابق والشريف المدنى وهو رجل وافد من أهل المدينة ينتمى الى الشرف فقال امام الدين يا أمير المؤمنين ان المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال شدت أهلها اليك الرحال هذا مكى وذاك مدنى وأنا مقدسى ثم أنشد

ان أمير المؤمنين أحمد * بحر الندى وفضله لا يجحد
فطيبة ومكة أهلهما * والمسجد الاقصى بذا تشهدوا

(رجع) الى نظم المنصور وقال

وكيف يتاب فى هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام

فيا شادياً يرعى الحشا آنت بالحشا * أما المحل أنت فيه بهاه

وقال يخاطب رئيس كتابه صاحبنا سيدى عبد العزيز القشتالى السابق الذكر

يا كاتباً ألفاظه * تغرس روضاً ذا فنن

ان جوابى للذى * يشكوه دماً اردد حزن

وقال مورياً بمصانعه الثلاثة البديع والمسرة والمشتهى

بستان حسنك أبدعت زهراته * ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرة ينثنى * ياحسنه رمانة للمشتهى

ولولا خوف الاطالة لأمليت ما ذكرت من محاسن مولانا أمير المؤمنين المنصور رحمه الله تعالى بعض ما أودى به حقه سقى الله تعالى عهاده وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور فى كتابى روضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وأطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهير سيدى عبد العزيز بن محمد القشتالى فى كتابه المسمى بمناهل الصفا فى فضائل الشرفا وعهدى به أكمل منه ثمان مجلدات وهو مقصور على دولة السلطان المذكور وذويه وألف كاتب أسراره الرئيس أبو عبد الله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور وهذه التسمية وحدها مطربة رحم الله تعالى الجميع (رجع) الى التوشيح كتب الى بعض أذكياء الاصحاب الاعيان موشحاً يمدحنى به فى آخره عارض به موشح لسان الدين السابق الذى أوله

جادك الغيث اذا الغيث همى * يازمان الوصل بالأندلس

ونصه

عطر الارجاء لما نسما * شمأل للصبح عند الغلس

وأتت شمس الضحى تنسج ما * يقرأ الليل لنا من عبس

طاف بالكاس من الزهر تقى * مولع بالصدغ فى مذفتى

فتن الالباب لما المغتا * واحتسى منه ببعض الشفة

وانا ما بين حتى ومتى * صده تيه الهوى عن الفتى

وكؤس الراح بين الندما * أرجت بالعرف أفق المجلس

خمرة صفراء فى البلور ما * أشبه الحان بروض النرجس

بادر اللذة واجمع شملها * بمدام وغلام مطرب

ذى عيون ناعسات كلها * من فنون السحر ما يلعب بى

وافر الارداف عانى حملها * ناحل الخصر وذا من عجب

كلما أترع كاساً قال ما * أنت بالشارى حياة الانفس

فابذل الجهد وكن مغتنما * لنفيس النفس طيب الانفس

فرص الايام كن منتهزا * مبتداها قبل حذف الخبر

ورحاب الانس لج منتجزا * قبل أن تمضى كلمح البصر

واجن من زهر الهوى محترزا * من جنايات هجوم الكبر
لاتخف لوما وعم حيثما * لاحت اللذات كالمختلس
فامضى انس ووافى مثل ما * كان ذا الدهر لنا بالحرس
للرياض اذهب ترى بلبلها * لاشتياق الورد مثل الشكل
وخدود الورد قد كللها * دمع طل لاشتياق البلبل
وقدود البان قد قام لها * مانع الوصل بحد الاسل
والربا فاحت تحاكى خدما * وعليهن ثياب السندس
جيبها زر بالزهر كما * زر بالفضة ثوب الاطلس
وجلا الروض لنا أشجاره * ملاسات فى قباء أخضر
وترى فى جيدها نواره * يتلالا كعقود الجوهر
خلع الليل به أطماره * فغدا كالصبح باهى المنظر
وبقاياه زهت فيه أما * فى شفاه الغيد حسن اللعس
كعذار فى محيا علما * فبدا الغبر لا الملتمس
حبذا الصبوة أيام الصبا * وعيون الشيب فى سهو والوسن
فاذا أيقظها دهر صبا * لصروف حد شفر يهاوسن
جرد الشيب لنا بيض الشبا * واقتنى شرخ شباب وطعن
وغدا الانسان شيخا هرما * واعتراه لاعج من وجس
فات اذ مات فيمضى ندما * واغتنام الوقت شغل الكيس
لاتدع عمرك يمضى هدرا * أنت اذ ذاك جبان غافل
وارق بالجهد من السؤل الذرا * واجتهد والضرع ضخم حافل
انما الايام أمثال السرى * والجرىء الشهم ليث باسل
ووحوش الانس تمهى مغنما * باردا للاسد المفترس
ترك الوهم وخاض الظلما * وله العزم أضا كالقبس
ليس يحظى بالمنى الا الذى * كابد الاهوال حتى ظفرا
كان للراحة كالمنتبذ * من وراء الظهر أنى ظهرا
مثل ما قد بات ذا طرف قذى * يقطع الليل جميعا سهرا
فى طلاب العلم حتى علما * انه يملا بروح القدس
أحمد الناصب فينا علما * للتقى فازبه من يأتسى
حل فى مصر وان كان العلا * قد عفت لما اعتراها فى خلل
ورياض الفضل لما أن علا * نقع جهل جف منهن البلل
ازدرت أغصانها حتى خلا * قاعها من عذب ما يشفى العلل
نفرت اذ حل فيها كالسما * وهو بدر بكمال مكتسى
حوله الطلاب كالشهب سما * قدرها من نوره المقتبس

ايها الطالب للعلم انشد * ليس الا بابه ينفعكا
ان ترم نيل المرجى فاجتهد * في اتباع للذى يرفعكا
علم من يعمل اكسيرفزد * منه واترك حاسدا يدفعكا
والزم الاعتاب وانزل بالحمى * خالع الربقة من قول المسى
باعتقاد فازمن قد انتما * نعله والكبر شأن المبلس
مذ خبرت الناس طرا نظرا * لمناط الامر فى هذا الزمان
لم أجد الا مقبالا صدرا * عن دعاوأخلفت عند العيان
غير ما عليه فانظر لترى * دررا لالفاظ فى سمط البيان
ببديع النطق لما نظما * بهت المنطيق مثل الاخرس
وأتى يخضع جمع العلما * نحو ذا المفرد فى الملتمس
انما المجد الرفيع الممتطى * أرؤس الآساد قسرا مثل ذا
يدع المرفوع كالمنهبط * ثم للنازل يعلى منفذا
ناظرا فى أمره بالا حوط * خافض الطرف على حر القذى
كل من أم حماه فلحمى * بحسام العزم هش الملمس
فاذا جرد منه انفصما * جلمد الصخر بذاك الميس
حبذا المغرب قطرا بالسنا * فضله يبهر بدر الافق
قطره الشامخ قد أهدى لنا * سيدا قدفاق شمس المشرق
كل من فاتته أسباب المنى * بعلاه للثريا يرتقى
قل لمن يرجو سوى المذكور ما * ينبت الزهر بأرض اليبس
لا ولا النبراس سواء انما * رأى من سواهم فى هوس
لذ بشهم فاز من أمله * بنوال فاق سح الهامل
أثقل السؤدد اذ حمله * وقر فضل مستبين شامل
وحباه الامن من أمله * بلغ القصد فبشرى الآمل
بحره الوافر بالعلم طما * كامل الامداد لم يحتبس
نال منه الناس حتى عمما * مشرقا والغرب للاندلس

(رجع) الى موشحات لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فمن المنسوب الى محاسنه قوله

قد حرك الجليل بارى الصباح * والفجر لاح * فيا غراب الليل حث الجناح

وهذا مطلع موشح بديع لم يحضرنى الآن تمامه لكونى تركته وجملة من كلام لسان الدين فى كتبى بالمغرب جبرها الله تعالى على وهو معارض للموشح الشهير الذى أوله

بنفسج الليل تذكى وفاح * بين البطاح * كانه يسقى بمسك وراح

وهذا الملحي هو الذى سلكه الجمال بن نباتة اذ قال مادحا لجلال الدين بن الخطيب رحم الله تعالى الجميع

ماسح محمر دموعى وساح * على الملاح * الاوفى قلبى المعنى جراح

بى من بنى الاتراك حلو الشباب * مر السطا
عشقته حين عدمت الصواب * من الخطا
تشكو حشا الغزلان منه التهاب * اذا عطا
وربما تشكو الغصون اكتئاب * اذا خطا

ماماس ذاك الغصن بين الوشاح * الاوراح * قول عذولى كله فى الرياح

آها لصب دمعه حيث كان * دمع أريق
هذا أسير فى وجوه الحسان * وذا طليق
أرق جسمى بالضنا يوم بان * بدر الفريق
فها انا اليوم له يا فلان * عبد رقيق

تزيد أجفانى ندى وارتياح * نهى اللواح * مثل جلال الدين يوم السماح

حبر له فى الخلق ذكر جميل * لا يفترى
ماح على غيث الغمام الجميل * محل الثرى
ما رأت العين له من مثيل * ولا ترى
يوقد فى أوطانه للنزيل * نار القرى

شرارها فى الكيس حمر صحاح * لها اقتداح * لكنها فى القلب عذب قراح

يا مالك العلم وفيض الندى * جزت المدى
فابق وكل العالمين الفدا * دع العدا
أنت الذى أصبح غيث الجدى * صبح الهدى
كم يقتنى منك وكم يقتدى * ويجتدى

علم جلى ونوال صراح * صفو مباح * يروى به راوى الرجا عن رباح

ومغرم لا يختشى من رقيب * ولا عذول
معلق القلب بشجو عجيب * ولا وصول
يسكر لكن بصفات الحبيب * لا بالشمول
لما رنا الظبى وماس القضيب * أضحى يقول

كم تنتضى جفنك وعطفك صفاح * على رماح * ماذى محاسن ذى غزالك سلاح

ومن الموشحات الصادرة من المشارقة المعارضة للمغاربة قول عثمان الملطى يمدح القاضى الفاضل

ويلاه من رواغ * بجوره يقضى
ظبى له اغداذ * منه الجفا حظى

ولم أقف على تمامها وقد بارى بها التوشيح المشهور للمغاربة وهو

عقارب الاصداغ * فى السوسن الغض
تسبى تقى من لاذ * بالنسك والوعظ

من

من قبل أن يعدو * على لم أحسب
أن تخضع الاسد * لجوذر دبرب
ظبي له خـــد * مفضض مذهب
وشادن يـــدو * في صدغه عقرب
رقة زهر الباغ * في جسمه الفضي
وقسوة الافلاذ * في قلبه الفظ
مهفهف بدع * أصبحت مغرى به
قلبي له ربع * لو كنت في قلبه
أصابني صدع * مذ لج في عتبه
السهد والدمع * حظي من قربه
والعين لا ينساغ * لها جني الغمض
والدمع ذو اغذاذ * ناهيك من حظ

ومن أحسن ما للمشارقة من التوشيح قول الشهاب العزازي يعارض أحمد بن حسن الموصلي

يا ليلة الوصل وكاس العقار * دون استتار
علمتماني كيف خلع العذار
اغتنم اللذات قبل الذهاب * واشرب فقد طابت كؤس الشراب
تحكي ثغورها الثنايا العذاب * على خدود تنبت الجلنار ذات احرار
طرزها الحسن بآس العذار
الراح لاشك حياة النفوس * فحل منها عاطلات الكؤوس
واستجلها بين الندامى عروس * تجلى على خطابها في ازار من النضار
حبابها قام مقام النثار
أما ترى وجه الهنا قد بدا * وطائر الاشجار قد غردا
والروض قد وشاه قطر الندى * فكمل اللهو بكأس تدار على افترار
مباسم النوار غب القطار
اجن من الوصل ثمار المنى * وأوصل الكاس بما امكنا
مع طيب الريقة حلو الجنى * بمقلة أفتك من ذي الفقار ذات احورار
منصورة الاجفان بالانكسار
زار وقد حل عقود الجفا * وافتر عن ثغر الرضا والوفا
فقلت والوقت لنا قد صفا * يا ليلة أنعم فيها وزار شمس النهار
حييت من بين الليالي القصار
ويعجبني من موشحات العزازي المذكور قوله
ماعلى * من هام وجدا بذوات العلا

مبتلى * بالحدق السود وبيض الطلا
باللوا * ملى حسن لديونى لوى
كم نوى * قتلى وكم عذبنى بالنوى
قد هوى * فى حبه قلبى بحكم الهوى
واصطلى * نار تجنيه ونار القلى
كيف لا * يذوب من هام بريم الفلا
هل ترى * يجمعنا الدهر ولو فى الكرى
أم ترى * عينى محيا من بجسمى برى
بالسرى * ياحادى ركب منى بليلى سرى
علا * قلبى بتذكار اللقا علا
وانزلا * دون الحمى حى الحمى منزلا
بى رشا * دمعى جرى فى هواه فشا
لو يشا * يبرد منى جمرات الحشا
ما مشى * الا انثنى فى سكره وانتشى
عطلا * من الجمال يامدير الطلا
ما حلا * اذا أدار الناظر الاكحلا
هل يلام * من غلب الحب عليه فهام
مستهام * بفاتر اللحظ رشيق القوام
ذى ابتسام * أحسن نظما من حباب المدام
لو ملا * من ريقه كاسا لاحيا الملا
أو جلا * وجها رأيت القمر المجتلى
لو عفا * قلبك عمن زل أومن هفا
أو صفا * ما كان كالجلد او كالصفا
بالوفا * سل عن فتى عذبته بالجفا
هل خلا * فؤاده من خطرات الولا
أو سلا * أو خان ذاك الموثق الاولا

وقوله أيضا يعارض الموصلى

ماسلت الاعين الفواتر * من غمد أجفانها الصفاح
الا أسالت دم الحناجر * من غير حرب ولا كفاح
تالله ماحرك السواكن * غير الظباء الجا آذر
لما استجاشت بكل طاعن * من القدود النواضر
وفوقت أسهم الكنائن * من كل جفن وناظر
عرب اذا صحن بالعساكر * يبين سرايا من الملاح

طلت علينا من المحاجر * طلائع تحمل السلاح
أحبب بما تطلع الجيوب * منها وما تبرز الكلل
من أقمر ما لها مغيب * واغصن زانها الميل
هيهات أن تعدل القلوب * عنها ولو جارت المقل
لما توشحن بالغدائر * سفرن عن أوجه صباح
فانهزم الليل وهو عاثر * بذيله واختفى الصباح
وأهيف ناعم الشمائل * تهزه نسمة الشمال
فينثني كالقضيب مائل * كما انثنى شارب ومال
له عذار كالند سائل * لله كم من دم أسال
شقت على نبته المرائر * من داخل الانفس الصحاح
تكل في وصفه الخواطر * وتخرس الالسن الفصاح
ظبي الى الانس لا يميل * الشمس والبدر من حلاه
الحسن قالوا ولم يقولوا * مبداه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل * هيهات من سيفه النجاه
أذل بالسحر كل ساحر * فهو له خافض الجناح
يجول فى باطن الضمائر * كما يجول القضا المتاح
أما ترى الصبح قد تطلع * مذ غمضت أعين الغسق
والبدر نحو الغروب أسرع * كهارب ناله فرق
والبرق بين السحاب يلمع * كصارم حين يمتشق
وتحسب الانجم الزواهر * أسنة ألقت الرماح
فانهزم النهر وهو سائر * فبدد عقده يد الرياح

وموشحة الموصلي التي عارضها العزازى هي قوله

رنا بأجفانه الفواتر * لما انثنى واحد الملاح
فسل من طرفه بواتر * وهز من عطفه رماح
ناظره جرد المهند * وغمده منى الحشا
وعامل القد فهو أملد * يطعن للقلب ان مشى
والعارض القائم المزرد * لفتنة الناس قد نشا
والحاجب القوس بالفواتر * انبله فى الحشا جراح
ومشرف الصدغ فهو جائر * سلطانه للصد ما اباح
بجفنه الفاتك الكنانى * من ثعل رأس لى نبال
وهو الخفاجى قد غزانى * ووجهه من بنى هلال
عبسى لحظه سبانى * جسم زبيدى بالدلال
والردف يدعى من ال عامر * واوضح الصلت من صباح

وخصره من هشيم ضامر * يدور من حوله وشاح
فوجهه جنة وكوثر * رضابه العذب لي حلا
والنار في وجنتيه تسعر * والخال خيالها اصطلى
عجبت من خاله المعنبر * اذ يعبد النار كيف لا
يحرق بالنار وهو كافر * وما سقى ريقه القراح
كامل حسن معناه وافر * بسيط وصف كالمسك فاح
ما اخضر نبت العذار الا * بآسه سيج الشقيق
وهو كنمل سعى وولى * ولم يجد للجنى طريق
من ريقة البدر اذ تجلى * في هالة العارض الانيق
لما تبدى بالوجه دائر * وحير العقل حين لاح
شق على خده المرائر * وقطع الانفس الصحاح
ورب يوم أتى وحيا * كالشمس والنجم والقمر
بالكاس والراح والمحيا * ثلاثة تفتن البشر
وقال قم يانديم هيا * اقض بنا لذة الوطر
فالنحر تجلى على المزاهر * من اغتباق الى اصطباح
وطافت الراح بالجمامر * من عنبر الزهر في البطاح

ومما يطربني من الموشحات قول بعضهم

مالي شمول الا شجون * مزاجها في الكاس دمع هتون
لله ما بذر من الدموع * صب قد استعبر من الولوع
أودى به جؤذر يوم الطلوع
فهو قتيل لا بلا طعين * بين الرجا واليأس له منون
بوحت للعين كفي بكفي * وحيل ما بيني وبين الفي
لاشك بالبين يكون حتفي
حال الرحيل ولي ديون * ان ردها العباس فهو الامين
أماتري البدرا بدر السعود * قد اكتسى خضرا من البرود
اذا انثنى نضرا من القدود
أضحى يقول من يا حزين * قد اكتسى بالآس الياسمين
قلت وقد شرد النوم عني * وأيأس العود السقم مني
صد فلما صد قرعت سني
جسمي نحيل لا يستبين * يطلبه الجلاس حيث الانين
تجاوز الحد قلبي اشتياقا * وكلف السهد من لا أطاقا
قلت وقد مد ليلي رواقا
ليلي طويل ولا معين * يا قلب بعض الناس أما تلين

(الباب السادس)

فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للرائق عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

اعلم أن تصانيف لسان الدين التى علت نحو الستين وكلها فى غاية البراعة بحيث انه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ما جاء به بل وكثير من غير أهل عصره رحمه الله تعالى وقد وقفت بالمغرب على كثير منها وفيها أقول مضمنا ببعض تغيير

تصانيف الوزير ابن الخطيب * ألذ من الصبا الغض الرطيب
فآية راحة ونعيم عيش * توازى كتبه أم أى طيب

قال رحمه الله تعالى فى تعريفه بنفسه آخر الاحاطة ماصورته (التواليف) التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى والكتيبة الكامنه فى أدباء المائة الثامنه والاكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر ثم النقاية بعد الكفاية هذا فى نحو القلائد والمطمعين لابى نصر الفتح بن محمد وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار ثلاثة وبستان الدول موضوع غريب ماسمع بمثله قل أن شذ عنه فن من الفنون يشتمل على شجرات عشر أولها شجرة السلطان ثم شجرة الوزارة ثم شجرة الكتابة ثم شجرة القضاء والصلاة ثم شجرة الشرطة والحسبة ثم شجرة العمل ثم شجرة الجهاد وهى فرعان اسطول وخيول ثم شجرة مايضطر باب الملك اليه من الاطباء والمنجمين والبيازرة والبياطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين ثم شجرة الرعايا وتقسيم هذا كله غريب يرجع الى شعب واصول وجراثيم وعمد وقشر ولحاء وغصون وأوراق وزهرات مثمرة وغير مثمرة مكتوب على كل جزء من هذه الاجزاء بالصبغ اسم الفن المراد به وبرنامجه صورة بستان كمل منه نحو من ثلاثين سفرا ثم قطع عنه الحادث على الدولة وديوان شعرى فى سفرين سميته الصيب والجهام والماضى والكهام والنثر فى غرض السلطانيات كثير والكتاب المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين كتاب ممتع وعائد الصلة وصلت به صلة الاستاذ ابى جعفر بن الزبير فى سفرين وكتاب الاحاطه بماتيسر من تاريخ غرناطه كتاب كبير فى أسفار تسعة هذا متصل بآخرها وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الادبيات الثلاثة وجيش التوشيح فى سفرين ومن بعد الانتقال من الاندلس وماوقع من كياد الدولة نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب موضوع جليل فى اربعة أسفار وكتاب عمل من طب لمن حب ومنزلته فى الصناعة الطبية بمنزلة كتاب أبى عمرو بن الحاجب المختصر فى الطريقة الفقهية لانظير له ومن الاراجيز المسماة برقم الحلل فى نظم الدول والارجوزة المسماة بالحلل المرقومه فى اللمع المنظومه الفية من ألف بيت فى اصول الفقه والارجوزة المسماة بالمعلومة معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة فى العلاج من الرأس الى القدم اذا أضيفت الى رجز الرئيس أبى على كملت بها الصناعة كالا لايشينه نقص والارجوزة المسماة بالمعتمده فى الاغذية المفرده والارجوزة فى السياسة المدنية الى مايشذ عن الوصف كالرجز

فى عمل الترياق الفاروقى والكلام على الطاعون المعاصر والاشارة وقطع السلوك ومثلى الطريقه فى ذم الوثيقه حتى فى الموسيقى والبيطرة والبيزرة هذه كشف به الحجاب واعب بالنفس الايجاب وضاع الزمان ولاتسل بين الرد والقبول والنفى والايجاب ولله در القائل

والكون اشرالك نفوس الورى * طوبى لنفس حرة فازت
ان لم تحز معرفة الله قد * أورطها الشئ الذى حازت

وكل ميسر لما خلق له ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهى ماله فى آخر الاحاطة بحروفه * قلت ولنذكر ما تأخر تاريخه عن الاحاطة أو أشير اليه فيها مجملا فنقول من أشهر تواليفه رحمه الله تعالى كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فى عدة مجلدات وهو داخل فى قوله السابق فى الاحاطة والنثر فى غرض السلطانيات كثير وهذا الكتاب قد اشتمل من الانشاء على كثير فى أغراض شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف أجناسهم وصدقاتهم وغير ذلك من أحوالهم وأحوال الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى وذكر فى صدره خطب بعض كتبه وفى آخره بعض مقاماته وتحليته لاهل عصره وغير ذلك وبالجملة فهو كتاب مفرد فى بابه * وقال الامير الشهير العلامة أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر رحمه الله تعالى فى كتابه نثير فرائد الجمان فيمن يضمنى واياه الزمان ما صورته لابن الخطيب الاوضاع المصنفات التى آذان احسانها هى المقرطات المشنفات منها فى التصوف الذى أكثر أهل الحقائق اليه نظر التشوف روضة التعريف بالحب الشريف انتهى وسرد غير هذا الكتاب مما قدمناه ذكره وغيره وهذا الكتاب أعنى روضة التعريف غريب المنزع وعارض به ديوان الصبابة لابن أبى حجلة صاحب السكردان وضمنه من التصوف وعبارات أهله العجب العجاب وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة وبذلك سجل عليه اعداؤه فى نكبته الآخرة التى ذهبت فيها نفسه ونسبوه الى مذهب الحلول وغيره مما ذكره يطول حسبما ألمعنا بذلك وقد جعل هذا الكتاب شجرة ذات أفنان وعمود مشتمل على القشر والعود وأوراق وصورة طائر فوقها ولم أر فى فنه مثله جازاه الله تعالى عن نيته فانه فى الحب الشريف الربانى مبلغ الناظر فيه غاية امنيته ومن تواليفه رحمه الله تعالى غير ما سبق اللمحة البدريه فى الدولة النصريه وكتاب السحر والشعر ومعيار الاخبار ومفاضلة مالقة وسلا وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف وقد ذكرهما فى الريحانة بنصهما وجماهما من جملة ما اشتملت عليه والمسائل الطبية فى مجلد والكتيبة الكامنه فى شعراء المائة الثامنه ورسالة تكوين الجنين والوصول لحفظ الصحة فى الفصول وكتاب الوزارة ومقامة السياسة والغيره على أهل الحيره وحمل الجمهور على السنن المشهور والزبدة الممخوضة والرد على أهل الاباحة وسد الذريعه فى تفضيل الشريعه وتقرير الشبه وتحرير الشبه واستنزال اللطف الموجود فى سر الوجود وأبيات الابيات فيما اختاره رحمه الله تعالى من مطالع ماله من الشعر وفتات الخوان ولقط الصوان فى سفر يتضمن المقطوعات فقط وكناسة الدكان بعد انتقال السكان

والدرر

والدرر الفاخره واللجج الزاخره جمع فيه نظم ابن صفوان واعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام والمباخر الطيبه فى المفاخر الخطيبيه وخلع الرسن فى أمر القاضى ابن الحسن وتدوين شعر شيخه ابن الجياب وجمع نثر المذكور وسماه تافه من جم ونقطة من يم وشرحه لكتاب نفسه رقم الحلل فى نظم الدول فهذا ما حضرنى علمه من تواليف لسان الدين رحمه الله تعالى فاما البيزرة ففى مجلد وأما البيطرة فكذلك فى مجلد جامع لما يرجع اليه من محاسن الخيل وغير ذلك وأما رجز الاصول فقد شرحه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور وأما رقم الحلل فى نظم الدول فهو فى غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة وقد كنت بالمغرب أحفظ أكثره فنسيته الآن وابتدأه بقوله

الحمد لله الذى لا ينكره * من سرحت فى الكائنات فكره

وعلق بحفظى الآن منه قوله فى الوليد بن يزيد

ثم الوليد بن يزيد العائث * قد نقلت من فعله خبائث

وفى آخر دولة بنى أمية قوله

وصار قصر الملك من أميه * اقفر ربعا من ديار ميه

وفى الامين

باع العلا بشادن وكاس * وصحبة الشيخ أبى نواس

وفى المعتصم

وهو الذى تألف الاتراكا * فنصبوا القومه الاشراكا

ومن أبيات هذا الكتاب قوله

ويفسد الملك بالاحتجاب * كذاك بالزهو وبالاعجاب

وما أحسن قوله فيه عند ذكر موت بعض الملوك

وأقفرت من ملكه أوطانه * سبحان من لا ينقضى سلطانه

وأما كتاب الاحاطة فهو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة أشد اعجابا به من المغاربة وأكثر لهجا بذكره مع قلته فى هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكى وسماه مركز الاحاطه فى أدباء غرناطه وهو فى مجلدين بخطه رأيت الاخير منهما بمصر وقال فى آخره ما نصه هذا آخر ما أردت ايراده وقوفت ايراده من كل طرفة وتحفة وفائدة أدبيه ونادرة تاريخيه فى كتاب الاحاطه بتاريخ غرناطه ولما كان المعول عليه والباعث الداعى اليه ذكر أدبائه ومآثر علمائه سميته مركز الاحاطه بأدباء غرناطه والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا علقه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده الفقير الى عفو ربه محمد بن ابراهيم بن محمد البدر البشتكى لطف الله تعالى به بمنه وكرمه مستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى وقد جعل كل أربعة أجزاء من الاصل فى مجلد اذ هو فى مجلدين كما سبق ونسخة الاصل فى ثمان مجلدات فنقص من الاصل ثلاثة ارباع أو نحوها ولما وقف سلطان

الاندلس من كتاب الاحاطة نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه ولنثبتها لما فيها من الفوائد قال الاديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادى آشي نزيل تلمسان المحروسة كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال الفائقة الكمال من الاحاطه بتاريخ غرناطه المحبسة على المدرسة اليوسفيه من الحضرة العليه بخط قاضى الجماعه ومنفذ الاحكام الشرعية المطاعه صدر البلغاء وعلم العلماء ووحيد الكبراء وأصيل الحسباء الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم رحمة الله تعالى عليه ما نصه الحمد لله الجاعل الاستدلال بالاثر على المؤثر مما سلمه الاعلام وشهدت به العقول الراجحة والاحلام وهو الحجة المعتمدة حين تتفاضل الالباب وتتقاصر الافهام وبه الاستمساك ان طرقت الشكوك أو عرضت الاوهام وحسبك بما يسلم فى هذا المقام العالى من الادله وما يعتمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستقله فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار اليه بالقبول ويستنبل المهتدى لاستنباطه لما فيه من التبادر للافهام والتسابق للعقول واذا ثبت أن المستدل بهذه الادلة سالك على سواء سبيل ومنتم من صحة النظر الى أكرم قبيل فلا خفاء أن كتاب الاحاطة للشيخ الرئيس ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار ومآثرها التى هى عبرة لاولى الالباب وذكرى لذوى الابصار أما الاول فلان الانباء التى أظهرت بهجتها وأوضحت حجتها وشرفت مقصدها وكرمت مصعدها انما هى مناقب ملوكها الكرام ومكارم خلفائها الاعلام أو اخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور وحملة السيوف والاقلام وافذاذ حفظة الدين والدنيا والشرف والعليا والملك والاسلام أو ما يرجع الى مفاخر حضرة الملك وينتظم نظم الجمان فى ذلك السلك من حصانة قلعتها واصالة منعتها وقديم اختطاطها وكريم جهادها ورباطها وحسن ترتيبها ووضعها وما اشتمل عليه من مقاصد الانس آهل ربعها وما سوى هذه الاقسام الثلاثة فى قبيل القليل ومما يرجع الى شرف الحضرة ممن انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الاثيل وأما ثانيا فان راسم آياتها المتلوه ومبدع محاسنها المجلوه وناقل صورتها من الفعل الى القوه انما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمه ونشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الديمه فما ظهر عليه من كمالات الاوصاف على الانصاف فما خلاف هذه المكارم النصرية ارضعته وعناياتها الجليلة اسمته فوق الكواكب ورفعته واليها ينسب احسانه ان انتسب ومن كريم تشريفها اكتسب والحضرة هى منشؤه الذى عظم فيه قدره بل أفقه الذى أشرق فيه بدره والتشريفات السلطانية التى فنقت اللها باللها واحتلت من مراقي العز فوق السها وأمكنت الايدى من الذخائر والاعلاق وطوقت المنن كالقلائد فى الاعناق وقلدت الرياسة والاقلام أقلام وثنت الوزارة والاعلام أعلام فبهرت أنواع المحاسن وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن وبرعت التواليف فى الفنون المتعدده واشتهرت التصانيف ومنها هذا

التصنيف

التصنيف المشار اليه لما له من الاذمّة المتأكدة اذ أظهر هذا الاستدلال وأوضح البيان ما لقه الاجمال فلنفصح الآن بما قصد ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد وذلك أن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين الغالب بالله المؤيد بنصره أبى عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره مآثر لم يسبق اليها ومكارم لم يجر أحد ممن وسم بالكرم عليها لجلالة قدرها وضخامة أمرها من ذلك هذا المقصد الذى أثرلها كالكتاب المذكور وسواه مما هو واحد فى فنه وفذ فى معناه عقد فى جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الامتاع ويعم به الانتفاع والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم وهذه النسخة فى اثنى عشر سفرا متفقة الخط والعمل اكتتب هذا على ظهر الاول منها وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة عرّف الله تعالى بركته بمنه انتهى وكان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أرسل فى حياته نسخة من الاحاطة الى مصر ووقفها على أهل العلم وجعل مقرّها بخانقاه سعيد السعداء وقد رأيت منها المجلد الرابع وهذا نص وقفيته الحمد لله وحده وقف العقير الى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو بن عبد الله بن الحاج الاندلسى نفع الله تعالى به عن موكله مصنفه الشيخ الامام العلامة بركة الاندلس لسان الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ أبى محمد عبد الله بن الخطيب الاندلسى السلمانى فسح الله تعالى فى مدته وفتح لنا وله أبواب رحمته ومنحنا واياه من رفده وعطيته وأسكننا واياه أعالى جنته جميع هذا الكتاب تاريخ غرناطة وهو ثمانية أجزاء هذا رابعها عن مصنفه المذكور بمقتضى التفويض الذى أحضره وهو انه فوّض اليه النيابة عنه فى جميع أموره المالية كلها وشؤنه أجمعها والنظر فى أحواله على اختلافها وتباين أجناسها تفويضا تاما على العموم والاطلاق والشمول والاستغراق لم يستثن شيأ مما تجوز النيابة فيه الا أسنده اليه وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضى القضاة يومئذ بثغر الاسكندرية المحروس أدام الله تعالى أيامه كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد بن الربعى المالكى ثبوته مؤرّخ بثالث ذى الحجة عام سبعة وستين وسبعمائة وقفا شرعيا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخا ومطالعة وجعل مقرّه بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء رحم الله تعالى واقفها وجعل النظر فى ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن حجلة حرسه الله تعالى ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة فلا يحل لاحد يؤمن بالله العظيم ويعلم انه صائر الى ربه الكريم أن يبطله ولا شيأ منه ولا يبدله ولا شيأ منه فمن فعل ذلك أو أعان عليه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ومن أعان على ابقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واشهد الواقف الوكيل عليه فى ذلك فى الثانى والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة انتهى * وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريزى المؤرخ ونصه انتقى منه داعيا لمؤلفه احمد بن على

المقريزي في شهر ربيع سنة ثمانية وثمانمائة وما رقمه الحافظ السيوطي ونصه الحمد لله وحده طالعته على طبقات النحاة واللغويين وكتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة انتهى وبعد هذين ما صورته انتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة وبعده ما صورته أنهاه نظرا وانتقاء على الجوى الحنفي لطف الله به وبخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الاوان الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصه طالعته مبتهجا برياضه المونقه وأزهار معانيه المشرقه مرتقيا في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس مقتنيا من لطائفه دررا وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس كتبه محمد الصديقي غفر الله له انتهى ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دقاق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر ومن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي الخطيب والخطيب الكبير سيدي أبي عبد الله بن مرزوق والعلامة أبي الفضل ابن الامام التلمساني والنحوي الراعي والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسي شارح الالفية وصاحب التآليف وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم رحم الله تعالى جميعهم * وقد أشار ابن الاحمر حفيد الغني بالله تعالى الذي كان ابن الخطيب وزيراله ثم انفصل عنه حسبما تقدم الى ما يتعلق بكتاب الاحاطة في جملة كلام نصه وتلقينا ممن نثق به أن الكاتب المجيد الاصيل حسبا البارع أدبا أبا عبد الله بن جزي وفد على السلطان أبي عنان صاحب المغرب في حدود عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فأكرم جنابه وكمل من تقريبه واصطناعه آرابه فانتدب الى ذكر وطنه الاندلسي وصاح بن عذاله ايح الشجي من الخلي وبرع غاية البراعة في التاريخ الذي جمعه ورفع راية البلاغة لما كلف به ووضعه فلم يكن شيء من الكلام الافال الاحسان وأتامعه استوعب ما شاءه وأبدع في كل ما نقل سواء كان شعرا أو انشاء لكن سابق أجله منع من الامتاع بجمله ومفصله وجاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والد جدنا أمير المسلمين أبي الحجاج في غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة فوقعين لتعريف صاحب المغرب بالكائنة خاص الدولة ورئيس الجلة أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب فوقف من تاريخ ابن جزي على شاطئ نهر فياض واتنشق من ورقاته أزاهر رياض وحمله النظر في بدائعه على أن يأخذ في جمع كتابه المسمى بالاحاطه فيما تيسر من تاريخ غرناطه ووجد لذلك موجبا أغراه بجمعه وهو أن الشيخ الحجة الشاعر المفلق أبا اسحق بن الحاج وفد على الاندلس بعد جوبه الآفاق وترحله الى ما وراء الشام والعراق واعلامه أنه يذهب في بداءة تاريخ مذهب ابن جزي وغيره وكان وحيدا في فنون الآداب والمساجلة لاعلام الكتاب وبحكم الاتفاق على أثر وصول ابن الخطيب من الرسالة للسلطان أبي عنان وجد الحاجب الخطير أبا النعيم رضوان قد استولى على وظيفة الحجابة والرياسة وأقنعه بالاسم من ذلك المسمى وبان وقفه دون طموحه الى عادته من المرقب الاسمى فأنتج الانتباذ من تلك الرياسة الخطيبية أن ألقى الخطيبة على جلالة مقدارها وتوضح أنوارها في مرتقى اجلالها واكبارها وأخذ في تأليف الاحاطة

مستدعيا

مستدعيا تصحيح المواليد والوفيات والاسماء والمسميات ومستكثرا من طرف المصنفات ليتم قصده من الاطناب ونقله العيون الرائقة من كل كتاب وأتى بجميع مقاصده والمعظم من تنظيم فرائده بيد الشيخ العمدة معلم الجلة منا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ابي عبد الله الشريشي قدس الله تعالى ضريحه وهذا الشيخ الذي لم يجاوز سن الكهولة في ذلك الوقت هو الذي تولى من المبيضات نقله واحكم جنسه وفصله واشتمل على مجلدات ستة ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس بعودة جدنا الغني بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالاصول وأنجز من التحرير فيه الوعد المطول ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثني عشر سفرا انتهى كلامه * وقد علمت أن المكتوب في الوقفية كما مر ثمان مجلدات لا اثنا عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر والله سبحانه وتعالى أعلم * والكاتب أبو عبد الله بن جزي الذي أشار اليه قد عرفنا به فيما سبق فليراجع * وأما العلامة ابن الحاج فهو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن عبد العزيز بن اسحق احمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضي النميري ويعرف بابن الحاج الغرناطي قال في الاحاطة نشأ على عفاف وطهارة وبر وصيانة وبلغ الغاية في جودة الخط وارتسم في كتاب الانشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة مع حسن صمت وجودة أدب وخط وظهور كفاية بقيد ولا يفتر وروى الحديث مع الطهارة والنزاهة مليح الدعابة طيب الفكاهة شرق وحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلة سفره وناهيك بها طرفة وقفل لافريقية وخدم بعض ملوكها وكتب ببجاية ثم خدم سلطان المغرب أبا الحسن ثم كتب عن صاحب بجاية ثم تنزه عن الخدمة وانقطع بتربة الشيخ أبي مدين مؤثر الخمول ذاهبا مذهب العكوف بباب الله تعالى حجة على أهل الحرص والتهافت ثم جبر على الخدمة عند أبي عنان ثم أفلت عند موته فلحق بالاندلس وتلقي ببر وتنويه وعناية وولى القضاء بقرب الحضرة وهو الآن من صدور القطر وأعيانه متوسط الاكتهال روى عن مشيخة بلده واستكثر وأخذ في رحلته عن ناس شتى وألف تواليف منها ايقاظ الكرام بأخبار المنام وجزء في بيان الاسم الاعظم كثير الفائدة ونزهة الحدق في ذكر الفرق وكتاب اللباس والصحبة في جمع طرق المتصوفة المدعى انه لم يجمع مثله وجزء في الفرائض على الطريقة البديعة التي ظهرت بالمشرق وجزء في الاحكام الشرعية سماه بالفصول المقتضبة في الاحكام المنتخبة ورجز في الجدل ورجز صغير في الحب والسلاح ورجز صغير سماه بمثالب القوانين في التورية والاستخدام والتضمين مولده بغرناطة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وامتحن بالاسر مع جماعة بعد قتال عام ثمانية وستين ثم فكه الله تعالى انتهى ملخصا وأخذ عنه جماعة كالقاضي أبي بكر بن عاصم صاحب التحفة وغيره وهو من الادباء المكثرين وكان عندي بالمغرب مجلد من رحلته التي بخطه وقد أتى فيه بالعجب العجاب وتمهر في الحديث على طريقة أهل المشرق لانه لقي جماعة من الحفاظ كالذهبي والبرزالي والمزي وناهيك بالثلاثة وغيرهم ممن يطول تعداده

وله النظم الرائق العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة المشارقة كما ستراه فمن نظمه يمدح الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي وقد أبصره على أسرة دار الحديث الاشرفية بدمشق

جمال الدين للاقراء يعلو * أسرته اذا اصطف الرجال
فقد جليت محاسنه بدالي * محيا في أسرته الجمال

ضمن قول المعري

أهل فبشر الاهلين منه * محيا في أسرته الجمال

وقوله في الحافظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي

نوى النوى علم الدين الرضا فانا * من بعد فرقته بالشام ذو ألم
فلا تلمني على حبي دمشق فقد * أصبحت فيها زمانا صاحب العلم

وقال فيه أيضا

نوى النوى علم الدين الرضا فذكت * نار اشتياقي حتى استعظموا ألمي
فقلت اني من قوم شعارهم * جود فلا تنكروا ناري على علم

وقال في الحافظ شمس الدين الذهبي

رحلت نحو دمشق الشام مبتغيا * رواية عن ذوي الاحلام والادب
ففزت في كتب الآثار حين غدت * تروى بسلسلة عظمى من الذهب

وقال في الحافظ المزي أيضا

جمال الدين أضحى في دمشق * اماما نحوه طال الذميل
فلم أعدم بمنزله جميلا * فحيث هو الجمال هو الجميل

وقال حين بدوره على الامير الصالح المحدث الجليل قطب الدين أبي اسحق ابراهيم ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحق ابن السلطان الملك الرحيم بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله النوري صاحب الموصل ليروي عنه

الى قصد قطب الدين وافيت عندما * أتت على الترحال في الشرق والغرب
وأصبحت كالافلاك في السير والسرى * فها أنا في مصر أدور على القطب

وقال في قاضي القضاة العالم الشهير صاحب التفسير عماد الدين الكندي وهو ممن أخذ عنه بثغر الاسكندرية

ولما اختبرت ذوات الورى * تعجبت من حسن ذات العماد
فتلك التي لم أكن مبصرا * مدى عمرنا مثلها في البلاد

وقال في القاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي

أضحى وجيه الدين أسبق سابق * في العلم والعلياء والخلق النبيه
عجب الورى من سبقه وتحيروا * فأجبتهم لا تنكروا اسبق الوجيه

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى قوله

قد قارب العشر بن ظبي لم يكن * ليرى الورى عن حبه السلوانا

وبدا الربيع بجهده فكانما * وافى الربيع بآدم النعمانا

وقوله

وعارض فى خده نباته * بحسنه بين الورى يسحرنا
أجرى دموعى اذجرى شوقاله * فقلت هذا عارض ممطرنا

وقال وقد توفى أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولى ابنه أبو حفص عمر بعد قتله لاخوته

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصبا * واخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضى الورى * سوى عمر من بعد موت أبى بكر

وقال

أتونى نعاة أمن أحب جماله * وذلك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه * مراض وأن الخصر منه ضعيف

وقال

أيا عجبا كيف تهوى الملوك * محلى وموطن أهلى وناسى
ويحسدنى وهى مخدومة * وما أنا الا خديم بفاس

وقال

لى المدح روى منذ كنت كانما * تصورت مدحا للورى وثناء
ومالى هجاء فاعجبن لشاعر * وكاتب سر لا يقيم هجاء

وقال فى حقه القاضى أبو البقاء خالد البلوى نقلت من خط سيدى ورفيقى وصديقى امام المسلمين برهان الدين أبى اسحق بن ابراهيم بن عبد الله بن الحاج وأكثره مما كان أنشدنيه قديما من نظمه فى التورية قوله

ومهاة تقول ان هى كات * ودعا للمزاح خل ممازج
وازر الردف ان فى الازر منى * رمل يبرين يا طبيب وعالج

وقوله

وروض محل جدب المراعى * سريع القبض وقدا والتهابا
حكى ابن أبى ربيعة لاشعرنا * ولكن كونه يهوى الربابا

وقوله

وظبى طرز عارضه واعنى * عذارا بعد زهو باخضرار
رآى سقما بمقلته فوافى * بآس عاد لكن من عذار

وقوله

أتونى بنمام من الروض يانع * سقته الغوادى كل أسحم مدرار
فلا غروان أصليته نار زفرتى * وحكم على النمام الالقاء فى النار

وقوله

هذه الشمس بالحجاب توارت * بعد نورلها ورحب وبشر
وأتى الليل بالنسيم عليلا * فهو يمشى من أوقه لابن زهر

يعني بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن زهر الاشبيلي الاندلسي فانه كان وحيد دهره في الطب فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة الى الغاية وقال أبو اسحق النميري المذكور

أيا ضوء الصباح ارفق بصب * تسيل دموعه في الخد سيلا
وكنت بليلة ليلاء طالت * فها أنا في الورى مجنون ليلى

وقال يخاطب شيخه سيف الدين

لمولاي سيف الدين في الفقه بيننا * مقام اجتهاد ليس يلحقه الحيف
فتقليده فرض على أهل عصرنا * ولا عجب عندي اذا قلد السيف

وقال

رعى الله معطار النسيم فانه * رأى من غصون البان ماشاء من عطف
وأبدى حديث الغيث وهو مسلسل * لذا لعمري ليس يخلو من الضعف

وترشحت التورية بكون المحدثين يقولون الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ولو في التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحا كما تقرر في محله وقال رحمه الله تعالى

نظرت الى روض الجمال بوجهه * وسقيته دمعا به العين تكاف
فصح حديث الحسن عن ورد خدها * وان كان أضحى وهو راو مضعف

وقال رحمه الله تعالى

بدا عارض المحبوب فاحمر خجلة * وأهدى لنا ورداً به الحسن ناهض
فقلت له لا تنكر الورد ناضرا * فقد سال في خديك من قبل عارض

وقال

النوم عن انسان عيني نافر * كالوحش ليس يقارب الانسانا
والدمع منها فاض طوفانا فلا * عجب اذا ماغرق الاجفانا

وقال رحمه الله تعالى

بكت شجنا ففاض الدمع يحكي * يتامى الدر اذ يهوى تواما
وسلت من محاجرها سيوفا * فخفت على المحاجر واليتامى

وقال القاضي خالد البلوي رحمه الله تعالى من نظم صاحبنا أبي اسحق بن الحاج النميري يخاطب شيخه وشيخنا أيضا صاحب ديوان الانشاء الامام جمال الدين ابراهيم ابن الامام العلامة صاحب ديوان الانشاء ملك الكلام قس الفصاحة شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي وقد تقرب اليه في قصد الرواية عنه

الى ابن شهاب الدين طال تغربي * فلما سرت عيسى له وركابي
رويت حديث الفضل عنه فصح لي * كما شئت مرويا عن ابن شهاب

وقوله يخاطب كمال الدين بن جمال الدين المذكور

أشبهت والدك الرضا في فضله * وأخذته عنه بخير مناب
ولكنني لحديث فضلك في الورى * عن مالك يروى عن ابن شهاب

وقال رحمه الله تعالى

اسمرك مائغره باسم * ولكنه حب لاعب
ولولم يكن ريقه مسكرا * لما دارمن حوله الشارب

وقال رحمه الله تعالى ملغزا فى القلم

سألتك ماواش يراد حديثه * ويهوى الغريب النازح الدار افصاحه
تراه مدى الايام أصفرناحلا * كمثل عليل وهوقد لازم الراحه

وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء ببعض الثغور وشرب منها

تعجبت من ثغر هذى البلاد * ومولاى من عينها شارب
فلله ثغـــــر أرى شاربا * وعين بدافوقها حاجب

وقال

وحمراء فى الكاس مشمولة * تحث على العود فى كل بيت
فلاغروان جاءنى سابقا * الى الانس خل يحث الكميت

وقال

بروضتنا الظمياء طال اكتئابنا * فلله غيث ميت آمالنا أحيا
واشبه مهيارا فهاتلك عينه * تفيض اذا شام البروق على ظميا

وقال

اثنان عزا فلم يظفر بنيلهما * وأعوزامن همافى الدهر مطلبه
أخ مودته فى الله صادقة * ودرهم من حلال طاب مكسبه

وقال مورّيا بابا القائد نافع على مااختاره البخارى وجماعة ان أصح الاسانيد مالك عن نافع

عن نافع أسند حديث أحبتى * يامالكا رقى بحسن صنائع
فأجل اسناد وخير رواية * عندى رواية مالك عن نافع

وقال

انى لاعجب من فعالك فى الهوى * لما حلت بحسن ذاتك ذاتى
ونفيت نومى ثم أثبت الاسى * فجمعت بين النفى والاثبات

وقال

الامعصم للصب من وشى معصم * أطلت اليـــــه نظرة المتوسم
فأبقت به عينى حلى من سوادها * وبعض سواد وسط قلبى المتيم
وليس خضابا ماعلاه وانما * جرى فيه بعد الدمع ماعزمن دمى
ولم يعدمنى اللون لون سواده * خلا اننى اشقى وقد لى له انعــــم

وقال وقد جاء الشاعر المفلق أبو العباس أحمد بن عبد المنان بيت الكتاب وفى عينه خضرة

أبا أحمد المرتضى للعلا * ومن حاز فى صنعه كل زين
تراءيت فى العلم روضا نضيرا * فلا تنكرن خضرة حول عين

وله فيه

لك الخير عدم السبك ابدل ناظرى * زمرذة مخضرة من لجينه
فلا تنكروا ماراع من ذا الذى * لصائغ تبرالقول ناقد شينه
ولا عجب ان أعوز السبك صائغا * فاوجب عدم السبك خضرة عينه

وقال فيمن يعرف بالصهال

ألا رب فرسان توافوا فأدركوا * مع الليل أوتارا لهم دون امهال
وأجروا بصهال كميتا كما ابتغوا * فذ تنكروا الاجراء منهم بصهال

ولما كتب الرئيس الكاتب الجليل أبو عبد الله العزفى مداعبا

يا عصبة كل فتى منهم علم * فرغتم من كتبكم ردوا القلم

أجابه ابن الحاج المذكور بقوله

الا احتسبوا ماقد أعرتم لقيمة * تكرمكم بالصفح عن فعلهم قاضى
ولا تطمعوا فى الرد فالناس كلهم * رأوا ان مولانا له القلم الماضى

وقال الوادى آشى مما نقلت من خط الكاتب العلامة الصدر البارع الحاج القاضى الناظم الناثر الجامع للمحاسن والمفاخر أبى اسحق ابراهيم بن الحاج النميرى مانصه كتب الى الفاضل النخبة أبو الفضل بن رضوان متمثلا بقول المأمون (ملك الثلاث الآنسات عنانى) فكتبت اليه فى التورية

هنيأ لك البشرى بهن فدم كما * تريد بنعمى للسعادة جامعه
وان كنت من أهل الصلاح فلا تكن * بمائل قلب منك عن حب رابعه

فأجابنى بقوله

ياسيدى ذكرتنى بالرابعه * لعلها لكل خير جامعه
انى أخاف أن تكون باقعه * فتفرك المغازل المطاوعه

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة

لمن الخيام سطت ببيض صفاح * وارت سوادا غال كل صباح
ان مزقت رقعت بنقع كتائب * أوقوضت عمدت بسمر رماح

وله فى رثاء الطبيب بن عمار واقترح عليه ذلك ابن جزى

الا أسعد اعينى على السهد والبكا * فقد واصل السهد المبرح تذكارى
وأبدى الردى فتك ابن عباد اذ سطا * فلا غروان أبكى لفقد ابن عمار

وقال مما يكتب فى الترس

أنا الترس قد أنشئت بالامر عدة * ليوم جهاد مطلع غرة النصر
فلا قوابى الاعداء فى زحفهم ولا * تبالوا بقرع الزرق والبيض والسمر
ولا تنكروا سترى لمقتل حاملى * ففى اسمى كما شاهدتم أحرف الستر

وله يهنى السلطان أبا عنان أمير المؤمنين المرينى بالابلال من المرض

مطالب الا انهن مواهب * قضى الله أن تقضى فتم المطالب
شفاء أمير المؤمنين وانه * لاكرم من تحدى اليه الركائب

وكم قلت غاب البدر والشمس ضلة * ووارت على قلبى الهموم النواصب
ولم يغبا لكن شكا الضر فارس * وأوحش منه مجلس الملك غائب
لك الله يا خير الملوك وخير من * تحن له حتى العتاق الشوارب
وقل لمن وافى بشيرا نفوسنا * فما هى الابعض ما أنت واهب
أقول لجرد الخيل قبا بطونها * معقدة منها الحرب سباسب
طوالع من تحت العجاج كأنها * نعام بكثبان الصريم خواضب
محجلة غرا كأن رعالها * بحار جرت فيها الصبا والجنائب
من الاعوجيات الصوافن ترتقى * اذا وجفت يوم القراع مقانب
هنيئا فقد صح الامام الذى به * تفل السيوف المرهفات القواضب
ومستأصل الفل المغذ جياده * لضرب كما ترغو الفحول الضوارب
ومن حطم السمر الطوال كعوبها * بطعن كما امتاح الركية شارب
وكر على أرض العدا بفوارس * كأنهم فى الحرب أسد غوالب
كأن ظباهم فى الهياج أكفهم * تجود وارواح العداة مواهب
كأن رماح الخط احسابهم وما * حوت من نفوس المعتدين مناقب
هم ما هم حدث عن البحر أو بنى * هرين فنهج القول أبلج لاحب
من البيت شادت قيس عيلان فخره * فطالت معاليه وطابت مناسب
وأحيا له ملك الخليقة فارس * مآثر غالتها الليالى الذواهب
كريم فلا الحادى النجائب مخفق * لديه ولا المضنى الركائب خائب
ارى بذله المنعى ففضت مكاسب * ارى بأسه الانضى ففضت كتائب
أنامله يروى الورى صوب جودها * فلولا دوام الرأى قلت السحائب
وكم خلت برقا فى الدجى نور بشره * تشيم سناه الناجيات النجائب
فأخجلنى أنى ارى البرق خلبا * فلا الصوب هام لا ولا الجود ساكب
أعرنى أمير المؤمنين بلاغة * فانى عن عجز لمدحك هائب
وأنطق لسانى بالبيان معلما * فانى فى التعليم للجود راغب
وكيف ترى لى بعد فى الجود رغبة * وجودك لى فوق الذى أنا طالب
وقد شبت الآمال اذ شبت ثم اذ * تفقدتها لم يدر ما شيب شائب
بلغت بك الآمال حتى كأنها * وقد صدقت ما شئت صدقا كواذب
عجبت وما تولى وأوليت مجتبا * فلا برحت تحولديك العجائب
وحسبى دعاء لو سكت كفيته * كما قيل لكن فى الدعاء مذاهب
وما أنا الا عبدك المخلص الذى * يراقب فى اخلاصه ما يراقب
فخذها تبث العذر لا المدح انه * هو البحر قل هل يجمع البحر شاجب
بقيت بقاء الدهر ملكك قاهر * وسيبك فياض وسيفك غالب
وعوفيت من ضر وأعطيت أجره * ولا روعت الاعداك النوائب

وقال رحمه الله تعالى

ولولا ثلاث جاء جبريل سائلا * لخير الورى عنها لآثرت فقدانى
مقامات اسلام أزيد افعاله * ثوابا وايمان أديم واحسانى

وقال رحمه الله تعالى أنشدنى السلطان أمير المؤمنين أبو عنان فارس ابن أمير المسلمين أبى الحسن المرينى رحمهما الله تعالى

ياملما بأرض تلك البلاد * حى فاسا وحى أهل الوداد
ان تناءت بشخصها عن عيانى * فحماها مصوّر فى فؤادى انتهى

قلت تذكرت بهذا البحر والروى والغرض قول الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناثر أبى عبد الله محمد بن يوسف الثغرى كاتب سلطان تلمسان أمير المسلمين أبى حمو موسى بن يوسف الزيانى يمدحه ويذكر تلمسان المحروسة

أيها الحافظون عهد الوداد * جددوا أنسنا بباب الجياد
وصلوها أصائلا بليال * كلآل نظمن فى الاجياد
فى رياض منضدات المجانى * بين تلك الربا وتلك الوهاد
وبروج مشيدات المبانى * باديات السنا كشهب بواد
ورق فيها النسيم مثل نسيبى * وصفا النهر مثل صفو ودادى
وزها الزهر والغصون تثنت * وتغنت عليه ورق شواد
وانبرى كل جدول كحسام * عارى الغمد سندسى النجاد
وظلال الغصون تكتب فيه * أحرفا سطرت بغير مداد
تذكر الوشم فى معاصم خود * قضب فوقه ذوات امتداد
وكؤس المنى تدار علينا * بجنى عفة ونقل اعتقاد
واصفرار الاصيل فيها مدام * وصفير الطيور نغمة شاد
كم غدونا بها لانس ورحنا * جادها رائح من المزن غاد
ولكم روحة على الدوح كادت * أن تريح الصبا لنا وهو غاد
رقت الشمس فى عشاياه حتى * احدثت منه رقة فى الجماد
جددت بالغروب شجو غريب * هاجه الشوق بعد طول البعاد
ياحيا المزن حيها من بلاد * غرس الحب غرسها فى فؤادى
وتعاهد معاهد الانس منها * وعهود الصبا بصوب العهاد
حيث مغنى الهوى وملهى الغوانى * ومراد المنى ونيل المراد
ومقر العلا ومرقى الامانى * ومجر القنا ومجرى الجياد
كل حسن على تلمسان وقف * وخصوصا على ربى العباد
ضحك النور فى رباها وأربى * كرف فيها كهاعلى كل ناد
وسما تاجها على كل تاج * وغدا وهدها على كل واد
يدعى غيرها الجمال فيقضى * حسنها أن تلك دعوى زياد

وبشعرى فهمت معنى علاها * من حلاها فهمت فى كل واد
حضرة زانها الخليفة موسى * زينة الحلى عاطل الاجياد
وحماها بكل بذل وعدل * وحماها من كل باغ وعاد
ملك جاوز المدى فى المعالى * فالنهايات عنده كالمبادى
معقل للهدى منيع النواحى * مظهر للعلا رفيع العماد
قاتل المحل والاعادى جميعا * بغرار الظبا وغر الايادى
كلما ضنت السحائب أغنت * راحتاه عن السحاب الغوادى
كم هبات له وكم صدقات * عائدات على العفاة بوادى
فابادى خليفة الله موسى * ابحر عذبة على الوراد
ركب الجود فى بسيط يديه * فتلافى به تلاف العباد
جل باريه ملجأ للبرايا * كالحيا ضامنا حياة البلاد
جل من خصه بتلك المزايا * باهرات من طارف وتلاد
شيم حلوة الجنى وسجايا * شهد المجد أنها كالشهاد
ياامام الهدى وشمس المعالى * وغمام الندى وبدر النادى
لك بين الملوك سر خفى * ليس معناه للعقول ببادى
فبكان البلاد كف مهما * كان فيها من ينتمى لعناد
قبضت كف البنان عليه * فأتى بالاذعان حلف انقياد
بكم تصلح البلاد جميعا * ان آراءكم صلاح البلاد
لم تزل دائما تحن اليكم * كحنين السقيم للعواد
لو اعينت بمنطق شكرتكم * مثل شكر العفاة للاجواد
قد أطاعتكم البلاد جميعا * طاعة أرغمت أنوف الاعادى
فاريحوا الجياد أتعبتموها * واقروا السيوف فى الاغماد
واهنؤا خالدين فى عز ملك * قائم السعد دائم الاسعاد
واليكم من مذهبات القوافى * حكما سهلت لسان المقاد
كل بيت من النظام مشيد * عطر الافق بالثناء الجماد
ذو ابتسام كزهر روض مجود * وانتظام كسلك در مجاد

ولابى المكارم منديل ابن الامام الشهير صاحب المقدمة الاجرومية قصيدة فى المنحى وافقت قصيدة الثغرى فى البحر وبعض المطلع فلاندرى أيهما نسج على منوال الآخر اذهما متعاصران الا أن ذاك قالها فى تلمسان وهذا فى مدينة فاس وهى

أيها العارفون قدر الصبوح * جددوا أنسنا بباب الفتوح

يعنى بباب الفتوح أحد أبواب فاس كما أن باب الجياد فى كلام الثغرى أحد أبواب تلمسان ثم قال ابن اجروم بعد المطلع

جددوا دائم أنسنا ثم جددوا * بمسرح الطرف فى مجال فسيح

حيث شابت مفارق الاوز نورا * وتسا قطن كاللجين الصريح

وبدا منه كلما احمر يحكى * شفقا مزقته أيدى الريح

وكأن الذى تساقط منه * نقط لحسن من دم مسفوح

واذا ما وصلتم للمصلى * فلتحلوا بموضع التسبيح

وبطيفورها فطوفوا لكيما * تبصروا من ذراه كل سطوح

ولتقيموا هنالك لمحة طرف * اتتردوابه ذماء الروح

ثم حطوا رحالكم فوق نهر * كل فى وصفه لسان المديح

فوق حافاته حدائق خضر * ليس عنها لعاشق من نزوح

وكأن الطيور فيها قيان * هتفت بين أعجم وفصيح

وهى تدعوكم الى قبة الجو * زهلوا الى مكان مليح

فيه ماتشتهون من كل لون * مغلق فى الكمام أو مفتوح

وغصون تهيج رقصا اذاما * سمعت صوت كل طير صدوح

فأجيبوا دعاءها أيها السرب * وخلوا مقال كل نصيح

واجنحوا للمجون فهو جدير * وخليق من مثلكم بالجنوح

واخلعوا ثم للتصابى عذارا * ان خلع العذار غير قبيح

واذا شئتم مكانا سواه * هو أجلى من ذلكم فى الوضوح

فاجمعوا أمركم لنحو خليج * جاءكالصل من قفار فسيح

عطرت جانبيه كف الغوادى * بشذا عرف زهرها الممنوح

قل لهيار ان شممت شذاها * قول مستخبر أخى تجريح

أين هذا الشذا الذكى من القيصوم والرند والغضى والشيح

حبذا ذلك المهاد مهادا * بين دان من الربا ونزوح

ثم من ذلك المهاد أفيضوا * نحو هضب من الهموم مريح

فيه للحسن دوحة وروايا * وانشراح لذى فؤاد قريح

وبحار تدعى بحار طبول * غير أن التطبيل غير صحيح

تنثر الشمس ثم كل غدير * زعفرانا مبللا بنضوح

وسوى من هناك يسبى عقولا * ويجلى لحاظ طرف طموح

وعيون بها تقر عيون * وكلاها بأسو كلوم الجريح

فرشت فوقها طنافس زهر * ليس كالعهن نسجها والمسوح

كلما مر فوقهن طليح * عاد من حسنهن غير طليح

فانهضوا أيها المحبون مثلى * لنرى ذات حسنها الملوح

هكذا يربح الزمان والا * كل عيش سواه غير ربيح

وما أحسن قول الكاتب الثغرى يمدح تلمسان وسلطانها المذكور آنفا

تاهت تلمسان بحسن شبابها * وبدا طراز الحسن من جلبابها

فالبشر

فالبشر يبدو من حباب ثغورها * متبسماً أو من ثغور حبابها
قد قابلت زهر النجوم بزهرها * وبروجها ببروجها وقبابها
حسنت بحسن مليكها المولى أبى * حمو الذى يحمى حمى أربابها
ملك شمائله كزهر رياضها * ونداه فاض بها كفيض عبابها
أعلى الملوك الصيد من أعلامها * وأجلها من صفوها ولبابها
غارت بغرته وجهه شمس الضحى * وتنقبت خجلا بثوب ضبابها
والبدر حين بدت اشعة باله * حسنا تضاءل نوره وخبا بها
لله حضرته التى قد شرفت * خدامها فسموا بخدمة بابها
فالبشر فى يمناه يبلغها المنى * والمدح فى علياه من اسبابها

وللثغرى المذكور قصيدة لامية بديعة فى مدح السلطان ابى حمو ووصف بلاد تلمسان وأجاد فيها الى الغاية وهى

قم مبصرا زمن الربيع المقبل * ترمايسر المجتنى والمجتلى
وانشق نسيم الروض مطلولا وما * أهداك من عرف وعرف فاقبل
وانظر الى زهر الرياض كأنه * در على لبات ربات الحلى
فى دولة فاضت يداها بالندى * وقضت بكل منى لكل مؤمل
بسطت بارجاء البسيطة عدلها * وسطت بكل معاند لم يعدل
سلطانها المولى أبو حمو الرضا * ذو المنصب السامى الرفيع المعتلى
تاهت تلمسان بدولته على * كل البلاد بحسن منظرها الجلى
راقت محاسنها ورق نسيمها * فحلا بها شعرى وطاب تغزلى
عرج بمنعرجات باب جيادها * وافتح بها باب الرجاء المقفل
واتغد للعباد منها غدوة * تصبح هموم النفس عنك بمعزل
وضريح تاج العارفين شعيبها * زره هنالك فبذاذ الولى
فمزاره للدين والدنيا معا * تمحى ذنوبك أو كروبك تنجلى
وبكهفها الضحاك قف متنزها * تسرح نفوسك فى الجمال الاجمل
وتمش فى جناتها ورياضها * واجنح الى ذاك الجناح المخضل
تسليك فى دوحاتها وتلاعها * نغم البلابل واطراد الجدول
وبربوة العشاق سلوة عاشق * فتنت والحاظ الغزال الاكحل
بنواسم وبواسم من زهرها * تهدى لك انفاسا كعرف المندل
فلو امرؤ القيس بن حجر راءها * قدما تسلى عن معاهد ماسل
لوحام حول فنائها وظبائها * ما كان محتفلا بحومة حومل
فاذكر لها كافى بسقط لوائها * تهواى عنها الدهر ليس بمنسل
كم جادلى فيها الزمان بمطلب * جادته أخلاق الغمام المسبل
واعمد الى الصفصيف يوما ثانيا * وبه تسل وعنه دأبا فاسأل

واذ تراه من الازاهر خالياً * أحسن به عطلا وغير معطل
ينساب كالايم انسيابا دائما * أو كالحسام جلاه كف الصيقل
فزلاله فى كل قلب قد حلا * وجماله فى كل عين قد حلى
واقصد بيوم ثالث فوارة * وبعذب منهلها المبارك فانهل
تجرى على در لجينا سائلا * أحلى واعذب من رحيق سلسل
واشرف على الشرف الذى بازائها * لترى تلمسان العلية من عل
تاج عليه من المحاسن بهجة * أحسن بتاج بالبهاء مكلل
واذا العشية شمسها مالت فل * نحو المصلى ميلة المتمهل
وبملعب الخيل الفسيح مجاله * أجل النواظر فى العتاق الحفل
فلحلبة الاشراف كل عشية * لعب بذاك الملعب المتسهل
فترى المجلى والمصلى خلفه * وكلاهما فى جريه لا يأتلى
هذا يكر وذا يفر فينثنى * عطفا على الثانى عنان الاول
من كل طرف كل طرف يستبى * قيد النواظر فتنة المتأمل
ورد كان أديمه شفق الدجى * أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو من كميت لا نظير لحسنه * سام معم فى السوابق مخول
أو احمر قانى الاديم كعسجد * أو أشقر يزهو بعرف اشعل
أو أدهم كالليل الا غرة * كالصبح بورك من أغر محجل
جمع المحاسن فى بديع شياته * مهما ترف العين فيه تسهل
عقبان خيل فوقها فرسانها * كالاسد تنقض انقضاض الاجدل
فرسان عبد الواد آساد الوغى * حماة الذمار اولو الفخار الاطول
فاذا دنت شمس الاصيل لغربها * فالى تلمسان الاصيلة فادخل
من باب ملعبها الباب حديدها * متنزها فى كل ناد أحفل
وتأت من بعد الدخول هنيهة * واعدل الى قصر الامام الاعدل
فهو المؤمل والديار كناية * والسر فى السكان لا فى المنزل
فاذا أمير المؤمنين رأيته * فالثم ثرى ذاك البساط وقبل
فالجد لفظ فى الحقيقة مجمل * وحلاه تفصيل لذاك المجمل
بشرى لعبد الواد بالملك الذى * خلصوا به من كل خطب معضل
باعزهم جارا وامنعهم حمى * وأجلهم مولى واعظم موئل
بالعادل المستنصر المنصور والـ * ـمامون والمهدى والمتوكل
وكفاهم سعدا أبو حمو الذى * يحمى حماهم بالحسام الفيصل
وبحسن نيته لهم وبجده * وبسعده وبسعيه المتقبل
ذو الهمة العليا التى آثارها * حلت به فوق السماك الاعزل
بحر الندى الاحلى وفخر المنتدى * وسنا الدجى الاجلى وزين المحفل .

قوله فالى تلمسان الخ يوجد فى بعض النسخ بدله (فالى الذى منها كل قد أعزل) اه

يتهلل منه لنا الجدا وبه الدجى * تنجلي بمشرق وجهه المتهلل

هنى به زمن الربيع وقل له * بشرى باصلح من حلالك وأجمل

وعلى علاه من صنيعة فضله * ترداد نافحة السلام الاكمل

وكانه عارض بهذه القصيدة قطعة فى بحرها ورويها فى مدح مدينة فاس لبعض العلماء وأظنه القاضى المزدغى وهى

يافاس حيا الله أرضك من ثرى * وسقاك من صوب الغمام المسبل

ياجنة الدنيا التى أربت على * حمص بمنظرها البهى الاجمل

غرف على غرف ويجرى تحتها * ماء ألذ من الرحيق السلسل

وبساتن من سندس قد زخرفت * بجداول كالايم أو كالفيصل

وبجامع القرويين شرف ذكره * أنس بذكراه يهيج تمللى

وبصحنه زمن المصيف عجائب * فمع العشى الغرب فيه استقبل

واشرب بتلك البيلة الحسنا به * واكرع بها عنى فديتك وانهل

وقد تمثل لسان الدين رحمه الله تعالى فى مدينة فاس بقول القائل

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس

فكانما الانهار فيه مدامة * وكان ساحات الديار كؤس

وما أحسن قوله أعنى لسان الدين فى مدح تلمسان

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدرها المكنون

ماشئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالممنون

أو شئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون

ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون

واذا حبيبة أم يحيى أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

يعنى بحبيبة أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه وأخفها وكانت جارية بالقصور السلطانية ولم تزل الى الآن منها بقية آثار ورسوم والبقاء لله تعالى وحده * وممن مدح تلمسان الحاج الطبيب أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتلاليسى رحمه الله تعالى اذ قال

سقى الله من صوب الحيا ها طلا وبلا * ربوع تلمسان التى قدرها استعلى

ربوع بها كان الشباب مصاحبى * بجررت الى اللذات فى دارها الذيلا

فكم نلت فيها من أمان قصية * وكم منح الدهر الضنين بها النيلا

وكم غازلتنى الغيد فيها تلاعبا * وكل عذول لا أطيع له قولا

وكم ليلة بتنا على رغم حاسد * ندير كؤس الوصل اذ ما صفا تلا

وكم ليلة بتنا بصفصيفها الذى * تسامى على الانهار اذ عدم المثلا

وكدية عشاق لها الحسن ينتهى * يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا

نعم وغدير الجوزة السالب الحجا * نعمت بها طفلا وهمت بها كهلا

ومنه ومن عين ام يحيى شرابنا * لانهما فى الطيب كالنيل بل أحلى

وعباد هاما القلب ناس ذمامه * بروضة للخير قد جملت سبلا
به شيخنا المشهور فى الارض ذكره * أبو مدين أهلا به دائما أهلا
لهنا بهجة تزرى على كل بلدة * بتاج عليها كالعروس اذا تجلى
فيا جنة الدنيا التى راق حسنها * فحازت على كل البلاد به الفضلا
ولا عجب ان كنت فى الحسن هكذا * وموسى الامام المرتضى فيك قد حلا
ولاحت لدينا فيك منه محاسن * كان سناها حاجب الشمس اذ جلى
مطاع شجاع فى الوغى ذو مهابة * حسام على الباغين فى الارض قد سلا
كريم حليم حاتمى نواله * سعيد حميد يصدق القول والفعلا
له راحة كالغيث ينهل ودقها * وصارم نصر مرهف الحد لا فلا
هو الملك الارقى هو الملك الرضا * هو الملك الاسنى هو الملك الاعلى
ومن هذه الاوصاف فيه تجمعت * حقيقا على كل المعالى قد استولى
امام حباه الله ملكا مؤيدا * فلا ملك الا لعزته ذلا
من الزاب وافانا عزيزا مظفرا * يجر من النصر المشوط به ذيلا
بدت للملك الغرب شدة بأسه * وانعامه للمعتفين وما أولى
فبادره بالصلح خوف فواته * وسالمه اذ كان ذا النية أولى
فكان بحمد الله صلحا مهنأ * به طابت الدنيا وجزنا به السبلا
له فى المعالى رتبة لا ينالها * سواه وكتب فى فضائله تتلى
لطاعته كل الانام تبادرت * فيا سعد من وافى ويا ويح من ولى
أحساده موتوا فان قلوبكم * بجمر الغضى مما بها أبدا تصلى
لقد جبر الله البلاد بملكه * به ملئت أمنا به ملئت عدلا
فلا زال هذا الملك فيه مخلدا * وصارمه الامضى وخادمه الاعلى

ومما مدحت به تلمسان قول الامام الصوفى أبى عبد الله محمد بن خميس الذى قدمنا ذكره فى هذا الكتاب وبعض ما يتعلق به وذكرنا أيضا فيما مر بعض أمداحه لها

تلمسان جادتك السحاب الروائح * وأرست بواديك الرياح اللواقح
وسح على ساحات باب جيادها * ملث يصافى تربها ويصافح
يطير فؤادى كلما لاح لامع * وينهل دمعى كلما ناح صادح
ففى كل شفر من جفونى مائح * وفى كل شطر من فؤادى قادح
فما الماء الا ما تسح مدامعى * ولا النار الا ما تجن الجوانح
خليلى لا طيف لعلوة طارق * بليل ولا وجه لصبحى لائح
نظرت فلا ضوء من الصبح ظاهر * لعينى ولا نجم الى الغرب جانح
بحقكما كفا الملام وسامحا * فما الخل كل الخل الا المسامح
ولا تعذلانى واعذرانى فقلما * يرد عنانى عن علية ناصح
كتمت هواها ثم برح بى الاسى * وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

لساقية الرومى عندى مزية * وان رغمت تلك الروابى الروائح
فكم لى عليها من غدوّ وروحة * تساعدنى فيها المنى والمنائح
فطرف على تلك البساتين سارح * وطرف الى تلك الميادين جامح
تحار بها الاذهان وهى ثواقب * وتهفو بها الاحلام وهى بوارح
ظباء مغانيها عواط عواطف * وطير مجانيها شواد صوادح
تقتلهم فيها عيون نواظر * وتنكيهم منهم عيون نواضح
على قرية العباد منى تحية * كما فاح من مسك اللطيمة فائح
وجاد ثرى تاج المعارف ديمة * تغص بها تلك الربا والاباطح
الى تشعيب بن الحسين قلوبنا * نوازع لكن الجسوم نوازح
سعيت فما قصرت عن نيل غاية * فسعيك مشكور وتجرك رابح
نسيت وما انسى الوريط ووقفة * انافح فيها روضه وافاوح
مطلا على ذاك الغدير وقد بدت * لانسان عينى من صفاه صفائح
أماؤك أم دمعى عشية صدقت * علية فينا ما يقول المكاشح
ائن كنت ملآنا بدمعى طافحا * فانى سكران بحبك طافح
وان كان مهرى فى تلاعك سائحا * فذاك غزالى فى عبابك سابح
فراح أتى ينصب من رأس شاهق * بمثل حلاه تسمح القرائح
أرق من الشوق الذى أنا كاتم * وأصفى من الدمع الذى أنا سافح
أماوهوى من لا أسميه انى * لعرضى كما قال النصيح لناصح
أبعد صباحى واعتكافى وخلوتى * يقال فلان ضيق الصدر بائح
ابعث رشادى فيه بالغى ضلة * وكم صالح مثلى غدا وهو طالح
وأى مقام ليس لى فيه حاسد * وأى مقال ليس لى فيه مادح
ألا قل لفرسان البلاغة أسرجوا * فقد جاءكم منى المكافى المكافح
أيخمل ذكرى عندهم وهو نابه * ويغمط شعرى عندهم وهو شائح
بدور اذا جن الظلام كوامل * وأسد اذا لاح الصباح كوالح
تركت سوق الهزل عن تهاون * وكيف وظبيى سانح فيك بارح
وانى وقلبى فى ولائك طامع * وناظر وهمى فى سماطك طامح
أيا أهل ودّى والعشير مؤمن * أتقضى ديونى أم غريمى فالح
وهل ذلك الظبى النصاحى للذى * يقطع من قلبى بعينيه ناصح
كنيت بها عنه حياء وحشمة * ووجه اعتذارى فى القضية واضح

وتلمسان هذه هى مدينتنا التى علقت بها التمائم وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبى بكر المقرى بن على صاحب الشيخ أبى مدين الذى دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو الاب الخامس كما سبق فى ترجمة أخبارهم وهى من أحسن مدائن المغرب ماء وهواء حسبما قال ابن مرزوق (يكفيك منها ماؤها وهواؤها) وقال الكاتب أبو زكريا يحيى

ابن خلدون فى كتابه بغية الرواد فى أخبار بنى عبد الواد وأيام أبى حمو الشامخة الاطواد بعد كلام فى شأن البربر ما صورته ودار ملكهم وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع وسن ومعناه اثنان أى الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الابلى رحمه الله تعالى وكان حافظا بلسان القوم ويقال تلشان وهو أيضا مركب من تلم ومعناه لها وشان أى لها شان وهى مدينة عريقة فى التمدن لدنة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت اقتعدت بسفح جبل ودوين رأسه بسيط أطول من شرق الى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين ويطل منها على فحص أفيح معد للفلاحة تشق ظهوره الاسلحة عن مثل أسنمة المهارى وتبقر فى بطونه عند تدميث الغمائم عن مثل بطون العذارى وبها للملك قصور وزاهرات اشتملت على المصانع الفائقه والصروح الشاهقه والبساتين الرائقه مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه فأزرى بالخورنق وأخجل الرصافة وعبث بالسدير وتنصب اليها من على أنهار من ماء غير آسن تجاذبه أيدى المذانب والاسرابه المكفورة خلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات فيفعم الصهاريج ويفهق الحياض ويسقى ربعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب فهى التى سحرت الالباب رواء وأصبت النهى جمالا ووجد المادحون فيها المقال فأطالوا وأطابوا الى أن قال فأنا أنشد ساكنها قول ابن خفاجة لاستحقاقها اياه عندى

ما جنة الخلد الا فى منازلكم * وهذه كنت لو خيرت اختار
لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

وتوسطت قطرا ذا كور عديدة تعمرها أمشاج البربر والعرب مريعة الجنبات منجبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الاصابة فربما انتهت فى الزوج الواحد منها الى أربعمائة مدكبير ثم أطال فى ذلك ابن خلدون المذكور بما يوقف عليه فى الكتاب المذكور * ومما ينسب للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى وصفها ما صورته تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت فى موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه عبادها يدها وكهفها كفها وزينتها زيانها وعينها أعيانها هواها المقصور بها فريد وهواؤها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد حجبتها أيدى القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب خزانة زرع ومسرح ضرع فواكهها عديدة الانواع ومتاجرها فريدة الانتفاع وبرانسها رقاق رفاع الا انها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك ومن أجل جمعها الصيد فى جوف الفرا مغلوبة للامرا أهلها ليست عندهم الراحه الا فيما قبضت عليه الراحه ولا فلاحه الا لمن أقام رسم الفلاحه ليس بها لسع العقارب الا فيما بين الاقارب ولا شطاره الا فيمن ارتكب الخطاره انتهى * وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع فى شانها كتابا ممتعا أسميه بأنواء نيسان فى أنباء تلمسان وكتبت بعضه ثم حالت بينى وبين ذلك العزم الاقدار وارتحلت منها الى حضرة فاس حيث ملك الاشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور

الامامة والفتوى والخطابة وغيرها ثم ارتحلت بنية الحجاز وجعلت الى الحقيقة المجاز
وها أنا ذا الى الآن فى البلاد المصرية وفى علم الله تعالى ما لا نعلم والتسليم لاحكام الاقدار
أسلم والله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم وبها ولدت أنا
وأبى وجدى وجد جدى وقرأت بها ونشأت الى أن ارتحلت عنها فى زمن الشبيبة الى
مدينة فاس سنة تسع وألف ثم رجعت اليها آخر عام عشرة وألف ثم عاودت الرجوع الى
فاس سنة ثلاث عشرة وألف الى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة سبع
وعشرين وألف ودخلت مصر برجب من عام ثمانية وعشرين وألف والشام بشعبان عام
سبعة وثلاثين وألف وأبت منها الى مصر أواخر شوّال من العام وشرعت فى هذا المؤلف
بالقعدة من العام وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط ويكفيها افتخارا
دفن ولى الله سيدى أبى مدين بها وهو شعيب بن الحسين الاندلسى شيخ المشايخ وسيد
العارفين وقدوة السالكين قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن التلمسانى فى كتابه النجم الثاقب
فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان الشيخ سيدى أبو مدين فردا من أفراد الرجال
وصدرا من صدور الاولياء الابدال جمع الله له علم الشريعة والحقيقة وأقامه ركن
الوجود هاديا وداعيا للحق فقصد بالزيارة من جميع الاقطار واشتهر بشيخ المشايخ وذكر
التادلى وغيره أنه خرج على يده ألف شيخ من الاولياء أولى الكرامات وقال أبو الصبر
كبير مشايخ وقته كان أبو مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى خاض بحار الاحوال ونال
أسرار المعارف خصوصا مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره قال التادلى كان
مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه الى الله تعالى حتى ختم له بذلك أخبرنى
من شهد وفاته أنه رآه فى آخر الرمق يقول الله الحق وكان من أعلام العلماء وحفاظ
الحديث خصوصا جامع الترمذى وكان يقوم عليه ورواه عن شيوخه عن أبى ذر وكان
يلازم كتاب الاحياء ويعكف عليه وترد عليه الفتاوى فى مذهب مالك فيجيب عنها فى الوقت
وله مجلس وعظ يتكلم فيه فيجتمع عليه الناس من كل جهة وتمر به الطيور وهو يتكلم
فتقف تسمع وربما مات بعضها وكثيرا ما يموت بمجلسه أصحاب الحب وتخرج عليه جماعة
كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الاحوال وكان شيخه أبو يعزى يثنى عليه جميلا ويخصه
بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل قرأ بفاس بعد قدومه من الاندلس على الشيخ الحافظ أبى
الحسن بن حرزهم وعلى الفقيه الحافظ العلامة أبى الحسن بن غالب وذكر عنه انه قال
كنت فى أول أمرى وقراءتى على الشيوخ اذا سمعت تفسير آية أو معنى حديث قنعت به
وانصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذه مأوى للعمل بما فتح به علىّ فاذا خلوت به تأتينى
غزالة تأوى الىّ وتؤنسنى وكنت أمر فى طريقى بكلاب القرى المتصلة بفاس فيدورون
حولى ويبصبصون لى فبينما أنا يوما بفاس اذا برجل من معارفى بالاندلس سلم علىّ فقلت
وجبت ضيافته فبعت ثوبا بعشرة دراهم فطلبت الرجل لادفعها له فلم أجده فحملتها
معى وخرجت لخلوتى على عادتى فمررت بقريتى فتعرض لى الكلاب ومنعونى الجواز حتى
خرج من القرية من حال بينى وبينهم ولما وصلت لخلوتى جاءتنى الغزالة على عادتها فلما

ثم تبعتني نفرت عني وانكرت علي فقلت ما أوتي على الامن أجل هذه الدراهم التي معي فرميتها فسكنت الغزالة وعادت لحالها معي ولما رجعت افاس جعلت الدراهم معي ولقيت الاندلسي فدفعتها اليه ثم مررت بالقرية في خروجي للخلوة فدار بي كلابها وبصبصوا على عادتهم وجاءتني الغزالة فشمتني من مفرق اقدمي وأنست بي كعادتها وبقيت كذلك مدة وأخبار سيدي أبي يعزى ترد علي وكراماته يتداولها الناس وتنقل الي فملأ قلبي حبه فقصدته مع جماعة الفقراء فلما وصلنا اليه أقبل على الجماعة دوني واذا حضر الطعام منعني من الاكل معهم وبقيت كذلك ثلاثة أيام فاجهدني الجوع وتحيرت من خواطر ترد علي ثم قلت في نفسي اذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في المكان فقام ومرغت وجهي فقمت وأنا لا أبصر شيأ وبقيت طول ليلتي باكيا فلما أصبح دعاني وقربني فقلت له ياسيدي قد عميت ولا أبصر شيأ فسح بيده على عيني فعاد بصري ثم مسح على صدري فزالت عني تلك الخواطر وفقدت ألم الجوع وشاهدت في الوقت عجائب من بركاته ثم استأذنته في الانصراف بنية أداء الفريضة فأذن لي وقال ستلقى في طريقك الاسد فلا يرعك فان غلب خوفه عليك فقل له بحرمة يلنور الا انصرفت عني فكان الامر كما قال فتوجه الشيخ أبو مدين للشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والاولياء وتعرف في عرفة بالشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث وألبسه خرقة الصوفية وأودعه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الاكابر وعن بعض الاولياء قال رأيت في النوم قائلا يقول قل لابي مدين بث العلم ولا تبال ترتع غدا مع العوالي فانك في مقام آدم أبي الذراري فقصصتها عليه فقال لي عزمت على الخروج للجبال والفيافي حتى أبعد عن العمران ورؤياك هذه تعدل بي عن هذا العزم وتأمرني بالجلوس فقولك ترتع غدا مع العوالي اشارة لحديث حلق الذكر مراتع أهل الجنة والعوالي أصحاب عليين ومعنى قوله أبي الذراري ان آدم أعطى قوة على النكاح وأمر به ولم يجعل له قوة على كون ذريته مطيعين مؤمنين وكذا نحن أعطانا الله العلم وأمرنا ببثه وتعليمه ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين وكان يقول كرامات الاولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وطريقنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي بالسند الى رب العزة جل جلاله وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال سمعت سيدي أبا مدين يقول أوقفني ربي عز وجل بين يديه وقال لي ياشعيب ماذا عن يمينك قلت يارب عطاؤك قال وعن شمالك قلت يارب قضاؤك فقال ياشعيب قد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك وعن سيدي أبي العباس المرسي جلت في ملكوت الله تعالى فرأيت سيدي أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو يومئذ أشقر أزرق فقلت له وما علومك وما مقامك فقال علومي أحد وسبعون علما وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الابدال وسئل رضي الله عنه عما خصه الله تعالى به فقال مقامي العبودية وعلومي الالوهية وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية

ملأت علومه سرى وجهرى وأضاء بنوره برى وبحرى فالمقرب من كان به عليما ولا يسمو الامر أو في قلبا سليما الذي يسلم مما سواه ولا يكون في الوعاء الا ما جعل فيه مولاه فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وسئل عن الحياء فقال أوله دوام الذكر وأوسطه الاثر بالمذكور وأعلاه أن لا ترى شيأ سواه واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولي أم نبي فرآى رجل صالح منهم معروف بالولاية النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال صلى الله عليه وسلم الخضر نبي وأبو مدين ولي وذكر الشاذلي وغيره أن رجلا جاء ليعترض عليه فجلس في الحلقة فأخذ صاحب الدولة في القراءة فقال له أبو مدين أمهل قليلا ثم التفت للرجل وقال له لم جئت فقال لاقتبس من نورك فقال له ما الذي في كمك فقال له مصحف فقال له افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر فاذا فيه الذين كذبوا شعيبا الى الخاسرين فقال له أبو مدين أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله وذكر صاحب الروض عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال مر شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب فرآى أسدا افترس حمارا وهو يأكله وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الاسد وقال لصاحب الحمار أمسك الاسد واذهب به واستعمله في الخدمة موضع حمارك فقال له يا سيدي أخاف منه فقال لا تخف لا يستطيع أن يؤذيك فمر الرجل يقوده والناس ينظرون اليه فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الاسد للشيخ وقال له يا سيدي هذا الاسد يتبعني حيث ذهبت وأنا شديد الخوف منه لا طاقة لي بعشرته فقال الشيخ للاسد اذهب ولا تعد ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم (ومن مشهور كراماته) أنه كان ماشيا يوما على ساحل فأسره العدو وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين فلما استقر في السفينة توقفت عن السير ولم تتحرك من مكانها مع قوة الريح ومساعدتها وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير فقال بعضهم أنزلوا هذا المسلم فانه قسيس ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى وأشاروا له بالنزول فقال لا أفعل الا ان أطلقتم جميع من في السفينة من الاسارى فعلموا أن لا بد لهم من ذلك فأنزلوهم كلهم وسارت السفينة في الحال (ومن كراماته) أنه لما اختلف طلبة بجاية في حديث اذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة وأشكل عليهم ظاهره اذ يموت مؤمنين يستحقان كل الجنة فجاؤا اليه وهو يتكلم على رسالة القشيري فكاشفهم في الحال بلا سؤال وقال لهم المراد أنه يعطى نصف جنته هو فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ثم النصف الآخر يوم القيامة وكان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل وذكر تلميذه الصالح سيدي عبد الخالق التونسي عنه أنه قال سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء وكان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به وطال علي الليل في انتظاره فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فاذا هو الذي يسألني فقلت له أنت موسى الطيار فقال نعم ثم سألني وانصرف ثم جاءني مع رجل آخر فقال لي صلينا الصبح ببغداد وقدمنا

بمكة فوجدناهم فى صلاة الصبح فأعدناها معهم وجلسنا حتى صلينا الظهر وأتينا القدس فوجدناهم فى الظهر فقال لى صاحبى هذا نعيد معهم فقلت لا فقال لى ولم أعدنا الصبح بمكة فقلت له كذلك كان شيخى يفعل وبه أمرنا فاختلفنا وأتينا الشيخ للجواب فقال أبو مدين فقلت لهم أما اعادة الصبح بمكة فلانها بها عين اليقين وببغداد علم اليقين وعين اليقين أولى من علم اليقين وصلاة تم الظهر بمكة وهى أم القرى فلذلك لا تعاد فى غيرها قال فقنعا به وانصرفا وكان استوطن بجاية ويقول انها معينة على طلب الحلال ولم يزل بها يزداد حاله على مر الليالى رفعة ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق ويخبر بالوقائع والغيوب الى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور وقال له انا نخاف منه على دولتكم فان له شبها بالامام المهدى وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع فى قلبه وأهمه شأنه فبعث اليه فى القدوم عليه ليختبره وكتب لصاحب بجاية بالوصية به والاعتناء وأن يحمل خير محمل فلما أخذ فى السفر شق على أصحابه وتغيروا وتكلموا فسكتهم وقال لهم ان منيتى قربت ولغير هذا المكان قدرت ولا بد لى منه وأنا شيخ كبير ضعيف لا قدرة لى على الحركة فبعث الله تعالى من يحملنى اليه برفق ويسوقنى اليه أحسن سوق وأنا لا أرى السلطان ولا يرانى فطابت نفوسهم وذهب بؤسهم وعلموا انه من كراماته فارتحلوا به على أحسن حال حتى وطؤا به حوز تلمسان فبدت له رابطة العباد فقال لاصحابه ما أصلحه للرقاد غرض مرض موته فلما وصل وادى يسر اشتد به المرض ونزلوا به هنالك فكان آخر كلامه الله الحق وتوفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فحمل الى العباد مدفن الاولياء الاوتاد وسمع أهل تلمسان بجنازته فكانت من المشاهد العظيمة والمحافل الكريمة وفى ذلك اليوم تاب الشيخ أبو على عمر الحبالك وعاجل الله تعالى السلطان فمات بعده بسنة أو أقل ونقل المعتنون بأخباره أن الدعاء عند قبره مستجاب وجربه جماعة وقد زرته مرتين من المرات ودعوت الله تعالى عنده بما أرجو قبوله وقد أطال فى ترجمته التادلى فى كتابه التشوف لرجال التصوف وقد أفردها ابن الخطيب القسمطينى بتأليف سماه أنس الفقير ومن كلامه من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم ومن اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذل ومن لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب وقوله بفساد العامة تظهر ولاة الجور وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفتانون وقوله من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه ومن خدم الصالحين ارتفع ومن حرمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمقت من خلقه وانكسار العاصى خير من صولة المطيع وقوله من علامة الاخلاص أن يغيب عنك الخلق فى مشاهدة الحق وسئل عن المحو والشيخ فقال المحو من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالاحترام والتعظيم والشيخ من هذبك بأخلاقه وأيدك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الى غير ذلك من كلامه النير وهو بحر لا ساحل له وله نظم كثير مشهور بأيدى الناس ومما نسب له قوله

بكت السحاب فأضحكت لبكائها * زهر الرياض وفاضت الانهار
وقد أقبلت شمس النهار بحلة * خضرا وفى أسرارها أسرار

وأتى الربيع بخيله وجنوده * فتمتعت فى حسنه الابصار
والورد نادى بالورود الى الجنى * فتسابق الاطيار والاشجار
والكاس ترقص والعقار تشعشعت * والجو يضحك والحبيب يزار
والعود للغيد الحسان مجاوب * والطار أخفى صوته المزمار
لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا * مزمارنا التسبيح والاذكار
وشرابنا من لطفه وغناؤنا * نعم الحبيب الواحد القهار
والعود عادات الجميل وكاسنا * كاس الكياسة والعقار وقار
فتألفوا وتطيبوا واستغنموا * قبل الممات فدهركم غدار
والله أرحم بالفقير اذا أتى * من والديه فانه غفار
ثم الصلاة على الشفيع المصطفى * مارنت بالغاتها الاطيار

وانما ذكرت ترجمة سيدى الشيخ أبى مدين للتبرك به ولكونه شيخ جدى فأنا فى بركته لقول جدى انه دعا له ولذريته بما ظهر قبوله ولانا ذكرنا فى هذا التأليف كثيرا من أبناء أبناء الدنيا فاردنا كفارة ذلك بذكر الصالحين والله الموفق بمنه وكرمه آمين

(الباب السابع)

فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المستفيدين أنواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراجه الوهاج

اعلم أن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون الا انه لم يرزق السعادة فى كثير منهم بل بارزوه بالعداوة وأجمعوا فى ايصال المكروه اليه (فمن أشهرهم) الوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك وارث مرتبته من بعده ومقتعد اريكة سعده وقد ألم به فى الاحاطة وكان اذ ذاك من جملة أتباعه اذ قال ما محصله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن زمرك أصله من شرقى الاندلس وسكن سلفه روض البيازين من غرناطة وبه ولد ونشأ وهو من مفاخره (حاله) هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الاندلس وأفراد نجبائها مختصر مقبول هش خلوب عذب الفكاهة حلو المجالسة حسن التوقيع خفيف الروح عظيم الانطباع شره المذاكرة فطن بالمعاريض حاضر الجواب شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه كثير الرقة فكه غزل مع حياء وحشمة جواد بما فى يده مشارك لاخوانه نشأ عفا طاهرا كلفا بالقراءة عظيم الدؤب ثاقب الذهن أصيل الحفظ ظاهر النبل بعيد مدى الادراك جيد الفهم فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خبره واضطلع بكثير من الاغراض وشارك فى كثير من الفنون وأصبح متلقف كرة البحث وصارخ الحلقة ومظنة الكمال ثم ترقى فى درجة المعرفة والاضطلاع وخاض لجة الحفظ وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ونصب نفسه للناس متكلما فوق الكرسى المنصوب وفوق المحفل المجموع مستظهرا بالفنون التى بعد فيها شأوه من العربية والبيان وما يقذف به فى لج النقل من الاخبار والتفسير متشوفا مع ذلك الى السلوك مصاحبا للصوفية آخذا نفسه بارتياض ومجاهدة ثم عانى الادب فكان أملك به

وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد يفترق الى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم ابراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف في بابه بالاجادة ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الامر بالاندلس واستقر بالمغرب أنس له وانقطع اليه وكرّ في صحبة ركابه الى استرجاع حقه فلطف منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة فاقره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة مضطلعا بالخطة خطا وانشاء ولسنا ونقدا لحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وأرضى للسلطان حمله وامتد في ميدان النظم والنثر باعه فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الاجادة وهو بحاله الموصوفة الى هذا العهد اعانه الله تعالى و تدده (شيوخه) قرأ العربية على الاستاذ رحلة المغرب في فنها أبي عبد الله بن الفخار ثم على القاضي الشريف امام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني والفقه والعربية على الاستاذ المفتي أبي سعيد بن لب واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدّث أبي عبد الله ابن مرزوق فأخذ عنه كثيرا من الرواية وأتى القاضي الحافظ أبا عبد الله المقري عند ما قدم من الاندلس وذاكره وقرأ الاصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي ويروي عن جماعة منهم القاضي أبو البركات بن الحاج والمحدث أبو الحسن بن التلمساني والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي والمقرى أبو عبد الله بن بيبش وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني واختص به اختصاصا لم يخل فيه من استفادة مران وحنكة في الصنعة (شعره) وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ما خاطبني به وهو من أول ما نظمه قصيدة مطلعها أما وانصداع النور من مطلع الفجر وهي طويلة ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس واشتهرت بالاحسان اشتهار الزهد بأويس ولم يحل بمجاريه ومباريه الابو يح وويس قوله في اعذار الامير ولد سلطانه المنوه بمكانه وهي من الكلام الذي عنيت الاجادة بتذهيبه وتهذيبه وناسب الحسن بن مديحه ونسيبه

قوله بيبش في نسخة بيش اه

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا * وأن يشغل اللوّام بالعذل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي * ويقضي عليّ الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صبوة * رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب اذا ما البرق أومض موهنا * قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلي اني يوم طارقة النوى * شهدت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم النفر يا أمّ مالك * تخلفت قلبي في حبالك عانيا
وذي أشر عذب الثنايا مخصر * يسقى به ماء النعيم الاقاحيا
أحوم عليه ما دجا الليل ساهرا * وأصبح دون الورد ظمآن صاديا
يذهّي ظلام الليل ما بين أضلعي * اذا البارق النجدي وهنا بدا ليا

أجبرتنا بالرمل والرمل منزل * مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
ولم أرربعا منه أقضى لبانة * وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
سقت طله الغرّ الغوادى ونظمت * من القطر فى جيد الغصون لآليا
أبثكم انى على النأى حافظ * ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم والحرّ أوفى بعهده * ولن يعدم الاحسان والخير جازيا
هل الودّ الاما تحاماه كاشح * واخفق فى مسعاه من جاء واشيا
تاوبنى والليل يذكى عيونه * ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا
وقد مثلت زهر النجوم بأفقه * حبابا على نهر المجرّة طافيا
خيال على بعد المزار ألمّ بى * فاذكرنى من لم أكن عنه ساليا
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى * ولم يبق منى السقم والشوق باقيا
رفعت له نار الصبابة فاهتدى * وخاض لها عرض الدجنة ساريا
ومما أجدّ الوجد سرب على النقا * سوانح يصقلن الطلا والتراقيا
نزعن عن الالحاظ كل مسدّد * فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
ولما تراءى السرب قلت لصاحبى * وأيقنت أن الحب ماعشت دائيا
حذارك من سقم الجفون فانه * سيعدى بما يعيى الطبيب المداويا
وان أمير المسلمين محمدا * ليعدى نداه الساريات الهواميا
تضىء النجوم الزاهرات خلاله * وينفث فى روع الزمان المعاليا
معال اذا ما النجم صوّب طالبا * مبالغها فى العز حلق وانيا
يسابق علوىّ الرياح الى الندى * ويفضح جدوى راحتيه الغواديا
ويغضى عن العوراء اغضاء قادر * ويرجح فى الحلم الجبال الرواسيا
همام يروع الاسد فى حومة الوغى * كما راعت الاسد الظباء الجواريا
مناقب تسمو للفخار كأنما * تجارى الى المجد النجوم الجواريا
اذا استبق الاملاك يوما لغاية * أبيت وذاك المجد الا التناهيا
بهرت فأخفيت الملوك وذكرها * ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا
جلوت ظلام الظلم من كل معتد * ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
هديت سبيل الله من ضلّ رشده * فلازلت مهديا اليه وهاديا
أفدت ونجى الملك مما أفدته * وطوّقت أشراف الملوك الاياديا
وقد عرفت منها مرين سوابقا * تقرّلها بالفضل أخرى اللياليا
وكان أبو زيان جيدا معطلا * فزينته حتى اغتدى بك حاليا
لك الخير لم تقصد بما قد أفدته * جزاء ولكن همة هى ماهيا
فما تكبر الاملاك غيرك آمرا * ولا ترهب الاشراف غيرك ناهيا
ولا تشتكى الايام من داء فتنة * فقد عرفت منك الطبيب المداويا
وأبد لسا أوليت ما أنت أهله * وأوردتها وردا من الامن صافيا

تلافيت هذا الثغر وهو عـلى شفى * وأصبحت من داء الحوادث شافيا
ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها * وحاموا على ورد الاماني صواديا
فباتوا أمـــلون العيش الا تعللا * ولا يعرفون الامن الا أمانيا
عطفت عـلى الايام عطفة راحم * وألبستها ثوب امتنانك ضافيا
فآنس من تلقائك الملك رشـده * ونال بك الاسلام ما كان راجيا
وقفت عـلى الاسلام نفسا كريمة * تصدّ عـدوّا عن حماه وعاديا
فرأى كما انشق الصباح وعزمة * كما صقل القين الحسام اليمانيا
وكانت رماح الخط خمصا ذوابلا * فانهلت منها في الدماء صواديا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا * فأصدرته في الروع أحمر قانيا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه * ويلفى اذا تنبو الصوارم ماضيا
اذا أنت لم تفخر بما أنت أهـله * فما الصبح وضاح المشارق عاليا
ويهنيك دون العيد عيد شرعته * نبث به في الخافقين التهانيا
أقمت به من فطرة الدين سنة * وجددته من رسم الهداية عافيا
صنيع تولى الله تشييد فخره * وكان لما أوليت فيه مجازيا
تودّ النجوم الزهر لو مثلت به * وقضت من الزلفى اليك الامانيا
ومازال وجه اليوم بالشمس مشرقا * سرورا به والليل بالشهب حاليا
على مثله فليعقد الفخر تاجه * ويسمو به فوق النجوم مراقيا
به تغمر الانواء كل مفوّه * ويحدو به من كان بالقفر ساريا
ويوسف فيه بالجمال مقنع * كأن له من كل قلب مناجيا
واقبل ما شاب الحياء مهابة * بقلب وجه البدر أزهر باهيا
وأقدم لا هيابة الحفل واجما * ولا قاصرا فيه الخطا متوانيا
شمائل فيه من أبيه وجده * ترى العز فيها ماسكا وباديا
فيا علقا أشجى القلوب لو أننا * فديناك بالاعلاق ما كنت غاليا
جريت فأجريت الدموع تعطفا * وأطلعت فيها للسرور فواشيا
وكم من ولي دون بابك مخلص * يفديه بالنفس النفيسة واقيا
وصيد من الحيين أبناء قيلة * تكف الاعادي أو تبيد الاعاديا
بها البيل غران أعـدوا الغارة * أعادوا صباح الحي أظلم داجيا
فوالله لولا أن توخيت سنة * رضيت بها أن كان ربك راضيا
لكان بها للاعوجيات جولة * تشيب من الغلب الشباب النواصيا
وتترك أوصال الوشيج مقصدا * وبيض الظبا حمر المتون دواميا
ولما قضى من سنة الله ماقضى * وقد حسدت منه النجوم المساعيا
أفضنا نهنى منك أكرم منعم * أبى لعميم الجود الا تواليا
فيهنى صفاح الهند والبأس والندى * وسمر العوالي والعتاق المذاكيا

ويهنى البنود الخافقات فانها * سيعقدها فى ذمة النصر غازيا
كأنى به قد توج الملك يافعا * وجمع أشتات المكارم ناشيا
وقضى حقوق الفخر فى منعة الصبا * وأحسن من دين الكمال التقاضيا
وماهو الا السعد ان رمت مطلعا * وسددت سهما كان ربك راميا
فلازلت بالخير الخلافة كافلا * ولازلت بالخير الائمة كافيا
ودمت قرير العين منه بغبطة * وكان له رب البرية واقيا
نظمت له حرّ الكلام تمائما * جعلت مكان الدرّ فيها القوافيا
لا كل بها تأى المسالك نفاسة * وجلت لعمرى أن تكون لا ٓليا
أرى المال برميه الجديدان بالبلى * وما ان أرى الا المحامد باقيا

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الاحابيش بهدية من ملك السودان ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض فقال وهى من بدائعه

لولا تألق بارق التذكار * ماصاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرض خافقا * قدحت يد الاشواق زند أوارى
وعلى المشوق اذا تذكر معهدا * أن يغرى الاجفان باستعبار
أمذكرى غرناطة حلت بها * أيدى السحاب أزرة النوّار
كيف التخلص للحديث وبيننا * عرض الفلاة وطافح زخار
هذا على أن التغرب مركبى * ونوّلج القيح الفساح شعارى
فلكم أقمت غداة زمت عيسهم * أبغى القرار ولات حين قرار
وطفقت أستقرى المنازل بعدهم * يمحو البكاء مواقع الا ٓثار *
انا بنى الا ٓمال تخدعنا المنى * فنخادع الا ٓمال بالتسيار
نتجشم الاهوال فى طلب العلا * ونروع سرب النوم بالافكار
لا يحرز المجد الخطير سوى امرئ * يعطى العزائم صهوة الاخطار
اما بفاخر بالعتاد فخره * بالمشرفية والقنا الخطار
مستنصر مرمى العواقب واصل * فى حله الايراد بالاصدار
فأشد ما قاد الجهول الى الردى * عمه البصائر لا عمى الابصار
ولرب مربد الجوانح مزبد * سبح الهلال بلجه الزخار
فتقت كمائم جنحه عن أنجم * سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطى المجرة نرجسا * تصطف منه على خليج جار
وكأنما بدر التمام بجنحه * وجه الامام بجحفل جرار
وكأنما خمس الثريا راحة * ذرعت مسير الليل بالاشبار
أسرجت من عزمى مصابيحا بها * تهدى السراة لها من الاقطار
وارتاع من بازى الصباح غرابه * لما أطل فطار كل مطار

ومنها

وغريبة قطعت اليك على الونى * بيدا تبيد بها هموم السارى
تنسيه طيته التى قد أمها * والركب فيها ميت الاخبار
يقتادها من كل مشتمل الدجى * وكأنما عيناه جذوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها * يتعالون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير ابلهم * منه نسيم ثنائك المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت * منها خلوص البدر بعد سرار
سلبت بسعدك من غوائل مثلها * وكفى بسعدك حاميا لذمار
وأتتك يا ملك الزمان غريبة * قيد النواظر نزهة الابصار
موشية الاعطاف رائقة الحلى * رقمت بدائعها يد الاقدار
راق العيون أديمها فكأنه * روض تفتح عن شقيق بهار
ما بين مبيض وأصفر فاقع * سال اللجين به خلال نضار
يحكى حدائق نرجس فى شاهق * تنساب فيه أراقم الانهار
تحدو قوائم كالجذوع وفوقها * جبل أشم بسوره متوار
وسمت بجيد مثل جذع مائل * سهل التعطف لين خوار
تستشرف الجدرات منه ترائبا * فكأنما هو قائم بمنار
تاهت بكلكلها واتلع جيدها * ومشى بها الاعجاب مشى وقار
خرجوا اليها الجم الغفير وكلهم * متعجب من لطف صنع البارى
كل يقول لصحبه قوموا انظروا * كيف الجبال تقاد بالاسيار
ألقت ببابك رحلها واطالما * ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الارض أنك فخرها * فتسابقت لرضاك فى مضمار
يتبوؤن بهوان بعد المدى * من جاهك الاعلى أعز جوار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بأعياد الفتوح مخولا * ماشئت من نصر ومن أنصار
واليكها من روض فكرى نفحة * شف الثناء بها على الازهار
فى فصل منطقها وراثق رسمها * مستمتع الاسماع والابصار
وتقبل من أصفى لها فكأننى * عاطيته منها كؤس عقار

وانشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى

تأمل اطلال الهوى فتألما * وسيم الجوى والسقم منها تعلما
أخو زفرة هاجت له منه ذكرة * فأنجد فى شعب الغرام وأتهما

وسرد لسان الدين هذه القصيدة بطولها وهى تقارب التسعين بيتا ثم قال ما نصه وأنشد السلطان فى وجهة للصيد أعملها وأطلق أعنة الجياد فى ميادين ذلك الطراد وأرسلها قوله

حياك يادار الهوى من دار * نوء السماك بديمة مدرار
وأعاد وجه رباك طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
أمذكرى دار الصبابة والهوى * حيث الشباب يرف غصن نضار
عاطيتنى عنها الحديث كأنما * عاطيتنى عنها كؤس عقار
ايه وان أذكيت نار صبابتى * وقدحت زند الشوق بالتذكار
يازاجر الاظعان وهى مشوقة * أشبهتها فى زفرة وأوار
حنت الى نجد وليست دارها * وصبت الى هندية والقار
شاقت به برق الحمى واعتادها * طيف الكرى بمزارها المزوار
هل تبلغ الحاجات ان حملتها * ان الوفاء سجية الاحرار
عرض بذكرى فى الخيام وقل اذا * جئت العقيق مبلغ الاوطار
عار بقومك ياابنة الحسين أن * تلوى الديون وأنت ذات يسار
أمنعت ميسور الكلام أخا الهوى * وبخلت حتى بالخيال السارى
وأبان جارى الدمع عذر سهامه * لكن أضعت له حقوق الجار
هذا وقومك ماعلمت خلالهم * أوفى الكرام بذمة وجوار
الله فى نفس شعاع كلما * هب النسيم تطير كل مطار
بالله ياماء منبع الصبا * أن لاتهب بعرفك المعطار
يابنت من نشدوا الحداة بذكره * متعللين به على الاكوار
ماذا سرت نسمة حاجر لو أنها * أهدت لنا خبرا من الاخبار
هل بانه من بعدنا متأود * متجاوب مترنم الاطيار
وهل الظباء الآنسات كعهدنا * يصرعن أسد الغاب وهى ضوارى
يفتكن من قاماتها ولحاظها * بالمشرفية والقنا الخطار
أشعرت قلبى حبهن صبابة * فرمينى من لوعتى بجمار
وعلى الكثيب سوانح حمر الحلى * بيض الوجوه يصدن بالافكار
أدنى الحجيج جمارهن ثلاثة * بمنى لو آن منى بدار قرار
لكن يوم النفر جدن لنا بها * عودتنا من جفوة ونفار
ياابن الالى قد أحرزوا خصل العلا * وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم * وتنوب أوجههم عن الاقمار
من آل سعد رافعى علم الهدى * والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
وجه كما حسر الصباح نقابه * ويد تمد أناملا ببحار
جددت دون الدين عزمة أروع * جددت منها سنة الانصار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حامى الذمار
لله رحلتك التى نلنا بها * أجر الجهاد ونزهة الابصار

أوردتنا فيها بجودك موردا * مستعذب الايراد والاصدار
وأفضت فينا من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جئته * وخصصته بخصائص الايثار
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها * سنن القرى بسلالة الانوار
وسرت عقاب الجو تهديك الذى * تصطاد من وحش ومن أطيار
والارض تعلم أنك الغوث الذى * تضفى عليها واقى الاستار
ولرب ممتد الاباطح موحش * عالى الربا متباعد الاقطار
مجهول المسارح لا يراع قنيصه * الا لنبأة فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه وربما * ألقت بساحته عصا التسيار
والكونه والافق قد خلع الدجى * مسحا ليلبس حلة الاسفار
ويجري به نهر النهار كشل ما * سكب النديم سلافة من قار
عرضت به المستقرات كأنها * خيل عراب جلن فى مضمار
اتبعتها غرر الجياد كواكبا * تنقض رجما فى سماء غبار
والهاديات يؤمها حبل الشوى * يتدفق كتدفق التيار
أزجيتها شقراء رائقة الحلى * فرميته منها بشعلة نار
أثبت فيه الرمح ثم تركته * خضب الجوانح بالدم الموار
حامت عليه الذابلات كأنها * طير أوت منه الى أوكار
طفقت أرانبه غداة أثرتها * تبغى الفرار ولات حين فرار
هل ينفع الباع الطويل وقد غدت * يوم الطراد قصيرة الاعمار
من كل مجتفز بلمحة بارق * فاتت خطاه مدارك الابصار
وجوارح سبقت اليه طلابها * فكأنما طالبته بالثار
سود و بيض فى الطراد تتابعت * كالليل طارده بياض نهار
ترمى بها وهى الحنايا ضمرا * مثل السهام نزعن عن أوتار
ظنت بأن يحو لها كلا ولو * أغريته بأرانب الاقمار
وبكل فتخاء الجناح اذا ارتمت * فكأنها نجم السماء السارى
زجل الجناح مصفق لمن الردى * فى مخلب منه وفى منقار
أجلى الطريد من الوحوش وان رمى * طيرا أتاك به على مقدار
وأريتنا الكسب الذى اعداده * ملأت جمالا أعين النظار
بيض وصفر خلت مطرح سرحها * روضا تفتح عن شقيق بهار
من كل موشى الاديم مفوف * رقت بدائعه يد الاقدار
خلط البياض بصفرة فى لونه * فترى اللجين يشوب ذوب نضار
أو اشعل راق العيون كأنه * غلس تخالط سدفة بنهار
سرحت بمخضر الجوانب يانع * تنساب فيه أراقم الانهار

قد أرضعتني للمساويات لبانها * وحللن فيئة إزرة بالنوار
أخذت سعودك حذرها فلحكمة * أغرت جفون المزن باستعبار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد * لجبينك المتألق الانوار
نفثت عليك السحب نفثة معوذ * من عينها المتوقع الاضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بمقدمك السعيد مخولا * ماشئت من عز ومن انصار
قد جئت دارك محسنا ومؤملا * متعت بالحسنى وعقبى الدار
والكها من روض فكرى نفحة * شفت الثناء بها على الازهار

ومن شعره فى غير المطولات قوله

لقد زاد فى وجدا وأغرى بى الجوى * ذبالى بأذيال الظلام قد التفا
تشير وراء الليل منه بنانة * مخضبة والليل قد حجب الكفا
تلوح سنانا حين لاتنفح الصبا * وتبدى سوارا حين تثنى له العطفا
قطعت به ليلا يطارحنى الجوى * وآونة يبدو وآونة يخفى
اذا قلت لايبدو أشال لسانه * وان قلت لايخفى الضياء به كفا
الى ان أفاق الصبح من غمرة الدجى * وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يامصباح أشبهت مهجتى * وقد شفها من لوعة الحب ماشفا

ومما ثبت له صدر رسالة

أزور بقلبى معهد الانس والهوى * وأنهب من أيدى النسيم رسائلا
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى * يبادره دمعى مجيبا وسائلا
فياليت شعرى والامانى تعلل * أيرعى لى الحى الكرام الوسائلا
وهل جيرتى الاولى كما قد عهدتهم * يوالون بالاحسان من جاء سائلا

ومن ابياته الغراميات

فؤادى قد تملكه الغرام * ووجدى لايطاق ولايرام
ودمعى دونه صوب الغوادى * وشجوى فوق مايشكو الحمام
اذا ماالوجد لم يبرح فؤادى * على الدنيا وساكنها السلام

وفى غرض يظهر من الابيات

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف * قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر
فأبصرت اشباه الرياض محاسنا * وفى خده جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الحذر انما * به وصب من أسهم الغنج والحور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه * ومن شأنها تدمى من اللمح بالبصر
تخيل للعينين جرحا وانما * بدا كاف منه على صفحة القمر

ومما يرجع الى باب الفخر ولعمرى لقد صدق

ألا ئمة فى الجود والجود شيمة * جبلت على ايثارها يوم مولدى

ذريني فلو أني أخلد بالغنى * لكنت ضنينا بالذي ملكت يدي

وقال

لقد علم الله أني امرؤ * أجرّر ذيل العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه * وفازت قداحي بوصل الحبيب
وقيل رقيبك في غفلة * فقلت أخاف الاله الرقيب

وفي مدح كتاب الشفاء طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع في شرحه

ومسرى ركاب للصبا قد ونت به * نجائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق أيدي حداتها * فتنهل خوفا من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرسا * فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقي أجداثا بها وطراتحا * عياض الى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكي عليه يراعة * بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد في الدين قد سلفت له * يرضي رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه * فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى * فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها * وأسرار غيب واليراع تذيعها
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا * فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله ممن قد تصدى لشرحه * فلباه من غر المعاني مطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة * اذا كتم الادماج منه تشيعها
محاسن والاحسان يبدو خلالها * كما افتر عن زهر البطاح ربيعها
اذا ما أجلت العين فيها تخالها * نجوما بآفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذي صرى * وألفاظه در يروق نصيعها
رياض سقاها الفكر صوب ذكائه * فأخصب للوراد منها مريعها
تفجر عن عين اليقين زلالها * فلذ لارباب الخلوص شروعها
الا يا ابن جار الله يا ابن وليه * لانت اذا عد الكرام رفيعها
اذا ما أصول المرء طابت أرومة * فلا عجب ان أشبهتها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تنيلها * هدى ولاحداث الخطوب تروعها

(مولده) رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين في الاحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرك قلت ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى على هامش هذه الترجمة من الاحاطة كلاما في حق ابن زمرك رأيت أن أذكره بجملته الآن وان تقدم بعضه في هذا الكتاب فمن ذلك انه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته أتبعه الله تعالى خزيا وعامله بما يستحقه فهذا ترجمه والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه انتهى وكتب على قوله نشأ عفافا طاهرا الى آخره ما نصه هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب

ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أوجعه ضربا بنعات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأخناهم شكلا استعمله أبى فى الكتابة السلطانية بخنينا أيام تحول لنا من الاندلس منه كل شر وهو كان السبب فى قتل أبى مصنف هذا الكتاب الذى رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى وكتب على قول والده فترقى الى الكتابة الى آخره ماصورته على يد سيدى أبى عبد الله بن مرزوق ولا حول ولا قوة الا بالله اه وكتب على قوله (معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا) الى آخره مانصه هذه القصيدة نظم له مولاى الوالد تغمده الله تعالى برحمته منها النسيب كله وهكذا جرت عادته معه فى الامداح السلطانية حضرة المالك والله المطلع على ذلك قاله ابن المصنف على بن الخطيب انتهى وكتب على قوله (لولا تألق بارق التذكار) الى آخره ماصورته هذا الرجس للشيطان كثيرا ما ينظم فى هذا الوزن ويتبع حارة هذه الراء حتى لا يتركها جملة اذ الرجل ابن حار مكارى حداد فالنفس تميل بالطبع انتهى وكتب على قوله (حيا الله يا دار الهوى من دار) الى آخره ماصورته انظر الى كثرة تحريكه لحارة هذه الراء علقت له بها مالخوليا انتهى وكتب على قوله (وجوارح سبقت اليه طلابها) الى آخره ماصورته سرق طرديه ابراهيم بن خفاجة فانظرها تجده سرق المعانى والالفاظ مع أن والدى نظم له أكثرها على حسب عادته معه قاله على بن الخطيب انتهى وكتب على قوله يامصباح مانصه كان يحب صبيا اسمه مصباح وهو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة انتهى وكتب على قوله ألا ائمة فى الجود الى آخره ماصورته كذبت يانجس من أين الفخر لك وليتك لست والله من الجود فى شئ نعم سخنته عين الجود انتهى وكتب على قوله (لقد علم الله أنى امرؤ) الى آخره مامعناه لا والله فأنت مشهور بكذا وكذا فمن أين العفاف وأنت بالاندلس كذا وكذا الى أن قال واشبهم بيتا قاله مولاك الذى ربيت فى نعمته ونعمة الله على بن الخطيب بالقاهرة انتهى وقد نسبه الى مالا يليق فالله أعلم بحقيقة الامر وكتب غيره على قول ابن زمرك أزور بقلبى الابيات المتقدمة عند قوله سائلا فى موضعين هما من السؤال فحصل على الابطاء المذموم انتهى قلت أما ماذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله أعلم كان فى ابتداء أمره والا فقد جاء ابن زمرك فى آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التى لا تنكر كما سنذكره وأما كونه سعى فى قتل لسان الدين مع احسانه اليه فقد جوزى من جنس عمله وقتل بمرأى من أهله ومسمع وأزهقت معه روح ابنيه حسبما نذكره وهذا قصاص الدنيا وعفو الله تعالى فى الآخرة منتظر للجميع ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الاحمر فى مجلد ضخم رأيته بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته وعرف به فى أوله اذ قال مانصه أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى فى كل حال وشكره على ما أولى ويسر من صلاح الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانبياء وسيد الارسال والرضا عمن له من صحب وأنصار وآل فان من المعلوم أن الادب له بالنفس علاقة تؤديه الى الاستحسان وتؤثر من اشتهر به من الملاحظة بالحظ الحظ مع تعاقب الاحيان ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدس الغنى بالله تولاه الله

تعالى برضوانه كانت غررا في وجوه الايام ومواسم تجمع الطم والرم من الرؤساء الاعلام الآخذين بأعنة الكلام السابقين في حلبة النثار والنظام وان الفقيه الرئيس المدرك الناظم الناثر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك عفا الله تعالى عنه وحسبك بمن ارتضاه مولانا الجد رحمه الله تعالى لكتابته وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته وكان بذلك خليقا لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا وادراكا وبلاغة وفهما وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا وبيانا وتفسيرا ونظما وترسلا لما كان قد أخذت الايام سنا صبحه وخابت وسائل نجحه وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أي ذخر فقدوا ولا أي معلق عن تصريفاته الجليلة قيدوا مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم مجيبين بما ارتكبوه من جياد بغيهم جمعهم بلحظه بقل دامية وألفاظ دامية يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد فخر على الالوة لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل فما لله من أشلاء هنالك ضائعة وأعلاق غير مصونة ووسائل مخفورة وأذمة قطعت أرحامها ولم يرع ذمامها وعاثت الايدي الفاتكة حينئذ على بنيه وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه

هل كان الاحيا تحيا العباد به * هل كان الاقذى في عين ذي عور
ان قال قولا ترى الابصار خاشعة * لما يخبر من وحي ومن أثر
يالهف قلبي لو قد كنت حاضره * غداة جرعه أدهى من الصبر
لما تركت له شلوا بمضيعة * ولا تولى صريع الناب والظفر
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وان سأل سائل عن الخبر الذي ألمعنا بذكره وضمنا هذا البيت رزأ من فظيع أمره فذلك عندما نسب صاحب الامر اليه ما راب وتلاه وابنيه للجبين معفرين بالتراب وصدمه في جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ويتشفع بعظيم بركاته فأخذته السيوف وتعاورته الحتوف وأذهبه سلبا وتبيلا مصيرا مصرع منزله كثيبا مهيلا وكنا على بعد من هذه الآزفة التي أورثت القلوب نحنا طويلا وذكرنا بعناية مولانا الجد الغني بالله لجانبه أعظم ذكرا فأغرينا برثائه خلدا وفكرا وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الابيات اشارة مقنعه وكناية في السلوان مطمعه وأرضينا بالشفقة أوداءه وارغمنا بتأبينه أعداءه ولما تبلج الصبح لذي عينين وتلقينا راية الفرج باليمين عطفنا على أبنائه عواطف الشفقة وأطلقنا لهم ما عاثت الايدي عليه صلة لرحم طالما أضاء بها من جهل الاذمة وأخفر عهود تخدمه لمن سلف من الائمة وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا وجعلنا ضمن ما نثرته الحوادث من منظوماته من آكد أعمالنا وكان تعلق بحفوظنا جملة وافرة من كلامه مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه فأضفنا ذلك الى ما وقع عليه اجتهادنا من رقاعه الحائلة المنتهبة بأيدي النوائب الدائرة المستلبة بتعدي النواصب تخلص من الجلة قلائد عقيان وعقود در ومرجان ترتاح النفوس النفيسة لانشادها وتحضر الابصار والاسماع عند ايرادها الى ما يتخللها من تخليد ما أسلفنا

والاشارة بعظيم ملكنا فشمرعنا فى تقييد اوابدها الشارده ولحماية رسومها البائده
كلفا بالادب لوضوح فضله وتأدية لما يجب من رعاية أهله ولنبدأ بالتعريف بحال هذا
الرئيس المنبه عليه ونظهر ما كنا نضمره من الميل اليه فى كل ماله أوعليه فنقول هو
الفقيه الكاتب الفذ الاوحد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف
الصريحى ويعرف بابن زمرك أصله من شرق الاندلس وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة
وبها ولد فنشأ ضئيلا كالشهاب يتوقد مختصر الجرم والاعين باطالة قواضله تشهد
ومكتب الفئة القرانية بوثره بالجناب الممهد فاشتغل أول نشأته بطلب العلم والدؤب
على القراءة وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ولم يبلغ حد وجوب المفترضات الا وهو
متحمل الرواية وملتمس لفوائد الدرايه ومصابح كل يوم أعلام العلوم ومستمد
بمصابيح الحدود العلمية والرسوم فافتتح أبواب الكتب النحويه بالامام أبى عبد الله بن
الفخار الآية الكبرى فى فن العربيه وتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة أبى
القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ النحاة البلغاء بما أوجب رثاءه عند الوقوف
على ضريحه بالقصيدة الفريدة التى أولها (أغرى سراة الحى بالاطراق) واهتدى
فى طريق الخطبة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق الوافد على
مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة واليه جنح
واياه قصد عند تغربه الى المغرب فى دولة السلطان أبى سالم فتوجه بالعمامة التى ارتجل بين
يديه فيها

توجتنى بعمامه * توجت تاج الكرامه
فروض حمدك يزهى * منى بسجع الحمامه

وأخذ علم الاصلين عن الحافظ الناقد أبى على منصور الزواوى وبرع فى الادب أثناء
الانقطاع وأول الطلب لابى عبد الله بن الخطيب ولكن لم يحمد بينهما المآل واقتدى فى
العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلمسانى قدوة الزمان وحصلت له الاجازة والتحديث
بقاضى الجماعة وشيخ الجملة أبى البركات بن الحاج وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللوشى
وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدرى رضى الله تعالى عنه وعن جميعهم
وبواجب محافظتنا على عهودهم اذ نحن وردنا بالاجازة التامة عذب ورودهم وصل
سببنا بهم الكثير من شيوخنا مثل الامام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى ومعلمنا الثقة
المجتهد أبى عبد الله الشريشى والقاضى الامام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق وغيرهم
رحمة الله تعالى عليهم لذلك صار صدرا فى نوادى طلبة الاندلس وأفراد نجبائها فغاشاه
المحاضر يجده فى خصله ويلقاه من باهر فضله فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة ومحادثة
أريضة مزهرة وجوابا شافيا للمعضل وذهنا سابقا لايضاح المشكل مع انقياد الطبع
وارسال الدمعة فى سبيل الخشوع والرقة ورشح الجبين عند تلقى الموعظة وصون الوجه
بجلباب الحياء ومقابلة الناظر اليه بالاحتشام والمبادرة للاستدعاء على طهارة وبذل وسع
وكرم نفس لم يعهد أجمل مشاركة منه لاخوانه ولا أمتع منه بجاهه الى مبالغة فى

الهيئة والمبرة والايثار بما شح وجنوح الى حب الصالحين وذلك بالانضواء الى شيخ الفرقة الصوفية الولي أبي جعفر بن الزيات وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبي مهدي قدس الله تعالى مغناه وسواهما من أهل الاندلس والعدوة وحمله أشد الحمل على كل ملبس كابي زكريا البرغواطي وسواه ومن تدبيراته زعموا على أبي الحسن المحروق لما له عنه

ولدا الفقر والرباط ولكن * نفسه للملوك ذات افتقار

وخطب الادب يافعا وكهلا وحاز علمه ادراكا ونيلا ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله تعالى واجتاز الى المغرب كما تقرر في غير هذا كاف به وأنس اليه طلاوة منطق ورفع استيحاش ومراوضة خلق ثم كر في صحبة ركابه فعلت منزلته ولطف محله وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ويقول خدمته سبعا وثلاثين سنة ثلاثة بالمغرب وباقيها بالاندلس أنشدته فيها ستا وستين قصيدة في ستة وستين عيدا وكل ما في منازله السعيدة من القصر والرياض والدشار والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق في القباب والطاقات والطرز وغير ذلك فهو لي وكتبت أولا كله وأولا كل ابنه مولاي أبا الحجاج وهما كبيرا ملوك أهل الارض وهنأته بكذا وكذا قصيدة وفوض لي في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين وصلح النصارى عقدته تسع مرات أخمسة فوض الى ذلك قلت صدق في جميع ما ذكره والعقود بذلك شاهدة له وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره واستعمله بعد أعوام في السفارة بينه وبين ملوك عصره فحمد منابه ونمت أحواله ورغد جنابه وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده وتومي بما احتقبه من سوء مقاصده وماصرفه من قبيح أغراضه وهاجت الفتنة فكانت سفارته أعظم أسبابها وعند الاشد من عمره عرضت لافكاره تقلبات وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات واشعرته حدة ذهنه أن يخط في أثر الوقعات فقعد بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسي فنونا جمة وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلة فانحاز الى مادة أمم بمالقة طما منهم البحر وتراءى لابصارهم وبصائرهم الفخر وكان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه وما كان قيده وحصله أيام قراءته واقرائه فاذنت من بيان واعجاز قرآن وآيات توحيد واخلاص ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص يوم الاخذ بالنواص ومراعاة مع ما يلقيه ولي الامر وياشدة البلوى التي أذاقه مرها واعطاه الى طية الهلاك ظهرها وباقرب ما كان الفوت والحسام الصلت من متباعد هذه القرب التي ألغيت قلنا لقد جمح جواد القلم فأطلقنا ونحن نشير الى هذا الرئيس وتبدل طباعه بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعه واحراز شيم أدت الى علو مقداره واستقامة مداره فآل عمر مولانا جدنا الى النفاد ورمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد فظهر الخفي وسقط به الليل على سرحان وقد طالما جرب الوفي والصفي وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الامر من حجاب الدولة والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجبلة مع الاستغراق في غمار الفتن أندلسا وغربا ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصبا اما الجراءة فاقتضى سيوفها واما أكفاء السماء على الارض فقواصم نوع صنوفها وأما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض

صفو رفها وأما المجاملة فذكر معروفها أداه هذا النبأ العظيم الى سكنى المعتقل بقصبة المرية وعلى الاثر كان الفرج قريبا وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة لاسباب يطول شرحها أظهرها شراسة فى لسانه واعتراز بمكانه وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه فكالليدين والفم الى أن من الله تعالى بسراحه وأعاده الى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعمائة فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى وقيام أخينا محمد مقامه بالامر فاستمر الحال أياما قلائل وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ثم أعاد المذكور الى خطته وقد دمث بعض أخلاقه وخمدت شراسته وحلا بعض مذاقه فما كان الا كلا ولبت واذا به قد ساء مشهدا وغيبا وأوسع الضمائر شكا وريبا وغلبت الاحن عليه وغلت مراجلها لديه فصار يتقلب على جمر الغضى ويتبرم بالقضا ويظهر النصح وفى طيه التشفى ويسم نفسه بالاصلاح ويعلن بالخشوع ويشير بانه الناصح الامين ويتلو قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوبا لم يقترفوها ونسب اليهم نسبا من التضييع لم يعرفوها وانهم احتجبوا الاموال وأساؤا الاعمال والاقوال فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ولا حصل على تفاوت أعداده على حاصل هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية وعدم اضطلاعه بالامور الجبائية فمن نفس يروع سربها ويكدر بالامتحان والامتهان شربها ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت وطولبت بغير ما اكتسبت وتعدت الايدى الى أقوام جلة سعدوا بشقائه وامتحنوا وهم المبرؤن من تزويره واعتدائه وسيسألون يوم لا يغنى مال ولا بنون وصار يصرف اغراضه ويظهر أحقاده بين افصاح بما كان الاعجام خيرا من القائه وان عمر المسكين المستضعف لا حاجة فى طول بقائه الى مجاهرة عهد منه أيام شبيبته نقضها وانعكس فى شاخته تصريحها المنغص وتعريضها لا يريح نفسه من جهد ولا يقف من اللجاجة عند حد وقد كان ثقل سمعه فساءت اجابته وطغت أخلاقه فسئمت وساطته وربما استحلف فلم يكن بين اللازمة واللازمة الا الحنث عن قصد وغير قصد ودعا على نفسه وأبنائه بانجاز وعد وأن يقيض الله له ولهم قاتل عمد فسبحان القاهر فوق عباده الرحيم بهذا الشخص وبالاموات من شيعته وأولاده فاستمر على ذلك الى احدى الليالى فهلك فى جنح الليل فى جوف داره على يد مخدومه تلقاه زعموا عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع يديه فجدلته السيوف وتناولته الحتوف فقضى عليه وعلى من وجد من خدامه وابنيه كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته ولم يتقوا الله فيه حق تقاته فكانت أنكى الفجائع وافظع الوقائع وساءت القالة وعظم المصاب وكل شئ الى أجل نافذ وكتاب انتهى كلام ابن الاحمر فى مقدمة كتابه وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك وقتله على الوجه الذى يعلم منه أن ثار لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك بل قتلته أفظع من قتلة لسان الدين لان هذا قتل بين عياله واهله وقتل معه ابناه

ومن وجد من خدمه ولسان الدين رحمه الله تعالى خلق بمفرده وعند الله تجتمع الخصوم وهو العفو الغفور وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وسبعين وسبعمائة ولم أقف من أمره على غير ما تقدم ولا بأس أن نلم بشيء من نظمه البارع مما كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الاحمر المذكور وأوردت كثيرا منه في ازهار الرياض فمن ذلك قوله في ذكر غرناطة العليه وتهنئة سلطانه الغني بالله ببعض المواسم العيديه ووصف كرائم جياده وآثار ملكه وجهاده

يا من يحن الى نجد وناديها * غرناطة قد ثوت نجد بواديها
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها * عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت بوشاح النهر وابتسمت * أزهارها وهي حلي في تراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة * ترقرق الطل دمعا في مآقيها
وافتر ثغر اقاح من أزاهرها * مقبلا خد ورد من نواحيها
كأنما الزهر في حافاتها سحرا * دراهم والنسيم اللدن يجبيها
وانظر الى الدوح والانهار تكنفها * مثل الندامى سواقيها سواقيها
كم حولها من بدور تجتني زهرا * فتحسب الزهر قد قبلن أيديها
حصباؤها اللؤلؤ قد شف جوهرها * والنهر قد سال ذوبا من لآليها
نهر المجرة والزهر المطيف به * زهر النجوم اذا ما شئت تشبيها
يزيد حسنا على نهر المجرة قد * أغناه در حباب عن دراريها
يدعى المجرة رائيه وناظره * مسميات اباتها أساميها
ان المجاز مغانيه بأندلس * ألفاظها طابقت منها معانيها
فتلك نجد سقاها كل منسجم * من الغمام يحييها فيحييها
وبارق وعذيب كل مبتسم * من الثغور يحليها مجليها
وان أردت ترى وادي العقيق فرد * دموع عشاقها حمرا جواريها
وللسبيكة تاج فوق مفرقها * تود در الدراري لو تحليها
فان حمراءها والله يكلؤها * ياقوتة فوق ذاك التاج يعليها
ان البدور لتيجان مكللة * جواهر الشهب في أبهى مجاليها
لكنها حسدت تاج السبيكة اذ * رأت أزاهره زهرا يجليها
بروجها لبروج الافق مخجلة * فشهبها في جمال لا تضاهيها
تلك القصور التي راقت مظاهرها * تهوى النجوم قصورا عن معاليها
لله لله عينا من رأى سحرا * تلك المنارة قد رقت حواشيها
والصبح في الشرق قد لاحت بشائره * والشهب تستن سبقا في مجاريها
تهوى الى الغرب لما غالها سحر * وغمض الفجر من أجفان واشيها
وساجع العود في كف النديم اذا * ما استوقف الطير يدنيها ويقريها
يبدي أفانين سحر في ترنمه * يصبي العقول بها حسنا ويسبيها

يجيبه

بجسمه ناعم الاطراف تحسبها * لالا تلألأ وهى نور فى تلاليها
مقاتل بلحاظ قوس حاجبها * ترمى القلوب بها عمدا فتصميها
فباكر الروض والاغصان مائلة * يثنى النفوس لها شوقا تثنيها
لم يرقص الدوح بالاكمام من طرب * حتى شدا من قيان الطير شاديها
وأسمعتها فنون السحر مبدعة * ورق الحمام وغناها مغنيها
غرناطة آنس الرحمن ساكنها * باحت بسر معانيها أغانيها
أهدى نسيمهم لطفا نفوسهم * فرقة الطبع طبع منه يعديها
تخلد الله أيام السرور بها * صفرا عشياتها بيضا لياليها
وروض الحل منها كل منبجس * اذا اشتكت بغليل الجدب يرويها
يحكى الخليفة كفا كلما وكفت * بالجود فرق موات الارض يحييها
تغنى العفاة وقد أمت مكارمه * عن السؤال وبالاحسان تغنيها
لها بنان فلا غيث يساجلها * جودا ولا سحب يوما تدانيها
فان تصب سحب بالماء حين همت * بعسجد ولجين صاب هاميها
يا أيها الغيث أنت الغوث فى زمن * ملوكه تلفت لولا تلافيها
ان الرعايا جزاك الله صالحة * ملكت شرقا وغربا من يراعيها
ان الخلائق فى الاقطار أجمعها * سوائم أنت فى التحقيق راعيها
فكل مصلحة للخلق تحكمها * وكل صالحة فى الدين تنويها
اذا تيممت أرضا وهى مجدبة * فرحمة الله بالسقيا تحييها
يا رحمة بثت الرحمى بأندلس * لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
فى فضل جودك قد عاشت مشيختها * فى ظل أمنك قد نامت ذراريها
فى طول عمرك يرجو الله آملها * بنصر ملكك يدعو الله داعيها
عوائد الله قد عودت أفضلها * لتبلغ الخلق ما شاءت أمانيها
سل السعود وخل البيض مغمدة * واضرب بها فرية التثليث تفريها
لله أيامك الغر التى اطردت * فيها السعود بما ترضى وترضيها
لله دولتك الغراء ان لها * لكافلا من اله العرش يكفيها
هيهات أن تبلغ الاعداء مأربة * فى حربها وجنود الله تحميها
هذى سيوفك فى الاجفان نائمة * والمشركون سيوف الله تفنيها
سريرة لك فى الاخلاص قد عرفت * حسبى عواقبها حتى أعاديها
لم يحجب الصبح شهب الافق عن بصر * الا وهديك للابصار يبديها
يا ابن الملوك وأبناء الملوك اذا * تدعو الملوك الى طوع تلبيها
أبناء نصر ملوك عز نصرهم * وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها
هم المصابيح نور الله موقدها * تضىء للدين والدنيا مشاكيها
هم النجوم وأفق الهدى مطلعها * فوزا لمهتد بها عزا لهاديها

هم البدور كمال مايفارقها * هم الشموس ظلام لايواريها
قضت قواضبها أن لاانقضاء لها * وأمضت الحكم فى الاعداء مواضيها
وخلدت فى صفاح الهند سيرتها * واسندت عن عواليها معاليها
وأورثتك جهادا أنت ناصره * والاجر منك يرضيها ويحظيها
كم موقف ترهب الاعداء موقعه * والخيل تردى ووقع السيف يرديها
ثارت عجاجته واليوم محتجب * والنقع يوثر غيما من دياجيها
وللاسنة شهب كلما غربت * فى الدارعين تجلت من عواليها
وللسيوف بروق كلما لمعت * تزجى الدماء وريح النصر يزجيها
أطلعت وجها تريك الشمس غرته * تبارك الله ماشمس تساميها
من أين للشمس نطق كله حكم * يعيدها كل حين منك مبديها
لك الجياد اذا تجرى سوابقها * فللرياح جياد ماتجاريها
اذا انبرت يوم سبق فى اعنتها * ترى البروق طلاحا لاتباريها
من أشهب قد بدا صبحا تراعله * شهب السماء فان الصبح يخفيها
الا التى فى لجام منه قيدها * فانه سامها عزا وتنويها
أو أشقر مرعب شقر البروق وقد * أبقى لها شفقا فى الجو تنبيها
أو احمر جره فى الحرب متقد * يعلو لها شرر من بأس مذكيها
لون العقيق وقد سال العقيق دما * بعطفه من كماة كاد يدميها
أو أدهم مل ء صدر الليل تنعله * أهلة فوق وجه الارض يبديها
ان حارت الشهب ليلا فى مقلده * فصبح غرته بالنور يهديها
أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحا * وعرفه بتمادى الليل ينبيها
مموه بنضار تاه من عجب * فليس يعدم تنويها ولاتيها
ورب نهر حسام رقراقه * متى ترده نفوس الكفر يرديها
تجرى الرؤس حبابا فوق صفحته * وماجرى غير أن البأس يجريها
وذابل من دم الكفار مشربه * يجنى الفتوح وكف النصر تجنيها
وكم هلال لقوس كلما انبضت * ترى النجوم رجوما فى مراميها
أئمة الكفر ما عمت ساحتها * الا وقد زلزلت قسرا صياصيها
يادولة النصر هل من مبلغ دولا * مضين انك تحييها وتنسيها
أومبلغ سالف الانصار مالكة * والله بالخلد فى الفردوس يجزيها
ان الخلافة أعلى الله مظهرها * أبقت لنا شرفا والله يبقيها
ياابن الذين لهم فى كل مكرمة * مفاخر ولسان الدهر يمليها
أنصار خير الورى مختار هجرته * جيران روضته أكرم بأهليها
سمتهم الملة السمحاء تكرمة * أنصارها وبهم عزت أواليها
ففى حنين وفى بدر وفى أحد * تلقى مفاخرهم مشهورة فيها

ولتسال

ولله أل السير المرفوع مسندها * فعن مواقفهم تروى مغازيها
ما آثر خالد الرحمن أثرتها * ينصها من كتاب الله قاريها
ماذا يجيد بليغ أو ينمقه * من الكلام ووحى الله تاليها
له الجهاد به تسرى الرياح الى * ممالك الارض من شتى أقاصيها
تحدى الركاب الى البيت العتيق به * فمكة عمرت منه نواديها
بشائر تسمع الدنيا وساكنها * اذا دعا بامك الاعلى مناديها
كفى خلافتك الغراء منقبة * أن الاله يوالى من يواليها
وقد أفاد بنيه الدهر تجربة * أن السعود تعادى من يعاديها
اذا رميت سهام العزم صائبة * فما رميت بل التوفيق راميها
شكرا لمن عظمت منا مواهبه * وان تعد فليس العد يحصيها
عما قريب ترى الاعياد مقبلة * من الفتوح ووفد النصر حاديها
وتبلغ الغاية القصوى بشائرها * فقد أظلت بما ترضى مباديها
فاهنأ بعاشنت من صنع تسر به * وانو الامانى فالاقدار تدنيها
مولاى خذها كما شاءت بلاغتها * ولو تباع لكان الحسن يشريها
أرسلتها حيثما الارواح مرسلة * نوادرا تنشر البشرى أماليها
جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة * بحسنها واسان الصدق يطريها
البشر فى وجهها والمس فى يدها * والسحر فى لفظها والدر فى فيها
لو رصع البدر منها تاج مفرقه * لم يرض در الدرارى أن تحليها
فان تسكن بنت فكرى وهو أوجدها * نعماك فى حجره كانت تربيها
فى روض جودك قد طوقتنى مننا * طوق الحمام فما يحصى موفيها
ولو اعرت لسان الدهر يشكرها * لكان يقصر عن شكر يوفيها
بقيت للدين والدنيا امام هدى * مبلغ النفس ما ترجو أمانيها
والسعد يجرى لغايات تؤملها * ما دامت الشهب تجرى فى مجاريها

وقال رحمه الله تعالى شاكرا النعم وصلته من المذكور فى عاشوراء

مولاى يا ابن السابقين الى العلا * والرافعين لواءها المنشورا
ان لوحظوا فى المعلوات فانهم * طلعوا بآفاق العلاء بدورا
او فوخروا فى المكرمات فانهم * نظموا باسلاك الفخار شذورا
أبناء أنصار النبى وصحبه * فى الذكر أصبح فخرهم مذكورا
والمؤثرين وربنا أثنى بها * فى الحشر خلد وصفهم مسطورا
فاضت علينا من يداك غمائم * وتفجرت من راحتيك بحورا
من كف شماف الضياء تخاله * لصفاء جوهره تجسد نورا
نعم منوعة تعدد وفرها * أعجزت عنها شكرى الموفورا
فى موسم للدين قد جددته * وأقمت فينا عيده المشهورا

اضعاف ما أهديتنا من منة * تهدى اليك ثوابها عاشورا
وعلى الطريق بشائر محمودة * ألقاك جذلانا بها مسرورا

وقال يصف زهرا القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح وقد وقع له السلطان الغنى بالله المذكور بذلك فارتجل قطعا منها

أتونى بنوّار بروق نضارة * كخد الذى أهوى وطيب تنفسه
وجاؤا به من شاهق متمنع * تمنع ذاك الظبى فى ظل مكنسه
رعى الله منى عاشقا متقنعا * بزهر حكى فى الحسن خد مؤنسه
وان هب خفاق النسيم بنفحة * حكت عرفه طيبا اقضى بتأنسه

ومنها

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل * حكى عرف من أهوى واشراق خده
ومنبته فى شاهق متمنع * كما امتنع المحبوب فى تيه صده
أميل اذا الاغصان مالت بروضة * أعانق منها القضب شوقا لقده
وأهفو لخفاق النسيم اذا سرى * وأهوى أريج الطيب من عرف نده

ومنها

اقر بعينى أن أرى الزهر يانعا * وقد نازع المحبوب فى الحسن وصفه
وما أبصرت عينى كزهر قرنفل * حكى خد من يسبى الفؤاد وعرفه
تمنع فى أعلى الهضاب لمجتن * تمنعه منى اذا رمت الفه
وفى جبل الفتح اجتنوه تفاؤلا * بفتح ابواب الوصل يمنح عطفه
وما ضر ذاك الغصن وهو مرنح * اذا مال نحو المتيم عطفه

قال ابن الاحمر فى الكتاب المذكور فيما مرّ ومن قصائده التى يود الصبح سناها والنسيم اللدن رقة معناها يهنى مولانا الجد رضى الله تعالى عنه عند وصول خالصة مقامه وكبير خدامه القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهديه وتجديد المقاصد الوديه ووافق استئناف راحة من الذات العليه ومن بعض فروع دوحتها الزكيه

أدرها لالاء من لحاظك واحبس * فقد غال منها السكر أبناء مجلس
اذا ما نهانى الشيب عن أكؤس الطلا * تدير على الخمر منها أكؤس
عذيرى من لحظ ضعيف وقد غدا * يحكم منا فى جسوم وأنفس
وروض شباب ماس غصن قوامه * وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس
وما زال ورد الخد وهو مضعف * يعبر أقاح الثغر طيب تنفس
وكم جال طرف الطرف فى روض حسنه * يقيده فيه العذار بسندس
أما وليالى الوصل فى روضة الصبا * وما ألف أحبابى وعهد تأنسى
لئن نسيت تلك العهود أحبتى * فقلبى عهد العامرية مانسى
وحاشى لنفسى بعد ما افتر فودها * من الشيب عن صبح به متنفس
وألبسها ثوب الوقار خليفة * به لبس الاسلام أشرف ملبس

وجدد

وجدد للفتح المبين مواسما * أقام بها الايمان أفراح معرس
واورثه العلياء كل خليفة * نماه الى الانصار كل مقدس
فيازاجر الاظعان وهى ضوامر * بغير الفلا والوحش لم تتانس
اذا جئت من دار الغنى بربه * مناخ العلا والعز فاعقل وعرّس
فان شئت من بحر السماحة فاغترف * وان شئت من نور الهداية فاقبس
أمولاى ان السعد منك لآية * أنارت بها الاكوان جذوة مقبس
اذا شئت أن ترمى القصى من المنى * تدور لك الافلاك من فوعة القسى
فترمى بسهم من سعودك صائب * سديد لاغراض الامانى مقرطس
أهنيك بالابلال ممن شفاؤه * شفاؤك فاشكر من تلافى وقدس
ودعنى أردعنك فهى غمامة * تخلل صوب العارض المتبجس
أقبل منها راحة اثر راحة * أتتك بها الركبان من بيت مقدس
ومن نسب الفتح المبين ولادة * اليه بغير الفخر لم يتأسس
فيا أيها المولى الذى بكماله * خلائف هذا العصر فى الفخر تأتسى
لأمنت موسى من عوادى سميه * ولولاك لم يبرح بخيفة موجس
بعثت بميمون النقيبة فى اسمه * خلود لعز ثابت متأسس
لجاءك بالمال العريض هدية * بها الدين أثواب المسرة يكتسى
وشفعها بالصافنات كأنها * وقد راق مرآها جآذر مكنس
تنص من الاشراف جيد غزالة * وترنو من الايجاس عن لحظ أشوس
لك الخير موسى مثل موسى كلاهما * بغير شعار الود لم يتلبس
فلازلت فى ظل النعيم وكل من * يعاديك لاينفك يشقى بأبؤس
عليك سلام مثل حمدك عاطر * تنفس وجه الصبح عنه بمعطس

وقال فى مولد عام سبعة وستين وسبعمائة وألم فى أخرياتها بوصف المشور الاسنى الرفيع المبنى

زار الخيال بأيمن الزوراء * فجلا سناه غياهب الظلماء
وسرى مع النسمات يسحب ذيله * فأتت تنم بعنبر وكباء
هذا وماشئ ألذ من المنى * الازيارته مع الاغفاء
بتنا خيالين التحفنا بالضنى * والسقم مانخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته * وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
ياسائلى عن سر من أحببته * السر عندى ميت الاحياء
تالله لاأشكو الصبابة والهوى * لسوى الاحبة أوأموت بدائى
يادين قلبى اسست أبرح عانيا * أرضى بسقمى فى الهوى وعنائى
أبكى وماغير النجيع مدامع * أذكى ولاضرم سوى احشائى
أهفو اذا تهفو البروق وأنثنى * لسرى النواسم من ربا تيماء

بالله يانفس الحمى رفقا بمن * أغريته بتنفس الصعداء
عجبا له يندى على كبدى وقد * أذكى بقلبى جمرة البرحاء
ياساكنى البطحاء أى امانة * لى عندكم ياساكنى البطحاء
أترى النوى يوما تخيب قداحها * ويفوز قدحى منكم بلقاء
فى حبكم قمر فؤادى أفقه * تفديه نفسى من قريب نائى
لم تنسنى الايام يوم وداعه * والركب قد أوفى على الزوراء
أبكى ويبسم والمحاسن تجتلى * فعلقت بين تبسم وبكاء
يانظرة جادت بها أيدى النوى * حتى استهلت أدمعى بدماء
من لى بثانية تنادى بالاسى * قدلك اتئد أسرفت فى الغلواء
ولرب ليل بالوصال قطعته * أجلو دجاه بأوجه الندماء
أنسيت فيه القلب عادة حلمه * وحثثت فيه أكؤس السراء
جاريت فى طلق التصابى جامحا * لا انثنى لقادة النصحاء
أطوى شبابى للمشيب مراحلا * برواحل الاصباح والامساء
ياليت شعرى هل أرى أطوى الى * قبر الرسول صحائف البيداء
فتطيب فى تلك الربوع مدائحى * ويطول فى ذاك المقام ثوائى
حيث النبوة نورها متألق * كالشمس تزهى فى سنا وسناء
حيث الرسالة فى ثنية قدسها * رفعت لهدى الخلق خير لواء
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل * فخر الوجود وشافع الشفعاء
المصطفى والمرتضى والمجتبى * والمنتقى من عنصر العلياء
خير البرية مجتباها ذخرها * ظل الاله الوارف الافياء
تاج الرسالة ختمها وقوامها * وعمادها السامى على النظراء
لولاه للافلاك ما لاحت بها * شهب تنير دياجى الظلماء
ذو المعجزات الغر والآى الالى * أكبرن عن عد وعن احصاء
وكفاك ردّ الشمس بعد مغيبها * وكفاك ماقد جاء فى الاسراء
والبدر شق له وكم من آية * كانامل جاءت بنبع الماء
وبليلة الميلاد كم من رحمة * نشر الاله بها ومن نعماء
قد بشر الرسل الكرام ببعثه * وتقدم الكهان بالانباء
أكرم بها بشرى على قدم سرت * فى الكون كالارواح فى الاعضاء
أمسى بها الاسلام يشرق نوره * والكفر أصبح فاحم الارجاء
هو آية الله التى أنوارها * تجلو ظلام الشك أى جلاء
والشمس لاتخفى مزية فضلها * الا على ذى المقلة العمياء
يامصطفى والكون لم تعلق به * من بعد أيدى الخلق والانشاء
يامظهر الحق الجلى ومطلع الـ * نور السنى الساطع الاضواء

يا ملجأ الخلق المشفع فيهم * يا رحمة الاموات والاحياء
يا آسى المرضى ومنتجع الرضا * ومواسى الايتام والضعفاء
اشكو اليك وأنت خير مؤمّل * داء الذنوب وفي يديك دوائى
انى مددت يدى اليك تضرّعا * حاشى وكلا أن يخيب رجائى
ان كنت لم أخلص اليك فانما * خلصت اليك محبتى وندائى
وبسعد مولاى الامام محمد * تعد الامانى أن يتاح لقائى
ظل الاله على البلاد وأهلها * فخر الملوك السادة الخلفاء
غيث العباد وليث مشتجر القنا * يوم الطعان وفارج الغماء
كالدهر فى سطواته وسماحه * تجرى صباه بزعزع ورخاء
رقت سجاياه وراق مجتلى * كالنهر وسط الروضة الغناء
كالزهر فى ايراقه والبدر فى * اشراقه والزهر فى لألاء
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * فلق الصباح ووا كف الانواء
أنصار دين الله حزب رسوله * والسابقون بحلبة العلياء
يا ابن الخلائف من بنى نصر ومن * حاطوا ذمار الملة السمحاء
من كل من تقف الملوك ببابه * يستمطرون سحائب النعماء
قوم اذا قادوا الجيوش الى الوغى * فالرعب رائدهم الى الاعداء
والعز مجلوب بكل كتيبة * والنصر معقود بكل لواء
يا وارثا عنها مناقبها التى * تسمو مراقيها على الجوزاء
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * يجزيك عنها الله خير جزاء
كم خضت طوع صلاحها من مهمه * لا تهتدى فيه القطا للماء
تهدى بها حادى السرى بعزائم * تهدى نجوم الافق فضل ضياء
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العزة القعساء
واهنأ بمنزلك السعيد فانه * كهف ليوم مشورة وعطاء
لله منه هالة قد أصبحت * حرم العفاة ومصرع الاعداء
تتشابها طير الرجاء فتجتنى * ثمر المنى من دوحة الآلاء
لله منه قبة مرفوعة * دون السماء تفوت لحظ الرائى
راقت بدائع وشيها فكانها * وشى الربيع بمسقط الانداء
عظمت ميلاد النبى محمد * وشفعته بالليلة الغراء
أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا * قوت القلوب بذلك الاحياء
يا أيها الملك الهمام المجتبى * فاتت علاك مدارك العقلاء
من لى بأن أحصى مناقبك التى * ضاقت بهن مذاهب الفصحاء
واليك منى روضة مطلولة * أرجت أزاهرها بطيب ثناء
فافسح لها أكناف صفحك انها * بكر أتت تمشى على استحياء

قوله الخلفاء فى نسخة الحنفاء اه

قال ابن الاحمر ومن اعذاريات ابن زمرك المحكمة نسقا ورصفا المتناهية فى كل فن حسن تحلية غريبة ووصفا حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق بالجفلى فى دعواهم واستدعاء أشراف الامم من أهل المغرب وسواهم تفننا فى مكارم متعددة ايامها عن أصالة المجد معربه واغراء لهم الملك بما التئم الانس من أوضاع مغربه ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر وتكاثرا من ممالك دولته بالعدد الوافر مما ألجم اللسن الذكى عيا وغادر الاعذار الذنوبى منسيا كان أالله سبحانه أبوته المولويه عنا وعن آبائنا وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما نصل له من خالص دعائنا انه منعم جواد قوله فى الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه وذلك سنة أربع وستين وسبعمائة (معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا) القصيدة وقد تقدمت بتمامها فراجعها ثم قال ومن ذلك ما أنشد فى الصنيع الثانى المخصوص بعمينا السيدين الاميرين سعد ونصر رحمة الله تعالى عليهما وأجاد فى وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الاوضاع

ألمحة من بارق متبسم * أوسلته دمعا تضرج بالدم
وللمحة تهفو بيانات اللوى * يهفو فؤادك عن جوانح مغرم
هى عادة عذرية من يوم أن * خلق الهوى تعتاد كل متيم
قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن * أدرى الهوى واليوم أعذل لومى
كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت * حذر الرقيب ومدمع لم يسجم
ان كان واشى الدمع قد كتم الهوى * هيهات واشى السقم لما يكتم
ولقد أجد هواى رسم دارس * قد كاد يخفى عن خفى توهم
وذكرت عهدا فى حماه قد انقضى * فأطلت فيه ترددى وتلومى
ولربما أشجى فؤادى عنده * ورقاء تنفث شجوها بترنم
لا أجدب الله الطلول فطالما * أشجى الفصيح بها بكاء الاعجم
يا زاجر الاظعان يحفزها السرى * قف بى عليها وقفة المتلوم
لترى دموع العاشقين برسمها * حمرا كحاشية الرداء المعلم
دمن عهدت بها الشبيبة والهوى * سقيا لها ولعهدها المتقدم
وكتيبة للشوق قد جهزتها * أغزو بها السلوان غزو مصمم
ورفعت فيها القلب بندا خافقا * وأريت للعشاق فضل تقدمى
فأنا الذى شاب الحماسة بالهوى * لكن من أهواه ضايق مقدمى
فطعنت من قد القوام بأسمر * ورميت من غنج اللحاظ بأسهم
يا قاتل الله الجفون فانها * مهما رمت لم تخط شاكلة الرمى
ظلمت قتيل الحب ثم تجنت * للسقم فيها فترة المتظلم
يا ظبية سنحت بأكناف الحمى * سقى الحمى صوب الغمام المسجم
ماضر اذ أرسلت نظرة فاتك * أن لو عطفت بنظرة المترحم

فرأيت جسما قد أصيب فؤاده * من مقلتيك وأنت لم تتأثم
ولقد خشيت بأن يقاد بجرحه * فوهبت لحظك ما أحل من دمي
كم خضت دونك من غمار مفازة * لا تهتدي فيها الليوث لمجثم
والنجم يسري من دجاه بأسهم * رحب المقلد بالثريا ملجم
والبدر في صفح السماء كأنه * مرآة هند وسط لج ترتمي
والزهر زهر والسماء حديقة * فتقت كمائم جنحها عن أنجم
والليل مربد الجوانح قد بدا * فيه الصباح كغرة في أدهم
فكأنما فلق الصباح وقد بدا * مرأى ابن نصر لاح للمتوسم
ملك أفاض على البسيطة عدله * فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم
هو منتهى آمال كل موفق * هو مورد الصادي وكنز المعدم
لاحت مناقبه كواكب أسعد * فرأت ملامح نوره عين العمي
ولقد تراءى بأسه وسماحه * فأتى الجلال من الجمال بتوأم
مثل الغمام وقد تضاحك برقه * فأفاد بين تجهم وتبسم
أنسى سماحة حاتم وكذا الذي * يوم اللقاء ربيعة بن مكدم
سير تسير النيرات بهديها * وتعير عرف الروض طيب تنسم
فالبدر دونك في علا وانارة * والبحر دونك في ندى وتكرم
ولك القباب الحمر ترفع للندى * فترى العمائم تحتها كالانجم
يذكي الكباء بها كأن دخانه * قطع السحاب بجوها المتغيم
ولك العوالي السمر تشرع للعدا * فتخر صرعى لليدين وللفم
ولك الايادي البيض قد طوقتها * صيد الملوك ذوي التلاد الاقدم
شيم يقر الحاسدون بفضلها * والصبح ليس ضياؤه بمكتم
ورث السماحة عن أبيه وجده * فالاكرم ابن الاكرم ابن الاكرم
نقلوا المعالي كابرا عن كابر * كالرمح مطرد الكعوب مقوم
وتسنموا رتب العلاء بحقها * ما بين جد في الخلافة وابنم
يا آل نصر أنتم سرج الهدى * في كل خطب قد تجهم مظلم
الفاتحون لكل صعب مقفل * والفارجون لكل خطب مبهم
والباسمون اذا الكماة عوابس * والمقدمون على السواد الاعظم
أبناء أنصار النبي وحزبه * وذوي السوابق والجوار الاعصم
سل عنهم أحدا وبدرا تلقهم * أهل الغناء بها وأهل المغنم
وبفتح مكة كم لهم في يومه * بلواء خير الخلق من متقدم
أقسمت بالحرم الامين ومكة * والركن والبيت العتيق وزمزم
لولا مآثرهم وفضل علاهم * ما كان يعزى الفضل للمتقدم
ماذا عسى أثني وقد أثنت على * عليائهم آي الكتاب المحكم

يا وارثا عن ماما آثرها التى * قد شيدت للفخر أشرف معلم

يا نخر أندلس لقد مدت الى * عليائك كف اللائذ المستعصم

أمّا سعودك فى الوغى فتكفلت * بسلامة الاسلام فاخلد واسلم

وافيت هذا الثغر وهو على شفى * فشفيت معضل دائه المستحكم

ورعيته بسياسة دارت على * مختطه دور السوار بمعصم

كم ليلة قد بت فيها ساهرا * تهدى الامان الى العيون النوّم

يا مظهر الالطاف وهى خفية * ومهب ريح النصر للمتنسم

لله دولتك التى آثارها * سير الركاب لمنجد أو متهم

ما بعد يومك فى المواسم بعدما * آنعبت عيد الفطر أكرم موسم

وافتك أشراف البلاد ليومه * من كل ندب للعلا متسنم

صرفوا اليك ركابهم وتيمموا * من بابك المنتاب خير ميمم

وتبوّؤا منه بدار كرامة * فالكل بين مقرب ومنعم

وَدّت نجوم الافق لو مثلت به * لتفوز فيه برتبة المستخدم

والروض مختال بحلية سندس * من كل موشى الرقوم منمنم

ورياحه نسمت بنشر لطيمة * وأقاحه بسمت بثغر مسلم

وأريتنا فيه عجائب جمة * لم تجر فى خلد ولم تتوهم

أرسلت سرعان الجياد كأنها * أسراب طير فى التنوفة حوّم

من كل منحفز بخطفة بارق * قد كاد يسبق لمحة المتوهم

طرف يشك الطرف فى استثباته * فكأنه ظن بصدر مرجم

ومسافر فى الجو تحسب أنه * يرقى الى أوج السماء بسلم

رام استراق السمع وهو ممنع * فأصيب من قضب العصى بأسهم

رجمته من شهب النصال حواصب * لولا تعرضه لها لم يرجم

ومدارة الافلاك أعجز كنهها * ابداع كل مهندس ومهندم

يمشى الرجال بجوفها وجميعهم * عن مستوى قدميه لم يتقدم

ومنوع الحركات قد ركب الهوا * يمشى على خط به متوهم

فاذا هوى من جوه ثم استوى * أبصرت طيرا حول صورة آدمى

يمشى على فنن الرشاء كأنه * فيه مساور ذابل أو أرقم

واليك من صون العقول عقيلة * وقفت ببابك وقفة المسترحم

ترجو قبولك وهو أكبر منحة * فاسمح به خلدت من متكرم

طاردت فيها وصف كل غريبة * فنظمت شارده الذى لم ينظم

ودعوت أرباب البيان أريهم * كم غادر الشعراء من متردم

ماذاك الا بعض أنعمك التى * قد علمتنا كيف شكر المنعم

ثم قال وأنشد من ذلك فى الصنيع المخصوص بعمنا الامير أبى عبد الله رحمة الله تعالى عليه

٤١

قوله مسلم فى نسخة ملثم اه

واطنب

وأطنب فى وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثاره مولانا رضى الله تعالى عنه

سل الافق بالزهر الكواكب حاليا • فانى قد أودعته شرح حاليا
وحلت معتل النسيم أمانة • قطعت بها عمر الزمان أمانيا
فيا من رأى الارواح وهى ضعيفة • أحملها ما يستخف الرواسيا
وساوس كم جدت وجدّ بى الهوى • فعدّ به القلب المقلب هازيا
ومن يطع الالحاظ فى شرعة الهوى • فلابدّ أن يعصى نصيحا ولاحيا
عدلت بقلبى عن ولاية حكمه • غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
وما الحب الانظرة تبعث الهوى • وتعقب ما يعيى الطبيب المداويا
فيا عجبا للعين تمشى طليقة • ويصبح من جرائها القلب عانيا
الا فى سبيل الله نفس نفيسة • يرخص منها الحب ما كان غاليا
ويارب عهد للشباب قضيته • وأحسنت من دين الوصال التقاضيا
خلوت بمن أهواه من غير رقبة • ولكن عفافى لم أكن عنه خاليا
ويوم بستن الظباء شهدته • أجدّد وصالا باليا فيه باليا
ولم أصح من خمر اللحاظ وقد غدا • به الجو وضاح الاسرّة ضاحيا
وجرّد من غمد الغمامة صارما • من البرق مصقول الصفيحة صافيا
تبسم فاستبكى جفونى غمرة • ملأت بدرّ الدمع منها ردائيا
وأذكرنى ثغرا ظمئت لورده • ولا والهوى العذرى ما كنت ناسيا
وراح خفوق القلب مثلى كأنما • يبرق الحمى من لوعة الحب ما بيا
وليلة بات البدر فيها مضاجعى • وباتت عيون الشهب نحوى روانيا
كرعت بها بين العذيب وبارق • بمورد ثغر بات بالدرّ حاليا
رشفت به شهد الرضاب سلافة • وقبلت فى ماء النعيم الاقاحيا
فيا برد ذاك الثغر رويت غلتى • ويا حرّ أنفاسى أذبت فؤاديا
وروضة حسن للشباب نضيرة • بصرت بغصن البان فيها المجانيا
وبت أسقى وردة الخدّ أدمعى • فأصبح فيها نرجس اللحظ ذاويا
ومالت بقلبى مائلات قدودها • فما للقدود المائلات وماليا
جزى الله ذاك العهد عودا فطالما • أعاد على ربع الظباء الجوازيا
وقل لليالى فى الشباب نعمتها • وقضيتها أنساً قضيت لياليا
ويا واديا رفت على ظلاله • وغصن نديّ الوصل قدبت واديا
ومشتى عيون السرب فيه رواغيا • رمين بقلبى فى الغرام المراميا
فلولا اعتصامى بالامير محمد • لما كنت من فتك اللواحظ ناجيا
فقل للذى يبنى على الحسن شعره • عليه مع الاحسان لازلت بانيا
فكم من شكاة فى الهوى قد رفعتها • ورفعتها بالمدح اذ جاء تاليا
وكم ليلة فى مدحه قد سهرتها • أباهى بدرّ النظم فيه الدراريا

ولاح عمود الصبح مثل انتسابه * رفعت عليه للمديح المبانيا
امام أفاد المكرمات زمانه * وساكنه فوق النجوم العواليا
وجاوز قدر البدر نورا ورفعة * ولم يرض الا بالكمال مواليا
هو الشمس بثت في البسيطة نفعها * وأنوارها أهدت قريبا وقاصيا
هو البحر بالاحسان يزخر موجه * ولكنه عذب لمن جاء عافيا
هو الغيث يهمى يملك الغيث سحبه * يروى بسحب الجود من كان صاديا
شمائل لو أن الرياض بحسنها * لما صار فيها زهرها الغض ذاويا
فيا ابن الملوك الصيد من آل خزرج * وذا نسب كالصبح عز مساميا
ألست الذى ترجو العفاة نواله * فتخجل جدواه السحاب الغواديا
ألست الذى تخشى البغاة صياله * فتوجل علياه الصعاب العواديا
وهديك مهما ضلت الشهب قصدها * تولته فى جنح الدجنة هاديا
وعزمك أمضى من حسامك فى الوغى * وان كان مصقول الغرارين ماضيا
فكم قادح فى الدين يكفر ربه * قدحت له زند الحفيظة واريا
وماراعه الاحسام وعزمة * يضيآن فى ليل الخطوب الدواجيا
فلولاك ياشمس الخلافة لم يبن * سبيل جهاد كان من قبل خافيا
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة * تلوح بها بيض النصول دراريا
ولولاك لم تنهل غصون من القنا * وكانت الى ورد الدماء صواديا
فاثمر فيها الصل نصرا مؤزرا * وأجنى قطاف الفتح غضا ودانيا
ومهما غدا اسفاح سيفك عاريا * يغادر وجه الارض بالدم كاسيا
قضى الله من فوق السموات انه * على من أبى الاسلام فى الارض قاضيا
فكم معقل للكفر صبحت أهله * بجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
رقيت اليه والسيوف مشيحة * وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
ففتحت مرقاه الممنع عنوة * وبات به التوحيد يعلو مناديا
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا * ومنبره بالذكر أصبح حاليا
عجائب لم تخطر ببال وانما * ظفرنا بها عن همة هى ماهيا
فمنك استفاد الدهر كل عجيبة * يباهى بها الاملاك أخرى اللياليا
وعنك يروى الناس كل غريبة * تخط على صفح الزمان الاماليا
ولله مبناك الجميل فانه * يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم فيه للابصار من متنزه * تجد به نفس الحليم الامانيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به * ولم تك فى أفق السماء جواريا
ولو مثلت فى سابقيه لسابقت * الى خدمة ترضيك منها الجواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا * به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة جللته بحليها * من الوشى تنسى السابرى اليمانيا

قوله قضى الله الخ لايخفى مافيه من الجرى على نصب ان للجزءين اه مصححه

وكم

وكم من قسىّ فى ذراه ترفعت * على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها * تظلّ عمود الصبح اذ بات باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة * فطارت بها الامثال تجرى سواريا
به المرمر المجلوّ قد شفّ نوره * فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
اذا ما أضاءت بالشعاع تخالها * على عظم الاجرام منها لآليا
به البحر دفاع العباب تخاله * اذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
اذا ما جلت أيدى الصبا متن صفحه * ارتنا دروعا اكسبتنا الاياديا
وراقصة فى البحر طوع عنانها * تراجع ألحان القيان الاغانيا
اذا [illegible] فى الجوّ ثم تحدرت * تحلى بمرفض الجمان النواحيا
بذوب لجين سال بين جواهر * غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد * فلم أدر أيا منهما كان جاريا
فان شئت تشبيها له عن حقيقة * تصيب بها المرمى وبوركت راميا
فقل ارقصت منها البحيرة نشئها * كما رقص المولود من كان لاهيا
أرتنا طباع الجود وهى وليدة * ولم ترض فى الاحسان الا تغاليا
سقت ثغر زهر الروض عذب برودها * وقامت لكى تهدى الى الدهر ساقيا
كأن قد رأت نهر المجرة ناضبا * فقامت بان تجرى اليه السواقيا
وقامت بنات الدوح فيه مواثلا * فرادى ويتلو بعضهنّ مثانيا
رواضع فى حجر الغرام ترعرعت * وشبت فشبت حبها فى فؤاديا
بها كل ملتف الغدائر مسبل * تجيل به أيدى النسيم مداريا
وأشرف جيد الغصن فيها معطلا * فقلدت النوّار منه التراقيا
اذا ما تحلت درّ زهر غروسه * يبيت لها الغمام بالطيب واشيا
مصارفة النقدين فيها بمثلها * أجاز بها النقدين منها كما هيا
فان ملأت كف النسيم بمثلها * دراهم نور ظلّ عنها مكافيا
فيملأ حجر الروض حول غصونها * دنانير شمس تترك الروض حاليا
تعوّد فى أفنانها الطير كلما * تحس به أيدى القيان الملاهيا
تراجعها سجعا فتحسب انها * بأصواتها تملى عليها الاغانيا
فلم ندر روضا منه أنعم نضرة * وأعطر أرجاء وأحلى مجانيا
ولم نر قصرا منه أعلى مظاهرا * وأرفع آفاقا وأفسح ناديا
معانى من نفس الكمال انتقيتها * وزينت منها بالجمال المغانيا
وفاتحت مبناه بعيد شرعته * تبث به فى الخافقين التهانيا
ولما دعوت الناس نحو صنيعه * أجابوا اليهم من جانب الغور داعيا
وأمّوه من أقصى البلاد تقربا * ومازال منك السعد يدنى الاقاصيا
وأذكرت يوم العرض جودا ومنعة * بموقف عرض كنت فيه المجازيا

جزيت به كلا على حال سعيه * فاغرست عيناه أصبح جانيا
وأطلعت من جزل الوقود هوادجا * تذكر يوم النفر من كان ساهيا
وحين غدا يذكى منائر للقرى * فلا غرو ان أجريت فيه المذاكيا
وطامحة في الجو غير مطالة * يرد مداها الطرف أحسر عاريا
تمد لها الجوزاء كف مصارع * ويدنو لها بدر السماء مناجيا
ولا عجب ان فاتت الشهب بالعلا * وان جاوزت منها المدى المتناهيا
فبين يدى مثواك قامت لخدمة * ومن خدم الاعلى استفاد المعاليا
وشاهد ذا أني ببابك واقف * وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
وقد أرضعت ثدى الغمائم قبلها * بحجر رياض كن فيه نواشيا
فلما أبنت عن قرارة أصلها * أرادت الى مرقى الغمام تعاليا
وعدت لقاء السحب عيدا وموسما * لذلك اغتدت بالزهر تلهى الغواديا
فأضحكت البرق الطروب خلالها * وبات لاكواس الدرارى معاطيا
رأت نفسها طالت فظنت بانها * تفوت على رغم اللحاق المراميا
نخفت اليها الزائلات كانها * طيور الى وكر أطلن تهاويا
حكت شبها للنحل والنحل حوله * عصى الى مثواه تهوى عواليا
فمن مثبت منها الرمية مدرك * ومن طائش في الجو حلق وانيا
وحصن منيع في ذراها قد ارتقى * فأبعد في الجو الفضاء المراقيا
كأن بروق الجو غارت وقد أرت * بروج قصور شدتهن سواميا
فأنشأت برجا صاعدا متنزلا * يكون رسولا بينهن مداريا
تطور حالات أتى في ضروبها * بأنواع حلى تستفز الغوانيا
فجل برجليها وشاح بخصرها * وتاج الى ما جل منها الاعاليا
وما هو الا طير سعد بذروة * غدا زاجرا من أشهب الصبح بازيا
أمولاى يا فخر الملوك ومن به * سيبلغ دين الله ما كان راجيا
بنوك على حكم السعادة نجبة * وذا عدد للعين ما زال واقيا
تهيت لهم كف الثريا معيذة * ويصبح معتل النسيم رواقيا
أسام عليها للسعادة ميسم * ترى العز فيها مستكنا وباديا
جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم * وقد عرفت منك الفتوح التواليا
وحسبك سعد ثم نصر يليهم * محمد الارضى فبارزات راضيا
أقمت به من فطرة الدين سنة * وجددت من رسم الهداية عافيا
وجاؤا به مل العيون وسامة * يقبل وجه الارض أزهر باهيا
فيا عاذلا ما كان أجر أمثله * لخشاك لا يدمى الاسود الضواريا
وجاءتك من مصر التحايا كرائما * فأنفقت أيدى التجار الغواليا
ووافتك من أرض الحجاز تميمة * تتم صنع الله لا زال باديا

وناداك بالتهويل سلطان طنجة * فيا طيب ما أهدى اليك مناديا
وقام وقد وافى ضريح محمد * ليسلطانك الاعلى هنالك داعيا
سريرتك الرحمى بجزائك سعيها * الهيوفى فى الجوزاء المساعيا
فوالله لولا سنة نبوية * عهدناه مهديا اليها وهاديا
وعذر من الاعذار قرر حكمه * من الشرع أخبار رفعن عواليا
لراعت بها الجيز أهوال موقف * تشيب ببيض النصول العواليا
لك الحمد فيه من صنيع تعقد * فناله فى الفخر عز ثانيا
تشدله الجوزاء عقد نطاقها * لتخدم فيه كى تنال المعاليا
وهنيت بالامداح فيه وقد غدا * وجودك فيه بالاجادة وافيا
ودونك من بحر البيان جواهرا * كرمن غايشرين الاغواليا
وطاردت فيها وصف كل غريبة * فأعجزت من يأتى ومن كان ماضيا
فما وارث الانصار لاعن كلالة * تراث جلال يستخف الرواسيا
بامداحه جاء الكتاب مفصلا * يرتل فى الذكر من كان تاليا
لقد عرف الاسلام مما أفدته * مكارم انصارية وأياديا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا * تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

ثم قال ومن ذلك فى الصنيع المختص بالامراء الجلة أخينا المعزلد ولتنا أبى الحسن وأخينا أبى العباس وابن عمنا أبى عبد الله وصل الله تعالى سعودهم ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه وبسط يد الحسن من براعته وتخميسه وذلك على أثر عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبتة لما عادت الى ملكه

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا
ينظم من قطر الغمام جواهرا
فيبسم ثغر الروض عنه أزاهرا
وصبح حكى وجه الخليفة باهرا * تجسم من نور الهدى وتجسدا
شفانى معتل النسيم اذا نبرى
وأسند عن دمعى الحديث الذى جرى
وقد فتق الارجاء مسكا وعنبرا
كان الغنى بالله فى الروض قد سرى * نهبت به الارواح عاطرة الردا
عذيرى من قلب الى الحسن قد صبا
تهيجه الذكرى ويصبو الى الصبا
ويجرى جياد اللهو فى ملعب الصبا
ولولا ابن نصر ما أفاق وأعتبا * رأى وجهه صبح الهداية فاهتدى
اليك أمير المسلمين شكاية
جنى الحسن فيها القلوب جناية

قوله رأى وجهه الخ فى نسخة رأى وجهه صبح للهداية الخ اه

وأعظم فيها بالعيون نكاية
وأطلع في ليل من الشعر آية * محياً جميلا بالصباح قد ارتدى
بهديك تهدى النيرات وتهتدى
وأنواؤها جدوى يمينك تجتدى
وعدلك للاملاك أوضح مرشد
بآثاره في مشكل الامر تقتدى * فيا بك سلطان الجمال قد اعتدى
تحكم منا في نفوس ضعيفة
وسل سيوفا من جفون نحيفة
ألم يدر أنا في ظلال خليفة
ودولة أمن لا تراع منيفة * بها قد رسا دين الهدى وتمهدا
خذوا بدم المشتاق لحظا اراقه
وبرقا بأعلام الثنية شاقه
وان كلفتوه فوق ما قد أطاقه
حديثا ما ألذ مساقه * خليفتنا المولى الامام محمدا
تقلد حكم العدل دينا ومذهبا
وجور الليالى قد أزاح وأذهبا
فيا عجبا للشوق أذكى والهبا
وسل صباح صارم البرق مذهبا * وقد بات في جفن الغمامة مغمدا
يذكرنى ثغرا لاسماء أشنبا
اذا ابتسمت تجلو من الليل غيهبا
كعزم أمير المسلمين اذا احتبى
وأجرى به طرفا من الصبح أشهبا * وأصدر في ذات الاله وأوردا
فسبحان من أجرى الرياح بنصره
وعطر أنفاس الرياض بشكره
فبرد الصبا يطوى على طيب نشره
وهو ما تجلى وجهه وسط قصره * ترى هالة بدر السماء بها بدا
امام أفاد المعلوات زمانه
فالحقت زهر النجوم مكانه
ومد على شرق وغرب أمانه
ولا عيب فيه غير أن بنانه * تغرق مستجديه في أبحر الندى
هو الصدر مد العارض المتهللا
هو البدر لكن لا يزال مكملا
هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا

هو العلم الخفاق فى هضبة العلا * هو الصارم المشهور فى نصرة الهدى
أمولاى أعطى الوجود وجوده
وأوسع من فوق البسيطة جوده
لقد أصحب النصر العزيز بنوده
ومدّ بأملاك السماء جنوده * وأنجز للاسلام بالنصر موعدا
أمولاى قد أنجحت رأيا وراية
ولم تبق فى سبق المكارم غاية
فتهدى سجايا كابن رشد نهاية
وان كان هذا السعد منك بداية * سيبق على مرّ الزمان مخلدا
سعودك تغنى عن قراع الكتائب
وجودك يزرى بالغمام السواكب
وان زاحمتها شهبها بالمناكب
فوجهك بدر المتدى والمواكب * وقد فسحت فى الفخر أبناؤك المدى
بنوك كامثال الانامل عدّة
أعدّت لما يخشى من الدهر عدّة
وزيد بهم برد الخلافة جدّة
أطال لهم فى ظل ملكك مدّة * اله يطيل العمر منك مؤبدا
بدور بأوصاف الكمال استقلت
غمام بفياض النوال استهلت
سيوف على الاعداء بالنصر سلت
نجوم بآفاق العلاء تجلت * ولاحت كاشارات سعودك أسعدا
وان أبا الحجاج سيفك منتضى
وبدر بآفاق الجمال تعرّضا
بنورك يا شمس الخلافة قد أضا
وراقت على اعطافه حلل الرضا * فحل محلا من علاك مهدا
مليك له تعنو الملوك جلالة
يجرّر أذيال الفخار مطالة
وتفرق أسد الغاب منه بسالة
وترضاه أنصار الرسول سلالة * فأبناؤه طابوا فروعا ومحتدا
أزاهر فى روض الخلافة أينعت
زواهر فى أفق العلاء تطلعت
جواهر أغنت فى الجمال وأبدعت
وعن قيمة الاعلاق قدرا ترفعت * يسرّ بها الاسلام غيبا ومشهدا

بعهد ولي العهد كرم عهده
وأنجز في تخليد ملكك وعده
تنظم منهم تحت شملك عقده
وأورثهم فخرا أبوه وجده * فأعلى عليا حين أحمد أحمدا
تحوط بهم ملكا عزيزا وملة
وتلحظ عين السعد منهم أهلة
ستبدو على أفق العلا مستقلة
ومهما بفياض العلا مستهلة * تفجر بحرا للسماحة مزبدا
ونجلك نصر يقتفي نجل رسمه
أمير يزين العقل راجح حلمه
أتاك نجل يستضاء بنجمه
لحب رسول الله سماه باسمه * وباسمك في هذي الموافقة اقتدى
أقمت باعذار الامارة سنة
وطوقت من حلي بفخرك منة
وأسكنتها في ظل برك جنة
وألحقتها برد امتنانك جنة * وعرت منها بالتلاوة مسجدا
فلله عينا من رآهم تطلعوا
غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
وفي دوحة العلياء منك تفرعوا
ملوك بجلباب الحياء تقنعوا * أضاء بهم من أفق قصرك منتدى
وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم
وأضفوا به فوق الحلي لبوسهم
وقد زينوا بالبشر فيه شموسهم
وعاطوا كؤس الانس فيه جليسهم * وأبدوا على هول المقام تجلدا
شمائل فيهم من أبيهم وجدهم
تفصل آي الفخر فيها بحمدهم
وتنسبها الانصار قدما لسعدهم
تضئ بها أنوار مصابيح سعدهم * ولم لا ومن صحب الرسول توقدا
فوالله لولا سنة قد أقمتها
وسيرة هدي للنبي علمتها
وأحكام عدل للجنود رسمتها
لحالت بها الابطال تقصد سمتها * وتترك أوصال الوشيج مقصدا
ويا عاذرا أبدى لنا الشرع عذره

قوله امتنانك في نسخة اعتنائك اهـ

طرقت

طرقت حمى قد عظم الله قدره
وأجريت طيبا يحسد الطيب نشره
لقد جئت ما نستعظم الصيد أمره * وتفديه ان يقبل خليفتها فدا
رعى الله منها دعوة مستجابة
أفادت نفوس المخلصين انابة
ولم تلف من دون القبول حجابة
وعاذرها لم يبد عذرا مهابة * فأوجب عن نقص كمالا تزيدا
فنقص كمال المال وفر نصابه
وما السيف الا بعد مشق ذبابه
وما الزهر الا بعد شق اهابه
بقطع يراع الخط حسن كتابه * وبالقص يزداد الذبال توقدا
ولما قضوا من سنة الشرع واجبا
ولم نلق من دون الخلافة حاجبا
أفضنا نهنى منك جذلان واهبا
أفاض علينا أنعما ومواهبا * تعود بذل الجود فيما تعودا
هنيأ هنيأ قد بلغت مؤملا
وأطلعت نورا يبهر المتأملا
وأحرزت أجر المنعمين مكملا
تبارك من أعطى جزيلا وأجملا * وبلغ فيك الدين والملك مقصدا
الا في سبيل العز والفخر موسم
يظل به ثغر المسرة يبسم
وعرف الرضا من جوه يتنسم
وأرزاق أرباب السعادة تقسم * ففي وصفه ذهن الذكي تبلدا
وجلت في هذا الصنيع مصانعا
تبنى بدور التم منها مطالعا
وأبديت فيها للجمال بدائعا
وأجريت للاحسان فيها مشارعا * يود بها نهر المجرة موردا
وأجريت فيها الخيل وهي سوابق
وان طلبت في الروع فهي لواحق
نجوم وآفاق الطراد مشارق
يفوت التماح الطرف منها بوارق * اذا ما تجارى الشهب تستبق المدى
وتطلع في ليل القتام كواكبا
وقد وردت نهر النهار مشاربا

قوله بجحابة في نسخة اجابة اه

تقود الى الاعداء منها كواكبا
فترميهم من فوق التراب محاربا * تخور رؤس الروم فيهن سجدا
سوابح بالنصر العزيز سوانح
وهن لابواب الفتوح فواتح
تقود اليك النصر والله مانح
مغازات باب الخير والله فاتح * وماتم شئ قد عدا بعد ما بدا
رياح لها مشى البروق أعنة
ظباء فان جن الظلام فجنة
تقيها من البدر المتمم جنة
وتشرع من زهر النجوم أسنة * فتقذف شهب الرجم فى أثغر العدا
فاشهب من نسل الوجيه اذا انتمى
جرى فشأى شهب الكواكب فى السما
وخلف منها فى المقلد أنجما
تردى جمالا بالصباح وربما * يقول له الاصباح نفسى لك الفدا
وأحمر قد أذكى به البأس جمرة
وقد سلب الياقوت والورد حمرة
اداربه ساق من الحرب خمرة
وأبدى حبابا فوقها الحسن غرة * يزين بها خدا أسيلا مورّدا
وأشقر مهما شعشع الركض برقه
أعار جواد البرق فى الافق سبقه
بدا شفقا قد جال الحسن أفقه
ألم تر أن الله أبدع خلقه * فسال على أعطافه الحسن عسجدا
وأصفر قد وذ الاصيل جماله
وقد قد من برد العشى جلاله
اذا أسرجوا جنح الظلام ذباله
فغرته شمس تضى مجاله * وفى ذيله ذيل الظلام قد ارتدى
وأدهم فى مسح الدجى متجرد
يجيش بها بحر من الليل مزبد
وغرته نجم به تتوقد
له البدر سرج والنجوم مقلد * وفى فلق الصبح المبين تقيدا
وأبيض كالقرطاس لاح صباحه
على الحسن مغداه وفيه مراحه
وللظبيات الآنسات مراحه

قوله وماتم شئ الخ فى نسخة وماتم حتى الخ اه

تراه كنشوان أمالته راحه * وتحسبه وسط الجمال معربدا
وذاهبة في الجو مل عنانها
وقد لفعتها السحب بردعنانها
يفوت ارتداد الطرف لمح عيانها
وخفقت الجوزاء سبط بنانها * وصاغت لها حلي النجوم مقيدا
أراها عمود الصبح علو المصاعد
وأوهمها قرب المدى المتباعد
ففاتته سبقا في مجال الرواعد
وأتحفت الكف الخضيب بساعد * فطوقت الزهر النجوم بها يدا
وقد قذفتها للعصى حواصب
قد انتشرت في الجو منها ذوائب
تزاور منها في الفضاء حبائب
فبينهما من قبل ذا مناسب * لانهما في الروض قبل توالدا
بنات لام قد حبين لروحها
دعاها الهوى من بعد كتم لبوحها
فأقلامها تهوى لخط بلوحها
فبالامس كانت بعض أغصان دوحها * فعادت اليها اليوم من بعد عوّدا
ويارب حصن في ذراها قد اعتلى
أنارت بروج الافق في مظهر العلا
بروج قصور شدتها متطولا
فانشأت برجا صاعدا متنزلا * يكون رسولا بينها مترددا
وهل هي الا هالة حول بدرها
يصوغ لها حليا يليق بنحرها
تطوّر أنواعا تشيد بفخرها
فجلل برجليها وشاح بخصرها * وتاج بأعلى رأسها قد تنضدا
أراد استراق السمع وهو ممنع
فقام بأذيال الدجى يتلفع
وأصغى لاخبار السما يتسمع
فاتبعه منها ذوابل شرع * لتقذفه بالرعب مثنى وموحدا
وماهو الا قائم مد كفه
ليسأل من رب السموات لطفه
لمولى تولاه وأحكم رصفه
وكاف أرباب البلاغة وصفه * وأكرم منه القانت المتهجدا

ملاقى ركب من وفود النواسم
مقبل ثغر للبروق البواسم
مختم كف بالنجوم العواتم
مبلغ قصد من حضور المواسم * تجدده مهما صنيع تجددا
ومضطرب فى الجو أثبت قامة
تقدم يمشى فى الهواء كرامة
تطلع فى غصن الرشاء كمامة
وتحسبه تحت الغمام غمامة * يسيل على أعطافها عرق الندى
هوى واستوى فى حالة وتقلبا
كخاطف برق قد تألق خلبا
وتحسبه قد دار فى الافق كوكبا
ومهما مشى واستوقف العقل معجبا * تقلب فيه العين لحظا مرددا
لقد رام يرقى للسماء بسلم
فيمشى على خطبه متوهم
أجل فى الذى يبديه فكر توسم
ترى طائرا قد حل صورة آدمى * وجنا بهواة الفضاء تمردا
ومنتسب للخال سموه ملجما
له حكمات حكمها فاه ألجما
تخالف جنسا والداه اذا انتمى
كما جنسه أيضا تخالف عنهما * عجبت له اذلم يلد وتولدا
ثلاثتها فى الذكر جاءت مبينة
من اللاء سماها الاله زينة
وأنزل فيها آية مستبينة
وأودع فيها للجهول سكينة * وآلاؤه فيها على الخلق بددا
كسوه من الوشى اليمانى هودجا
يمد على مافوقه الظل سجسجا
وكم صورة تجلى به تبهر الحجا
وجزل وقود ناره تصدع الدجى * وقلب حسود غاظ منذ كيه موقدا
وماهى الا مظهر لجهاده
أرتنا بها الافراح فضل اجتهاده
ملاعبها هزت قدود صعاده
واذكرت الابطال يوم طراده * فما ارتبت فيه اليوم صدقته غدا
الا جدد الرحمن صنعا حضرته

ودوح الاماني في ذراه هصرته
بقصر طويل الوصف فيه اختصرته
يقيد طرف الطرف مهما نظرته * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
دعوت له الاشراف من كل بلدة
فجاؤا بآمال لهم مستجدة
وخصوا بألطاف لديه معدة
أياد بفياض الندى مستمدة * فكلهم من فضله قد تزودا
وجاءتك من آل النبي عصابة
لها في مرامي المكرمات اصابة
أجبتك حبا ليس فيه استرابة
ولبت دواعي الفوز منها اجابة * وناداهم التخصيص فابتدروا الندا
أجازوا اليك البحر والبحر يزخر
لبحر سماح مده ليس يجزر
فروّاهم من عذب جودك كوثر
ووااليت من نعماك ما ليس يحصر * وعظمتهم ترجو النبي محمدا
عليه صلاة الله ثم سلامه
به طاب من هذا النظام اختتامه
وجاء بحمد الله حلوا كلامه
يعز على أهل البيان مرامه * وتهوى له زهر الكواكب حسدا
أبث به حادي الركاب مشرقا
حديث جهاد للنفوس مشوّقا
رميت به من بالعراق مفوّقا
وأرسلت منه بالبديع مطوّقا * حماما على دوح الثناء مغردا
ركضت به خيل البيان الى مدى
فأحرزت خصل السبق في حلبة الهدى
ونظمت من نظم الدراري مقلدا
وطوّقت جيد الفخر عقدا منضدا * وقمت به بين السماطين منشدا
نسقت من الاحسان فيه فرائدا
وأرسلت في روض المحاسن رائدا
وقلدت عطف الملك منه قلائدا
تعوّدت فيه للقبول عوائدا * فلا زلت للفعل الجميل معوّدا
ولا زلت للصنع الجميل مجددا
ولا زلت للفخر العظيم مخلدا

وعمرت عمرا لايزال مجـــددا
وعمرت بالابناء أوحد أوحدا * وقرت بهم عيناك ماساق حدا

(وقال فى عيد)

بشرى كما وضح الزمان وأجمل * يغشى سناها كل من يتهلل
أبدى لها وجه النهار طلاقة * وافتر عن ثغر الاقاح مقبل
ومنابر الاسلام بالملك العلى * بجلالك أوبحليها تتكلل
تجلوا لنا الاكوان منك محاسنا * تروى على مر الزمان وتنقل
فالشمس تأخذ من جبينك نورها * والبشر منك بوجهها يتهلل
والروض ينفح من ثنائك طيبه * والورق فيه بالمدائح تهدل
والبرق سيف من سيوفك منتضى * والسحب تهمى من يديك وتهمل
ياأيها الملك الذى أوصافه * در على جيد الزمان يفصل
الله أعطاك التى لافوقها * وحباك بالفضل الذى لايجهل
وجه كما حسر الصباح نقابه * اضياؤه تعشو البدور الكمل
تلقاه فى يوم السماحة والوغى * والبشر فى جنباته يتهلل
كف أبت أن لاتكف عن الندى * أبدا فان ضن الحيا تسترسل
وشمائل كالروض باكره الحيا * وسرت برياه الصبا والشمأل
خلق ابن نصر فى الجمال كخلقه * مابعدها من غاية تتكمل
نور على نور بأبهى منظر * فى حسنه لوقيل ما يأمل
فاق الملوك بسيفه وبسيبه * فبعدله وبفضله يتمثل
واذا تطاول للعميد عميدهم * فله عليه تطاول وتطول
ياآية الله التى أنوارها * يهدى بها قصد الرشاد الضلل
قل للذى التبست معالم رشده * هيهات قد وضح الطريق الامثل
قد ناصح الاسلام خير خليفة * وحمى عزيز الملك أغلب أشبل
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى * مابعده لذوى الخلافة مأمل
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لاتفصل
فالجود الامن يديك مقتر * والغيث الامن نداك ممحل
والعمر الاتحت ظلك ضائع * والعيش الافى جنابك ممحل
حيث الجهاد غدا علت راياته * حيث المغانم للعفاة تنفل
حيث القباب الحمر ترفع للقرى * قد عام فى ارجائهن المندل
ياحجة الله التى برهانها * عز المحق به وذل المبطل
قل للذى ناواك يدفع نومه * فوراءه ملك يقول ويفعل
والله جل جلاله ان أمهلت * أحكامه مستدرجا لاتهمل
ياناصر الاسلام وهو فريسة * أسد الفلا من حولها تتسلل

يا فخر أندلس وعصمة أهلها * لك فيهم النعماء التي لا تجهل
لا يهمل الله الذين رعيتهم * فلأنت أكفى والعناية أكفل
لا يبعد النصر العزيز فإنه * آوى إليك وأنت نعم الموئل
لولاك اهالما نقع الصدى * وبلغ من ورد الصنائع منهل
لولاك كان الدين يغمط حقه * ولكان دين النصر فيه يعطل
لكن جنيت الفتح من شجر القنا * وجنى الفتوح لمن عداك مؤمل
فلطالما استفتحت كل ممنع * من دونه باب المطامع مقفل
ومتى نزلت بمعقل متأشب * فالعصم من شعفاته تستنزل
وإذا غزوت فإن سعدك ضامن * أن لا تخيب وأن قصدك يكمل
فمن السعود أمام جيشك موكب * ومن الملائك دون جندك جحفل
وكتيبة أردفتها بكتيبة * والخيل تمرح في الحديد وترفل
من كل منحفز كلمعة بارق * بالبدر يسرج والأهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه * كفل كما ماج الكثيب الأهيل
حتى إذا ملك الكمي عنانه * يهوي كما يهوي بجو أجدل
حمات أسود كريهة يوم الوغى * ما عابها إلا الوشيج الذبل
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة * والسمر قضب فوقها تتهدل
من كل معتدل القوام مثقف * لكنه دون الضريبة يعسل
أذكيت فيه شعلة من نصله * يهدي بها إن ضل عنه المقتل
ولرب لماع الصقال مشهر * ماض ولكن فعله مستقبل
رقت مضاربه وراق فرنده * فالحسن فيه مجمل ومفصل
فإذا الحروب تسعرت أجزالها * ينساب في يمناك منها جدول
وإذا دجا ليل القتام رأيته * وكأنه فيه ذبال مشعل
فاعجب لها من جذوة لا تنطفي * في أبحر زخرت وهن الأنمل
هي سنة أحييتها وفريضة * أديتها قربانها تتقبل
فإذا الملوك تفاخرت بجدودها * فلأنت أحفى بالجهاد وأحفل
يا ابن الذين جمالهم ونوالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإما * م ابن الإمام وقدرها لا يجهل
آباؤك الأنصار تلك شعارهم * فلهم آوى النبي المرسل
فهم الألى نصروا الهدى بعزائم * مصقولة وبصائر لا تخذل
ماذا يحبر شاعر في مدحهم * وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل
مولاي لا أحصي مآثرك التي * بحديثها تنضى المطي الذلل
وإذا الحقائق ليس يدرك كنهها * سيان فيها مكثر ومقلل
فإليك من شوال غرة وجهه * أهداكها يوم أغر محجل

عذراء راق العيد رونق حسنها * فغدا بنظم حليها يتجمل
وضعت لبان العلم في حجر النهى * فوفت لها منه ضروع حفل
ملك البيان بها سبيل اجادة * لولا صفاتك كان عنها يعدل
جاءت تهنى العيد أيمن قادم * وافى بشهر صيامه يتوسل
وطوى الشهور مراحلا معدودة * كيما يرى بفناء جودك ينزل
وأتى وقد شف النحول هلاله * ولشوقه للقاء وجهك ينحل
عقدت عرى قبه العيون مسرة * فتكبر لطلوعه وتهلل
فاسلم لالف مثله في غبطة * ظل المنى من فوقه يتهدل
فاذا بقيت لنا فكل سعادة * في الدين والدنيا بها تتكفل

(وقال ابن الاحمر) ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقيه وبارقات تمائمه في المواسم العقيقيه قوله يهنئه رضوان الله تعالى عليه بطلوع مولانا الوالد قدس الله تعالى روحه

طلع الهلال وافقه متهلل * فتكبر لطلوعه ومهلل
أوفى على وجه الصباح بغرة * فغدا الصباح بنورها يتجمل
شمس الخلافة قد أمدت نوره * وبسعدها يرجو التمام ويكمل
لله منه هلال سعد طالع * لضيائه تعشو البدور الكمل
وألحت بأشمس الهداية كوكبا * يغشى سناه كل من يتأمل
والتاج تاج البدر في افق العلا * مازال بالزهر النجوم يكلل
ولئن حوى كل الجمال فانه * بالشهب أبهى ما يكون وأجمل
أطلعت يا بدر السماح هلاله * والملك أفق والخلافة منزل
يبدو بها لات السروج وانه * من نور وجهك في العلا يستكمل
قلدت عطف الملك منه صارما * بغنائه ومضائه تتمثل
حليته بحلى الكمال وجوهر الـ * ـخلق النفيس وكل خلق يجمل
يغزو أمامك والسعود امامه * وملائك السبع العلا تتنزل
من مبلغ الانصار منه بشائر * غرر البشائر بعدها تسترسل
أحيا جهادهم وجدد فخرهم * بعد المئين فلكهم يتأثل
فبه الى الاجر الجزيل توصلوا * وبهم الى رب السما يتوسل
من مبلغ الاذواء من يمن وهم * قد توجوا وتملكوا وتقيلوا
ان الخلافة من بنيهم أطلعت * قرابه سعد الخليقة يكمل
من مبلغ قحطان آساد الشرى * ماغابها الا الوشيج الذبل
ان الخلافة وهو شبل ليوثهم * قد حاط منها الدين ليث مشبل
يهنى بنى الانصار أن امامهم * قد بلغته سعوده ما يأمل
يهنى البنود فانها ستظله * وجناح جبريل الامين يظلل
يهنى الجياد الصافنات فانها * بفتوحه تحت الفوارس تهدل

يبنى المذاكى والعوالى والظبا * فيها الى نيل المنى يتوصل
يبقى المعالى والمفاخر انه * فى مرتقى أوج العلا يتوقل
سبقت مقدمة الفتوح قدومه * وأتاك وهو الوادع المتمهل
وبدت نجوم السعد قبل طلوعه * تجلو المطامع قبله وتؤثل
وروت أحاديث الفتوح غرائبا * والنصر يملى والبشائر تنقل
ألقت اليك به السعود زمامها * فالسعد يمضى ماتقول وتفعل
فالفتح بين معجل ومؤجل * ينسيك ماضيه الذى يستقبل
أوليس فى شأن المشير دلالة * ان المقاصد من طلابك تكمل
ناداهم داعى الضلال فأقبلوا * ودعاهم داعى المنون فجدلوا
عصوا الرسول اباية وتحكمت * فيهم سيوفك بعدها فاستمثلوا
كانوا جبالا قدعلت هضباتها * نسفتهم ريح الجلاد فزلزلوا
كانوا بحارا من حديد زاخر * أذكتهم نار الوغى فتبتلوا
ركبت أرجلها الاداهم كلما * يتحركون الى قيام تصهل
كان الحديد لباسهم وشعارهم * واليوم لم تلبسه الا الارجل
الله أعطاك التى لافوقها * فتحا به دين الهدى يتأثل
جددت للانصار حلى جهادها * فالدين والدنيا به تتجمل
من يتحف البيت العتيق وزمزما * والوفد وفد الله فيه ينزل
متسابقين الى مثابة رحمة * من كل ماحدب اليه تنسل
هيما كأفواج القطا قدساقها * ظمأ شديد والمطاف المنهل
من كل مرفوع الاكف ضراعة * والقلب يخفق والمدامع تهمل
حتى اذا روت الحديث مسلسلا * بيض الصوارم والرماح العسل
من فتحك الاسنى من الجيش الذى * بنبائه أهل الوغى تتمثل
أهدتهم السراء نصرة دينهم * واستبشروا بحديثها وتهللوا
وتناقلوا عنك الحديث مسرة * بسماعه واهتز ذاك المحفل
ودعوا بنصرك وهو أعظم مفخرا * ان الحجيج بنصر ملكك يحفل
فاهنأ بملكك واعتمد شكرا به * لطف الاله وصنعه تخول
شرفت منه باسم والدك الرضا * يحيى به منه الكريم المفضل
أبديت من حسن الصنيع عجائبا * تروى على مر الزمان وتنقل
خفقت به أعلامك الحمر التى * بخفوقها النصر العزيز موكل
هدرت طبول العز تحت ظلالها * عنوان فتح اثرها يستعجل
ودعوت أشراف البلاد وكلهم * يثنى الجميل وصنع جودك أجمل
وردوا ورود الهيم أجهدها الظما * فصفالهم من ورد كفك منهل
وأثرت فيه للطراد فوارسا * مثل الشموس وجوههم تتهلل

من كل وضاح الجبين كأنه * نجم وجنح النقع ليل مسبل
بردا الطراد على أغر محجل * فى سرجه بطل أغر محجل
قد عودوا قنص الكماة كأنما * عقبانها ينقض منها أجدل
يستنبعون هوادجا موشية * من كل بدع فوق ما يتخيل
قد صورت منها غرائب جمة * تنسى عقول الناظرين وتذهل
وتضمنت جزل الوقود حواها * والنصر فى التحقيق ماهى تحمل
والعاديات اذا تلت فرسانها * آى القتال صفوفها تترتل
لله خيلك انها لسوابح * بحر القتام وموجه متهيل
من كل برق بالثريا ملجم * بالبدر يسرج والاهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه * كفل كما لاح الكثيب الاهيل
هزئ البوارق غير أن جيادها * عن سبق خيلك يا مؤيد تنكل
من أشهب كالصبح يعلو سرجه * صبح به نجم الضلالة يأفل
أو أدهم كالليل قلد شهبه * خاض الصباح فأثبته الارجل
أو أشقر سال النضار بعطفه * وكساه صبغة بهجة لا تنصل
أو أحمر كالجمر اضمر بأسه * بالركض فى يوم الحفيظة يشعل
كالخمر أترع كاسها الندامها * وبها حبابة غرة تتسلسل
أو أصفر لبس العشى ملاءة * وبذيله لليل ذيل مسبل
أجادت فى هذا الصنيع عوائدا * الجود فيها مجمل ومفصل
أنشأت فيها من نداك غمائما * بالفضل تنشأ والسماحة تهمل
تجرت من كفيك عشرة أبحر * تزجى سحاب الجود وهى الانمل
من قاس كفك بالغمام فانه * جهل القياس ومثلها لا يجهل
تسخو الغمام ووجهها متجهم * والوجه منه مع الندى يتهلل
والسحب تسمح بالمياه وجوده * ذهب به أهل الغنى تتمول
من قاس بالشمس المنيرة وجهه * ألفيته فى حكمه لا يعدل
من أين للشمس المنيرة منطق * ببيانه در الكلام يفصل
من أين للشمس المنيرة راحة * تسخو اذا بخل الزمان الممحل
من قاس بالبدر المنير كماله * فالبدر ينقص والخليفة يكمل
من اين للبدر المنير شمائل * تسرى برياها الصبا والشمأل
من أين للبدر المنير مناقب * بجهادها تنضى المطى الذلل
يا من اذا نفحت نواسم حمده * فالمسك يعبق طيبه والمندل
يا من اذا لحت محاسن وجهه * تعشو العيون ويبهر المتأمل
يا من اذا تليت مفاخر قومه * آى الكتاب بذكرها تتنزل
كفل الخلافة منك يا ملك العلا * والله جل جلاله بك أكفل

مأمونها وأمينها ورشيدها * منصورها مهديها المتوكل
حسب الخلافة أن تكون وليها * ومجيرها من كل من يتغيل
حسب الزمان بأن تكون امامه * فله بذلك عزة لا تجهل
حسب الملوك بأن تكون عميدها * ترجوا الندى من راحتيك وتكمل
حسب المعالى أن تكون امامها * فعليك أطناب المفاخر تسدل
يا حجة الله التى برهانها * عز الحق به وذل المبطل
أنت الامام ابن الامام ابن الاما * م ابن الامام وفخرها لا يعدل
عليت حتى لم تدع من جاهل * أعطيت حتى لم تدع من يسال
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لا تفصل

ومنها

أخذت قلوب الكافرين مهابة * فعقولهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلولة * أرواحهم من بأسها تتسل
وترى النجوم مناصلا مرهوبة * فيفر منها الخائف المتنصل
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
مولاى لا أحصى ما ترك التى * بجهادها يتوصل المتوسل
أصبحت فى ظل امتداحك ساجعا * طل المنى من فوقه يتهدل
طوقته طوق الحمائم أنعما * فغدا بشكرك فى المحافل يهدل
فاليكها من صوغ العقول عقيلة * أهدى اكها صنع أغر محجل
عذراء راق الصنع رونق حسنها * فغدا بنظم حليها يتكلل
خيرتها بين المنى فوجدتها * اقصى مناها انها تتقبل
لا زلت شمسا فى سماء خلافة * وهلالك الاسمى يتم ويكمل

قال ومن رقيق منازعه فى بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطانى فى شنيل قوله

نفسى الفداء لشادن مهما خطر * فالقلب من سهم الجفون على خطر
فضح الغزالة والاقاحة والقنا * مهما تثنى أو تبسم أو نظر
عجبا لليل ذوائب من شعره * والوجه يسفر عن صباح قد سفر
عجبا لعقد الثغر منه منظما * والعقد من دمعى عليه قد انتثر
ما رمت أن أجنى الاقاح بثغره * الا وقد سلت السيوف من الحور
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله * والقلب من شك الظهور على غرر
بتنا نراقبه بأول ليلة * فاذا به قد لاح من نصف الشهر
طالعته فى روضة كخلاله * والطيب من هذى وتلك قد اشتهر
وكلاهما يبدى محاسن جمة * ملء التنسم والمسامع والبصر
والكاس تطلع شمسها فى خدره * فتكاد تغشى بالاشعة والنظر

نورية كجبينه وكلاهما * يجلو ظلام الليل بالوجه الاغر
هى نسخة للشيخ فيها نسبة * ما ان يزال يرعشان من الكبر
أفرغت فى جسم الزجاجة روحها * فرأيت روح الانس منها قد بهر
لا تسق غير الروض فضلة كاسها * فالغصن فى ذيل الازاهر قد عثر
ما هب خفاق النسيم مع السحر * الا وقد تاق النفوس وقد سحر
ناجى القلوب الخافقات لمثله * ووشى بما تخفى الكمام من الزهر
وروى عن الضحاك عن زهر الربا * ما أسند الزهرى عنه عن مطر
وتحملت عنه حديث صحيحه * رسل النسيم وصدق الخبر الخبر
يا قصر شنيل وربعك آهل * والروض منك على الجمال قد اقتصر
لله بحرك والصبا قد سرّدت * منه دروعا تحت أعلام الشجر
والآس حف عذاره من حوله * عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قبل بثغر الزهر كف خليفة * يغنيك صوب الجود منه عن المطر
وافرش خدود الورد تحت نعاله * واجعل بها الون المضاعف عن خفر
وانظم غناء الطير فيه مدائحا * وانثر من الزهر الدراهم والدرر
المنتقى من جوهر الشرف الذى * فى مدحه قد أنزلت آى السور
والمجتبى من عنصر النور الذى * فى مطلع الهدى المقدس قد ظهر
ذو سطوة مهما سكنى ذو رحمة * مهما عفا ذو عفة مهما قدر
كم سائل للدهر أقسم قائلا * والله ما أيامه الا غرر
مولاى سعدك كالمهند فى الوغى * لم يبق من رسم الضلال ولم يذر
مولاى وجهك والصباح تشابها * وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
ان الملوك كواكب أخفيتها * وطلعت وحدك فى مظاهرها قمر
فى كل يوم من زمانك موسم * فى طيه للخلق اغناء كبر
فاستقبل الايام يندى روضها * ويرف والنصر العزيز له ثمر
قد ذهبت منها العشايا ضعف ما * قد فضضت منها المحاسن فى السحر
يا ابن الذين اذا تعد خلالهم * نفد الحساب وأعجزت منها القدر
ان أوردوا هيم السيوف غدائرا * مصقولة فلطالما حمدوا الصدر
سائل ببدر عنهم بدر الهدى * فبهم على حزب الضلال قد انتصر
واسأل مواقفهم بكل مشهر * واقرا المغازى فى الصحيح وفى السير
تجد الثناء بيأسهم وبجودهم * فى مصحف الوحى المنزل مستطر
فبمثل هديك فانتشر شمس الضحى * وبمثل قومك فليفاخر من فخر
ماذا أقول وكل وصف معجز * والقول فيك مع الاطالة مختصر
تلك المناقب كالثواقب فى العلا * من رامها بالحصر أدركه الحصر
ان غاب عبدك عن جمالك فانه * بالقلب فى تلك المشاهد قد حضر

فادكر

فاذكر فان الذكر منك سعادة * وبه علا على كل الانام قد افتخر
ورضاك عنه غاية ما بعدها * الا رضا الله الذى ابتدع البشر
فاشكر صنيع الله فيك فانه * سبحانه ضمن المزيد لمن شكر
وعليك من روح الاله تحية * تهفو اليك مع الاصائل والبكر

(ثم قال) وفى اغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهى فى الشكر عن ضروب من التحف التى يقتضيها التحفى السلطانى بأوليا خدمته بمذ متعددة فيما يظهر فيها (فمنها قوله)

يا خير من ملك الملوك بجوده * وبفضله قد أشبه الاملاكا
والله ما عرف الزمان وأهله * أمنا وعيشا دائما لولاكا
وافيت أهلى بالرياض عشية * فى روض جاهك تحت ظل ذراكا
فوجدته قد طله صوب الندى * بسحائب تنهل من يمناكا
وسفائن مشحونة ألقى بها * بحر السماح يجيش من نعماكا
رطب من الطلع النضيض كأنها * قد نظمت من حسنها أسلاكا
من كل ما كان النبى يحبها * وأحبها الانصار من أولاكا
وبدائع التحف التى قد أطلعت * مثل البدور أنارت الاحلاكا
نطف من النور المبين تجسمت * حتى حسبنا أنهن هداكا
يحلو على الافواه طيب مذاقها * لولا التجسد خلتهن ثناكا
طافت بها النشأ الصغار كأنها * سرب القطا الماوردن نداكا
نجواهم مهما سمعت كلامهم * ونداؤهم مولاى أو مولاكا
بلغت فى الابناء عبد لسؤله * لازلت تبلغ فى بنيك مناكا
يتدارسون من الدعاء صحائفا * كيما يطيل الله فى بقاكا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة * وهم البدور أمد من سناكا

قوله هدا كا فى نسخة حلا كا اه

(ومنها) وقد أهدى نعمة الله اطباقا من حب الملوك

كتب الاله على العباد محبة * لك كان فرض كتابها موقوتا
وانا الذى شرفته من بينهم * حتى جعلت له المحبة قوتا
مازلت تتحفه بكل ذخيرة * حتى لقد أتحفته الياقوتا
والى الملوك قد اعتزى من عزه * فغدا الياقوت عنها مبتوتا

(ومنها فى مثل ذلك)

يا خير من ملك الملوك * أهديتنى حب الملوك
فكأنما ياقوتها * نظمت لنا نظم السلوك
ان الملوك اذا حلوا * فغناؤهم أن أمنلوك
وكذا العفاة اذا شكروا * فغناهم أن يسألوك
فالله يقبل من دعا * لعلاك من أهل السلوك
لازلت تطلع غرة * كالشمس فى وقت الدلوك

(ومنها وقد أهداه صيدا مما صاده أولاده)

ياخير من ورث السماح من الالى * نصروا الالى وتبوّؤا الايمانا
فى كل يوم منك تحفة منعم * والى الجميل وأجزل الاحسانا
قد أذكرت دار النعيم عبيده * وتضمنت من فضله رضوانا
تهدى من الذين تفرّعوا * عن دوح فخرك فى العلا أغصانا
لسلالك الاعلى قنيصا أتعبوا * فى صيده الارواح والابدانا
فتخص منه بأوفر قسمة * فسعت لعبدك فى الرضا ميدانا
لله من مولى كريم بالذى * تهدى الموالى يتحف العبدانا
تدعو بنى الغنى بربه * يا ربنا أغن الذى أغنانا
وعليك من قدس الاله تحية * تهديك منه الروح والريحانا

(ومنها وقد أهداه أصنافا من الفواكه)

يامن له الوجه الجميل اذا بدا * فاقت محاسنه البدور كمالا
والمنتقى من جوهر الفخر الذى * فاق الملائك عزة وجلالا
ما أبصرت عيناى مثل هدية * أبدت لنا صنع الاله تعالى
فيها من التفاح كل عجيبة * تذكى برياها صبا وشمالا
تهدى لنا نهد الحبيب وخده * وترى من الورد الجنى مثالا
وبها من الاترج شمس أطلعت * من كل شطر للعيون هلالا
ويحفها ورق يروق كأنه * ورق النضار وقد أجاد تبالا
لون العشية ذهبت صفحاتها * رقت وراقت بهجة وجمالا
وبها من النقل الشهى مذكر * عهدا أولى ليته يتوالى
لله منها حضرة من حضرة * تفنى العفاة وتحسب الآمالا
أذكرتنى العهد القديم ومعهدا * كانت شموس الراح فيه تلالا
فأردت تجديد العهود وانما * كتب المشيب على عذارى لالا
فادرت من ذكراك كأس مدامة * وشربت من حبى لها جريالا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة * لا يستطيع لها الزمان زوالا

(ومنها يوم عاشوراء)

يا أيها المولى الذى بركاته * رفعت لواء للندى منشورا
لك راحة تزجى الغمام بأنمل * فجرت منها بالنوال بحورا
واليوم موسم قربة وعبادة * وغدا الظفر بأجره عاشورا
راعيت فيه سنة نبوية * تروى الثقات حديثه المشهورا
لازلت عامك كله فى غبطة * لقيت منها نضرة وسرورا

(ومنها فى بعض قطعه)

والبيت ما أوليت يا بحر الندى * وبحق جودك ما رأيت كهذه

فاذا

قوله نصروا الالى هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه من عدم ذكر الصلة فلعله نصروا النبى بسكون الياء أو نصروا العلا أو نحو ذلك اه مصححه

هكذا بياض بالاصل ولينظر ويمكن أن يقال أخذا من السياق والمقام (تهدى سلالك الذين تفرّعوا) الخ اه مصححه

فاذا يهزه اللسان حسامه * فصفاته نظرا قد قضت بنفاذه
علمت فرسان الكلام نظامها * كتعلم التلميذ من أستاذه
والبحر يمتار السحائب ماءه * فتجوده من غيثها برذاذه

(ومنها وقد أهداه باكورا)

ياوارث الانصار وهي مزية * بفخارها أثنى الكتاب المنزل
أهديتني الباكور وهي بشارة * ببواكر الفتح الذي يستقبل
وولادة الهلال تم طالع * وجه الزمان بوجهه يتهلل
هو أول الانوار في أفق الهدى * وترى الاهلة بعده تسترسل
مولاي صدق الفال قد جربته * من لفظ عبدك والعواقب أجمل

(ومنها في جفنة)

طعامك من دار النعيم بعثته * فشرفته من حيث أدري ولا أدري
بصحفة نعمى قد سموا لاوجها * فصدنا بأعلاها الشهى من الطير
وقوراء قد درنا بهالة بدرها * كما دارت الزهر النجوم على البدر
وقد حملت فوق الرؤس لانها * هدية مولى حل في مفرق الفخر
فما شئت من طعم زكي مهنأ * وما شئت من عرف ذكي ومن نشر
فلو أنها قد قدمت لخليفة * لاعظمها قدرا وبالغ في الشكر
وكم لك من نعمى على عميمة * يقل لادناها الجليل من الذكر
فلا زلت يامولى الملوك مبلغا * أماني ترجوها الى سالف الدهر

(ومنها شكرا عن كتاب)

مولاي يوم الجمعة * سعوده مجتمعه * فانعم صباحا واغتنم * أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل * أعلامه مرتفعه * وانتظر الفتح الذي * يأتيك بالنصر معه
وبيضه وسمره * الى العداة مشرعه * واللطف مرجو فرد * بفضل ربي مشرعه
فالتحفني شرفتني * برقعة مرفعه * بل روضة ممطورة * أزهارها متنوعه
حديقة قد جدتها * بصوب جود مترعه * وراية منشورة * وآية مستبدعه
كم حكم لطيفة * في طيها مستودعه * عقيلة صورتها * من الجمال مبدعه
سقيتني من فضلها * بفضل كاس مترعه * فدم وأملاك الورى * على علاك مجمعه

(ومنها شكرا على خلعة)

يابدر تم في سماء خلافة * حفت نجوم السعد هالة قصره
ألبست عبدك من ثيابك ملبسا * قد قصرت عنه مدارك شكره
ورضاك عنه خير ما ألبسته * فلقد أشاد بجاهه وببره
ألبستني أركبتني شرفتني * أهديتني مالا أقوم بحصره
نظري لوجهك وهو أجمل نير * يزري على شمس الزمان وبدره
أعلى وأعظم منة لاسيما * وأنا المنعم في الحضور بشره

لازلت مولى للملوك مؤملا * وحلالك للاسلام مفخر دهره

(ومنها وقد خلع رضوان الله تعالى عليه على رسول من أرساله)

أبحر سماح مد عشرة أبحر * تفيض بمام الجود وهي الانامل
بكفك غيث للبلاد وأهلها * يروض محل الارض والعام ماحل
لك الخيران أصبحت بحر سماحة * يعم نداه فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملابسا * بها تتسق فى علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها * فبلغت يامولاى ماأنت آمل

(ومنها وقد مرض بعض أبنائه رحمة الله تعالى على الجميع قوله سائلا عن حاله)

أسائل بدر التم كيف هلاله * وأدعو له الرحمن جل جلاله
وأسأله تعجيل راحته التى * وسيلتنا فيها النبى وآله
ستبلغ فيه ماتؤمل من منى * ويرضيك يابدر الكمال كماله

(وفى مثله)

أقول لبدر التم كيف هلالكا * فعمت صباحا بالسعود وآلكا
وبلغت فى النجل الكريم سعادة * تقربها عينا وينعم بالكا
وخصصت بالبشرى من الله ربنا * كاعم أقطار البلاد نوالكا

(ومن التورية باسم قائد ولاه على جماعة من الجند)

ياأيها المولى الذى أيامه * تهمى بسحب الجود من آلائه
أبشر لجيشك بالسعادة كلما * يغزو ونصر الله تحت لوائه

(وأنشده فى ملبس اتخذه)

أمولاى ياابن السابقين الى العلا * ومن نصروا الدين الحنيفى أولا
غنيت بنور الله عن كل زينة * وألبست من رضوانه أشرف الحلى
وقارك زاد الملك عزا وهيبة * وسوغه من رحمة الله منهلا
ويا شمس هدى فى سماء خلافة * وأبناؤه الزهر المنيرة تجتلى
تبارك من أبداك فى كل مظهر * جميلا جليلا مستعاذا مؤملا
فتخجل منك الشمس شمس هداية * ويحسد منك البدر بدرا مكملا
اذا أنت ألبست الزمان وأهله * ملابس عزليس يدركها البلى
وطوقت أجياد الملوك أياديا * وتوجتهم بالفخر تاجا مكللا
تخاشنت فالبس فى المشاهد كلها * تبارك ماأبهى وأسنى وأجملا
الا كل من صلى وضحى ومن دعا * ومد يديه ضارعا متوسلا
وجودك شرط فى حصول قبوله * وجودك أثرى كفه فتنفلا

وقال برسم مارسم على ثوب فى بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبى العباس

أهدى أبا العباس * ملك الندى والباس * ثوب السماء لانه * بدر بدا للناس
فاق الصباح بوجهه * عوذته بالناس * يكسوا امام لم يزل * يحلى المحامد كاسى

فيا له من مرتد * ثوب التقى لباس * أذياله من حمد * مسكية الانفاس
وبطرزه مدح زرا * بالمدح في القرطاس * ان كنت في لون السما * بنسبة وقياس
فلانت يا بدر العلا * شرفتني بلباس * أنا منشد ما في وقو * فك ساعة من باس
لترى رياضا أطلعت * زهرا على أجناس * أوراقها وبريقها * بقضيبها المياس
ومن المديح مدامتي * ومن المحابر كاسي * فالله يمتع لابسي * بالبشر والايناس

وقال في مثل ذلك

ان الامام محمدا * أهدى الخليفة أحمدا * لباسه ثوبا وقد * لبس المحامد وارتدى
وعمامة الشفق التي * من فوقها شمس الهدى * يا حسنها اذ أرسلت * من كفه غيث الندى
وكان وشي رقومها * بالبرق طرز عسجدا * وبطرزه لون السما * ويوجهه قمر بدا
لله منه نير * حل المنازل أسعدا * مستنصر أعلى له * فوق المنازل أسعدا

ثم قال وأنشده وهو على جواد أدهم

تجلى لنا المولى الامام محمد * على أدهم قد راق حسن أديمه
فأبصرت صبحا فوق ليل وقد حكى * مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

وكتب له مع هدية زهر

أمولاي تقبيلي لمينك شاقني * ولا ينكر الظمآن شوقا الى البحر
ولما رأيت الدهر ما طلني بها * وشوقني من حيث أدري ولا أدري
بعثت لك الزهر الجني لعله * يقبلها عني ثغور من الزهر

وكتب اليه ايضا متشوقا

كتبت ودمعي بلل الركب قطره * وأجرى به بين الخدام السواقيا
حنينا لمولى أتلف المال جوده * ولكنه قد خلد الفخر باقيا
وما عشت بعد البين الالانني * أرجي بفضل الله منه التلاقيا

وأنشده أيضا وهو بحال تألم

كأني بلطف الله قد عم خلقه * وعافى امام المسلمين وقد شفا
وقاضي القضاء الحتم سجل ختمه * وخط على رسم الشفاء له اكتفى

وله في مثل ذلك

لك الخير يا مولاي أبشر بعصمة * عقدت مع الايام في حفظها صلحا
وعافية في صحة مستجدة * تجدد للدين السعادة والنجحا
ووجه التهاني مشرق متهلل * وجو التهاني بعد ما غام قد أضحى

وفي مثل ذلك

يا اماما قد تخذنا * من الدهر ملاذا
خط يمناك ينادي * صح هذا صح هذا

وقال مهنئا بالشفاء

الحمد لله بلغنا المنى * لما رأيناك وزال العنا

وفزت بالاجر وكبت العدا * وفزت بالعز وطيب الثنا
فالحمد لله على ما به * منّ علينا من ظهور السنا

وقال ايضاً فى نحوه

نعم قرّت العينان وانشرح الصدر * وقد لاح من وجه الامام لنا البدر
مررنا بليل التيه يكذب فجره * فلما تجلى فجره صدق الفجر
أغرّ المحيا بالحياء مقنع * زهاه الكلام الحرّ والنسب الحرّ
امام الهدى قد خصه بخلافة * الاله فى خلقه النهى والامر

وقال فى مثله وقد ركب رحمه الله تعالى لمشاهد حضرته

هنيأ هنيأ لانقياد لعدة * وبشرى لدين الله انجاز وعده
فقد لاح بدر التم فى أفق العلا * وحلّ كما رضى منازل سعده
وطاف أمير المسلمين محمد * بحضرته العليا مبلغ قصده
ولاحت بها الانوار من بشر وجهه * وفاح بها النوّار من نشر حمده
وأبصرت الابصار شمس هداية * وأشرقت الارجاء من زهر رفده
واوضحت الاعلام فيها بنصره * كما لوح الصبح المنير بينده
ستهدى له الايام كل مسرّة * ويحيى به الرحمن آثار جده
فسلّ حسام السعد واضرب به العدا * وخلّ حسام الهند فى كنز غمده
فسيف سيف الله مهما سللته * يقيم حدود الله قائم حدّه

وقال وقد عاد رحمه الله تعالى من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشوار

على الطائر الميمون والطالع السعد * قدمت مع الصنع الجميل على وعد
وقد عدت من جبل الشوار لتجتلي * عقائل للفتح المبين بلا عدّ

قوله وقد عدت الخ يلزم تسكين باء جبل كما لا يخفى اه

وقال مما رسم فى طيقان الابواب بالمبانى السعيدة التى ابتناها رحمه الله تعالى

أنا تاج كهلال * أنا كرسى جمال
يجتلى الابريق فيه * كعروس ذى اختيال
جود مولانا ابن نصر * قد حبانى بالكمال

وفى مثله

من رأى التاج الرفيعا * قد حوى الشكر البديعا
تحسد الافلاك منه * قوسه السهل المنيعا
دمت ربعا للتهانى * أنتظم الشمل الجميعا

وفيه

الغنى بالله قصر * للتهانى به طفيه
فيه محراب صلاة * يقف الابريق فيه
تاليا سورة حسن * والمعالى تقتفيه

وفيه

أي قوس ذي جمال * سهمه سهم السعاده
ملك الابريق فيه * عوّد الاحسان عاده
ذو صلاة من صلاة * كلها دايا معاده

وقال في المعنى مما كتب به لعمنا الامير سعد رحمة الله تعالى عليه

انظر لافق جمال * به الاباريق تصعد
حسن بديع حباه * به الامير المسعد
فخر الامارة سعد * به الخليفة يسعد
وكيف لا وأبوه * فخر الملوك محمد
عليه حلي رضاه * في كل يوم يجدد

وقال فيه أيضا

رفعت قوس سمائي * يزهي بتاج الهلال
قد قلدته نقوشي * درّ الدراري العوالي
ترى الاباريق فيه * تهديك عذب الزلال
قد زان قصري سعد * بسعده المتوالي
فدام يعمر ربعي * في كل مولى الموالي

وفي الغرض

ماترى في الرياض أشباهي * يسحر العقل حسني الزاهي
زان روضي أميره سعد * وهو نجل الغني بالله
دام منه بربعي عز * آمر بالسعود أوناهي

وقال في غرض الشكر عن مغطى صنهاجي أهداه اياه

لمن قبة حمراء مذ نضارها * تطابق منها أرضها وسماؤها
وما أرضها الا خزائن رحمة * وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها
وقد شبه الرحمن خلقتنا به * وحسبك فخرا بان منه اعتلاؤها
ومعروشة الارجاء معروشة بها * صنوف من النعماء منها وطاؤها
ترى الطير في أجوافها قد تصففت * على نعم عند الاله كفاؤها
ونسبتها صنهاجة غير انها * تقصر عما قد حوى خلفاؤها
حبتني بها دون العبيد خلافة * على الله في يوم الجزاء جزاؤها

وفي مثله

ما للعوالم جمعت في قبة * قد شادها كرم الامام محمد
ما ان رأيت ولا سمعت كطائر * عن ثوب موشي الرياش مجرد
ان لم تكن تلك الطيور تغردت * فلشكر هذا العبد سجع مغرد
صفت عليها للغواكه كل ما * قد عاهدته بدوحها المتعود
لو شاهدت صنهاجة أوضاعه * دانت له أملاكها بتعبد

عوّدتنى الصنع الجميل تفضلا * لازلت خير معوّذ ومعوّد
وبسورة الانعام كم من آية * فيها القارئ بالنوال مجوّد

وقال تذييلا لبيتى ابن المعتز

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت فى ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب
الى أن بدا الصبح المبين كأنه * محيا ابن نصر لم يشن بغروب
شمائله مهما أديرت كؤسها * قلائد أسماع وانس قلوب

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع

هى فى أوجه الندامى عقيق * وهى مثل النضار فى الاقداح
كابن نصر تراه فى الحرب ليثا * وهو بدر الندى وغيث السماح
ذكره قد ثنى قدود الندامى * وأعاد الحياة فى الارواح

وقال مما رسم للغنى بالله

للغنى بالله ملك * برده بالعز مذهب
دام فى رفعة شان * ماجلا الاصباح غيهب

وقال أيضا

يا ابن نصر لك ملك * ليس تعدوه الفتوح
دمت روح المعالى * ما سرى فى الجسم روح

ومن مقطوعاته

وابن نصر له محيا كصبح * ان تجلى جلا لنا كل كرب
ذو حسام كانه لمع برق * فى بنان كانها غيث سحب

ومن أخرى

وكان النجوم فى غسق الليل جمان يلوح فى أبنوس
وكان الصباح فى الافق يجلى * بحلى النجوم مثل العروس
وكان الرياض تهدى ثناء * لغنى بالله فوق الطروس

وقال من قصيدة أولها

أضياء هدى أم ضياء نهار * وشذا المحامد أم شذا الازهار
قسما بهديك فى الضياء وانه * شمس تمدّ الشهب بالانوار

ومنها

كم من لطائف للهدى أوضحتها * خفيت لطائفها على الافكار
كم من جرائم قد غفرت عظيمها * مستنزلا من رحمة الغفار
علمت ملوك الارض انك فخرها * فتسابقت لرضاك فى مضمار

ومنها يصف الجيش

سالت به تحت العجاج سفينة * نفحت بريح العزم من انصار

أرست بجودى الجود فى يوم الندى * وجرت بيوم الحرب فى تيار

ومنها

ألقى بايدى الريح فضل عنانه * فيكاد يسبق لمحة الابصار

ومنها

فهى العراب متى انبرت يوم الوغى * قد أعربت عن لطف صنع البارى

ومنها

ان خاض فى ليل العجاج رأيته * يجلو دجنته بوجه نهار

ومنها

كم فيهم من قارضيف طارق * وضحت شواهد فضله للقار

ومنها

يا أيها الملك الذى أيامه * غرر تلوح بأوجه الاعصار

قد زارك العيد السعيد مبشرا * فاسمح لالاف منهم بمزار

لما ازدهته عواطف ألطفتها * عطف الاله عليك عطف سوار

فاتى يؤمم منك هديا صالحا * كى يستمد النور بعد سرار

وأتاك يسحب ذيل سحب اغدقت * تغرى جفون المزن باستعبار

جادت بجارى الدمع يقطر بالندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار

فأعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار

لما دعاك الى القيام بسنة * حكمت داعى الجود والايثار

فأفضت فينا من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار

فاهنأ بعيد عاد يشتمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار

ومنها

لاعذر لى ان كنت فيه مقصرا * سدت صفاتك أوجه الاعذار

فاذا نظمت من المناقب درها * شرفتنى منها بنظم درارى

فلذاك أنظمها قلائد لؤلؤ * لا لاؤها قد شف بالانوار

وأنشد على لحده المقدس رحمه الله تعالى

ضريح أمير المسلمين محمد * يخصك ربى بالسلام المردد

وحيتك من روح الاله تحية * مع الملا الاعلى تروح وتغتدى

وشقت جيوب الزهر فيك كمائم * يرف بها الريحان عن خضل ندى

وصابت من الرحمى عليك غمائم * تروى ثرى هذا الضريح المجدد

وزارتك من حور الجنان أوانس * نواعم فى ظل النعيم المخلد

وجاءتك بالبشرى ملائكة الرضا * كما جاء فى الذكر الحكيم الممجد

وصافح منك الروض أطيب تربة * وعاهد منك المزن أكرم معهد

رضا الله والصفح الجميل وعفوه * يوالى على ذاك الصفيح المنضد

ويا لحد فاقد فاز من جوهر العلا * بكل نفيس بالنفاسة مفرد
أعندك أن العلم والحلم والحجا * وزهر الحلى قد أدرجت طى ملحد
وهل أنت إلا هالة القمر الذي * تنوّر هداه الشهب تهدى وتهتدى
ويا عجبا من ذلك الترب كيف لا * يفيض ببحر للسماحة مزبد
لقد ضاقت الأكوان وهي رحيبة * بما حزت من فخر عظيم وسودد
قدمت على الرحمن أكرم مقدم * وزودت من رحماه خير مزود
أقام بك المولى الامام محمد * مؤمّل فوز بالشفيع محمد
فجاء كما ترضى وترضى به العلا * وأنجز للآمال أكرم موعد
ومدّ ظلال العدل في كل وجهة * وكف أكف البغي من كل معتد
وقام بفروض الجهاد عن الورى * وعوّد دين الله خير معوّد
قضى بعد ما قضى الخلافة حقها * وعامل وجه الله في كل مقصد
وفتح بالسيف الممالك عنوة * ومدّت له أملاكها كف مجتد
وكسر تمثال الصليب وأخرست * نواقيس كانت للضلال بمرصد
وطهر محرابا وجدّد منبرا * وأعلن ذكر الله في كل مسجد
ودانت له الأملاك شرقا ومغربا * وكلهم ألقى له الملك باليد
وطبق معمور البسيطة ذكره * وسارت به الركبان في كل فدفد
وسافر عن دار الفناء ليجتلى * بما قدم اليوم السعادة في غد
وقام بأمر الله حق قيامه * بعزمة لا وان ولا متردد
لئن سار للرحمن خير مودّع * وحل من الفردوس أشرف مقعد
فقد خلف المولى الخليفة يوسفا * بعيد له عز المساعى ويبتدى
سبيلك في سبل المكارم يقتفى * وهديك يا خير الأئمة يقتدى
محمد جلى الخطب من بعد يوسف * ويوسف جلى الخطب بعد محمد
ولو وجد الناس الفداء مسوّغا * فداك ببذل النفس كل موحد
ستبكيك أرض كنت غيث بلادها * وتبكيك حتى الشهب في كل مشهد
وتبكى عليك السحب ملء جفونها * بدمع يروّى غلة الجدب الصدى
وتلبس فيك النيرات ظلامها * حدادا ويذكى النجم جفن مسهد
وما هي إلا أعين قد تسهدت * فكحلها نجم الظلام بإثمد
فلا زلت في ظل النعيم مخلدا * ومغناك يحيا بالبقاء المخلد
وأوردك الرحمن حوض نبيه * وأصدر من خلفت من خير مورد
عليك سلام مثل حمدك عاطر * يفض ختام المسك عن تربك الندى
وصلى على المختار من آل هاشم * صلاة بها نرجو الشفاعة في غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج

بما قد حزت من كرم الخلال * بما أدركت من رتب الجلال

بما خولت من دين ودنيا * بما قد حزت من شرف الجلال
بما أوليت من صنع جميل * يطابق لفظه معنى الكمال
تغمدني بفضلك واغتفرها * ذنوبا في الفعال وفي المقال
وقال أيضا
أتعطش أولادي وأنت غمامة * تعم جميع الخلق بالنفع والسقيا
وتظلم أوقاتي ووجهك نير * تفيض بها الانوار للدين والدنيا
وجدك قد سماك ربك باسمه * وأورثك الرحمن رتبته العليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائل * وسوغني من غير شرط ولا ثنيا
وشعري في غير المصانع خالد * يحييه عني في الممات وفي المحيا
وما زلت أهدي المدح مسكا مفتقا * فتحمله الارواح عاطرة الريا
وقد أكثر العبد التشكي وانه * وحقك بالخر الملوك قد استحيا
وما الجود الاميت غير أنه * اذا نفخت يمناك في روحه يحيا
فمن شاء أن يدعو لدين محمد * فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا
وقال أيضا فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة
منزل اليمن والرضا والسعود * أنجزت فيه صادقات الوعود
كل يوم نزاهة ان تقضت * انشدتها السعود بالله عودي
جمع المسلمين وصف كمال * بين باس عم الملوك وجود
فاهن في غبطة وعزة ملك * أنت والله فخر هذا الوجود
وقال أيضا مشيرا للتولية العلامة
لك غرة ود الصباح جمالها * ومحاسن تهوى البدور كمالها
وشمائل تحكي الرياض خلالها * وأنامل ترجى الانام خلالها
للمستعين خلافة نصرية * عرفت ملوك العالمين جلالها
وانا الذي قد نال منك معاليا * تهدي النجوم الزاهرات مثالها
تهديه ما قد نلته من بعضها * فالفخر كل الفخر فيمن نالها
في كل يوم منك منة منعم * لو طاولت سمك السما ما طالها
بلغت آمال العبيد فبلغت * فيك العبيد من البقا آمالها
(وقال أيضا) وكتبها اليه مع خمسة اقلام
أيا مالكا لم يبد للعين حسنه * سوى ملك قد حل من عالم القدس
لك الخير خذها كالانامل خمسة * تعوذ مرآك المكمل بالخمس
فمن ابصرت عيناه مرآه فليقل * أعوذ برب الناس أو آية الكرسي
(ثم قال ابن الاحمر) وقال يخاطب مولانا الوالد رحمه الله تعالى عليه وقد مر معه بفحص ريه والثلج قد عم أنديته وبسط أرديته في وجهة توجهها مولانا الجد تغمده الله تعالى الى مالقة

يامن به رتب الامارة تعتلى * ومعالم الفخر المشيدة تبتنى
ازجر بهذا الثلج حالا انه * ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى
بسط البياض كرامة لقدومه * وافترّ ثغرا عن مسرة معتنى
فالارض جوهرة تلوح لمعتلى * والدوح مزهرة تفوح لمجتنى
سبحان من أعطى الوجود وجوده * ليدل منه على الجواد المحسن
وبدائع الاكوان فى اتقانها * أثر يشير الى البديع المتقن

(ثم قال) ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب مادحا قوله (أما وانصداع النور من مطلع الفجر) الى آخره وقد تقدمت (ثم قال) وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دلامة

على الطائر الميمون والطالع السعد * أتتنى مع الصنع الجميل على وعد
واحييت يا يحيى بها نفس مغرم * يجيل جياد الدمع فى ملعب السهد
فتيت وما أنسى وفاقى وخلتى * وأقفر ربع القلب الا من الوجد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم * بأزكى وأصفى من ثنائى ومن ودى
فأصدقتها من بحر فكرى جواهرا * تنظم من درّ الدرارىّ فى عقد
وكنت أطيل القول الا ضرورة * دعتنى الى الايجاز فى سورة الحمد

(وأنشد السلطان أبا العباس المرسى فى غرائب من انشائه)

أانسان عين الدهر جفنك قد غدا * يحفك منه طائر اليمن والسعد
اذا ما هفا فوق الرؤس شراعه * أراك جناحاه مدّ للجزر والمد

(وأنشد فيه أيضا)

لك الخير شأن الجفن يحرس عينه * وهذا بعين الله يحرس دائما
تبيت له شمس الثريا معيذة * تقلده زهر النجوم تمائما
فيا جفن لا تنفك فى الحفظ دائما * وان كنت فى لج من البحر عائما

(انتهى ما لخصته من كلام ابن الاحمر فى حق ابن زمرك) وذلك جملة من نظمه * وقد رأيت ان أعزز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور مما انتقيته من كلام ابن الاحمر (فمنها قوله متشوقا الى غرناطة ويمدح الغنى بالله)

(المطلع)

بالله يا قامة القضيب * ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن فى القلوب * وأيد اللحظ بالحور

من لم يكن طبعه رقيقا * لم يدر ما لذة الصبا * فرب حرّ غدا رقيقا
عاطكه نفحة الصبا * نشوان لم يشرب الرحيقا * لكن الى الحسن قد صبا

فعذب القلب بالوجيب * ونعم العين بالنظر
وبات والدمع فى صبيب * يقدح من قلبه الشرر

عجبت من قلبى المعنى * يهفو اذا هبت الرياح * لو كان للصب ما تمنى

اطـارشوقا بلا جناح * وبلبل الدوح ان تغنى * أسهرليلى الى الصباح
عساك ان زرت ياطبيبى * بالطيف فى رقدة السحر
أن تجعل النوم من نصيبى * والعين تغنى من السهر
كم شادن قادنى الحتوفا * بمربع القلب قدسكن * يسلّ من لحظه سيوفا
فالقلب بالروع ماسكن * خلاف من عاتق ألوفا * أحنّ للالف والسكن
غرناطة منزل الحبيب * وقربها السؤل والوطر
تبهر بالمنظر العجيب * فلاعدا ربعها المطر
عروسة تاجها السبيكه * وزهرها الحلى والحلل * لم ترض من عزها شريكه
بحسنها يضرب المثل * أيدها الله من مليكه * تملكها أشرف الدول
بدولة المرتجى المهيب * الملك الظاهر الاغرّ
يختال من بردها القشيب * فى حلة النور والزهر
كرسيها جنة العريف * مرآتها صفحة الغدير * وجوهر الطل عن شنوف
تحكمها صنعة القدير * والانس فيها على صنوف * غـن هديل ومن هدير
كم خرّق الزهر من جيوب * وكلل القضب بالدرر
فالغصن كالكاعب اللعوب * والطير تشدو بلاوتر
ولاثم النصر فى احتفال * وفرح دين الهوى جديد * سلطانها معمل العوالى
محمد الظافر السعيد * ومخجل البدر فى الكمال * سلطانها المجتبى الفريد
اصفح مولى عن الذنوب * أكرم عاف اذا قدر
وشمس هدى بلامغيب * وبحرجود بلا حصر
مولاى ياعاقد البنود * تطلل الاوجه الصباح * أوحشت ياغيبة الوجود
غرناطة هالة السماح * سافرت باليمن والسعود * وعدت بالفتح والنجاح
ياملهم القلب للغيوب * ومطمع النصر والظفر
أسمعك الله من قريب * على السلامه من السفر

وقال أيضا من الموشحات الرائقه فى مثل أغراض هذه السابقه وأشار الى محاسن من وصف الرشاد

(المطلع)

نسيم غرناطة عليل * لكنه يبرئ العليل
وروضها زهره بليل * ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد ربا المصلى * مباكرا روضه الغمام * سقى بنجد ربا المصلى
تبسم الزهر فى الكمام * والروض بالحسن قد تجلى * وجرّد النهر عن حسام
ودوحها ظـــله ظليل * يحسن فى ربعه المقيل
والبرق والجو مستطيل * يلعب بالصارم الصقيل
عقيلة تاجها السبيكه * تطل بالمرقب المنيف * كأنها فوقه مليكه
كرسيها جنة العريف * تطبع من عسجد سبيكه * شموسها اكلها لطيف

أبدعك الخالق الجليل * يا منظرا كله جميل
قلبي الى حسنه يميل * وقلبنا قد صبا جميل
وزاد للحسن فيك حسنا * محمد الحمد والسماح * جدد للفخر فيك مبنى
فطالع اليمن والنجاح * تدعى رشادا وفيك معنى * يخصك الفال بافتتاح
فالنصر والسعد لا يزول * لأنه ثابت أصيل
سعد وأنصاره قبيل * آباؤه عترة الرسول
أبدى به حكمة القدير * وتوج الروض بالقباب * ودرع الزهر بالغدير
وزين النهر بالحباب * فمن هديل ومن هدير * ما أولع الحسن بالشباب
كبت على روضها القبول * وطرفها بالسرى كليل
فلم يزل بينها يجول * حتى تبدت له حجول
للزهر في عطفها رقوم * تلوح للعين كالنجوم * وللندى بينها رسوم
عقد الندى فوقه نظيم * وكل واد بها يهيم * ولم يزل حولها يحوم
شنيلها مده نيل * والشين ألف استنيل
وعين واديها تسيل * من فوق خده أسيل
كم من ظلال به ترف * تصفو له فوقها ستور * ومن زجاج به يشف
ما بين نور وبين نور * ومن شموس بها تصف * تديرها بينها البدور
مزاجها العذب سلسبيل * يا هل الى رشفها سبيل
وكيف والشيب لي عذول * وصبغه صفرة الأصيل
يا سرحة في الحمى ظليله * كم نلت في ظلك المنى * روضك الله من خميله
يجنى بها أطيب الجنى * وبرقها صادق المخيله * ما زال بالغيث محسنا
أنجزلي وعدك القبول * فلم أقل مثل من يقول
يا سرحة الحي يا مطول * شرح الذي بيننا يطول

(ومن ذلك ما كتب به الى الغني بالله)

(المطلع)

أبلغ لغرناطة السلام * وصف لها عهدي السليم
فلو رعى طيفها ذمام * ما بت في ليلة السليم
كم بت فيها على اقتراح * أعل من خمرة الرضاب * أدير فيها كؤوس راح
قد زانها الثغر بالحباب * أختال كالزهر في الجناح * نشوان في روضة الشباب
أضاحك الزهر في الكمام * مباهيا روضه الوسيم
وأفضح الغصن في القوام * ان هب من جوها النسيم
بينا أنا والشباب ضاف * وظله فوقنا مديد * ومورد الانس فيه صاف
وبرده رائق جديد * اذ لاح في الفود غير خاف * صبح به نبه الوليد
أيقظ من كان ذا منام * لما انجلى ليله البهيم

قوله أنجز الخ في نسخة أنجز وعدنا الخ اه

قوله وفعلهم الخ فى نسخة وكل فعل لهم الخ اه

وأرسل الدمع كالغمام * فى كل واد به أهيم

ياجيرة عهدهم كريم * وفعلهم كله جميل * لاتعذلوا الصب اذ يهيم
فقلبه قد صبا جميل * القرب من ربعكم نعيم * وبعدكم خطبه جليل
كم من رياض به وسام * يزهى بها الرائض المديم
غديرها أزرق الجمام * ونبتها كله جسيم

أعندكم انى بفاس * أكابد الشوق والحنين * أذكر أهلى بها وناسى
واليوم فى الطول كالسنين * الله حسبى فكم أقاسى * من وحشة الصب والبنين
مطارحا ساجع الحمام * شوقا الى الالف والحميم
والدمع قدلج فى انسجام * وقد وهى عقده النظيم

ياساكنى جنة العريف * أسكنتم جنة الخلود * كم ثم من منظر شريف
قدحف باليمن والسعود * ورب طود به منيف * أدواحه الخضر كالبنود
والنهر قدسل كالحسام * لراحة الشرب مستديم
والزهر قدراق بابتسام * مقبلا راحة النديم

بلغ عبيد المقام صحبى * لازلتم الدهر فى هنا * القاكم بغية المحب
وقربكم غاية المنى * فعندكم قد تركت قلبى * فجدد الله عهدنا
ودارك الشمل بانتظام * من يرتجى فضله العميم
فى ظل سلطاننا الامام * الطاهر الظاهر الحميم

مؤمن العدوتين مما * يخاف من سطوة العدا * وفارج الكرب ان ألما
ومذهب الخطب والردى * قدراق حسنا وفاق حلما * وما عدا غير ما بدا
مولاى يانخبة الانام * وحائز الفخر فى القديم
كم راقب البدر فى التمام * شوقا الى وجهك الكريم

ومنها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التى أولها (ليل الهوى يقظان) وهى

(المطلع)

نواسم البستان * تنثر سلك الزهر
والطل فى الاغصان * ينظمه بالجوهر

وراحة الاصباح * أضاء منها المشرق * تنشر ها الارواح
فلا تزال تخفق * والزهر زهر فاح * لهاعيون ترمق
فأيقظ الندمان * يبصرن مالم يبصر
جواهر الشبان * قدعرضت للمشترى

قدحت لى زندا * ياأيها البارق * أذكرتنى عهدا
اذ الشباب رائق * فالشوق لايهدا * ولا الفؤاد الخافق
وكيف بالسلوان * والقلب رهن الفكر
وصعب الهجران * تحجب وجه القمر

لولا شموس الكاس * يديرها بين البدور * وأعرج الايناس
منا على ربع الصدور * لكن لها وسواس * يغرى بربات الخدور
كم واله حيران * بصبح وجه مسفر
ضياؤه قد بان * من تحت ليل مقمر
يا مطلع الانوار * كم فيك من مرأى جميل * ونزهة الابصار
ماضر لوتشفى الغليل * يا روضة الازهار * وعرفها يبرى العليل
قضيبك الفتان * يسقى بدمع همر
فلاعج الاشجان * فيض الدموع يجرى
هل فى الهوى ناصر * أوهل مجار الهائم * لو كان لى زائر
طيف الخيال الحائم * ما بت بالساهر * ودمع عينى ساجم
والحب ذو عدوان * يجهد فى ظلم البرى
وصارم الاجفان * مؤيد بالطـــود
رحماك فى صب * أذكرته عهد الصبا * بواعث الحب
قادت اليه الوصبا * لم تهف بالقلب * ريح الصبا الاهبا
بليلة الاردان * قد ضمخت بالعنبر
يشير غصن البان * منها بفضل المئزر
طيبها احمـــد * نفر الملوك المجتبى * من يرجح الطود
من حلمه اذا احتبى * قد جرد السعد * منه حساما مذهبا
فالبأس والاحسان * والغوث للمستنصر
تحمله الركبان * تحيـــة للمنبر
عصابة الكتاب * حق لها الفوز العظيم * تختال فى أثواب
حق لها الفخر الجسيم * خص بها الاطناب * فى الحمد والشكر العميم
خليفة الرحمن * لازلت سامى المظهر
يا مورد الظمآن * ورأس مال المعسر
خذها على دعوى * تزرى على الروض الوسيم * جاءت كما تهوى
أرق من لدن النسيم * قد طارحت شكوى * من قال فى الليل البهيم
ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم من عينى برى

(وله فى الصبوحيات)

ريحانة الفجر قد أطلت * خضراء بالزهر تزهر
وراية الصبح قد أظلت * فى مرقب الشمس تنشر
فالشهب من غارة الصباح * ترعد خوفا وتخفق * وأدهم الليل فى جماح
أعنـــة البرق يطلق * والافق فى ملتقى الرياح * بأدمع الغيث يشرق

والسحب

والسحب بالجوهر استهلت * فالبرق سيف بجوهر
صفاحه المذهبات حلت * فى راحة الجو تشهر
كم للصبا ثم من مقيل * بطيبه الزهر يشهد * والنهر كالصارم الصقيل
فى حلية النور يغمد * ورب قال به وقيل * للطير فى حين تنشد
فألسن الورق قد أملت * مدائحا عنه تشكر
ونسمة الصبح قد تجلت * فى سندس الروض تعثر
والكاس فى راحة النديم * يجلوبها غيهب الهموم * اقبست النار فى القديم
من قبل أن تخلق الكروم * والنهر فى ملعب النسيم * للزهر فى عامه رقوم
فلبة الحلى قد تحلت * والطل فى الحلى جوهر
وبهجة الكون قد تجلت * والروض بالحسن يبهر
يذكرنى وجنة الحبيب * والآس فى صفحة العذار * وشارب الشارب العجيب
بين اقاح وجلنار * يدير من ثغره الشنيب * سلافة دونها العقار
حلت لاهل الهوى وجلت * بالذكر والوهم تسكر
كم من نفوس بها تسلت * فمالها الدهر منكر
يا غصن بان يميل زهوا * ريان فى روضة الشباب * لو كنت تصغى لرفع شكوى
أطلت من قصة العتاب * ومن لمثلى يبيت نجوى * للبدر فى رفرف السحاب
عزائم الصبر فيك حلت * وعقدة الصبر تذخر
قد أكثرت منك ما استقلت * وليت لو كنت تشعر
كم ليلة تيهاوبتا * ضدين فى السهد والرقاد * أسامر النجم فيك حتى
علمت أجفانها السهاد * أرقب بدر الدجا وأنتا * قد حلت فى هالة الفؤاد
نفسى وليت ما تولت * دعها على الشوق تصبر
لوسمتها الهجر ما تولت * ولم تكن عنك تنفر
علمها الصبر فى الحروب * سلطاننا عاقد البنود * معفر الصيد للجنوب
أعز من حف بالجنود * نصرت بالرعب فى القلوب * والبيض لم تبرح الغمود
عناية الله فيه جلت * بسعده الدين ينصر
والخلق فى عصره تملت * غنائما ليس تحصر
مولاى يانكتة الزمان * دار بما ترتضى الفلك * جللت باليمن والامان
كل مليك وما ملك * لم يدر وصفى ولا عيانى * أملك أنت أم ملك
جنود ملك الغاب حيث حلت * بالفتح والنصر تحصر
وعادة الله فيك دلت * انك بالكفر تظفر
يا آية الله فى الكمال * ومخجل البدر فى التمام * قدمت بالعز والجلال
والدهر فى ثغره ابتسام * يختال فى حلة الجمال * والبدر قد عاد فى اختتام
ريحانة الفجر قد أطلت * خضراء بالزهر تزهر

وراية الصبح قد أظلت * في مرقب الشرق تنشر

(وقال سامحه الله تعالى)

قد طلعت راية الصباح * وآذن الليل بالرحيل
فباكر الروض باصطباح * واشرب على زهره البليل
فالورق هبت من السنات * لمنبر الدوح تخطب * تسجع مفتنة اللغات
كل عن الشوق يعرب * والغصن بعد الذهاب يأتي * لاكؤس الطل يشرب
وأدمع السحب في انسياح * في كل روض لها سبيل
والجو مستبشر النواحي * يلعب بالصارم الصقيل
قم فاغتنم بهجة النفوس * ما بين نور وبين نور * وشفع الصبح بالشموس
تديرها بيننا البدور * ونبه الشرب للكؤس * تمزج من ريقة الثغور
ما أجمل الراح فوق راح * صفراء كالشمس في الاصيل
تغادر الصدر ذا انشراح * للأنس في طيبه مقيل
ولا تذر خمرة الجفون * فسكرها في الهوى جنون * واخش من أسهم العيون
فانها راشد المنون * عرضت منها الى الفنون * وكل خطب لها يهون
أهيم بالغادة الرداح * والجسم من حبها عليل
لو بت منها على اقتراح * نقعت من ريقها الغليل
أواعد الطيف للمنام * ومن لعيني بالمنام * أسهر في ليلة التمام
وأنت يا بدر في التمام * وألثم الزهر في الكمام * عليه من ثغرك ابتسام
سفرت عن مبسم الاقاح * وريقك العذب سلسبيل
قل لي يا ربة الوشاح * هل لي الى الوصل من سبيل
يا كعبة الحسن زدت حسنا * وللهوى حولك المطاف * وغصن بان اذا تثنى
لو سال من زهرك القطاف * الا انعطاف على المعنى * فالغصن يزهى بالانعطاف
أصبحت تزهو على الملاح * بذلك المنظر الجميل
ووجهك الشمس في اتضاح * لو انها لم تكن تميل
ما الزهر الا انتظم در * تحسد في حسنه العقود * للملك الطاهر الاغر
أكرم من حف بالسعود * محمد المجد وابن نصر * وباسط العدل في الوجود
مساجل السحب في السماح * بالغيث من رفده الجليل
ومخجل البدر في التماح * بغرة ما لها مثيل
يا مشرب الحب في القلوب * وواهب الصفح للصفاح * نصرت بالرعب في الحروب
والرعب أجدى من السلاح * فدلت من عالم الغيوب * لم تعدم الفوز والفلاح
مراكش نهبة افتتاح * والصنع في فتحها جليل
بشرك بالفتح والنجاح * والشكر من ذلك القبيل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

(المطلع)

في كؤس الثغر من ذا اللعس * راحة الارواح
وتغنى الروض مسكي النفس * عاطر الارواح

وكسا الادواح وشيا مذهبا * يبهر الشمسا
عسجد قد حل من فوق الربا * يبهج النفسا
فاتخذ للهو فيه مركبا * تلحق الانسا

منبر الغصن عليه قد جلس * ساجع الادواح
حالي السندس خضر اقدليس * عطفه المرتاح

قم ترى هذا الاصيل شاحبا * حسنه قد راق
ولاذيال الغصون ساحبا * في حلى الاوراق
ونديم قال لي مخاطبا * قول ذي اشفاق

عادة الشمس بغرب تختلس * هات شمس الراح
ان أرانا الجو وجها قد عبس * أوقد المصباح

ووجوه الشرب تغني عن شموس * كلما تجلى
بلحاظ اسكرتنا عن كؤس * خمرها أحلى
مظهرات من خفايا في النفوس * سورا تتلى

ما زمان الانس الا مختلس * فاغتنم يا صاح
وعيون الشهب تذكي عن حرس * تخصم النصاح

ما ترى ثغر الوميض باسما * يظهر البشرا
ووشاء الروض هب ناسما * عاطرا النشرا
بث من أزهاره دراهما * قائلا بشرى

ركب المولى مع الظهر الفرس * وسقى وارتاح
بجنود الله دأبا يحترس * ان غدا أوراح

وجب الشكر علينا والهنا * بعضنا بعضا
فزمان السعد وضاح السنا * ووجهه الارضي
اثمرت فيه العوالي بالمنى * غمر اغضا

يجتني الاسلام منها ما اغترس * سيفه السفاح
في ضمير النقع منها قد هجس * شهب تلتاح

يا اماما بالحسام المنتضى * نصر الحقا
ثغرك الوضاح مهما أومضا * أخجل البرقا
وديون السعد منه تقتضى * توسع الخلقا

للوجه من صباح مقتبس * بشره وضاح
وجميل الصفح منه ملتمس * منعم صفاح

هاكها تمزج لطفا بالنسيم * كلما هبا
قد أتت بالبر والصنع الجسيم * تشكر الربا
أخجلت من قال في الصبح الوسيم * مغرما صبا
غرد الطير فنبه من نعس * يا مدير الراح
وتعرى الفجر عن ثوب الغلس * وانجلى الاصباح

(وقال أيضا سامحه الله تعالى)

(المطلع)

قد أنعم الله بالشفاء * واستكملت راحة الامام
فانطق الطير بالهناء * وليضحك الزهر في الكمام
وجوده بهجة الوجود * وبرؤه راحة النفوس * قد لاح في مرقب السعود
واستبشرت أوجه الشموس * فالدوح يومى الى البنود * اكمامه غطت الرؤس
والزهر في روضة السماء * كالزهر قد راق بابتسام
والصبح مستبشر اللواء * والبدر مستقبل التمام
محاسن الكون قد تجلت * جمالها العقل يبهر * عرائس بالبها تحلت
والطل في الحلي جوهر * وألسن الورق قد أملت * مدائحا عنه تشكر
تستوقف الخلق بالغناء * كأنها تحسن الكلام
تطنب لله في الثناء * تقول سلمت يا سلام
كم من ثغور لها ثغور * تبسم اذ جاءها البشير * ومن خدور بها بدور
يشير منها له المشير * تقول اذ حفها السرور * تبارك المنعم القدير
قد أنعم الله بالبقاء * في ظل مولى به اعتصام
قد صادف النجم في الذراء * فالداء عنه له انفصام
يهنيك مولاى بل يهنى * ببرئك الدين والهدى * فالغرب والشرق منك يعنى
بمذهب اللطف والردى * والله لولاك ما تهنا * ما فيه من سطوة الردى
يا مورد الانفس الظماء * قد كاد يشتفها الاوام
وقرة العين بالبهاء * رددت للاعين التمام
لو أبذل الروح في البشاره * بذلت بعض الذى ملك * فانت بالنفس مستعاره
مولاى بالفضل جلك * لم أدر اذ سطر العباره * أملك هو أم ملك
لازلت مولاى في هناء * مبلغ القصد والمرام
ودمت للملك في اعتلاء * تسحب أذياله التمام

(وقال في مالقة)

(المطلع)

عليك يا ربة السلام * ولا عدا ربعك المطر
مذ حل في قصرك الامام * فقربك السؤل والوطر

والدوح فى روضك الانيق * للشكر قد حطت الرؤس * والغصن فى نهره غريق
وفى حلاه كما عروس * والجو من وجهه الشريق * تحسده أوجه الشموس
وأعين الزهر لا تنام * تستعذب السهد والسهر
ينفث من تحتها الغمام * برقيك من أعين الزهر
عروسة انت يا عقيله * تجلى على مظهر الكمال * مدت لك الكف مستقيله
تمسح أعطافك الشمال * والبحر مرآتك الصقيله * تشف عن ذلك الجمال
والحلى زهر له انتظام * يكلل القضب بالدرر
قد راق من ثغره ابتسام * والورد فى خدها خفر
ان قيل من بعلها المفدى * ومن له وصلها مباح * أقول أسنى الملوك رفدا
مخلد الفخر بالصفاح * محمد الحمد حين يهدى * ثناؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام * والخبر يغنى عن الخبر
فالسعد والرعب والحسام * والنصر آياته الكبر
ذو غرة تسحر البدورا * وطلعة تخجل الصباح * كم راية سامها ظهورا
تطال الاوجه الصباح * وكم جهاد جلاه نورا * أظفر بالفوز والنجاح
الطاهر الظاهر الهمام * أعز من صال وافتخر
لسيفه فى العدا احتكام * جرى به سابق القدر
يا مرسل الخيل فى الغوارى * لو تطلب البحر تلحق * لك الجوارى اذا تجارى
سوابق الشهب تسبق * تستن فى لجة البحار * فالكفر منهن يفرق
فالدين وليقصر الكلام * بسيفك اعتز وانتصر
كذاك اسلافك الكرام * هم نصروا سيد البشر
وقال من غير هذا البحر فى المحدث بمالقة

(المطلع)

قد نظم الشمل أتم انتظام * واغتنم الاحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعم النور روس الربا * وجلل النور صدور البطاح * وصافح القضب نسيم الصبا
فالزهر يرنو عن عيون وقاح * وعاود النهر زمان الصبا * فقلد الزهر مكان الوشاح
وأطلق القصر برود التمام * فى طالع الفتح القريب الغريب
خدودها قامت مقام الغمام * فلا اشتكى من بعدها المغيب
أصبحت يا رية تجلى النفوس * جمالك العين بها يبهر * والبشر يسرى فى جميع الشموس
وراية الانس بها تشهر * والدوح للشكر تحط الروس * وأنجم الزهر بها تزهر
وراجع النهر غناء الحمام * وقد شدت تسجع سجع الخطيب
بمنبر الغصن الرشيق القوام * لما انثنى يهفو بقد رطيب
يا حبذا مبناك فخر القصور * بروجه طالت بروج السما * ما مثله فى سالفات العصور

ولا الذى شاد ابن ماء السما * كم فيه من مرأى بهيج ونور * فامر تقى الحق به قد سما

خليفة الله ونعم الامام * أتحفك الدهر بصنع عجيب
يهنيك شمل قد غدا فى التمام * مهدا فى ظل عيش خصيب

نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نورهم يشرق * وروضة بالسر منه تبوح * بلابل عن وجده تنطق

لو أن من يفهم عنها الكلام * فهى تهنيك هناء الاديب
ونهره قد سل منه الحسام * يلحظه النرجس لحظ المريب

فأجمل الايام عصر الشباب * وأجمل الاجمال يوم اللقا * يادرة القصر وشمس القباب
وهازم الاحزاب فى الملتقى * بشرك الرب بحسن المآب * متعك الله بطول البقا

ولا يزال القصر قصر السلام * يختال فى برد الشباب القشيب
يتلو عليك الدهر فى كل عام * نصر من الله وفتح قريب

وقال من الخلع فى الشفاء

(المطلع)

فى طالع اليمن والسعود * قد كملت راحة الامام
فأشرق النور فى الوجود * وابتسم الزهر فى الكمام

قد طلعت راية النجاح * وانهزم البؤس والعنا * وقال حى على الفلاح
مؤذن القوم بالمنى * فالدهر يأتى بالاقتراح * مستقبلا أوجه الهنا

تخفق منشورة البرود * والسعد يقدم من أمام
والانس مستجمع الوفود * واللطف مستعذب الجمام

وأكؤس الطل مترعات * بأنمل السوسن الندى * والطير مفتنة اللغات
تشدو بأصوات معبد * والغصن يذهب ثم يأتى * بالسندس الغض مرتدى

والدوح يومى الى السجود * شكرا الذى الانعم الجسام
والريح خفاقة البنود * تباكر الروض بالغمام

مظاهر للجمال تجلى * قد هز أعطافها السرور * وباهر الحسن قد تجلى
مابين نور وبين نور * قد هنأت بالشفاء مولى * بعصره تفخر العصور

مابين بأس وبين جود * قد مهد الامن للانام
فالدين ذو أعين رقود * وكان لا يطعم المنام

والكاس فى راحة السقاة * تروح طورا وتغتدى * يهديكها رائق السمات
مابين برق وفرقد * والشمس تذهب للبيات * قد لبست ثوب عسجد

والزهر فى اليانع المجود * يقابل الشرب بابتسام
والروض من حلية الغمود * قد جرد النهر عن حسام

مولاى يا أشرف الملوك * وعصمة للخلق أجمعين * أهديك من جوهر السلوك
يقذفه بحرك المعين * جعلت تنظيمه سلوكى * وأنت لى المجد المعين

تحية الواحد المجيد * ورحمة الله والسلام
عليك من راحم ودود * يامخجل البدر فى التمام

وقال من الرمل المجزو

وجه هذا اليوم باسم * وشذا الازهار ناسم
هاتها صاح كؤسا * جالبات للسرور * وارتقب منها شموسا
طالعات فى حبور * ماترى الروض عروسا * فى حلى نور ونور
وأتت رسل النواسم * تجتلى هذى النواسم
قد أهلت بالبشائر * اضحكت ثغر الازاهر * سنحت فى يمن طائر
ونظمن كالجواهر * فانشروها فى العشائر * ان هذا الصنع باهر
وأشيعوا فى العوالم * الغنى بالله سالم
أى نور يتوقد * أى بدر يتلالا * أى فخر يتخلد
أى غيث يتوالى * انما المولى محمد * رحمة الله تعالى
كفه بحر المقاسم * وبهاج المباسم
خير أملاك الزمان * من بنى سعد ونصر * ماترى أن الشوانى
فى صعيد البر تجرى * قد أطارتها التهانى * دون بحرى وبحر
مذرأت بحر النعائم * كلها جار وعائم
فهنيأ بالشفا * ياأمير المسلمين * ولنا حق الهنا
وجميع العالمين * ان جهرنا بالدعا * ينطق الدهر أمين
دمت محروس المكارم * بظبا البيض الصوارم

وقال يهنى السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان وقد وجه اليه الغنى بالله أمه وعياله عند تملكه المغرب من قبله

(المطلع)

قد نظم الشمل أتم انتظام * ولاحت الاقمار بعد المغيب
وأضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعاود الغصن زمان الصبا * وأشرب الانس جميع النفوس * وعم النور رؤس الربا
وجلل النور وجوه الشموس * وأطرب الغصن نسيم الصبا * فالدوح للشكر تحط الرؤس
واستقبل البدر ليالى التمام * وصافح الصبح بكف خضيب
وراجع الاطيار سجع الحمام * بكل ذى لحن بديع غريب
نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نوره يشرق * وعرفه بالطيب منه يفوح * كأنه من عنبر يفتق
والنهر قد سل كمثل الحسام * حبابه تطفو وطورا تغيب
وثغره قد راق منه ابتسام * يهنى الاحباب بقرب الحبيب
كواكب ابراجهن الخدور * يلوح منها كل بدر لياح * جواهر اصدافهن القصور

تمامها السعد كنظم الوشاح * يا حبذا والله ركب البرود * يبشر المولى بنيل اقتراح
ابتهج الكون بموسى الامام * واختال في برد الشباب القشيب
وعادة يخدم مثل الغلام * شبابه قد عاد بعد المشيب

أكرم به والله وفد الكريم * مولى سنا الحرمة في مقدمه * مرضاته تحظى بدار النعيم
وتوجب التوفيق من منعمه * بشره النصر وفتح جسيم * وخيره أجمع في مقدمه
اقالها البرور مسك الختام * بشرك الله بصنع عجيب
وقصرك الميمون قصر السلام * حط بحفظ من سميع مجيب

مولاى يهنيك وحق الهنا * قد نظم الشمل كنظم السعود * قد فزت بالفخر ونيل المنى
وأنجز السعد جميع الوعود * وقرت العين وزال العنا * وكلما مر صنيع يعود
ولا يزل ملكك حلف الدوام * يحوز في التخليد أوفى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام * نصر من الله وفتح قريب

(وقال رحمه الله تعالى في وصف غرناطة والطرد وغيرهما)

لله ما أجمل روض الشباب * من قبل أن يفتح زهر المشيب
في عهده أدرت كأس الرضاب * حبابها الدر بثغر الحبيب

من كل من يخجل بدر التمام * اذا بدى وجهه للعيون * ويفضح الغصن بلين القوام
وأين منه لين قد الغصون * ولحظه يمضي مضاء الحسام * ويذهل العقل بسحر الجفون
أبصرت منه اذ يحط النقاب * شمسا ولكن ما لها من مغيب
اذا تجلت بعد طول ارتقاب * صرفت عنها اللحظ خوف الرقيب

من عاذري منه فؤادا صبا * للامع البرق وخفق الرياح * يطير ان هب نسيم الصبا
تعيره الريح خفوق الرياح * ما أولع الصب بعهد الصبا * وهل على من قد صبا من جناح
فقلبه من شوقه في التهاب * قد أحرق الاكباد منه الوجيب
والجفن منه صبه في انسكاب * قد روض الخد بدمع سكيب

غرناطة ربع الهوى والمنى * وقربها السول ونيل الوطر * وطيبها بالوصل لو أمكنا
لم أقطع الليل بطول السهر * عما قريب حق فيها الهنا * بيمن ذي العودة بعد السفر
ويحمد الناس نجاح الاياب * بكل صنع مستجد غريب
ويكتب الفال على كل باب * نصر من الله وفتح قريب

ما لذة الاملاك الا القنص * لانه الفال بصيد العدا * كم شارد جرع فيه الغصص
وأورد المحروب ورد الردى * وكم بدا القنص لنا من حصص * قد جمع البأس بها والندى
ومنها بعد أبيات من الوزن والروى
مولاى مولاى وأنت الذي * جددت للاملاك عهد الجلال * والشمس والبدر من العوذ
لما رأت منك بديع الجمال * والروض في نعمته يغتذي * بطيب ما قد حزته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب * تستضحك الروض بثغر شنيب
ودمت محروس العلا والجناب * بعصمة الله السميع المجيب

انتهى

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك من كتاب ابن الاحمر رحمه الله تعالى وقد عرفت منه ما تسنى للغنى بالله بن الاحمر من الفتوحات والسعود ونفاذ الامر على ملوك المغرب فهو الاحق بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

ملك اذا عاينت منه جبينه ٭ فارقته والنور فوق جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من ٭ أبوابه لثم الملوك يميني

وكان الغنى بالله المذكور معتقدا في الصالحين حتى انه كتب وهو بفاس مخلوع الى ضريح ولي الله سيدي أبي العباس السبتي بمراكش من انشاء وزيره لسان الدين على لسانه (ياولي الاله أنت مطاع) الابيات والنثر بعدها وقد ذكرتهما في الباب الخامس فراجعه وكان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه الى ملكه وتطمن تلك الاماكن في سلكه حتى حصل له من التمهيد ما لم يحصل لغيره حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زمرك وغيرهما (والسبتي المذكور) هو سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي الولي الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة والمناقب الكثيرة والاحوال الباهرة والفضائل الظاهرة والاخلاق الطاهرة نزيل مراكش وبها توفي سنة احدى وستمائة وولادته بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة ودفن خارج مراكش وقبره مشهور مقصود باجابة الدعاء وقد زرته مرارا كثيرة فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف وهو ترياق مجرب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدي أبو العباس السبتي رضي الله تعالى عنه مقصودا في حياته مستغاثا به في الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ومبنى أمره على انفعال العالم عن الوجود وكونه حكمة في تأثير الوجود له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفي ظهر هذا الاثر على تربته وتشبث بعده وانسحب على مكانه عادة حياته ٭ ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة الى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصى تحملهم أجنحة نياتهم فتهوي اليه بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة ٭ وقال ابن الزيات كان أبو العباس قد أعطى بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد الا أفحمه ولا يسأله الا أجابه كان القرآن والحجيج على طرف لسانه حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه يأتيه المنكرون للانكار فما بهم يرفون الا مسلمين منقادين وشأنه كله عجيب وهو من عجائب الزمان ٭ وحدثني مشايخنا انهم سمعوه يقول أنا القطب ٭ وحدثني أبو الحسن الصنهاجي من خواص خدامه قال خرجت معه مرة اصهر في غابة الرمان يوم عرفة فجلسنا هنالك وصلينا فقال لي اتعاسى هذا اليوم يوم عرفة لا تنشار الرحمة فيه لمن تعرف اليه بالطاعات وقد فاتتنا عرفة فتعال نعمل بهذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله تعالى يتغمدنا برحمته معهم فعمل مكانا دائرا بعين الكعبة ومحل عنه مرالماء الحجر وموضعا آخر مقام ابراهيم فطاف بالعين اسبوعا وأنا أطوف بطوافه وكبر على العنصر في كل طواف وصلى قبل المقام ركعتين تامتين وأطال

قوله وكونه حكمة الخ في نسخة وكونه مبدأ للوجود له الخ ولينظر اه

في سجود الثانية ثم استند الى الشجرة ثم قال لي يا علي اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك
تقضى فان الله تعالى وعدني في هذا اليوم من تعرّف له أن يقضي حوائجه فقلت له ما أريد
الا التوفيق فقال لي ما خرجت معك من باب المدينة حتى وقفت فسألته عن حاله من بدايته
الى نهايته وبم تنفعل له الاشياء و يستجاب له الدعاء ولم صار يأمر بالصدقة والايثار من
شكا اليه حالا أو تعذر عليه مطلب في هذه الدار فقال لي ما آمر الناس الا بما ينتفعون به
واني لما قرأت القرآن وقعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله الفخار تلميذ القاضي عياض
ونظرت في كتب الاحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى ان الله يأمر
بالعدل والاحسان فتدبرته وقلت أنا مطلوب فلم أزل أبحث عنهما الى أن وقفت على أنها
نزلت حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وانهم سألوا النبي صلى
الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة فأمرهم بالمشاطرة ففهمت أن العدل المأمور به
في الآية هو المشاطرة ثم نظرت الى حديث تفترق أمتي على ثلاثين فرقة الحديث وانه
صلى الله عليه وسلم قال في صبيحة اليوم الذي آخى فيه بين المهاجرين والانصار وذكر له
الانصار انهم شاطروا المهاجرين فقال لهم ذلك بالمرة فعلمت أن الذي هو عليه وأصحابه
المشاطرة والايثار فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتيني شيء الا شاطرت فيه الفقراء
فعملت عليه عشرين سنة فأثمر لي الحكم بالخاطر فلا أحكم على خاطري بشيء الا صدق
فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل والاحسان ما زاد
عليه فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتيني قليل ولا كثير الا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله
تعالى فعملت عليه عشرين سنة فأثمر لي الحكم في الخلق بالولاية والعزل فأولي من شئت
وأعزل من شئت ثم نظرت بعد ذلك في أول ما فرضه الله تعالى على عباده في مقام الاحسان
فوجدت شكر النعمة بدليل اخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ووجدت أصناف من
تصرف اليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة أصناف أخر أصرفها فيها للاحسان والزيادة
وذلك ان لنفسك عليك حقا وللزوجة حقا وللرحم حقا ولليتيم حقا وللضيف حقا
وذكر صنفين آخرين فانتقلت لهذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتيني
أمسك سبعيه حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة اسباع لمستحقيها فأقمت عليه
أربعة عشر عاما فأثمر لي الحكم في السماء فقلت يارب قال لي لبيك ثم قال لي انه ما بقي
بتمام عمري وهو أن تنقضي لي ستة أعوام تكملة العشرين عاما (قال) الصنهاجي
فأرخت ذلك اليوم فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب وحققت
العدد فنقصت من ستة الاعوام ثلاثة أيام خاصة فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب * وقال أبو بكر بن مساعد جاء بعض السلاطين الى أبي
العباس وهو راكب وقال له الى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق فقال له هو الاحسان
فقال له بين لي فقال له كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبيده * وقال له
أبو الحسن الخباز أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء فقال انما حبس المطر لظلمهم
فلو تصدقوا لمطروا فقل لاصحابك الفلاحين تصدقوا بمثل ما انفقتم تمطروا فقال له لا يصدقني

أحد

أحمد ولكن مرني في خاصة نفسي فقال له تصدق بمثل ما أنفقت فقال له ان الله تعالى لا يعامل بالدين ولكن استسلف فاحتال وتصدق بها كما أمره قال فخرجت الى البحيرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر فأيست من المطر ورأيت جميع ما غرست مشرفا على الهلاك فأقمت ساعة فاذا بسحابة أمطرت البحيرة حتى رويت وظننت أن الدنيا كلها مطرت فخرجت فاذا المطر لم يتجاوزها انتهى * والحكايات عنه في مثل ذلك كثيرة * وقال ابن الخطيب القسطيني في رحلته حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبي العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الاولياء فقال له لا تنقطع بالموت الكرامة انظر الى العبتي يشير الى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات وسمعت يهوديا بمراكش يلجأ الى ذكره وينادي باسمه في أمر أصابه مع المسلمين فسألته عن سببه فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن فسألته عما بدا له في وقت فقال لي وحق ما أنزل على موسى بن عمران ما أذكر لك الا ما اتفق لي مررت ليلة مع قافلة في مفازة فعرجت دابتي فاشتكت في قتلي وسلب مالي فجلست وبكيت وبيني وبين الناس بعد وقلت يا سيدي أبا العباس خاطرك قال لي والله ما تممت الكلام الا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به وضربت دابتي وخف عرجها ثم زال واتصلت بالناس فقلت له ولم لا تسلم فقال حتى يريد الله تعالى وعجبت من كون ذلك ليهودي وهذه شهادة من عدو في الدين * ولقد وقفت على قبره مرات وسألت الله تعالى في أشياء يسر لي فيها سؤلي منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به وأن ييسر علي فهم كتب عينتها فيسر الله تعالى علي ذلك في أقرب مدة * وكان السبتي آية في أحواله ما أدرك صحبته الا الخواص من الناس وكان أصل مذهبه الحض على الصدقة وكان أمره عجيبا في اجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر وقال لاصحابه أنا القطب وكان تفقهه على أبي عبد الله الفخار ووقفت على قبره وله بركات وأنوار * وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيرا جدا فصفح وتجاوز * ورأى عبد الرحمن بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله ما تقول في السبتي قال وكنت سيء الاعتقاد فيه فقال لي بعد أن تبسم هو من السباق قال فقلت بين لي يا رسول الله فقال هو ممن يمر على الصراط كالبرق قال فخرجت بعد الصبح فلقيني أبو العباس فقال لي ما رأيت وما سمعت والله لا تركتك حتى تعرفني فعرفته فصاح كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم انتهى ببعض اختصار * وقال ابن الزيات وحدثني أبو العباس الصنهاجي وغيره أن رجلا يعرف بابن السكاك وكان غنيا فدار عليه الزمان وافتقر حدث انه وصل لابي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته فشكا اليه حالته فأخذ بيده الى أن خرج معه من باب تاغزوت فجاء الى مطهرة هنالك قال فدخل أبو العباس المطهرة وتجرد من أثوابه ونادانى وقال لي خذ هذه الثياب فأخذتها وكان بعد العصر فأردت أن أرى ما يكون من أمره فصعدت الى حائط هنالك الى قرب المغرب فاذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب فلما رأيته نزلت اليه فقال لي أين

الفقيه أبو العباس فقلت هاهو في الساقية عريان فقال لي أمسك الدابة فسمعت الفقيه يقول له أين تلك الثياب فأخذها منه وخرج فلما رآني قال لي ومالك هنا قلت ياسيدي خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك فقال لي أفترى الذي فعلت ماقعلت له يتركني ثم سألت الفتى عن سبب وصوله اليه فذكر له أن احدى الكرائم أمرته أن يحمل اليه تلك الثياب وقالت له لاتدفعها الا للفقيه ولا يلبسها الا هو وهذه قصة صحيحة مشهورة * وقال ابن الخطيب وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء ربما تبرع متبرع باحتفالها فلاتساعده الاقدار وزرتها فرأيت في داخلها أشياخا من أهل التعفف والتصوف يسارقون خفية الناظر الى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها فيقصد ذو الحاجة بابها خالعا نعله مستحضرا نيته ويقعد بازاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى صدقة على قبره ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه فاذا خف الزائرون آخر النهار عمد القائم الى التربة الى ما أودع هنالك في تلك الاواني وفرقه على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها وان قصر عنهم كملوه في غده * قال ابن الخطيب لسان الدين وترافع خدام الروضة لقاضي البلد وتحاموا الى أمر ذلك الرزق المودع هنالك فسألهم القاضي عن خرجه اليوم فقالوا يحصل في هذه الايام في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهبا عينا وربما وصل في بعض الايام لالف دينار فاذ فرقها فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لايحصى دخله ولا تحصر جبايته فالقبر يفيض واللجين يسيل وذوو الحاجات كالطير تغدو خماصا وترجع بطانا يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال وأنا ممن جرب المنقول عن القبر فاطرد القياس وتزيفت الشبهة وتعرفت من بدء زيارته ماتحققت من بركته وشهد على برهان دعوته انتهى * وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلي في كتابه التشوف الى رجال التصوف كان أبو العباس جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان مقتدرا على الكلام حليما صبورا يحسن الى من يؤذيه ويحلم على من يسفه عليه رحيما عطوفا محسنا الى اليتامى والارامل يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ويحض على الصدقة ويذكر في فضلها آيات وأحاديث ويأخذها ويفرقها على المساكين ويرد أصول الشرع الى الصدقة ويفسرها بها ويقول معنى قول المصلي الله أكبر أي من أن نضن عليه بشيء فمن رأى شيأ من متاع الدنيا في نفسه أكبر لم يحرم ولا كبر ومعنى رفع اليدين للتكبير تخليت من كل شيء لاقليلا ولا كثيرا وهكذا يتكلم بنحو هذا في جميع العبادات ويقول سر الصوم أن تجوع فاذا جعت تذكرت الجائع ومايقاسيه من نار الجوع فتتصدق عليه فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم الى غير ذلك من كلامه في مثل هذا وكان اذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ويقول له تصدق ويتفق لك ماتريده وأخباره في ذلك كثيرة عجيبة * قال التادلي وحدثني ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه انه قال كان ابتداء أمري وأنا صغير أني سمعت كلام الناس في التوكل ففكرت في دقيقة فرأيت انه لا يصح الا بترك شيء ولم يكن

قوله لا يصح في نسخة لا يصلح اهـ

عندي

عندى منه فتركت الاسباب واطرحت العلائق ولم تتعلق نفسى بمخلوق فخرجت سائحا متوكلا وسرت نهارى كله فأجهدنى الجوع والتعب وقد نشأت فى رفاهية العيش وما مشيت قط على قدمى فبلغت قرية فيها مسجد فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء وخرج الناس فقمت لاصلى فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشى فصليت ركعتين وجلست أقرأ القرآن الى أن مضى جزء من الليل فاذا قارع يقرع الباب بعنف فاستجاب له صاحب الدار فقال له هل رأيت بقرتى فقال لا فقال انها ضلت وقد أكثر عجلها من الحنين فطلبها فلم يجدها فى القرية فقال أحدهم لعلها فى المسجد وقت العتمة ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدونى فقال صاحب البقرة ما أظنك أكلت الليلة شيأ فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن ثم ذهب ليأتينى بالماء فوجد بقرته فى داخل الدار فخرج لجيرانه وقال لهم ما زالت البقرة من الدار وما كان خروجى الا لهذا الفتى الجائع فى المسجد ثم رغبنى أن أمشى معه لمنزله فأبيت وكان فى أول أمره يسكن فى الفندق ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الاجرة على ذلك وينفقها على طلبة العلم الغرباء ويمشى فى الاسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة ويأتى بالطعام على رأسه وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة فاذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فقام اليهم القيم بخدمته فقالوا له ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملونا اذا طلع الفجر للقصر فجاء القيم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك فأخذ أبو العباس فى الضحك ولا يبالى ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا لا خوف عليكم قد استرهبتكم من الله تعالى وهذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان ان شاء الله تعالى فقيل له الجزاء عندك على الافعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يوجب قتلهما بل جزاؤهما أن يروعان كما روعانا فقال العلماء ورثة الانبياء وترويعكم عظيم لا يقابله منكم الا القتل فما زلنا نعارضه فى ذلك حتى قال عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الاعظم فوجد تابوته مفتوحا ورأى الحرسيين على قرب فلم يشك انهما حلاه فحملا الى رحبة القصر قبل طلوع الفجر فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم فتبعناهما وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى وكان يقول أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان وأصل الشر فيهما البخل قال الله تعالى فأما من أعطى الآية وقال عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقال ومنهم من عاهد الله الآية وقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة وقال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال ليس البر أن تولوا وجوهكم وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية فهذه الامانة هى الرزق فاعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر والارض ما فيها من الماء النازل من الجبال والجبال ما فيها كذلك وأنبتت الارض وأبت امساكها فخزن الانسان جميعها عنده ومنع المساكين انه كان ظلوما جهولا وفى الحديث هم الاقلون ورب الكعبة الا من قال هكذا وهكذا الحديث ولما أراد الله

قوله عندى منه فى نسخة عندى به اه

قوله الخزاز فى نسخة الجزار اه

تعالى ابتلاء فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل فقال ربنا انك آتيت فرعون الى قوله دعوتكما وكان رضي الله عنه في آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية أفرأيت الذي تولى الى قوله سوف يرى وكان يقول من قال ان الله تعالى لا يجازي على الصدقات فقد وافق اليهود في الفرية على الله تعالى لانهم قالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم أي لا يجازي على الصدقات قال الله تعالى غلت أيديهم الى آخره أي يجازي على العطاء كيف شاء وكان يقول في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية انما كويت هذه المواضع لان الغني يعرض عن المسكين بوجهه ثم بجنبه ثم بظهره فعوقبت هذه المواضع بالكي بالنار لاعراضه عن الفقير ومنازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة انتهى ملخصا * وحدث أبو اسحق ابراهيم بن أبي يعمور انه دخل صحبة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي الى الامير السيد أبي سعيد عثمان يعوده فقال له ادع الله تعالى لي أيها الشيخ فقال له ارجع الى الله تعالى حق الرجوع بحيث تحقق أنه الممرض والمعافي واخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لابناء الجنس لتكون ممن وقي شح نفسه فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ثم التفت الى الحاضرين وقال في المرض فوائد لا ينبغي أن تجهل الاولى معرفة قدر العافية الثانية تمحيص بعض الذنوب الثالثة توقع الثواب الرابعة تنقية الجسم من فضول الاخلاط الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع اليه السادسة حدوث الرقة والشفقة السابعة وهي العظمى الصدقة والخروج عن رذيلة البخل انتهى * وحدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبي بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش انه توفي وأوصى ابنا له كان من اهل البطالة أن يعمد الى ألف دينار من مخلفه فيدفعها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي ففعل وقال للشيخ ان أبي توفي وأوصاني أن أدفع اليك هذه الالف دينار تضعها حيث شئت فقال له الشيخ قد قبلتها وصرفتها اليك فقال له يا سيدي وما تأمرني أن أفعل بها قال خذها قال فانصرفت من عنده وسرت طنا بقوله ثم قلت وانا أنفق مثل ذلك على عادتي في الوجه الذي يلذلي فلا فمالي بها ما أفعل بغيرها فأخذتها في محفظة وخرجت ألتمس الزني فاذا امرأة على دابة وغلام يقودها فأشرت الى الغلام فقال لي نعم واتبعني الى بستان لي فنزلت المرأة فأدخلتها الى قبة كانت في البستان وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية وقال أغلق الباب ففعلت ثم أقبلت الى القبة فاذا المرأة تبكي بكاء شديدا حتى طال بكاؤها وبكيت لبكائها فقلت لها ما شأنك فقالت افعل ما دعوتني لاجله ودع عنك هذا ونحيبها يزيد فقلت لها ان المعنى الذي دعوتك لاجله لا يصلح مع البكاء بل مع الانس وانشراح الصدر وزوال الانقباض ورفع الخجل فقالت نترك البكاء ونرجع للانس على ما تحب ونوفي غرضك فقلت لا حتى أعلم سبب بكائك وألححت عليها فقالت أتعرف حاجب الملك الذي سجنه قلت نعم قالت فأنا ابنته ولم يبق له أحد غيري وقد سجنه الملك وأخذ أمواله فما زلت أبيع ما ترك أبي وأنفقه عليه حتى لم يبق بيدي شيء فلما أعيتني الحيلة فيما أنفقه ألجأت نفسي ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لي أحد وجها قط فرميت لها بالالف دينار وقلت لها والله لا قربت منك على

هذا الوجه أبدا فأنفق الدنانير على والدك الى ان تنفدوا بعث لى غلامك أعلمه بمنزلى ولا زمى دارك واستمرى على صيانتك والافضحتك وترجى والله لا أزال أبيع أملاكى وأنفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ثم خرجت ألتمس الغلام واذا بجماعة يطلبون البنت وقالوا ان الملك رضى عن والدها ورد عليه ضياعه وأملاكه ووصله بعشرة آلاف دينار وقعد يلتمس بنته فلم توجد فيسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة وظن أن الامر على ماجرى بينى وبين البنت فبادرته وقلت له لا عليك فتجاهل فى خبرها حتى ينصرفوا ودخلت الى البنت وقلت لها ان الملك قد رضى عن والدك ورد عليه ماله ووصله فسيرى الى دارك فركبت دابتها وانصرفت فدخلت على والدها فقال لها أين كنت وما الذى أخرجك عن دارك وهم بها فقالت له أخرج عنى كل من فى الدار ففعل فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله الى آخره ورمت اليه بالالاف دينار وقالت له هذا الذى أعطانى لانفق عليك فقال أبوها هذا والله هو الكبريت الاحمر والله لو كان أبوه كافا ما أنفت أن أزوجك منه فوجه العبد الذى كان معها الى الشاب وقال له ان سيدى يدعوك قال فخفت ان يوضع عنده الامر على غير وجهه ثم أقدمت اقدام من علم براءة نفسه فدخلت عليه فقام الى وعانقنى وقد عرف لى مقامى وقال أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرت بك عينى وقال والله لو كان أبوك كافا ما أنفت لبنتى أن أزوجك منها فما قام من المجلس حتى وجه الى العدول وأشهد على نفسه بانه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ونقد هاعنه الشطر الاول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك واجل لها عنه الشطر الثانى وأهدى لها من الحلى كذا وكذا ومن الثياب كذا وكذا حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك فحصل من اشارة الشيخ السبتى رضى الله عنه فى تلك الالف دينار على أضعاف مضاعفة من الاموال وظفر ببنت حاجب الملك انتهى (رجع) الى ابن زمرك رحمه الله تعالى قال الشاطبى فى الاشارات والافادات ماصورته افادة أفادنى صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك اثر ايابه الى وطنه من رحلة العدوة فى علم البيان فوائد اذكر منها الآن ثلاثة الفقه فى اللغة وهو النظر فى مواقع الالفاظ وأين استعملتها العرب ومن مثل هذا الوجه قرم وعام اذا اشتهى لكن لا يستعمل قرم الا مع اللحم ولا يستعمل عام الا مع اللبن فتقول عمت الى اللبن وكذلك قولهم أصفر فاقع وأحمر قانى ولا يقال بالعكس وهذا كثير والثانية تحرى الالفاظ البعيدة عن طرفى الغرابة والابتذال فلا يستدل بالحوشى من اللغات ولا المبتذل فى ألسن العامة والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه اذ المقصود الوصول فى بيان المعنى الى أقصاه والاتيان بما يحصله من بعد ويمكنه فى الذهن وتحرى كل صيغة تمكن المعنى وتحرض السامع على الاستماع وأخبرنى أن كتاب المغرب يحافظون فى شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ويذمون ماعداها من طريقة المولدين وانها خارجة عن الفصاحة وهذه المعانى الثلاثة لا توجد الا فيها انتهى * وذكر من شرح بديعية الحلى من المغاربة وهو الشيخ النحوى عبد الثعالبى فى شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبى عبد الله

المعروف بابن زمرك الاندلسى تمدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الاندلس وهو قوله

ولو أنشدت بين العذيب وبارق * لقال رواة الغرب يا حبذا الشرق انتهى

ولم يظهر لى كل الظهور لالته على حسن الختام ولا بد فالله سبحانه أعلم * وقد أطلنا فى ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى هذه

لو ترجع الايام بعد الذهاب * لم تقدح الايام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب * يوقظه الدهر بصبح المشيب

يا راكب العجز الا نهضة * قد ضيق الدهر عليك المجال * لا تحسبن أن الصبا روضة
تنام فيها تحت فىء الظلال * فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
والعمر قد مر كمر السحاب * والملتقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بلمع السراب * تحسبه ماء ولا تستريب

والله ما الكون بما قد حوى * الا ظلال يوهم الغافلا * وعادة الظل اذا ما استوى
تبصره منتقلا زائلا * انا الى الله عبيد الهوى * لم نعرف الحق ولا الباطلا
فكل من يرجو سوى الله خاب * وانما الفوز لعبد منيب
يستقبل الرجعى بصدق المتاب * ويرقب الله الشهيد الرقيب

يا حسرتا مر الصبا وانقضى * وأقبل الشيب يقص الاثر * واخجلنا والرحل قد قوضا
وما بقى فى الخبر غير الخبر * وليتنى لو كنت فيما مضى * ادخر الزاد لطول السفر
قد حان من ركب التصابى اياب * ورائد الرشد أطال المغيب
يا أكمه القلب بغين الحجاب * كم ذا أناديك فلا تستجيب

هل يحمد الزاد لدار الكريم * والمصطفى الهادى شفيع مطاع * جاهه ذخر الفقير العديم
وحبه زادى ونعم المتاع * والله سماه الرؤف الرحيم * فجاره المكفول ما ان يضاع
عسى شفيع الناس يوم الحساب * وملجأ الخلق لرفع الكروب
يلحقنى منه قبول مجاب * يشفع لى فى موبقات الذنوب

يا مصطفى والخلق رهن العدم * والكون لم يفتق كمام الوجود * مزية أعطيتها فى القدم
بها على كل نبى تسود * مولدك المرقوم لما نجم * أنجز للامة وعد السعود
ناديت لو يسمع لى بالجواب * شهر ربيع يا ربيع القلوب
أطلعت للهدى بغير احتجاب * شمسا ولكن ما لها من غروب

(ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الطبيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا وشرحه عليها من أبدع الشروح وقد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا واعتمد عليه فى أمور الطب وقد طال عهدى به الآن وهو من الكتب المشهورة بالمغرب ولم أره بهذه الديار المشرقية (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الاديب الكاتب العالم العلامة القاضى أبو بكر بن جزى الكلبى وأبوه الشيخ أبو القاسم بن جزى شيخ لسان الدين ويتبنى

جزى بيت كبير مشهور بالمغرب والاندلس وقد عرّفنا فيما سبق بالشيخ أبى القاسم وابنيه العلامتين الناظمين الناثرين الكاتب أبى عبد الله محمد والقاضى أبى بكر المذكور فليراجع فى الباب الثالث ورأيت بخط بعض علماء المغرب أن أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى جميع تواليفه مع انه مقارب له فى السن ولكن الانصاف فى ذلك الزمان غير معدوم وقد عرّف به لسان الدين فى الاحاطة والذى فهمت من عبارته فى الاحاطة انه ان عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا الا على تلامذته وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه رحمه الله تعالى وأتقن تاريخ أهل المغرب والاندلس رحم الله تعالى الجميع (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشى وهو الذى تولى أولا نقل الاحاطة من مبيضتها كما سبقت الاشارة اليه فى كلام حفيد السلطان ابن الاحمر وأحكم نسخة فكانت فى مجلدات ستة وكان لسان الدين ألقى اليه بالمبيضات اعتمادا منه عليه وثقة به لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة (ومن تلامذة لسان الدين) القاضى الكاتب ابو محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى قال فى الاحاطة صاحبنا الفقيه الخطيب كاتب الانشاء بالباب السلطانى أبو محمد نسيج وحده فى أصالة البيت وعفاف النشأة مقصود المنزل نبيه الصهر معم مخول فى الاصالة بارع الخط جيد القريحة سيال المداد نشيط البنان جلد على العمل خطيب ناظم ناثر قرأ بغرناطة وولى الخطابة بالمسجد الاعظم والقضاء سنتين ببلده فى حداثة السن ثم انتقل الى غرناطة فجأجأت به الكتابة السلطانية داحضة بالحق أونه الى هضبة أمانة مستظهرة بطل كفاية فاستقل رتيسا فى غرض اعانتى وانتشالى من هفوة الكلفة على جال الضعف والمام المرض ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة وازعاجها من الاندلس عن سوأة لا توارى وعورة لا يرتاب فى أشنوعتها ولا يتمارى فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها اذ لصق بالداهى الفاسق فكان آلة انتقامه وجارحة صيده وأحبولة كيده فسفك الدماء وهتك الاستار ومزق الاسباب وبدل الارض غير الارض وهو يزقه فى اذنه زقوم النصيحة ويستحله لقب الهداية ويبلغ فى شوارزه الى الغاية عنوان عقل الفتى اختياره يجرى فى سبيل دعوته طوالاً أخرق يسئ السمع فيسئ الاجابة بدويا مجاهرا ذاهلا عن عواقب الدنيا والآخرة طرفا فى سوء العهد وقلة الوفاء مردودا فى الحافرة منسلخا من آية السعادة تشهد عليه بالجهل يده ويقيم عليه الحجج شرهه وتبوئه هفوات الندم جهالته ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان اليه وتبرأ منه ولحقته بعده مطالبة مالية لق لاجلها ضغطا وهو الآن بحال خزى واحتقاب تبعات واستدعيت شيأ من نظمه ونثره حال التصنيف لترجمه به فكتب الى مانصه

ياسيدا فاق فى مجد وفى شرف * وفات سبقا بفضل الذات والسلف
وفاضلا عن سبيل الذم منحرفا * وعن سبيل المعالى غير منحرف
وتحفة الزمن الآتى به فلقد * ربا بما حازه منها على التحف

ومعدننا لنفيس الدر فهو لما * حواه منه لدى التشبيه كالصدف
وبحر علم جميع الناس مغترف * منه ونيل المعالى غير مؤتلف
وسابق بذ أهل العصر قاطبة * فالكل فى ذاك منهم غير مختلف
من ذا يخالف فى نار على علم * او يجحد الشمس نورا وهو غير خفى
ما أنت الا وحيد العصر فى شيم * وفى ذكاء وفى علم وفى ظرف
لله من منتم للمجد منتسب * بالفضل متسم بالعلم متصف
لله من حسب عد ومن كرم * قد شاده السلف الاخيار للخلف
ايه أيا من به تبأى الوزارة اذ * كنت الاحق بها فى الذات والشرف
يا صاحب القلم الاعلى الذى جمعت * فيه المعالى فبعض البعض لم أصف
يا من يقصر وصفى فى علاه ومن * أنسى مديح حبيب فى أبى دلف
شرفتنى عند ما استدعيت من نظمى * نظما تدونه فى أبدع الصحف
فربما راق الغرفى تبسمه * حتى اذا ماله المتلم مرتشف
أجل قدرك أن ترضى لمتجع * يسوءك ليته حظ امع الحشف
هذا ولو اننى فيما أتيت به * ناغت بالطيب زهر الروضة الانف
لكنت أفضى الى التقصير من خجل * اذ لست بالبعض مما تستحق أفى
فحسبى العجز عما قد أشرت به * فالعجز حقا قصارى كل معترف
لكن أجبت الى المطلوب ممتثلا * وان غدوت برمى القوم كالهدف
فانظر اليها بعين الصفح عن زلل * واجعل تصفحها من جملة الكلف
بقيت للدهر تطويه وتنشره * تسمو من العز بادم غير منصرف

ثم ذكر نثرا وأن مولده بوادى آش آخر عام تسع وسبعمائة وولى الخطابة والامامة بها عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم ولى القضاء بها وبأعمالها عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة ومن شعره قوله

الا أيها الليل البطىء الكواكب * متى ينجلى صبح بنيل المآرب
وحتى متى أرعى النجوم مراقبا * فمن طالع منها على اثر غارب
أحدث نفسى أن أرى الركب سائرا * وذنبى يقصينى بأقصى المغارب
فلا فزت من نيل الامانى بطائل * ولا قمت فى حق الحبيب بواجب
فكم حدثتنى النفس أن أبلغ المنى * وكم عللتنى بالامانى الكواذب
وما قصرت بى عن زيارة قبره * معاهد أنس من وصال الكواعب
ولا حب أوطان نبت بى ربوعها * ولا ذكر خل حل فيها وصاحب
ولكن ذنوب أثقلتنى فها أنا * من الوجد قد ضاقت على مذاهبى
اليك رسول الله شوقى مجدد * فياليتنى يممت صدر الركائب
فاعملت فى تلك الاباطح والربا * سراى مجدا بين تلك السباسب
وقضيت من لثم البقيع لباتنى * وجبت الفلا ما بين ماش وراكب

ورويت

ورويت من عذب زمزم غلتي * فلله ما أشهاه يوما لشارب
حبيبي شفيعي منتهى غايتي التي * أرجى ومن يرجوه ليس بخائب
محمد المختار والحاشر الذي * بأحمد حاز الحمد من كل جانب
رؤف رحيم خصنا الله باسمه * وأعظم بما ح في الثناء وعاقب
رسول كريم رفع الله قدره * وأعلى له قدرا رفيع الجوانب
وشرفه أصلا وفرعا ومحتدا * يزاحم آفاق السما بالكواكب
سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعلا * وخير الورى الهادي الكريم المناسب
هو المصطفى المختار من آل هاشم * وذو الحسب العد الرفيع المناصب
هو الامد الاقصى هو الملجأ الذي * ينال به مرغوبه كل راغب
امام النبيين الكرام وانه * لكالبدر فيهم بين تلك المواكب
بشير نذير مفضل متطول * سراج منير بذ نور الكواكب
شريف منيف باهر الفضل كامل * نفيس المعالي والحلى والمناقب
عظيم المزايا ماله من مماثل * كريم السجايا ماله من مناسب
ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن * يلوذ به من بين آت وذاهب
جليل جميل الخلق والخلق ماله * نظير ووصف الله حجة غالب
وناهيك من فرع نمته أصوله * الى خير مجد من لؤي بن غالب
أولى الحسب العد الرفيع جنابه * بدور الدياجي أو صدور الكتائب
له معجزات مالها من معارض * وآيات صدق مالها من مغالب
تحدى بها الخلق شرقا ومغربا * وماذاك عمن حاد عنها بغائب
فدونكها كالانجم الشهب عدة * ونور سنا لا يختفي للمراقب
واحصاؤها مهما تتبعت معوز * وهل بعد نور الشمس نور لطالب
لقد شرف الله الوجود بمرسل * له في مقام الرسل أعلى المراتب
وشرف شهرا فيه مولده الذي * جلا نوره الاسنى دياجي الغياهب
فشهر ربيع في الشهور مقدم * فلا غرو ان الفخر ضربة لازب
فلله منه ليلة قد تلألأت * بنور شهاب بين الافق ثاقب
ليهن أمير المسلمين بها المنى * وان نال من مولاه أسنى الرغائب
على حين أحياها بذكر حبيبه * وذكر الكرام الطاهرين الاطايب
وألف شملا للمحبين فيهم * فسار على نهج من الرشد لاحب
فسوف يجازى عن كريم صنيعه * بتخليد سلطان وحسن عواقب
وسوف يريه الله في نصر دينه * غرائب صنع فوق تلك الغرائب
فيحمي حمى الاسلام عمن يرومه * بسمر العوالي أو ببيض القواضب
ويعتز دين الله شرقا ومغربا * بما سوف يبقى ذكره في العجائب
الهي مالي بعد رحماك مطلب * أراه بعين الرشد أسنى المطالب

سوى زورة القبر الشريف وانها * لموهبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله مالاح كوكب * ومارافق الاظعان حادى الركائب

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى وليس لهذا الرجل اتصال لغير الشعر والكتابة وغير هذا الشعر قران فقل أن يتهى هذا الشعر فى الضعة والاسترذال الى مادون هذا النمط فهو بغير ثان شعرا وشكلا وتلاد الطف الله تعالى بناويه انتهى باختصار (ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ومن نظمه على لسان من يرمى بالداء العضال فى فرج عبد ابن زمرك الوزير بعد ابن الخطيب

قالوا كلفت به غلاما حالكا * فأجبتهم فى فيه مارى المهج
مهماجننت بحسنه وبحبه * علقت فرقى منه حرزا من سبج

ورأيت بخط الوادى آشى ماصورته وجدت بخط لسان الدين وخاتمة أعلام البيان المجيدين ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى فى طرة اسم الكاتب أحمد ابن سليمان بن فركون المختص بها المتأدب بما انفرد به من انتساخ تواليف ابن الخطيب مانصه يسقط هذا الساقط من الديوان انتهى ولعل لسان الدين انما أمر باسقاطه من الاحاطة لما اتهم به من معنى بيتيه السابقين ويحتمل أن يكون لغير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثامن فى ذكر أولاده)

الراقلين فى حلل الجلاله المقتفين أوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بالانيا المنقذة من أنواع الضلاله ومايتبع ذلك من المناسبات القريبه والامداح النبويه التى الهاعلى حسن الختام أظهر دلاله اعلم وفقنى الله تعالى واياك لارضائه وجعلنا ممن يعتبر بالدهر فى معضاته ان أولاد لسان الدين ثلاثة عبد الله ومحمد وعلى وكلهم حدث عن أبيه وعن ابن الجياب * أما محمد فقد نال حظه من التصوف ولم يكن له الى خدمة الملوك تشوف ولم يحضرنى الآن نص من أنبائه اكتبه لعدم وجود الكتب التى هى مظان ذلك اذ قد تركتها بالمغرب * وقد سبق فيما مر من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من ندماء السلطان وأهل خلوته وأن عليا كان خالصة السلطان رحم الله تعالى الجميع * وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين للملوك الحضرتين وتولى القيادة والكتابة بالاندلس أيام كان أبوه مدبر الدوله وأكثر الناس بها كالخواص حوله ولا أعلم الآن ما آل اليه أمره بعد وفاة أبيه وقد ألم ببعض التعريف بعبد الله أبوه لسان الدين فى كتاب الاحاطه فى تاريخ غرناطه فقال فى حقه ما ملخصه عبد الله بن محمد بن على بن سعيد بن الخطيب التلمسانى حسن الشكل جيد الفهم يغطى منه رماد السكون جمرة حركة منقبض عن الناس قليل البشاشة حسن الخط وسط النظم كتب عن الامراء بالمغرب وأنشدهم وأقبض صكوكهم بالاقطاعات والاحسان واختال فى خلعهم ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه معزز

قوله رماد فى نسخة زنا اه

الخطة بالقيادة قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسني والخطيب أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي واستظهر ببعض المبادي في العربية واستجيزله من أدركه ببلاده من أهل المشرق والمغرب وشعره مترفع عن الوسط إلى الاجادة يكاله عذر الحداثة * فمنه قوله في مولد أربع وستين وسبعمائة

بحق الهوى يا حداة الحمول * قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرّت عليها السحاب * ببرق خفوق ودمع همول
أحنّ اليها حنين العشار * وأبكي عليها بشجو طويل
فيا سعد عرّج عليها الركاب * ففيها لقلبي شفاء الغليل
سقاها من المزن صوب الغمام * وحيا بعرف النسيم العليل
ولا زال فيها يجرّ الذيول * فيحيي النفوس بجرّ الذيول
لئن حلت يا ربع عن عهدنا * فعهد الهوى ليس بالمستحيل
ومما شجاني وميض الخفوق * كقلبي غداة النوى والرحيل
وميض اذا لاح المزن وهنا * يضيء سناه كعضب صقيل
أطار الفؤاد فؤاد المشوق * وأغرى السهاد بطرف كليل
فبت أطاول ليل التمام * بوجد جديد وصبر محيل
ودمع يساجل دمع الغمام * وشجو الحمائم عند الهديل
فيا ليت شعري وهل من سبيل * على الوجد يوما يصيب جميل
وهل يسمح الدهر بعد العناد * بجبر الكسير وعز الذليل
وهل راجع عهدنا بالحمى * على رغم دهر ظلوم جهول
فيا حسن مأوى عزاء جميل * ويا طيب مأوى بظل ظليل
وفي ذمّة الله ركب سروا * يجدّون والليل مرخي السدول
نشاوى بكاسين كاس الهوى * وكاس من الامن مثل الشمول
يؤمّون بالعيس أمّ القرى * وقبر النبيّ الشفيع الرسول
ديار بها الوحي وحي السما * تنزل أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا * وآن من الشرك وقت الافول
فيا حادي العيس يطوي الفلا * بوخد القلاص ونص الزميل
سفائن آل طواها السرى * وشق الحزون وقطع السهول
نشدتك بالبان بان الحمى * وبالمورد العذب والسلسبيل
اذا ما حللت لدى طيبة * وجئت محلّ الرضا والقبول
وقبرا ثوى فيه خير الورى * وبشرى الكليم وفخر الخليل
فأبلغ تحية صب مشوق * عدته عوادي الزمان الخذول
وقل يا رسول الهدى والشفيع * اذا ضاق صدر أب عن سليل
عليك الصلاة وطيب السلام * تحييك عند الضحى والاصيل

نبيّ كريم رؤف رحيم * بنص الكتاب وحكم العقول
امام الهدى المجتبى المصطفى * بأزكى شهيد وأهدى دليل
به أظهر الله دين الهدى * وعلم كيف سواء السبيل
وقام بأعباء دين الاله * أتم القيام بفعل وقيل
فأكرم بليلة ميلاده * على كل وقت وعصر وجيل
لك الله من ليلة فضلها * يجر على النجم فضل الذيول
وأيد بالنصر مولى أقام * مواسمها فعل برّ وصول
أعاد بها الليل مثل النهار * بوجه كريم وفعل جميل
وأبدى الرضا نحوها والقبول * وأكرم به من حفيّ كفيل
سميّ النبيّ الكريم الرسول * وسيف الاله العليّ الجليل
محمد المرتجى المستجار * مبيد العدا ومنيل الجزيل
من النفر الغرّ أسد الكفاح * وأهل السماح عشيّ النزول
تراهم لدى السلم أطواد حلم * ويوم الكريهة آساد غيل
مبيد العداة ومحيي العفاة * ومأوى الغريب ومدنى الدخيل
فبأس حكى النار عند احتدام * وجود حكى السحب عند الهمول
فيصلى عداه لدى الحرب نارا * ويروى نداه زمان المحول
اذا فلت البيض يوم الوغى * فلست ترى عزمه ذا فلول
مليك كفيل لمن يرتجيه * بكل مرام بعيد وسول
وفرع كريم حميد الخلال * نماه الى المجد طيب الاصول
فدام لنا ما سرى فى الرياض * نسيم الصبا ومهبّ القبول
وحنّ مشوق لارض الحجاز * اذا لاح ايماض برق كليل

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس

لمن طلل بالرقتين محيل * عفت دمنتيه شمأل وقبول
يلوح كباقى الوشم غيره البلى * وجادت عليه السحب وهى همول
فيا سعد مهلا بالركاب لعلنا * نسائل ربعا فالمحبة سؤل
قف العيس ننظر نظرة تذهب الاسى * ويشفى بها بين الضلوع غليل
وعرّج على الوادى المقدّس بالحمى * فطاب لديه مربع ومقيل
فيا حبذا تلك الديار وحبذا * حديث بها للعاشقين طويل
دعوت لها سقى الحيى وربوعه * ومبض وعرف للنسيم عليل
وأرسلت دمعى للغمام مساجلا * فسال على الخدين منه مسيل
فأصبح ذاك الربع من بعد محله * رياضا بها الغصن المروح يميل
لئن حال رسم الدار عما عهدته * فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
ومما شجانى بعد ما سكن الهوى * بكاء حمامات لهن هديل

توسدن فرع البان والنجم مائل * وقد آن من جيش الظلام رحيل
فيا صاحبي دع عنك لومي فانه * كلام على سمع المحب ثقيل
تقول اصطبارا عن معاهدك الالى * وهيهات صبري ما اليه سبيل
فلله عينا من رآني وللاسى * غداة استقلت بالخليط حمول
يطاول ليل التم مني مسهد * وقد بان عني منزل وخليل
فيا ليت شعري هل يعودن ما مضى * وهل يسمحن الدهر وهو بخيل
وهل راجع عهد الحمى سقى الحمى * وظل بعين الدمع فيه ظليل
وأيام أنس كم نعمنا بقربها * وقد غاب عنا حاسد وعذول
حلفت برب الراقصات الى منى * لهن الى البيت العتيق ذميل
لجود أمير المسلمين محمد * بكل مرام في الزمان كفيل
مليك أتاه الله في الملك عزمة * يروع الاعادي بأسها ويهول
هو الملك المنصور والبطل الذي * يهون عليه الخطب وهو جليل
اذا فلت البيض الرقاق وجدته * أخا عزمات ما لهن فلول
يقصر باع المدح دون صفاته * ويرجع عنها الفكر وهو كليل
من النفر البيض الوجوه لدى الوغى * لهم غرر وضاحة وحجول
هم ما هم والحرب قد شب نارها * وللخيل في جنح العجاج صهيل
اذا سئلوا يوم الندى فنوالهم * تفيض شآبيب له وسيول
بهم عز دين الله شرقا ومغربا * وأصبح دين الكفر وهو ذليل
هم السادة الانصار والعرب الالى * حمى الدين حي منهم وقبيل
لهم يوم بدر والرسول أميرهم * تصول به أرماحهم وتطول
فأصبح أصحاب القليب كأنهم * كثيب لوطء المرهفات مهيل
وقد أمن الاسلام كيد عدوه * وغودر ربع الكفر وهو محيل
وعدوا رواحا للمدينة والرضا * لهم منه فوز عاجل وقبول
فمن ذا يجاري أو يداني عصابة * جزاؤهم عند الاله جزيل
لكم يا بني نصر من المجد هضبة * تزول الرواسي وهي ليس تزول
فيا سيد الاملاك والواحد الذي * اذا عد نحرا ليس عنه عدول
لقد قرع الاعداء منك مؤيدا * له الذعر نصر والحسام دليل
فلم يدركوا ما أملوا غير ساعة * كذاك متاع الاخسرين قليل
تعاوين في باب البنود بسحرة * كلاب عليهم بعد ذاك عويل
أبى الله الا أن يولوا بغيظهم * فويل لهم من مكرهم وأليل
فأضحوا حديثا في البلاد ويومهم * وساء صباح عندهم وأصيل
بسعد امام ينزل العصم سعده * ويروى نداه والزمان محول
وفرع كمال في الخلافة ثابت * نمته الى المجد الزكي أصول

حكى وجهه شمس النهار اذا بدا * وريّاه عرف الروض وهو بليل
أعادلنا بالعدل أيامه التى * عهدنا فدارت للسرور شمول
فدام لنا ما هبت عرف من الصبا * وأومض برق فى الظلام كليل
وحن مشوق للحجاز اذا بدت * لعينيه منه شامة وطفيل
وأشرق نجم مثل قلبى خافق * وحان له عند الغروب أفول
ومازالت الاقدار تجرى بأمره * وصنع اله العرش فيه جميل

وقال فى اعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضى عنه

أثرها عزمة تنضى الركابا * وان دميت لها العين انسكابا
لعل الوجد تطفأ منه نار * أبت الا زفيرا والتهابا
أمابعد الالى ترجو قلوب * تسارع نحو أرضهم انقلابا
فيا اخوى كفا عن عتابى * فلست بسامع أبدا عتابا
تذكرت العقيق فسال دمعى * عقيقا من تذكره مذابا
أقول لنسمة مرت صباحا * يعطر عرفها القفر اليبابا
الا يا هذه كونى رسولى * وكونى ان رجعت لى الجوابا
نشدتك بلغى صحبى سلامى * اذا جئت المعاهد والقبابا
يلومونى العواذل فى اشتياقى * اذا ما القلب من وجدى تصابى
وكم بين الاباطح من مهاة * تروع بلحظها الاسد الغضابا
رمتنى ثم قالت وهى تزرى * ولم تحذر بفتكتها العقابا
اذا ما الشهب للغرب استمالت * وفود الليل بالاصباح شابا
أوجه ان رقدت اليك طيفى * كلمع البرق يخترق السحابا
فقالت لقد بخلت على مشوق * أبى الا غراما واكتئابا
وكيف له بنوم بعيد وجد * يذيب لهيبه الصم الصلابا
سينصره من الانصار ملك * اذا ناداه مظلوم أجابا
كريم الذات من حلا كرام * لقد طابت سجاياهم وطابا
تواضع رحمة وعلا محلا * وسهل منه للناس الحسابا
فليس يصد عن جدواه راج * وليس يسد عن عافيه بابا
لعطف على الراجى جميل * يفل من الردى ظفرا ونابا
وملك آمن الارجاء حتى * ترى الغزلان لا تخشى الذئابا
أمولاى الذى أحيا المعالى * وقد بليت وألحفت الترابا
مددت على البلاد جناح عدل * وكف الجور تستلب استلابا
وتاب الدهر مما قد جناه * فجدت له بعفوك حين تابا
وسكن عز دولتك الدواهى * فكانت رحمة دفعت عذابا
وبالله اعذار سعيد * دعوت السعد فيه فاستجابا

عجبت لمقدم والروع يهفو * بأفئدة الكماة وما استرابا
ومن شبل أطاع أخا سلاح * وحكمه اصطبارا واحتسابا
وهل عذر لعاذر ليث غاب * أظن فؤاده والعقل غابا
فلولا سنة حكمت وهدى * أصبت وقد سلكت به الصوابا
لحامت عصبة الانصار عنه * بأسياف تقد بها الرقابا
من الصيد الذين لهم نفوس * لغير الفخر لاتصل الطلابا
تنير الليل أوجههم اذا ما * أرادوا السير أوحثوا الركابا
دعوت به الانام ليوم حشر * ولم تدخر لهم الا الثوابا
وأوا من زخرف الدنيا مقاما * يذكر بالجنان لمن أنابا
وأبهتهم فما عاطوا حديثا * ولا عرفوا السؤال ولا الجوابا
ولو مكثوا به دهرا طويلا * لما ذكروا الطعام ولا الشرابا
وطاردت الصوار بكل ضار * كما اتبعت عفرية شهابا
ضربت به على الآذان منها * فلم تسطع حراكا واضطرابا
ومعصوب الجبين بتاج روق * يروع خواره الاسد الغضابا
تعرف أن تحت الارض نورا * فرام بأن يشق له الترابا
وكان به هضيم الكشح أجنى * حديد الناب تحسبها حرابا
تباعد مجمع الشدقين منه * وسال الموت بينهما لعابا
فأثبته كوحي الطرف حتى * توثق منه جازره غلابا
وصاح به الصوار وقد رآه * حبيس الكلب قد منع الايابا
فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وأرسلت الجياد الى استباق * كأن بوارقا شقت سحابا
فمن ورد أقب ومن كميت * وأشهب يلهب الارض التهابا
وساقية العماد اذا أطلت * الى الادواح تنساب انسيابا
تحوم بها العصي فراش ليل * تروم بسمعه منه اقترابا
تحف بها خيول القوم منا * فترسل نحوها الجرد العرابا
عجائب أبدعت علياك فيها * ومثلك يبدع الامر العجابا
محمد لاعدمت الدهر حمدا * فقد أحسنت في الملك المنابا
وزكى نفسك الرحمن لما * رآك ملكت للمجد النصابا
تداركت البلاد ومن عليها * فأمنت التنائف والشعابا
لقد أوليتنا بيض الايادي * لقد طوقتنا المنن الرغابا
روت عنك العوالي في المعالي * حديث الفخر حقا لا ارتيابا
ستفتح من بلاد الشرك أرضا * قد اعتقلت عقائلها اغتصابا
وتعمل في العدا بيض المواضي * الى أن يشكر السيف القرابا

فما كأس من الصهباء صرف * تعيد الشيخ من طرب شبابا
وطاف بها من الرهبان بدر * يهتك من دجى الليل الحجابا
تجدد الانس عودا بعد بدء * وربع الهم تتركه خرابا
بأعذب من ثنائك حين يطوى * به الركب الاباطح والهضابا
أمولاى استمعها بنت فكر * تخيرها فسأبرزها لبابا
وغاص على فرائدها العوالى * وشق على نفائسها العبابا
وهناك الاله بكل نعمى * تقود لك الامانى الصعابا
ودمت لعزة الاسلام ركنا * الى أن يشمل الشيب الغرابا

(وقال) وقد أنشدها السلطان ليلة الميلاد عام خمسة وستين وسبعمائة

نفس الصبا أهدى الى نسيما * قد رام ممتنعا ورام عظيما
يا هل يبلغنى السرى خير الورى * فأرى معاهد للهوى ورسوما
وأسابق الركبان فوق نجيبة * تفرى من البيد العراض اديما
وأحط رحلى فى كريم جواره * أرجو نعيما فى الجنان مقيما
حتى اذا بلغوا الذى قد أملوا * ورأوا مقاما بالرضا موسوما
وتزاحموا فى الترب يستلمونه * أرأيت فى الورد الظماء الهيما
قبلت ذاك الترب من شوقى الى * من حله وأقمت فيه لزيما
وبكيت من دمع المآقى زمزما * وتركت جسمى كالحطيم حطيما
صلى عليه الله ما هبت صبا * تهدى من الطيب الزكى شميما
لله مولده الذى أنواره * صدعت ظلاما للضلال بهيما
شرعت من التأييد سيف هداية * أردت ظباه فارسا والروما
كسر الاكاسر بالعراء ولم يدع * ان رد قيصر قاصرا مهزوما
لله منها ليلة أضحى بها * شمل الهدى لاولى الهدى منظوما
أبدا أمير المسلمين أعدها * بدعا من القصر الكريم جسيما
ملك أقام الله منه لخلقه * مولى رؤفا بالعباد رحيما
يحمى ذمار المسلمين من الردى * ويبيح ربعا للعدا وحريما
بمحمد قد عاد دين محمد * غض الرياض وكان قبل هشيما
أحيا به الله الخلافة بعدما * كانت بأطباق التراب رميما
من آل سعد الخزرج بن عبادة * طابوا فروعا فى العلا وأروما
تلقاه فى يوم الكريهة والوغى * والخيل عابسة أغر وسيما
وتخال كفيه اذا شح الحيا * أفقا بهامية الغيوث غيوما
تأبى خلال العدل والشيم العلا * من أن يرى فى دهره مظلوما
كهف العباد وفخرها وثناؤه * ترك المديح على الطروس رقيما
لا زال يلقى العيش طلقا والعلا * مرقى وصرف الحادثات خديما

ما اهتز غصن فى الحديقة ناعم * لما أحس من الشمال شميما

(مولده) بغرناطة يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى (ومما) خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور مما فى النفاضة من قوله أنشدت ابنى عبد الله وقد وصل لزيارتى من الباب السلطانى حيث جرايته ووظيفته وانجر حديث ما فقد بغرناطة فى شجون الكلام

يا بنى عبد الاله احتسابا * عن أثاث ومنزل وعقار
كيف يأسى على خسارة جزء * من يرى الكل فى سبيل الخسار
هدف لاتنى سهام الليالى * عن سباق تجاهه وبدار
واحد طائش وسهم مصيب * ليس ينجى منها اشتمال حذار
غير ذى الدار صرف الهم فيها * فمناخ الرحيل ليس بدار انتهى

وقال أيضا رحمه الله تعالى مما أنشدته ولدى عبد الله وأمرته بحفظه والتأدب به والنهج بحكمته

اذا ذهبت عينك لاتضيع * يسارك فى البكاء ولا المصيبه
ويسراك اغتنم فالقوس ترمى * وماتدرى أرشقتها قريبه
وما بغريبة نوب الليالى * ولكن النجاة هى الغريبه

قال ومن المنظوم فى قريب من هذا قولى

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر * دهيت فدلونى لمن يرفع الامر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطا * وفى شغلى أو نومتى سرق العمر

وقال رحمه الله تعالى ومما قلته وقد انصرف عنى الولد عبد الله الى مدينة فاس لاقامة رسمه من الخدمة وأنحانى انصرافه لوقوع قرحه على قرح والله المستعان

بان يوم الخميس قرة عينى * حسبى الله أى موقف بين
لوجنى موقف النوى حين حيى * حان يوم الوداع والله حينى
ما بقتنى صروف هذى الليالى * وأطالت همى وألوت بدينى
وطن نازح وشمل شتيت * كيف يبقى معذب بعد ذين
يا الهى أدرك بلطفك ضعفى * ان ما اشتكيه ليس بهين

وقال رحمه الله تعالى أنشدت يوما ولدى عبد الله وقد رأيت منه نشاطا وفرحا انتقل منى اليه بعد السن

سرق الدهر شبابى من يدى * وفؤادى مشعر بالكمد
جملة الامر اذا أبصرته * باع ما أفقدنى من ولدى

وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى (وأما) على بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه وكان مصاحبا للسلطان أحمد المرينى المستنصر بالله ابن السلطان ابى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحمهم الله تعالى (وحكى) بعضهم انه حضر معه فى بستان سمح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى

الاصيل شواهد الاصفرار وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال المستنصر لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه

ياقاس الى وايم الله ذوشغف * فى كل ربع به مغناه يسبينى
وقد أنست بقرب منك يا أملى * ونظرة فيكم بالانس تحيينى

فاجابه أبو الحسن على بن الخطيب بقوله المصيب

لا أوحش الله ربعا أنت زائره * يابهجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الجد أبقاك الاله لنا * فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد رحل رحمه الله تعالى الى مصر ولم يحضرنى الآن من أحواله بعد دخوله مصر ما أعوّل عليه وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة الاحاطة التى وجهها أبوه الى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا اليه فيما مرّ فكتب بالحواشى كتابات مفيدة وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب فليراجع اما تكميل لما أغفله أبوه واما اخبار عما شاهده هو أو رواية له عن المترجم به أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه ولنذكر شيأ منها غير ما تقدم بعد ايراد نص الاحاطة فنقول قال فى الاحاطة فى حرف الميم فى ترجمة شمس الدين الهوّارى الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية المشهورة بالاعمى والبصير ما صورته محمد بن أحمد بن على الهوّارى يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن جابر من أهل المرية (حاله) رجل كفيف البصر مدل على الشعر عظيم الكفاية والمنة على زمانته رحل الى المشرق وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بابى جعفر الالبيرى صارا روحين فى جسد ووقع الشعر منهما بين تجيع أسد وشهر العلم وطلبه فكان وظيفة الكفيف النظم ووظيفة البصير الكتب وانقطع الآن خبرهما انتهى (فكتب) المذكور على أول الترجمة ما صورته نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر أحسن الله تعالى اليهما فلقد أحسنا الصحبة فى الغربة وانفردا بالنزاهة والفضل وعلوّ الهمة الا أن المصنف قصر فيهما بعض قصور ومنهما يطلب الاغضاء والله فى فالرجل مات وذكر الاموات بالخير مشروع وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علما وعملا أمتع الله تعالى بهما قاله ولد المؤلف على بن الخطيب بالقاهرة انتهى (وكتب) على قول أبيه وانقطع الآن خبرهما ما نصه هما الآن بالبيرة من حلب تحت انعام والطف تحث اليهما الرواحل وتضرب اليهما آباط النجب انتهى (رجع) لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من الاحاطة قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصه وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه محسوب من طلبتها الجله ومعدود فيمن طلع بأفقها من الاهله رحل الى المشرق وقد أصيب ببصره واستهان فى جنب الافادة بمشقة سفره على بيان عذره ووضوح ضره (شعره) وشعره كثير فنه قوله

سلوا حسن ذاك الخال فى صفحة الخد * متى رقموا بالمسك فى ناعم الورد
وقالوا لذاك الثغر فى ذلك اللمى * متى كان شأن الدر يوجد فى الشهد
ومن هز غصن القد منها الفتنى * وأودعه رمانتى ذلك النهد
ومن متع القضب اللدان بوصفها * الى أن أعرن الحسن من ذلك القد

فتاة تفت القلب منى بمقلة • لها رقة الغزلان فى سطوة الاسد
تمنيت أن يهدى الى نهودها • فقالت رأيت البدر يهداه أو يهدى
فقلت ألرمان بدّ من الجنى • فتاهت وقالت باللواحظ لا الايدى
فقلت أليس القلب عندك حاصلا • فقالت قلوب الناس كلهم عندى
فقلت اجعليني من عبيدك فى الهوى • فقالت كفانى كم لحسنى من عبد
اذا شئت أن أرضاك عبدا فخت جوى • ولا تشتكى واصبر على ألم الصد
ألم تر أن النحل يحمل ضرها • لاجل الذى تجنيه من خالص الشهد
كذلك بذل النفس سهل لذى النهى • لما يكسب الانسان من شرف الحمد
ألست ترى كف ابن جانة طالما • أضاع كريم المال فى طلب المجد انتهى

وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته عارضة قوية ونزعة خفاجيه وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الاندلس علما ونظما ونحوا زاده الله تعالى من فضله انتهى

(رجع الى الترجمة) قال لسان الدين وقال يعنى ابن جابر

عرج على بان العذيب ونادى • وانشد فديتك أين حل فؤادى
واذا مررت على المنازل بالحمى • فاشرح هنالك لوعتى وسهادى
ايه فديتك يانسيمة خبرى • كيف الاحبة والحمى والوادى
ياسعد قد بان العذيب وبانه • فانزل فديتك قد بدا السعادى
خذ فى البشارة مهجتى يوما اذا • بان العذيب ونور حسن سعاد
قد صح عيدى يوم أبصر حسنها • وكذا الهلال علامة الاعياد

ومما نقلته من جزء قيد لى صاحبنا الفقيه الاستاذ أبو على الزواوى مما ادعاه لنفسه

على لكل ذى كرم ذمام • ولى بمدارك المجد اهتمام
وأحسن ما لدى لقاء حرّ • وصحبة معشر بالمجد هاموا
وانى حين أنسب من أناس • على قمم النجوم لهم مقام
يميل بهم الى المجد ارتياح • كما مالت بشاربها المدام
همو لبسوا أديم الليل بردا • ليسفر عن أديمهم الظلام
همو جعلوا متون العيس أرضا • فمذ عزموا الرحيل فقد أقاموا
نحن كل البلاد لنا ارتحال • وفى كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منا • لنا مع كل ذى شرف زحام
نصيب سهامنا غرض المعالى • اذا ضلت عن الغرض السهام
وليس لنا من المجد اقتناع • ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتا ولم نثبتها لطولها ثم قال بعدها فجزت وما كادت ثم قال بعدها أيضا وقدوما لامطاء قروحها وأعيا لاكثار سروحها ثم قال بعده والله ولى النجاة بفضله انتهى (وكتب) ابنه على أول القصيدة وهو (على لكل ذى كرم دمام) ما نصه نزعة معرّبة قاله ابن المؤلف رحمه الله تعالى

انتهى (وكتب) الشيخ ابن مرزوق على قوله تجزت الى آخره ماصورته ما أنصف المصنف هذا الفاضل فى ترجمته وقدره شهير ومكانه من الفضيلة كبير وعلمه غزير ولعله لم يطلع الاعلى ماأودعه انتهى (وكتب) اثره ابن لسان الدين ماصورته نعم ياسيدى أبا عبدالله بن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف ولولا انهما بالحياة ماصدر منكم التنبيه ولو حصلا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلما هكذا شأن الدنيا بقلة الوفاء شنشنة معروفة والحقد على الاموات شأن المغاربة قاله على ابن المصنف رحمه الله تعالى انتهى ولا خفاء ان لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس بن جابر الهوارى المذكور مع أن له محاسن جمة (ومن محاسنه رحمه الله تعالى)

هنا ؤكم يا أهل طيبة قد حقا * فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى * سواها وان جار الزمان وان شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما * وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشرا كم نلتم عناية ربكم * فها أنتم فى بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله فى كل ساعة * ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم * وباب ذوى الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكوا كم ويكشف ضركم * ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثوا كم وأكرم مرسل * يلاحظكم فالدهر يجرى لكم دفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم * فشكرا وشكر الله بالشكر يستبق
أمنتم من الدجال فيها فحولها * ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذلك من الطاعون أنتم بأمن * فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم * وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم * وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها الدنيا يريدها * أتطلب مايفنى وتترك مايبقى
أتخرج عن حرز النبى وحوزه * الى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغى من كريم اعانة * فأكرم من خير البرية ماتلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائل * ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه * ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش فى حمى خير الانام ومت به * اذا كنت فى الدارين تطلب أن ترقى
اذا قيل فيما بين قبر ومنبر * بطيبة فاعرف أين منزلك الارقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد * ومن جار فى ترحاله فهو الاشقى

(ومن محاسنه رحمه الله تعالى) المقصورة الفريدة وهى قوله

بادر قلبى للهوى وما ارتأى * لما رأى من حسنها ما قد رأى
فقرب الوجد لقلبى حبها * وكان قلبى قبل هذا قد نأى
ياأيها العاذل فى حبى لها * أقصر فلى سمع عن العذل بأى

لو أبصر العادل منها لمحة * خاض باب عذله ولا فأى
سرحت طرفى طالبا شأو العلا * وتابعا فى حبها ماقد شأى
انى لارعاها على تتبعها * عهدى ومثلى من وفى اذا رأى
من منصفى من شادن لم أربه * لحاجة من وصله الا زأى
وان قبضت النفس عن سلوانه * مقاديم هجره لى وسأى
لاقطعن البيد أفرى حاذها * بضامر يفرى الحصا اذا جأى
حتى أزوربة الخدر وقد * ذاد الكرى عنى الوشاة رذأى
يارب ليل قد تعاطيت به * حديث أنس مثل أزهار الربا
فى روضة تعانقت أغصانها * اذ واصلت ما بينها ريح الصبا
نادمت فيها من بنى الحسن رشا * يصبو له من لم يكن قط صبا
حلو رخيم الدل فى أعطافه * لين وفى ألحاظه لين الظبا
أيام كان العيش غضا حسنه * عذب الجنى ريان من ماء الصبا
أى زمان ومحل للمنى * ماضاق مغناه بنا ولا نبا
يامربعا ما بين نجد والحمى * ويازمانا قد حبانى ما حبا
الله يرعاه زمانا لم يحل * عن بذل ما أمله ولا ابى
فأى مغنى آهل عممته * لقصد حلت لنا فيه الحبا
هل ترجع الايام عيشا باللوى * فراقه كان الهيم الاربى
تالله لا أعبا بعيش قد مضى * ولا زمان قد تعدى وعتا
مذ علقت كفى بالهادى الذى * ساد الورى طفلا وكهلا وفتى
كالبحر لا يغيض يوما ورده * لوارد اذا أصاف أو شتا
متصل البر لمن قد أمه * لا يكره العودة ممن قد أتى
ولا يناجى نفسه فى ضيقة * أى نهار سرّ هذا ومتى
ان رسول الله مصباح هدى * يهدى به من فى دجى الليل عتا
كف بنى الجور بعدل واضح * كما يكف البيد كفا من فتى
كم ذو هوى قد راضه بهديه * فانقاد كالعبد اذا العبد قتا
قد خالط الحلم سجايا طبعه * كمثل ما قد خالط الثوب السنا
أقسمت لازلت أوالى مدحه * ما اشتد بالناس زمان ورنا
لولا اشتياقى لديار كرمت * لبعدها يرثى لنا من قد رثى
ومدح من أرجو بامداحى له * اصلاح ما قد عاث منى وعثا
لم أجعل الشعر لنفسى خلة * ولم يجش فكرى به ولا غثى
فما أرى الايام تبدى منصفا * ولو حكيت الدر من حسن النثا
ياضيعة الالباب فى دهر غدا * فيه فتيت المسك يعلوه الخثى
ويل أم ليس ترجى ضيمها * مثلى بما تبديه من منع الحثا

هل مارست الا أخا عزم اذا * ماقعد الناس عن الخطب جثا

تسيل من جهد السرى أعطافه * كمثل ماسال من الدوح اللثى

له اعتصام بالرسول المجتبى * أجود من أضفى العطايا وحثا

من ليس للدنيا محل عنده * ولا يفيل المال الا بالحثا

أنا الفتى لا يطبينى طمع * فابذل الوجه لنيل يرتجى

لكن اذا اضطر زمان جائر * أملت من ليس يرد من رجا

لا أسأل النذل ولو أنى به * أملك ما حاز النهار والدجا

حسبى بنو عبد مناف بهم * يغنى من استغنى وينجو من نجا

أولئك القوم الالى من أمّهم * أمّن ممن لام يوما وهجا

يلقاك منهم كل وجه مشرق * كأنه البدر اذا الليل سجا

انى مذ أملتهم لم ينثنى * عن طلب المجد زمان قد شجا

ان أنا قد نكرنى ذو حسد * فطالما عرفنى فضل الحجا

يطوى العداة كرى وجدى ناشر * آليت لا زال لهم منى شجا

أنا الذى أعملت للمجد السرى * لا أسأم الاين ولا أشكو الوجى

كم سرت فى البيداء لا يقلقنى * حر الهجير لا ولا برد الضحا

أرسلها غر الذرى تسرى بنا * كل عريض السير صعب المنتحى

يطيح مفتوت الحصا من دونها * كأنه سهم عن القوس طحا

فكم بذلت الجهد فى كسب العلا * وجدت بالنفس لحانى من لحا

أرغم أعداى بحزم نافذ * يعركهم عرك الثفال بالرحا

أذود عن عرضى وأحمى حسبى * بكرم جزل ومجد قد ضحا

أقسم بالبيت ومن طاف به * ومن نحا وجهته فيمن نحا

وكل من أمّل قد الخطا * محا بها من الخطايا ما محا

ومعشر حجوا وعجوا فلهم * بمرتقى المروة ذكر ووحى

لا زلت أزجيها لادراك العلا * حتى ترى من جهدها مثل اللحا

يا عجبا من حاسد لى قد زها * بعيشه الغض على وانتخى

كأننى لم أعرف العز ولا * صاحبت دهرى فى سرور ورخا

وانما الدهر له تقلب * ان ارتخى شد وان شد ارتخى

ان الذى لا ينثنى عن جوده * ان بخل الدهر لنا [illegible]

خير الورى طرا من الله به * أذهب عنا كل غى فامتحى

شرفه الله وحلى جيده * بجوهر من كل مجد موتخى

زينه تواضع على علا * فما ازدهى بعزة ولا نخا

فكم حمى بهديه وكم رقى * وكم أفاد آملا وكم نحا

خلص من أسر الخطايا جاهه * فما على قلب امرئ منها طخا

قوله يوما فى نسخة لؤما اه

خفف عنا ثقل ما نحمله * فلم نبت من ثقله نشكو الصدى
ان تحجب الرسل سماء قد بدت * فانه فى أفقها نجم هدى
وان يكن كل كريم قد مضى * طلا فقد أضحى لنا غيث جدا
وان يكونوا أنجما فى فلك * فانه من بينهم بدر بدا
واسطة السلك اذا ما انتظموا * وملجأ القوم اذا الخطب عدا
كالبحر بل كالبدر جودا وسنا * فحبذا من اجتدى أو اقتدى
أحسن أخلاقا من الروض اذا * ما اختال فى برد الصبا أو ارتدى
وساقط القطر عليه دمعه * فابتل برد الزهر منه وانتدى
تفديه نفسى من شفيع للورى * وقلت النفس له منى فدا
هو الذى أنعشنا من بعدما * قد يبس الغصن وأذواه الصدى
وكنت فى ليل الهوى ذا حيرة * فجاء بالحق وانجلى وهدى
فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا * وكم هدى بعلمه وكم غذا
من اقتدى بغيره فانه * لم يتبع سبل الهدى ولا احتذا
هل هى الا سنة الحق التى * أرشد من لاذ بها أو احتذى
كف اللسان وانبساط الكف بالخير وطيب الذكر عرف قد شذا
أحسن ما نال الفتى من كرم * أن لا يرى من أجله من ائتذى
والصمت عما لا يفيد قوله * من كلام يهذى به فيمن هذى
لا شئ كالصمت وقار للفتى * يوما ولا أنجى له من الاذى
من عيبه يشغله عن غيره * بات سليم العرض نضاح الشذا
ومن يعب عيب ومن يحسن اذن * لان له كل عصى وخذا
ومن تكن دنياه أقصى همه * لم يرو من ثدى الحجا ولا اغتذى
لا تنفق العمر سوى فى حب من * هو الذى فى سنن الحق جرى
يهديك من رشد ومجد واضح * روضين من علم وذكر قد سرى
أجاد هديا وأفاد نائلا * وجاد حتى عم الجود الورى
ترى بنى الحاجات نحو بابه * قد أعملوا العيس بحزن فى البرى
لهم الى رؤيته تشوق * تشوق السارى الى نار القرى
ذا يبتغى علما وهذا نائلا * وخائب من قصده ليس يرى
كأنهم اذا رأوا غرته * وفد حجيج عاينوا أم القرى
وجهه لديه يحمد السير كذا * عند الصباح يحمد القوم السرى
هذا اذا ما أخلف الناس وفى * نائى المدى فى مجده سامى الذرا
اذا شددت الكف فى أمر به * فليس بالوانى ولا الواهى العرا
انهض فى بهديه الى التقى * بعد قصور العزم والباع الوزى
هو الشفيع المجتزى بجاهه * بمثل ذا الجاه حقا يجتزى

مذ زرته لم أشك من شحط النوى * اذ كان لى فيه غنى ومجتزى
وما وجدت غربة ولم يجد * مس اغتراب من الى الجود اعتزى
متصل البشر غضوب للهدى * اذا رأى من زاغ عنه أونزا
أصبح من أيامه فى مأمن * من قد لجا يوما اليه أو رزى
نتخذه كهفا فبت آمنا * جزاه رب العرش خيرما جزى
أذنبا بسنة أفلح من * نمى اليها النفس يوما أو عزا
يجزى أخا الحسنى على احسانه * شكر امرئ راض الامور وجزى
لست أجازى الشر بالشر ولا * أغزو لناوى السوء مثل ما غزا
لم ترعين كرسول الله ذا * حزم ولا أحلم ان دهر غزا
اذا ملمات الامور اقلقت * الفيته كأنه طود رسا
بخلقه فليقتد المرء فما * أكرمها من مقتدى ومؤتسى
كن حذرا وان رأيت عثرة * فنلها توقد بجرة الاسى
لاتيأسن ان تناءى أمل * وكلما عثا زمان قد عسا
وان بدا صبح المشيب فاطرح * ما كان اذ ليل الشباب قد غسا
ولا تظن الشيب يرجى طبه * بزور صبغ أو مدام يحتسى
اذا الفتى قوس واعتد العصا * لقوسه عن وتر أعيا الاسا
فاذكر زمان الشيب فى حال الصبا * عسى يلين للتقى قلب قسا
ما أقبح اللهو على المرء اذا * ما اشتعل الرأس مشيبا واكتسى
لا تحسب الراحة راحا رقرقا * للشرب منها قبس ومنتسى
اذا أداروها وقد جن الدجا * وشى بهم نسيرها فيمن وشى
قد حجبت فى دنها دهرا الى * أن برزت كأنها صبح فشا
لم يبق من جوهرها الا سنا * ينشئ أفراح الفتى اذا انتشى
كانها والكاس قد حفت بها * متيم أصبح مضروم الحشى
يديرها مختلف الحسن اذا * أقبل بدر واذا تاه رشا
يحكى القطا والظبى والغصن اذا * ماقد تنفى أوتجنى أومشا
وانما الراحة زهد المرء فى * أعراض دنيا تورث العين غشا
والجد ايقادك نيران القرى * يعشو لها فى الازمات من عشا
والجود أن تعطى قباء للندى * لا لافتخار أولجاه يختشى
خاب امرؤ لم يرأرضاحلها * من اصطفى رب السماء واقتصى
أرسله الله هدى ورحمة * أوصى ووالى الخير فينا ووصى
وخلص الانفس من أسر الهوى * فى يوم هول فاز فيه من قصا
ذو رأفة تلقاه يوم العرض قد * مال بنا عن الجحيم ومصى
صلى عليك الله يا من جاهه * يوم الحساب ملجأ لمن عصى

قوله لم تر الخ هذا البيت حادى عشر أبيات الزاى واكل حرف قبلها عشرة أبيات فقط ولحرف السين بعدها تسعة اللهم الا أن يبدل غزا باسا مقصورا للضرورة تأمل اه مصححه

يامن جرى من كفه الماء ومن * حنّ له الجذع وسبح الحصا
بك اعتصامى يوم يدنو من دنا * من رحمة الله ويقصى من قصا
هل غير احسانك يرجو مذنب * طال به خوف الخطايا واتقى
يامن سما فى يوم بدر بدره * عزا وشق كل من شق العصا
أحصاهم رب السماء عددا * وانهم أدنى الفريقين حصا
يا مجتبى من خير قوم حسبا * فيما أتى من زمن وما مضى
يامن تدانى قاب قوسين ومن * قيل له سل تعط قد نلت الرضا
ومن أتى والناس من ظلمهم * فى ظلمة ليس لها من مرتضى
فكان كالصبح جلا جنح الدجى * فأذهب الاظلام عنا وانقضى
رضيت للارسال اذ آدم بيـ * ـن الماء والطين فكنت المرتضى
اختارك الله رسولا هاديا * أكرم بما اختاره لنا وما ارتضى
يا أحلم الناس على من قد جنى * وأعدل الخلق اذا ما قد قضى
يا مصغر الالف اذا ما جاد أو * جرّد فى الهيجاء سيفا أو نضى
يا ناصحا أحكم تشييد الهدى * عزما فلما ينتقض ولا انتقضى
يا مضفيا للناس ظلّ رحمة * بات العدا منها على جمر الغضى
ادفع الشرّ بحسنى فاذا * به اخو صدق وان كان سطا
وانف لنفس كرهت أعمالها * لكن يريك قدرها حث الخطا
ان يدرك الهوى الفتى فى بيته * ليس كمن سعى اليه وخطا
وان خيرا من صديق سيئ * أن يصحب الانسان فى البيد القطا
ولا ترم ما لا تطيق نيله * فخجلة الخيبة شرّ ممتطى
وبت من الدنيا مبات خائف * فللبالى عدوات وسطا
وخلها عنك ولا تعبأ بما * تبوّأ المكثر منها وعطا
وجنب الحرص تعش ذا عزة * أفلح من ان شدّه الحرص نطا
ولا تجد للنفس حظا واطرح * من امتطى الكبر فبئس ما امتطى
لا تطرين صاحبا بغير ما * فيه فاطراء الفتى كسر المطا
لا يحسن المدح سوى ان يرى * مادحه بمدحه قد احتظى
خير عباد الله ذو العز الذى * اظله يأوى الشريف والشظى
كم آمن ببابه وقبل أن * يلقاه لاقى ما عجا وما عظا
أصبح من حرمته فى حرم * يرفل فى ظل هبات وحظا
فى منزل سيان فيه ربه * وضيفه فيما اقتنى وما حظا
ان رسول الله غيث واكف * اذا لهيب الضيف داج والتظى
اذا أعدّ للملمين القرى * لم يتأخر عن ضيفه ولا حظا
لماعات جوده الجزل وما * ثم من علم وحلم ونطا

قوله من مرتضى فى نسخة نور يضى ولينظر اهـ

قوله ولا حظا لم أعثر فى القاموس له ولا للسابق على معنى يلائم المقام وكذلك نطا فى البيت بعده وليحرر ويراجع اهـ مصححه

يمينه فوق طمر ضامر * منتظم الاعضاء ملوم الشظا
لبس يمس الارض من سرعته * كأنما يخشى بها مس الظبى
يا موسع الالف بصاع شبعا * ومن مشى الدوح اليه وسعى
وأخصب الضرع بلمس كفه * وبادر المزن له لما دعا
وسلم الظبى عليه كرما * وكلم الميت فقام ورعى
واستشهد الضب لمن معلنا * بصدقه ومثبتا ما ادّعى
اليك أعملت المطايا فى الفلا * تنساب ما بين أراك ولعا
مسرعا جاهك على فى غد * اكون ممن قد أجار ورعى
ازكى صلاة وسلام أبدا * عليك ما ارتاح الظليم وارتعى
وسح الرعد بجمد من سقى * صوب الحيا فقال للارض لعا
فاشتملت بالنور كل فدفد * لم يك للسارح فيه مرتعى
وباكر البيداء غيث مسبل * فاخلف النبت الهشيم ورعى
ودق سحاب تحسب البرق به * أسنة قد أشرعت يوم وغى
واخضرت الدوح ومدت قضبها * فيها حسن الشمام وصغا
وساقطت لها السحاب حلها * اذ خوف الرعد تساقط الفغا
ترى خرير الماء فى قصبه * كأنه ميت ذود قد رغا
فكن القبط لهب حزه * وزنها أن رأى الماء طغا
فيث حى الرضاء عنا مثلما * حى رسول الله جود من بغى
ناه عن الفحشاء داع للهدى * ولم يفه بباطل ولا لغا
هذا اذا استكفيت فى أمر به * اجداك فيما تبتغيه وكفى
يهفو به ريح العلا الى الندى * كأنه ناعم غصن قد هفا
محى الهدى والعدل فى زمانه * من بعد ما القاهما على شفا
اخفى الهدى قوم فاضحى وهو قد * أظهره بعد له فما اختفى
ان يقض يعدل أو متى يسأل يهب * وان يقل يصدق وان يعد وفى
وان يجد يجزل وان يادبعد * وان تسئ يحسن وان تجن عفا
بحر طما بدر سما عضب حمى * روض نما طب افاد وشفا
لجند أو مقتد أو معتد * أو مجدب أو مشتك خطبا جفا
مالى لا أضفى له المدح وقد * أضحى به الحق علينا قد ضفا
أسس خان الجود فينا فاغتدى * به لنا ورد المعالى قد صفا
الجود يعلى المرء والبخل لقد * يحط عن رتبته من ارتقى
والعز ما أحسنه لكنه * ان كان هذا مع علم وتقا
والجهل للانسان عيب فادح * ولو حوى مالا ككثبان نقا
والعلم فى حال الغنى والفقر لا * يزال يرقى بك كل مرتقى

قوله ناه هذا آخر أبيات الغين المعجمة فى الاصل الذى بيدى وهى ناقصة ثلاثة أبيات عما درج عليه فى هذه المقصورة ولعله لم يلتزم ذلك وليحرر فى نسخة أخرى اه مصححه

ولا الوم

ولا ألوم المال فالمال حمى * من جاهل يلقاك شر ملتقى
قد جبل الناس على حب الغنى * فربه فيهم مهاب متقى
ومالذى الفقر لديهم رتبة * ولو أفاد وأجاد وانتقى
ان الغنى طب لعلات الفتى * والفقر داء لاتداويه الرقى
والحزم احرى مابه المرء اقتدى * فى أمره ومابه النفس وقى
من لم يبت مع الليالى حازما * لغدرها غادرنه فيما لقى
أمضيت طرفى كى يرى طرفا ما * أخبرته من طيب مجد قد زكا
فصدق الحاكى ماأبصرته * وفاق ماعاينته ماقد حكى
فسهلت رؤيته جهد السرى * وأسكت الانعام من كان شكى
عجبت للايام ممن عزبها * ذل ومن يضحك لها يوما بكى
فكم لها من كرة على فتى * جلد اذا ماهب الحرب ذكا
تجتنب الاسد سطاه فى الوغى * فذل حتى صار قصواه بكى
وكم صريع غادرت ليس له * من ملجإ يوما ولا من مشتكى
عدت على نفس عدى وسقت * منها ابن حجر كاس سم كالذكا
واستلبت ملك بنى ساسان لم * تترك له على الليالى مرتكا
لم يأمن المأمون من صولاتها * ولا ابن هند من عواديها اخلا
وأتبعت جعفرا الفضل وكم * بات الطلا يسقيهما صرف الطلا
وغالت الزباء فى منعتها * فأظفرت عمرا بها فما ألا
وأنفذت فى آل بكر حكمها * وجرعت مهلهلا كاس البلى
وكم سبت من سبا من نعمة * فمزقوا فى كل قفر وفلا
وأهلكت عادا وأفنت جرهما * وزودت منها تميما بالصلى
فرعون موسى أولجت فى لجة * فمات قهرا بعد عز وعلا
وأظفرت بابن زياد مثل ما * أفنت يزيد حسرة لما اعتلى
وسيف استلته من غمدانه * من بعد ماقد خضعت له الطلى
ثم اعادته لحز الجيش عن * حوزته حز النبات المختلى
هى الليالى ليس يرعى صرفها * لاخاملا فيها ولا من قد سما
ولا رسول الله فينا لم يزل * كهفا حمى فهو لنا نعم الحمى
لله ماأكرمه من سيد * ينمى من المجد لاعلى منتمى
سليم صدر ذو وفاء لم يجش * فى صدره غش امرئ ولا غمى
أوسعنا فضلا فما خاب امرؤ * أوى الى ذاك الجناب واتمى
يامن غدا اللخاق كهفا وحمى * فاكرم المثوى وآوى وحمى
انا أتيناه من ديار دونها * موحشة بيداء أو بحر طما
وانى من قبح ماسلفته * ذو كبد رضت ودمع قد همى

قوله مرتكا هكذا فى نسخة وفى أخرى مدركا ولم أقف على كلاهما مقصورا فلينظر هذا ولم يوجد فى مجموع النسختين للكاف الا تسعة أبيات وليحرر اه مصحح

قوله ولا غمى فى نسخة بالمهملة

فلا تخيبنى بما لك من * شفاعة ترجى وفضل قد نما
انك من قوم بهم يشفى العنا * وبدركم الشأو البعيد المرتقى
أعرض عن الجاهل مهما قد أسا * وحسبه من جهله ما قد حوى
ولا تلم ذا نفسه فانه * ان لمته لم ينتقد ولا ارعوى
وان رأيت من كريم عثرة * فقل لعا ولا تعب بما احتوى
وان ترعك من زمان فرقة * فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
لم أشكر البعد على خبر حمى * قد صدّنى عن انسه شحط النوى
يا منزلا ما بين نجد والحمى * ويا ديارا بين كثبان اللوى
هل لى الى تلك المعالى عودة * أو جرعة من ذلك الماء الروى
لا تعجبوا من لعب الدهر بنا * فأى انسان على حال سوى
ان عشت لاقيتهم وان أمت * فانما الدنيا فناء وثوى
ان رسول الله مذ أقلقته * فالدهر قد أضمر نصحى ونوى
اى والذى ما زال يسرى جاهدا * حتى أتى ميقاته وما ونى
فقدم الغسل وصلى ونضى * أثوابه مستغفرا مما جنى
ثم نوى ملبيا ثم مضى * حتى رأى ذات السناء والسنا
ثم أتى باب بنى شيبة قد * أبصر ما أمّل قدما مذ دنا
فقبل الركن وطاف وسعى * ثم مضى مرتحلا نحو منى
ثم أتى الموقف يدعو راغبا * حتى اذا ما نفر القوم انثنى
ثم رمى ثم أفاض وانبرى * معتمرا قد نال غايات المنى
ثم مضى مرتحلا فيمن مضى * ميمما طيبة لا يشكو العنا
يبغى التى شرفها الله بمن * شاد به الدين القويم وابتنى
فلم يكن ممن اذا حج جفا * بل يمم القبر وزار واعتنى
خلق علا لم يحوها الا امرؤ * نهاه عن نبذ العلا رعى النهى
فان يقل من حازها قل الذى * له تسامى كل مجد وانتهى
معتصم الراجين ان خطب دنا * وكهفهم ان راع أمر ودهى
المرشد الناصح لله فما * قصر فى نصر الهدى ولا لها
من جدّ فى ادراك ما رام يجد * ولم يصب من قد توانى وسها
فلا يقصر بك خوف خيبة * من خيل الخيبة فى البدء وهى
واكتسب الحمد بما تبديه من * فتح اللها بمستدامات اللها
واحرص على المجد ودنياك اطرح * فأمرها أمر زهيد المشتهى
والمرء من ان فاته لم يكتئب * وان ينل لم يفتخر ولا ازدهى
من لازم الكبر على الناس اغتدى * متضع القدر ولو نال السها
أنى يخيب اليوم آمالى ولى * من كفه أكرم من صوب الحيا

قوله انك الخ فيه تقديم الواو على النون والخطب سهل فتنبه اه مصححه

بدى

يدنى الفتى الى مدى آماله * ولوغدا من دونها الارض الايا
ان أهزل القوم زمان معوز * أنعشهم حتى يرى لهم حيا
وان أمات الجدب كل مخصب * بدا لنيران القرى منه حيا
أرسل سحب هديه جارية * بالحق حتى حيي الدرحبا
أوقع فى الانفس من ماء لدى * ظام اذا ما اشتد بالشمس الحيا
لم تعى من فعل جميل كفه * ولا له فى المكرمات معتبا
مالى لا أبلغ أقصى غاية * فى مدح من بالغ جودا واغتبا
لكل شخص غاية يبلغها * وما له فى المعلوات مغتبا
تعبايد السائل من معروفه * ولم يقصر كرما ولا اعتبا
والآن قد أكملتها فى مدحه * مقصورة يقصر عنها من خلا
ضمنتها من كل فن دررا * نظما فاضحت من نفيسات الحلى
حليتها جيد معاليه وما * أملح حلى الحمد فى جيد العلا
جعلتها منى وداعا فاعجب * لنظمها الحلو الجنى كيف حلا
من قارب الرحلة عن ذا الحمى * كيف أجاد النظم يوما أو درى
أرسلتها من خاطر خامر * وجد جلا عن مقلتى طيب الكرى
وكيف لا آسى على بعدى عن * قوم جرى من جودهم ماقد جرى
أنصار دين الله والهادى الذى * لولا وضوح هديه ضل الورى
فالقلب بين مشرق ومغرب * مقسم اللوعة مجذوب العرا
اذا ذكرت الغرب حنت مهجتى * وبل دمعى من جوى الشوق الثرى
وان ذكرت حب من فى مشرق * أبطأبى حبهم عن السرى
ان يصف من وجه لشخص مورد * كدر من أخرى فلا صفو يرى
فان ترحلت فقلبى عندكم * لم يرتحل عن بابكم ولا سرى
ولا تزال رسل شوقى أبدا * تترى على مجدكم الجزل الندى
ولن تمر ساعة الا هفا * بذكركم مفصح نظمى وشدا
فليس عندى للنجاة مخلص * ان لم يكن منكم نوال وجدا
بكم ملاذى وحماكم ملجئى * ليس سوى ذاك السماح المجتدى
وماذخرنا عدة سواكم * مثلكم من يرتجى ويجتدى
لا أوحش الله ديارا أنتم * فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى
ولا نأت داركم ولا خلا * ربعكم ماراح يوم واغتدى

(ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة وهى المعروفة ببديعية العميان) ولو لم يكن من محاسنه الا قصيدته التى فى التورية بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم لكفى وهى من غرر القصائد وكثير من الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى الفضل عياض وكنت أنا فى أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة حتى وقفت على شرح

البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر فاذا هي منسوبة للناظم ابن جابر وهي

في كل فاتحة للقول معتبره * حق الثناء على المبعوث بالبقره
في آل عمران قدما شاع مبعثه * رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مد للناس من نعماه مائدة * عمت فليست على الانعام مقتصره
أعراف نعماه ما حل الرجاء بها * الا وأنفال ذاك الجود مبتدره
به توسل اذ نادى بتوبته * في البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا * ولن يروع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة ابراهيم كان وفي * بيت الاله وفي الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوي النحل ذكرهم * في كل قطر فسبحان الذي فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه * بشرى ابن مريم في الانجيل مشتهره
سماه طه وحض الانبياء على * حج المكان الذي من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذي غمروا * من نور فرقانه لما جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا * كالنمل اذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه قصص للعنكبوت أتى * اذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدما أمره وبه * لقمان وفق للدر الذي نثره
كم سجدة في طلى الاحزاب قد سجدت * سيوفه فأراهم ربه عبره
سباهم فاطر السبع العلا كرما * لمن بياسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفت الاملاك تنصره * فصاد جمع الاعادي هازما زمره
لغافر الذنب في تفضيله سور * قد فصلت لمعان غير منحصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها * مثل الدخان فيعشى عين من نظره
عزت شريعته البيضاء حين أتى * أحقاف بدر وجند الله قد حضره
فجاء بعد القتال الفتح متصلا * وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم في * أن الذي قاله حقا كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سودده * والافق قد شق اجلالا له قمره
أسرى فنال من الرحمن واقعة * في القرب ثبت فيه ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها * وفي مجادلة الكفار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في * صف من الرسل كل تابع أثره
كف يسبح لله الحصاة بها * فاقبل اذا جاءك الحق الذي قدره
قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها * نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحب للدنيا ورغبته * عن زهرة الملك حقا عندما نظره
في نون قد حقت الامداح فيه بما * أثنى به الله اذ أبدى لنا سيره
بجاهه سال نوح في سفينته * سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا * مزملا تابعا للحق لن يذره

مدثرا شافعا يوم القيامة هل * أتى نبي له هذا العلا ذخره
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ * عن بعثه سائر الاخبار قد سطره
ألطافه النازعات الضيم في زمن * يوم به عبس العاصي لما ذعره
اذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت * سماؤه ودعت ويل به الفجره
وللسماء انشقاق والبروج خلت * من طارق الشهب والافلاك مستتره
فسبح اسم الذي في الخلق شفعه * وهل أتاك حديث الحوض اذ نهره
كالفجر في البلد المحروس غرته * والشمس من نوره الوضاح مستتره
والليل مثل الضحى اذ لاح فيه ألم * نشرح لك القول في أخباره العطره
ولو دعا التين والزيتون لابتدرا * اليه في الحين واقرأ أنسة بن خبره
في ليلة القدر كم قد حاز من شرف * في الفخر لم يكن الانسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له * أرض بقارعة التخويف منتشره
له تكاثر آيات قد اشتهرت * في كل عصر فويل للذي كفره
ألم تر الشمس تصديقا له حبست * على قريش وجاء الروح اذ أمره
أرأيت أن اله العرش كرمه * بكوثر مرسل في حوضه نهره
والكافرون اذا جاء الورى طردوا * عن حوضه فلقد تبت يدا الكفره
اخلاص أمداحه شغلي فكم فلق * للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
أزكى صلاتي على الهادي وعترته * وصحبه وخصوصا منهم عشره
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم * عثمان ثم علي هالك الكفره
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو * عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وحمزة ثم عباس وآلهما * وجعفر وعقيل سادة خيره
أولئك الناس آل المصطفى وكفى * وصحبه المقتدون السادة البرره
وفي خديجة والزهرا وما ولدت * أزكى مديحي سأهدي دائما درره
عن كل أزواجه أرضى وأوثر من * أضحت براءتها في الذكر منتشره
أقسمت لازلت أهديهم شذا مدحي * كالروض ينثر من أكمامه زهره

انتهت القصيدة * وقد عارض منحاها جماعة فاشتقوا الها غبارا ومن معارضاتها قول بعضهم

بسم الاله افتتاح الحمد والبقره * مصليا بصلاة لم تزل عطره
على نبي له الرحمن ممتدح * في آل عمران أيضا والنسا ذكره
كذا بمائدة الانعام فضله * ووصفه التم في الاعراف قد نشره
أنفاله نزلت أيضا براءة من * يحبه وهو مشغول بما أمره
به نجا يونس من حوته ونجا * هود ويوسف من سجن به عبره
أقسم برعد بابراهيم ان له * في حجر نحل ترى الآيات مشتهره
سبحان جاءله كهفا لامته * ومريم زوجة في جنة نضره

طه به الانبيا للحج قد وفدوا * والمؤمنون على النور اقتفوا أثره
آيات فرقانه ذات لها الشعرا * وسورة النمل قد قصت لنا سيره
والعنكبوت على غاره نسجت * والروم وات برعب منه منكسره
لقمان حكمته من بعض حكمته * فاسجد لرب على الاحزاب قد نصره
كم في سبا عبرة للقلب قد فطرت * فلذ بياسين تنجو يا أخا البرره
قد صفت الانبيا والرسل قاطبة * خلف النبي بأمر الله مؤتمره
ان صادقا بي الهوى تنزيل منتقذه * وغافر الذنب كم ذنب له غفره
كم خلعة فصلت للطائعين له * وأمرهم بينهم شورى بلا نكره
لا تلههم زينة الدنيا وزخرفها * كانوا يروها كدخان له قتره
اذا جثا الخلق والاحقاف قد شرفت * فذاك يوم على الكفار قد نصره
محمد خص بالفتح المبين وقد * اتاه في الحجرات الوحي بالخيره
قاف الوفاق وذر الطور نجم هدى * وشق رب السما للمصطفى قمره
رحمن واقعة كل الحديد بها * كم من مجادلة في الحشر محتذره
من يمتحن صفنا في يوم جمعتنا * فليس يلفى به غش ولا كدره
مطهر من نفاق ليس بينهم * تغابن طلقوا دنياهم القذره
وحرموها وفي ملك لها زهدوا * كزهد صاحب نون حقق خبره
ان تأوني عن نوح نبي هدى * والمصطفى سامع الجن الذي جهره
مزمل اسمه مدثر وله * يوم القيامة للانسان ماضره
للمرسلات نبا في يوم نازعة * عبوس تكوير شمس فيه منفطره
مطفف الكيل قد بانت خسارته * يوم انشق السما ابراجها النضره
كم طارق سبح الاعلى بغاشية * والفجر بلدته بالشمس مستتره
والليل قم ولا تترك صلاة ضحى * يشرح لك الصدر والخيرات مدخره
بسورة التين اقرأ انها نزلت * في ليلة القدر والانوار منتشره
ولم يكن مثل خير الرسل أحمدنا * منه تزلزلت الكفار والفجره
بعاديات لها قرع بهامته * أعمى التكاثر من قلب له بصره
من كان في عصره همازة لمزا * يلقاه قبل قريش قاهر قهره
ويل لمانع ماعون تراه غدا * مباعدا كوثر الهادي الذي أثره
الكافرون اذا جا نصر خالقنا * تبا لهم لعنواهم أمة كفره
أخلص لرب فلق والناس تنج اذا * يوم المعاد غدا من شر ةعسره
وصل رب على الهادي وعترته * وآله وعلى أصحابه العشره

ومن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي اذ قال

عوذت حبي برب الناس والفلق * المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق
اخلاص وجدي له والعذر يقلقني * تبت يدا عاذل قد جاء بالملق

يهدى لامته والنصر يعضده * والكافرون وعذالى على نسق
هذا له كوثر والدين شرعته * والمصطفى من قريش دين وتق
ألم تر الماء قد سحت أصابعه * ويل لكل جهول بالنبى وثق
فى كل عصر ترى آياته كثرت * أضحى تكاثرها فى سائر الافق
وعند قارعة فهو الشفيع لنا * والعاديات من الاجفان فى طلق
وزلزلات من غرامى كل جارحة * وكل بينة تحكى لكم علقى
يا عالى القدر رفقا مسنى ضرر * فالله قد خلق الانسان من علق
ولو دعا التين والزيتون جاءله * والشرح عنه طو بل غير مختلق
يبدو كشمس الضحى والليل طرته * كالشمس فى بلد والفجر فى أفق
أتى بغاشية لولاك يا أملى * أنت الشفيع الى الاعلى وخير تقى
كم طارق منك بالاحسان يطرقنى * مثل البروج أتى فى أحسن الطرق
وفى انشقاق فؤادى عبرة وبه * ويل من الصد والاجفان فى أرق
والانفطار به مما يكابده * والشمس قد كورت فى القلب ذى الحرق
والصب فى عبس والنازعات به * وقد أتى نبأ من دمعه الغدق
ومرسلات دم الانسان جارية * الى القيامة من دمعى ومن حرق
وبالمدثر انى مالك أبدا * وبالمزمل ان ألجئ بالغرق
فالجن والانس فى خير ببعثته * هذا ونوح به أنجى من الغرق
وفى المعارج معراج الرسول علا * حقا وفى حاقة كنز لمخترق
والله مرسله فى نون بشره * والملك خيره حتى رأى ولقى
وجا بالحل والتحريم أمته * وبالطلاق من الدنيا لمنطلق
وفى التغابن تجار به ربحوا * اذ المنافق فى خسر وفى نفق
ياصاحب الجمعة الغراء يا أملى * فى الصف عند امتحانى أنج من زلق
وأنت فى الحشر عونى فى مجادلتى * عسى تزيل حديد النار من عنقى
وعند واقعة ان كان لى رمق * فاشفع الى ربك الرحمن فى رمق
لم أرع يا قمرى للنجم فى سهر * الا اعلك من نار الجحيم تقى
قلبى الكليم غدا للطور مرتقبا * ودر دمعى غدا بالذاريات سقى
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم * وليس فى حجرات الدمع من رمق
انا لتحنا قتالا للعذول فنى * أحقاف جاثية فى الغيظ والحنق
دخان زخرف ما العذال فيه هبا * شورى تتركه فى أنف محترق
وعز من فصلت فى مدحه سور * نبينا المصطفى الهادى الى الطرق
فغافر الذنب كم أهدى به زمرا * وكم سقى كفه صاد بمندفق
وليس غيرك فى الصافات أقصده * وأنت ياسين لى من سائر الفرق
يافاطرا قد سبا الاحزاب طلعته * كم سجدة لك فى الاسحار والغسق

لقمان يشهد أن الروم تعرفه * والعنكبوت لقد سدّت عن الغلق
هذا ولى قصص بالنمل قد كتبت * حامت بها الشعرا فى خدمة اليقق
تبارك الله من بالنور جمله * قد أفلح الحج لما زاره فسوق
يا أيها الانبيا طه ختامكم * ويا ابن مريم خذ من مسكه العبق
لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه * حتى أتى الامر بعد الخوف والفرق
فالركن والحجر حقا قد أضاء له * وذاك دعوة ابراهيم ذى الخلق
والله ربى برب الرعد ينصره * مسير شهر بلا سيف ولا درق
فيوسف مع هود والخليل اذا * ويونس شربوا من كاسه الدهق
لتوبتى أرتجى الانفال منه غدا * فاننى رجل أضحيت فى قلق
أعراف أنعام انعام له اشتهرت * وكم لمائدة اسدى لمرتزق
كل النسا لم تلد مثل الرسول اذا * فتنا وفى آل عمران ولم تطق
أعطيت خاتمة من سورة البقرة * لم يعطها أحد فيما مضى وبقى
فأنت فاتحة الانبيا وخاتمهم * وكلهم قد أتوا بالود والملق
والقلقشندى محب قال سيرته * فى مدح خير الورى الممدوح بالخلق
فاقبل هدية عبد أنت مالكه * وانظر اليه فان العبد فى قلق
صلى عليك اله العرش ما طلعت * ورقا على فنن والورق فى الورق

وهذه القصيدة وان لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهى مما يتبرك به والاعمال بالنيات ووقفت على أخرى من هذا النمط هى بالنسبة الى هذه كنسبة هذه الى قصيدة ابن جابر وهى

بحمد اله العرش أستفتح القولا * وفى آية الكرسى أستمنح الطولا
وفى آل عمران بدا ذكر أحمد * نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا
بأعراف رحماه بأنفال جوده * شرفنا وفضلنا وتبنا الى المولى
له يونس نادى وهود ويوسف * وذاكره فى الرعد لا يسمع الهولا
ودعوة ابراهيم كان محمد * وفى الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
له أمة كالنحل قد صح فضلهم * فسبحان من أسرى بأحمد نا ليلا
علا فضله والناس فى كهف نيله * ومريم فى الاخرى يكون لها بعلا
وطه له فضل على الخلق كلهم * ولكن جميع الانبياء علا فضلا
ولولاه ما حج المقام وكعبة * فأفلح من قد طاف فيها ومن صلى
ومن نوره الوهاج كل منور * وفرقانه قد أخمد الكفر والبطلا
ترى الشعرا كالنمل حول محمد * اذا قصص فى العنكبوت لهم تتلى
علاد يننا روما ولقمان عالم * بان السيوف أسجدت كل من ضلا
والاحزاب يسبيهم بحكمة فاطر * وياسين قد صفت له الملأ الاعلى
وصاد جميع الكافرين بزمره * له غافر فى الحرب قد فصلت فصلا
وشوراه فى الدنيا بها كل زلفة * وقد زخرف الكفار فى دينهم جهلا

لقد رأوا الدخان حول يومهم * بجاثية الاحقاف قد قتلوا قتلا
محمدنا لم يخلق الله مثله * وفي الحجرات فضله أبدا يتلى
وقد أنزل الجبار قافا بذكره * كما تذر الكفار ريح بها تبلى
بطور بسما والنجم ماضوء أحمد * كما قمر بل نور خير الورى أجلى
به الله رحمن وفي وقعة جرى * حديدبه الكفار يجدلهم جدلا
وقد سمع الغفار دعوة أحمد * بحشر والكن بامتحان به تبلى
صففنا بجمع للاعادى فهم * منافق ان الكفر في درك سفلى
يرى غبنه في الحشر منهم مطلق * ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا
لاحمد ملك لا يوازيه سيد * ونون لقد قلنا مقالا به استعلا
بحق القسالة أياطع مكة * بفضل الذى قد كان نوح به استعلى
صحيح بأن الجن جاءت لاحمد * ومزمل كان الغمام له ظلا
لمدثر فضل القيامة واضح * أتاه وجمع المرسلات أتت سبلا
وعم بجدواه فلا من منازع * فخيث تراه لاعبوسا ولا بخلا
لقد كورت شمس بها انفطر السما * لو يل أتى الكفار وانشق واستولى
ولكن بروج للجو تزهو بأحمد * وفي طارق الافلاك فضله الاعلى
وغاشية كالفجر حلت ببلدة * بها حرم أمن كشمس جلت ليلا
وفاق الضحى حقا جبين محمد * كما بانشراح الصدر قد خصه المولى
فأقسم بالتين الذى عم نفعه * وبالقلم الاعلى لقدر له أعلى
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم * وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
وقارعة جاءت وألهاهم الهوى * ووالعصر ان الويل يقربهم نزلا
ألم تر أن الله فضل أحمدا * لامن قريش حينما سلكوا السبلا
أريت بأن الكوثر العذب خصه * به وجميع الكفران يردوا أصلا
لقد نصر الرحمن ربى محمدا * فأردى أبا لهب ولم يكتسب نيلا
فيا أحد انى بفضلك عائذ * اذا غسق الديجور ناديت يا مولى

ولم أقف على غير هذه الابيات من هذه القصيدة وقد سقط منها كما رأيت سورة الناس فقلت مكملا على نمطه

ويا مالكا للناس انى لائذ * بعفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا
ويا رب عاملنا بما أنت أهله * من الجود والرحمى وان لم نكن أهلا
وصل على مسك الختام محمد * أتم صلاة تملأ الحزن والسهلا

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضى أبى الفضل عياض التى ضمنها سور القرآن على المهيع الماضى آنفا (وهى) الحمد لله الذى افتتح بالحمد كلامه وبين فى سورة البقرة أحكامه ومد فى آل عمران والنساء مائدة الانعام ليتم انعامه وجعل فى الاعراف أنفال توبة يونس والركتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق فى دار الكرامه وسبح

الرعد بحمده وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ليؤمن أهل الحجر أنه اذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ الا اليه ولا يظلمون قلامه وجعل فى حروف كهيعص سرا مكنونا قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء ليظهر اجلاله واعظامه وأوضح الامر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغار العظمة وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم نزل به الروح الامين على زين من وافى القيامه وأوضح لقمان الحكمة بالامر بالسجود لرب الاحزاب فسبأ فاطر السموات أهل الطاغوت وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامه وأمد ياسين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات فصاد الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم فى القليب مكدوس ومكبوب حين شالت بهم النعامه وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدريين رضى الله عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامه ذلك بان أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام الاحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله وخلفه وأمامه فأعطوا الفتح وبوؤا الحجرات الجنان وحين تلوا قاف والقرآن المجيد وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فنافروا السآمه ذلك بأنهم امنهم الرحمن اذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لاول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة (أحمده) حمد من امتحنته صفوف الجوع فى نفق التغابن فطلق المحرمات حين اعتبر الملك وعامه وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامه وأنس بمرسلات النبا فنزع العبوس من تحت كور العمامه وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسبيح الملك الاعلى وغشيته الشهامه ذو رب الفجر والبلد والشمس والليل والضحى لقد انشرحت صدور المتقين حين تلوا سورة التين وعلق الايمان بقلوبهم فكل على قدره قام مبين ولم يكونوا منفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه اذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفؤا نور القارعة ولم يلههم التكاثر حتى تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أرأيتهم كيف جعلوا على رؤسهم من الكوثر عمامه فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن لهب الطامه وبسورة الاخلاص قرؤا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامه (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة تنال بها منازل الكرامه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت فى الايك حمامه انتهت ● وممن نسبها للقاضى عياض الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى العباس أحمد بن أبى جمعة الوهرانى وفى نفسى من نسبتها له شئ لان نفس القاضى فى البلاغة أعلى من هذه الخطبة والله تعالى أعلم * وكنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عمى ومفيدى ولى الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الامام المفتى الخطيب سيدى سعيد

قوله مكدوس ومكبوب هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا والاصل مابين مكدوس ومكبوب تأمل اه مصححه

ابن أحمد المقرى صب الله عليه سجال الرضوان خطبة من هذا النمط نصها (الحمد لله) الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا ومد مائدة انعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من سجنه وجبه وسبح الرعد بحمده وعنه واتخذ الله ابراهيم خليلا الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا تنوع باختلاف ألوانه وأوحى اليه بخفى لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه وأرسل روحه الى مريم فتمثل لها تمثيلا وفضل طه على جميع الانبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا الى الاسلام قد أفلح المؤمنون اذ جعل نور الفرقان دليلا وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق نعته وشهدت النمل بصدق بعثه وبين قصص الانبياء فى مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا مسدولا وملأت قلوب الروم رعبا من هيبته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للايمان بدعوته وهزم الاحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا فلقيه فاطر السموات والارض بياسين كما نفذ حكمه فى الصافات وبين صاد صدقه باظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين اذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الاسلام ونفى دخان الشرك وخرت المشركون جاثية كما أنذر أهل الاحقاف فلا يهتدون سبيلا وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحرر الحجرات الحريز وبقاف القدرة قتل الخراصون تقتيلا كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادى السرور وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قوته وكثرة المجادلة فى أمته الى أن أعد فى الحشر بأحسن مقيلا امتحنه فى صف الانبياء وصلى بهم اماما وفى تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغابن خسرا وارغاما فطلق وحرم تبارك الذى أعطاه الملك وعلم القلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الايمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأتت اليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأرسل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فكم من مدثر يوم القيامة شدة على الانسان اذا أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب وما تقبل من نازعات المشركين اذا عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا فويل للمطففين اذا انشقت السماء بالغمام وطويت ذات البروج وطرق طارق الهول بالنفخ للقيام وعز اسم ربك الاعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم اذا عاينوا التين والزيتون وأنهار الجنة فسجدوا باقرأ باسم ربك الذى خلق هذا النعيم الاكبر لاهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم وتسوقهم كالعاديات الى سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عصر العقاب الاليم

ونحشر الهمزة وأصحاب الفيل الى النار فلا يظلمون فتيلا وقالت قريش ما أمنتم من هول الحشر أرأيت الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر وسيق الكافرون الى النار وجاء نصر الله والفتح فتبت يدا أبي لهب اذ لا يجد الى سورة الاخلاص سبيلا فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق ونعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق ونتوب اليه ونتوكل عليه وكفى بالله وكيلا انتهت * ومن انشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبي المجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل أبي جعفر أحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الهاشمي الطنجاني رحمه الله تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر * ومن نظم ابن جابر المذكور قوله

هكذا في الاصل بدون أن يذكر المذكور شيأ فليراجع اه

جعلوا الابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وفي هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقي

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتفرقهم من الاطراف

والاشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحمهم الله تعالى (وقال) الرحالة ابن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور ما نصه وله المكارم الشهيرة وليس بأرض الشام والعراق ومصر أكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطاياهم جريا على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي الهواري الكفيف مادحا فأعطاه عشرين ألف درهم انتهى * ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى

وفي الخيام ومن لي بالخيام رشا * لا أحسب البدر في حسن يقاومه
مثل الغزالة ان تاهت وان طلعت * فكيف يصرف عنه الصب لائمه

وقوله رحمه الله تعالى

في القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يبصر نورا حين يبصره
تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر لما اذا ما لاح جوهره

وقوله

ردف أقام لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها ما بين ذا وبين ذا * فوقعت منها في المقيم المقعد

وقوله

سامح بالوصل على بخله * وقال لي أنت بوصلي حقيق
فقلت ما رأيك في نزهة * ما بين كاسات وروض أنيق
فقال يعني خده والمى * هذا هو الروض وهذا الرحيق
فبت من دمعي ومن خده * ما بين نعمان وبين العقيق
واذ تدللت على حبه * قال أما تخشى أما تستفيق

فدى وخدى خفهما يافتى * هذا هو الربع وهذا شقيقى

وقوله

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب

مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على أصابع زينب

(رجع) الى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه ومخدومه الوزير لسان الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجو بينه وبينه جوابا عن رسالة خاطب بها لسان الدين بن الخطيب أولاده صدرتها لم يحضرنى ذلك الآن قوله

مالى بحمل الهوى يدان * من بعد ما أعوز التدانى

أصبحت أشكوه من زمان * ما بت منه على أمان

ما بال عينيك تسجمان * والدمع يرفض كالجمان

ناداك والالف عنك وان * والبعد من بعده كوانى

ياشقة النفس من هوان * بلجج فى أبحر الهوان

لم يثنه عن هواك ثان * يابغية القلب قد كفانى

(وقال) بعض الحفاظ فى ترجمة أبى الحسن على بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق انه أخذ عن جماعة غيرهم كالشريف القاضى الفقيه أبى على الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسنى السبتى نزيل تلمسان والفقيه الامام العلامة قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبى عبد الله محمد المقرى التلمسانى القرشى والشريف العالم أبى القاسم محمد ابن الفقيه العالم المعلم لكتاب الله تعالى احمد بن محمد بن احمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن ابن ادريس بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وليس ادريس المذكور هنا بملك المغرب وجد الادارسة (قال) وروى أيضا عن القاضى ابن شبرين الاشبيلى ثم السبتى نزيل غرناطة والقاضى أبى البركات البلفيقى والكاتب صاحب القلم الاعلى أبى جعفر بن صفوان القيسى المالكى وابن خاتمة والفقيه الحاج أبى القاسم محمد ابن الفقيه الصالح العالم أبى عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبى القاسم محمد الغسانى البرجى نزيل فاس وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الائمة الاعلام نجوم الاسلام اه (وقد وقفت) للكفعمى رحمه الله تعالى فى شرح بديعيته على خطبة وقصيدة من هذا النمط قال رحمه الله تعالى مانصه ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزة فى فنها عزيزة وجعلناها فى مدح سيد البريه وتورينا بها فى السور القرآنيه فكن لسورها قاريا ولمعارجها راقيا وعل وانهل من شرابها السكرى وفكه نفسك بتسجيعها العبقرى (وهى هذه) الحمد لله الذى شرف النبى العربى بالسبع المثانى وخواتيم البقرة من بين الانام وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الانعام ومنحهم بأعراف الانفال وكتب لهم براءة من الآثام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى نجى يونس وهودا ويوسف من قومهم بعد الانتقام وغذى ابراهيم فى الحجر بلعاب النحل ذات

قوله ابن محمد بن محمد فى نسخة ابن محمد ثلاثا اه

الاسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الانبياء وحج المؤمنين ونور فرقان الملك العلام فالشعراء والنمل بفضله تخبر واقصص العنكبوت الروم تذكر ولقمان فى سجدته يشكر والاحزاب كأيادى سبا تقهر وفاطر يس اصافاته ينصر وصاد مقله زمر مؤمن الاعلام فأل حم بقتال فتحه فى حجرات قافه قد ظهرت وذاريات طوره ونجمه وقمره قد عطرت وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت وأبصار معانديه فى الحشر يوم الامتحان حسرت وصف جمعته فائز اذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت وله الطلاق والتحريم ومقام الملك والقلم فما هيك به من مقام وفى الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر وخصه من بين الانس والجن بيا أيها المزمل ويا أيها المدثر وشفعه فى القيامة اذ دموع الانسان مرسلات كالماء المتفجر ووجهه عند نبا النازعات وقد عبس الوجه كالهلال المنور ويوم التكوير والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير منحصر وقد حرست لولده السماء بالطارق الاعلى وتمت غاشية الفجر على امة البلد الشام فهو البلد الامين وشمس الليل والضحى المخصوص بانشراح الصدر والمفضل بالتين والزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر شجاع البرية يوم الزلزال اذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر ومشركى العصر أهلك الله به الهمزة وأصحاب الفيل اذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر المخصوص بالدين الحنيفى والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالنصر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبت يد امعاديه ونم بالتوحيد مواليه وما أفصح فلق الصبح بين الناس وامتد الظلام (ولنشفع) هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن فى مدح سيد ولد عدنان يحسن هنا أن تنفى عن فرائدها نفائسها الطالبها ما أغدف من خمرها وستورها وتجلى عن خرائد عرائسها لخطابها ما اسدف من غررها فى خدورها فانظر الى سور أبياتها وصور توريتها ثم ادعهن يأتينك سعيا لحفظها وعيا وهى هذه

يا من له السبع المثانى تنزل * وخواتم البقره عليه أنزل

فى آل عمران النساء لم يلد * ن نظيره اعيادذلك تفعل

مولى له الانعام والاعراف والانفال والحكم التى لا تجهل

بعلاه توبة يونس قبلت كذا * هود ويوسف رعدهم يتجلل

وكذاك ابراهيم فى حجرله * والنحل فى الاسرا عليه تعول

يا كهف مريم أنت طه الانبيا * والحج ثم المؤمنون الافضل

يا نور يا فرقان يا من مدحه * نطقت به الشعراء وهو المرسل

والنمل فى قصص الحديث به دعت * وعليه نسج العنكبوت مسدل

والروم تتلو اسمه ولكم به * لقمان سرا فى المضاجع يسأل

وبعزمه الاحزاب جمعهم سبا * وبه الملائكة الكرام تفضل

يس سماه الاله بذكره * وكواكب بسعوده لا تأفل

ياليتني صاد شربت بكاسه * وعليه فى زمر وردت فأنهل
كم مؤمن قد فصلت أعلامه * من زخرف بجداه يامن يعقل
ودخان جاثية على أحقافها * بقتاله أطنبني وفتح أدخل
حجرات قاف ذاريات سمائه * فى طورها نجم منير يكمل
ودناله القمر المنير وشقه الرحمن واقعة له لاتجهل
زغف الحديد بحربه أصواتها * رعد مجادلة القوم أبسلوا
وله لدى الحشر العظيم شفاعة * فى أمة بالامتحان تسربلوا
عن صف جمعته المنافق نائيا * يوم التغابن من حديد ينعل
يامن به شرع الطلاق ومن له التحريم والملك العظيم الاجمل
يامن به ذو النون لاذ بربه * لما أصيب بحاقة لاتعدل
يامن سال نوح بطاهر اسمه * يامن أتته الجن يامزمل
مدثر يوم القيامة شافع * ومخلص الانسان وهو الموئل
يامن نزول المرسلات ببعثه * ياأيها النبأ العظيم الاكمل
والنازعات نزعن نفس عدوه * هذا وقد عبس الجبين وأذهلوا
وهو الشفيع اذا المنيرة كورت * والانفطار من السماء يحصل
ولدى ذوى التطفيف ويل والسما * فى الانشقاق اذا البروج تبدل
والله قد حرس السماء بطارق * لولادة الاعلى به يتفضل
وأزال غاشية العذاب ونوره * كالفجر اذ أنواره تتهلل
بالدأمين ثم شمس أشرقت * والشعر ضاهى الليل بل هو أليل
شمس الضحى من وجهه ولصدره * ألانشراح وقلبه لايغفل
يامن أتى فى التين حقا ذكره * فاقرأ ولا يرتاب فيه واسألوا
يامن ليالى القدر بينة له * وعداه بالزلزال منه تزلزلوا
بالعاديات أزال قارعة العدا * وبقوله ألهاكم ماتجهل
ولقد أتى من قبل عصر نبينا * ويل لاهل الفيل منه وقتلوا
هو صاحب الايلاف والدين الذى * يسقى غدا من كوثر يتسلسل
والكافرون لنصره فى جيدهم * مسد اذا التوحيد عنه تعدل
ياخاتما فاق الصباح كوجهه * والناس منه مكبر ومهلل
أبياتها مبقات موسى عدة * والكفعمى فى مدحه يتجل
صلى عليه الله مع أصحابه * مازال طير العندليب يعندل انتهى

(والكفعمى) هو ابراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة الى كفرعيما قرية من قرى أعمال صفد كما تقول فى النسبة الى بنى عبد الدار عبدرى والى حصن كيفا حصكفى وشرحه لبديعيته سماه نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع ومارأيت مثله فى سعة الحفظ والجمع (ومن نظمه فى أسماء الكتب)

قوله يامن سال نوح الخ يقرأ بسكون لام سال وقطع همزة اسمه لاجل الوزن كما لايخفى اه مصححه

قوله والكفعمى الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى مافيه فلعل الاولى والكفعمى بمدحه يتوسل اه مصححه

يا طريق النجاة بحر فلاح * أنت دفع الهموم والاحزان
أنت أنس التوحيد عدة داع * ثم روح الاحيا وفلك المعالى
نهج حق ونثر در نبيه * ورياض الآداب ذكرى البيان
فائق رائع مسرة راض * منتهى السؤل جامع للامان
نزهة عدة طرائف لطف * روضة منهج جنان الجنان
فصاح الالفاظ فيه تاق * وشذور العقود والمرجان
وهو قوت القلوب نهج جنان * وكنوز النجاح والبرهان

فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك وأكثر هذه الكتب التى ورّى بها غير موجودة بأيدى الناس بل ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة اطلاعه (ومن بدائع الكفعمى المذكور) رسالة كتب بها الى قاضى القضاة العالم العلامة أبى العباس بن الفرفورى فى شان أستادار قاضى القضاة المذكور الامير علاء الدين ويخرج من أثنائها قصيدة منها يقبل الارض وينهى سلام عبد لكم محب وعلى المقتمكب لو بدا للناظرين عشر معشار شوقه * وغرامه لطبق ذلك ما بين آفاق السموات السبع والارض لشدة هيامه تراه حقا لكم حافيا بالامن والسرور والسعد والحبور داعيا * لاجرم وهذا الثناء المتوالى والدعا للمقام العالى لاشك من لازم الفرض ملكه الله تعالى أزمة البسط والقبض وأنجالك ربى من المصاعب فى دينك ودنياك وأنقذك من شر كل صغير شدة وكبيرها وأرضاك وجعلك أمينا فى الارض الى يوم القيامة والنشور والعرض كما أنت أمن لى من المخاوف وعون فى كل شدة وغوث وملجأ وعدة * وأنجحت آمالى ووفرت باخدامك لى مالى وأحسنت قرضى ووفرت باجلالك لى عرضى وينهى المملوك الى سيده قاضى القضاة وكافى الكفاة بان المتولى الامين ذا * الفخر المبين على ابن المرحوم فخر الدين قوله فى أمركم العالى مرضى وفعله مقضى ومدحكم عليه فرض واجب يراه أبدا لسانه * ويذكر المناقب وحبكم له واختياركم اياه دال بانه أمير حكيم شاهده حقا يقضى بجعله على خزائن الارض انه حفيظ عليم حديث مدح سواكم ليس من مدائحه ولا يمر أبدا بقلبه * وجوارحه وان مر فى خاطره لايحلو قطعا وحكمكم عليه شرعا ومرسومكم يمضى وأمركم يقضى بتيه مرورا به رؤساء الشام ومن فى القبيبات من الانام عزة * وعلوا بخدمته الشريفة اياك ولانه يا قاضى قضاة الدين والارض لاتريد سؤالك فان يك الخادم المذكور فى بعض أفعاله غافلا أو فى مقاله * غير كامل او عصاكم فى بعض الامر فتعين العفو والستر عن ذنبه لاجرم تغشى

وهو

وهو بتوبته اليه يفضى وسلام الله عليكم ورحمته لديكم كلما نطق ناطق أو ذر
فى المشارق شارق * ومادارت الافلاك وسجت بلغاتها الاملاك فى فسيح
الطول ورحب العرض دوما بين السماء والارض وهذه أبيات القصيدة المتولدة
من هذه الرسالة

سلام محب لو بدا عشر شوقه * لطبق ما بين السموات والارض
تراه لكم بالامن والسعد داعيا * وهذا الدعا لاشك من لازم الفرض
وأنجاك فى دنياك من كل شدة * وأرضاك فى يوم القيامة والعرض
كما أنت لى عون وغوث وعدة * ووفرت لى مالى ووفرت لى عرضى

هذا ويصح أن يقرأ عونا بالنصب على الحالية وهو الذى رأيته بخطه أعنى الكفعمى
ثم قال

وينهى الى قاضى القضاة بأن ذا * على بن فخر الدين فى أمركم مرضى
ومدحكم فرض يراه لسانه * وحبكم اياه شاهده يقضى
حديث سواكم لايمر بقلبه * وان مر لايحلو وحكمكم يمضى
يتيه به من فى القبيبات عزة * لخدمته اياك ياقاضى الارض
فان يك فى أفعاله أو مقاله * عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضى
سلام عليكم كلما ذر شارق * وسجت الاملاك فى الطول والعرض انتهى

قلت وهذه طريقة بديعة وقد تبارى فيها السلف فبعضهم يعمد الى أحاديث أو آيات وينسج
على منوالها او يفرقها فى أبياته أو سجعاته ويكتبها بلون مخالف للاصل وقد ذكرت
فى روضة الورد من أزهار الرياض من كلام ابن عاصم مالا مزيد وراءه فليراجعه من أراده
وذكرت فى غيره أيضا نبذة (رجع) الى نظم ابن جابر فمن ذلك قوله

ناديت من أسرى به * بحياة من أسرى به
سل مدمعا تجرى به * بلواه فى تجريبه

وقوله

أيها العاذل فى حبى له * خل نفسى فى جواها تحترق
ماالذى ضرك منه بعدما * صار قلبى فى هواه تحت رق

وله

برد الصباح على برد الصبا سحرا * مازال يذكرنى أوقات نعمان
اهفى لعيش قضينا فى معاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضا

جعلت ملاك العين والقلب فى الهوى * بناطقة القرطين صامتة القلب
تصف لى ألحاظها السين قدها * وتقلبه كيما تصيد به قلبى

قال بعض علماء المشرق أجاد والله هذا العالم المغربى المقال وأراد أن لفظ لين اذا قلب

صار بلا وإذا صحف صار بلا وهذا زيادة على ما فيه من التحريف انتهى وقريب منه لرفيق المذكور قوله

يفترّ عن برد يشير ببرده * حرّ الغرام ولا سبيل لرشفه
أخذ الرشا من حسنه طرفاً إذا * نسب الورى طرف الجمال لطارفه

وله

تجرّ فرعيها على اثرها * رافلة في حلل الحسن
فتطلع البدر لنا في الدجى * وترسل البدر على الغصن

وله

قد نعمنا بجزع نعمان لكن * عقنا البعد والعقوق قبيح
قل لاهل الخيام أما فؤادي * فجريح لكن ودّي صحيح

وقوله

تقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلوّ معا * وانما ذاك حكم منفصله

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين

رحمة أرسله الله لنا * وشفيعا قد غدا فينا غدا
وهب المال لمن مال له * وفدى من ذنبه من وفدا
ليس يحصي فضله الا الذي * هو أحصى كل شيء عددا

وله

حسن النية ما اسطعت ولا * تتبع في الناس أسباب الهوى
انما الاعمال بالنيات من * ينو شيأ فله ما قد نوى

وله

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شيء لا تجوز المسئله
بالله قل لي أين نحوك يا فتى * أرأيت موصولا يجيء بلا صله

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكرته وقضية ابن عنين في ذلك مع المعظم دالة على توقد فكرته وما ذاك الا انه مرض فكتب الى الملك المعظم

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائي والثناء الوافي

فعاده المعظم وأعطاه ألفا وقيل ثلثمائة وقال له هذه الصلة وأنا العائد * وقال ابن جابر المذكور

يا دار ليلى لا صممك يد البلى * وسقاك درّ الغيث كل سحابه
أصبو الى تلك الربوع وكيف لا * أصبو وهنّ منازل الاحبابه

وقال من قصيدة

وأطلب تشويق الانام بحسنه * فأذكر من أسمائه كل طيب

ومنها

واني لم أمدحه الا تشوّقا * وان كان مشهورا بشرق ومغرب

وقال

شاه وجه الرقيب اذشاء وصلي * غيري والانام عنا نيام
زارني بالنهار في الليل لكن * ليل فرع يحار فيه الظلام

وقال

يا أيها الجائر في حكمه * اني فيما قد جرى حائر
قدك من أعدل شئ يرى * وأنت في أهل الهوى جائر

وقال

قد زعم العاذل لي أنه * يهدي لي الرشد بما يصنع
ماهو هادلي ولكنه * هاذ فسمعي قال لا تسمعوا

وقال

شفى فؤادي من شقا هجره * وبت من لقياه في عيد
وزارني يحكي غزال النقا * في الحسن لولا الحلي في الجيد

وقال

سلب القلب غزال قده * قد حكى البان انثنا والسلما
ساحر العين اذا أبصره * كاتب ألقى لديه القلما

وقال

يكفي الانام بسيفه وبسيبه * عقد المكاره والمكارم دائما

وقال

تحلت بما يحكي محاسن ثغرها * وحلت عقود الصبر مني عقودها
ثقيلة أرداف فصعب قيامها * عاجلت منها وسهل قعودها

وقال

أبى حسنها الا افتتان قلوبنا * فكم قد أباد الحسن فيها من الناس
وقالت تحمل طول هجري ان ترد * وصال ذوات الحسن قلت على الراس

وقال

أراد انسان أراد الرضا * منهم رجا ماليس بالممكن
سيان ان يعطوه وان يمنعوا * قد ضاع فيهم كرم المحسن

وقال

يا جيرة الحي حيا الله واديكم * فكم سرور به للقلب قد عرضا
فكم أنال حياة أستلذ بها * اذا أنا لم أنل من وصلكم غرضا

وقال

شب حر الفؤاد ماء رضاب * منه قد حاز فيه ماء الغمام

زان بالحلي جيده قلت ماذا * قال شيء نظمته من كلامي

وقال

صاد قلبي وصد عني صدودا * واثني يسحب الذوائب سودا
فرأيت الصباح في الليل يبدو * وشهدت الرشا يصيد الاسودا

وقال

اني سئمت من الزمان لطول ما * قد صد عن حسن الوفاء رجاله
ومن النوادر في زمانك أن ترى * خلا به جدت لديك خلاله

وقال

ان قابل الغصن باعطافه * فقل أن تبصر من فرق
قلت قد استعبدت كل الورى * فقال ذاك البعض من حقي

وقال

صح أن الصباح من وجنتيها * وغصون الرياض من معطفيها
قاتل الله عاذلي قبل يوم * ليس يسعى بالعذل فيه اليها

وقال

شدوا محاملهم يوم الرحال وقد * محا رسوم اصطباري فقد من رحلا
هزوا الغصون على الكثبان حين مضوا * وأسبلوا فوق أقمار الدجى كللا

وقال

خد ترى الورد بعضا من محاسنه * تبارك الله ما أحلى شمائله
لصارم اللحظ قد أرخى حمائل من * عذاره فحمى عنا حمائله

وقال

قام حادي الركاب ليلا فغنى * فاستقام السرى وثار الغرام
قيل نام الانام فاهجع قليلا * قلت دون الحبيب لست أنام

وقال

تراءى بنا في البيد شوق الى الحمى * ترى عنده الاجفان منهلة الدمع
فلما رأينا ربع من سكن الحشا * نزلنا فقبلنا ثرى ذلك الربع

وقال

يراودني الواشي على حب غيرها * وانى محالا أن يرى مثل حسنها
موفرة الارداف مهضومة الحشا * يريك التفات الظبي فاتر جفنها

وقال

سلت علينا سيوفا من لواحظها * ومالنا من سيوف اللحظ من واق
أضحت لسفك دم العشاق هادرة * فما ترى دية في قتل عشاق

وقال

في خدها شبه للخال أو شية * بما حوى الحسن من ألطاف أسرار

وشي من الحسن لم يحتج اصنع يد * تبارك الله هذا صنعة البارى

وقال

بين الجوانح لوعلمت من الجوى * نار عليها سكب عيني يهمع
ودع المدامع في مدى جريانها * فالدمع بعد فراقهم لا ينفع

وقال

قالوا بدارين قد قالوا وقد وردوا * ماء العقيق وبالزوراء قد باتوا
بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا * وفي البعاد عن الاحباب آفات

وقال

مليحة اندلسيه شامية * كالورد قد نقطا بالغاليه
قلت لها ما اسمك قولى لنا * قالت فما تعرفني غاليه

وقال

جارية جارية في مدى * شبابها من أملح الخلق
ما بين فرق الصبح لما بدا * ووجهها للناس من فرق

وقال

لصبه منه امتداد النوى * فلا يلام الدمع في صبه
في قده لين فهلا قضى * بقلبه منه الى قلبه

يريد بالقلب الاول التحويل والنقل أى فهلا قضى بنقل اللين الذى فى قده الى قلبه

وقال

يالابس اللام والاسـتيلاف عارية * قد انعطفت على الاعطاف واللام
ويا ضجيع رماح الخط يرسلها * فى كل هام لها بالخط فى الهام

الهام الاول جمع هامة والثانى اسم فاعل من همى يهمى قال رقيقه لو قال من الهام لكان أليق بالمعنى وألطف

وقال

من مال يبغى كسب مال له * من حرمه ان جاء أو حله
فلا تثق يوما به واحترز * منه فما يبقى على خله

وقال يتشوق الى وطنه بالمرية

لله عيش بالمرية قد ذهب * أخباره بالحسن تكتب بالذهب
وهبت لنا تلك الليالى مدة * ثم استرد الدهر منا ما وهب

وقال

أنّ من شوقه فشار الضرام * ودرى الناس أنه مستهام
لا تسل ما جرى من الدمع لما * قيل هذى النقا وهذى الخيام

وقال

صلاة اله العالمين على الذى * أقل العطايا منه واد من النعم
يجود على الراجى وان كان مذنبا * وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال

قد سبا قلبي غزال فاتن * سل به كيف اعتدى فى سلبه
أنا لا أعتب فيما قد جرى * صفح الله له عن ذنبه

وقال

صبرت له فتمادى به * هواه فكانت هى الفاصله
وأنكر برّى وياطالما * أتانى يوما فألنى صله

وقال

وليل نظمنا به شملنا * كما انتظم البيت بالقافيه
وفرّقنا الدهر من بعد ذا * فلست من اليوم ألق فيه

أى فئة ولم يكمل التجنيس فيه الا بتسهيل الهمزة كما قال رفيقه ولما أنشده قال ومن هذا النوع قول بعض الاندلسيين

وقائل قال ألا صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
قلت لهم بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال ابن جابر المذكور

قل بحق الهوى سمحت بوصل * ربة القلب أم نهاك الرقيب
رمت نيل الوصال منها فقالت * لك وصل غدا فقلت قريب

وقال

زين الخد منه صدغ كنون * قد بدا تحته عذار كلام
قلت هذى محاسن ابن هلال * فانثنى وهو ضاحك من كلامى

وقال

لها حسن لها عن كل واش * به قلبى فما أنا أستفيق
على وجناتها نعمان يبدو * لنا وشفاهها حسن العقيق

وقال

يمرّ بى ذكركم والله أحيانى * ولو سرى طيفكم ليلا لأحيانى
لا يعذب العيش لى بعد العذيب ولا * نعيم مثل ليالينا بنعمان

وقال

مداراة هذا الخلق أولى بينهم * صفات هى الاقمار والنظم دارات
شارات حد المرء أن لا ترى له * على الناس مما لازم الحلم ذارات

وقال

أرى كم أسعى الى خامل ولو * أراك مدى فى فرقد بلغ السها
وما الخير يوما من اثيم بممكن * وان كان منه الخير يوما فقد سها

وقال

أرى حيدى عن كل طارئ نعمة * أراح يدى من أن يقيدها الذل

٣ قوله مداراة الخ هكذا فى الاصل ولينظر ما معناه وقوله شارات الخ فيه انخرم الا أن يكون الاصل وشارات أو اشارات فسقط الحرف من قلم الكاتب فتأمل وحرّر اه ٣ مصححه

٤ قوله أرى كم الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه فلعل ٤ الاصل هكذا أرى كم أساعى الى جاهل ولو الخ ويكون قد ارتكب التجريد فى قوله أراك مدى الخ وليحرّر اه مصححه

فمن أخذ المعروف من غير أهله * تروح الليالي وهو في عنقه غل

وقال

شبا لحظها الماضي وحسن شبابها * هما جلا نفسي من الوجد مابها
كثيب النقا من ردفها وقضيبه * لمعطفها والبدر تحت نقابها

وقال

حل عقد الصبر مني عقدها * اذ سبت قلبي بما في قلبها
تحسب الدر على لبتها * أنجما قد كان البدر بها

وقال

شعرك كالليل يبدو تحته * فرق قد حار شعري في صفاته
نقل المسواك عن مبسمه * أن ماء الورد يجري من لثاته

وقال

من سن تلك اللحاظ فاتبعت * من سنة الحب كل متبع
تقتل عشاقها بلا سبب * وذاك في الحب غير مبتدع

وقال

وما شهد وصال لوعة الهجر قد قضى * زمان وصال لم تكدر مشاربه
كشهد محب لم يذق لذة الرضا * ولا بات والغيد الحسان تلاعبه

وقال

سرت في رحال العيس منه أهلة * فايسر حال أن أزودها قلبي
بعيشك قل لي هل دروا كيف علتي * وفيض دموعي بعد منصرف الركب

وقال

من جني باللحاظ زهر المعاني * من جناب الحي اذا الناس ناموا
هو قد نال كل ما يتمنى * وسعت في مراده الايام

وقال

لطائف حسنها بربوع قلبي * لطائف ألجأتني للغرام
تريك تكاسلا في اللحظ منها * لتحسبه تنبه من منام

وقال

اذا زرت حيا بالعقيق فحيهم * وذكرهم عهدي وحق ودادي
بحرام فراق العيش حتى تحالني * بواديه من تلك الوجوه بوادي

وقال

من فرط ما في الطرف من فتنة * قد غلب الحب على الناس
قالت نسيت العهد قلت اكتفي * عني فما عبدك بالناسي

وقال

بين نعمان وسلع ملأ * ليس منهم لمحب ألم

كأنى منهم بيدر حل فى * فلك العلياء فاعرف من هم

وقال

أراقبها وحين أرى سبيلا * أقاربها فتنفر كالغزال
وقالت أنت حين تقب لماذا * فقلت لها ارتقابى للهلال

وله من قصيدة مطولة فى فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت فمما يختص منها بأبى بكر رضى الله تعالى عنه قوله

فنهم أبو بكر خليفته الذى * له الفضل والتقديم فى كل مشهد
وصديق هادى الخلق والمؤثر الذى * لانفاقه للمال فى الله قد هدى
وصهر رسول الله وابنته التى * يبرئها آى الكتاب الممجد
وصاحبه فى الغار اذ قال لا تخف * فنا الثنا اذ والعرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حية * هنالك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفى خير الأنام تعاونوا * من حكمة فى عروق ... المتقصد
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
وعتق بلالا حسبه فهو سيد * تأثل فى الاسلام اعتاق سيد
وقال رسول الله ان أمنكم * على أبو بكر وأوفى بموعد
فصدق اذ كذبتم وأطاع اذ * عصيتم ووافانى موافاة مسعد
ولو أننى من أمتى كنت آخذا * خليلا تولى خالق وتوددى
لكان أبو بكر ولكن اخوة * فى الاسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيه * وصار الى دار النعيم المخلد
تقدم فى نيل الخلافة بعده * باجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة * فلما رأته الحق لم تتردد
وقام على بعد ذاك مبايعا * فأثنى ثناء الخالص المتودد
وأظهر عذرا فى تأنيه صادقا * وبايع طوعا لا لفقدان مسند
فآب بحمد منهم غير قاصر * ومن يتبع الانصاف والحق يحمد
وما أشبه الصديق فى الفضل مشبه * ولا أحصيت أوصافه بتعدد

ومما يختص بعمر رضى الله تعالى عنه قوله من هذه القصيدة

ويتبعه فى فضله عمر الذى * رمى عن قسى الصدق قوس مسدد
وما كل من رام السعادة نالها * ولكنه من يسعد الله يسعد
هو المرء لم يترك له الحق صاحبا * ولا قعد الشيطان منه بمقعد
ولا سلك الشيطان فجا اغتدى * له سالكا من خوفه المتزيد
ومن ظله قد كان ينفر هيبة * له حيثما أضحى يروح ويغتدى
وقد جاء عنهم ما برحنا أعزة * باسلامه فانكف من كان يعتدى
ومن فضله رعى النبى بغيرة * له فانثنى عن قصره المتشيد

وقد قيل للفاروق هذا ومن به * فانباه عن هذا النعيم المؤبد
فأقبل يبكي قائلا كيف غيرتي * عليك ولولا أنت ما كنت أهتدى
ورؤيا رسول الله للقدح الذي * تناول من دريه رية الصدى
فمازال يبدي شربه ويعيده * الى أن غدا من ظفره الري يبتدى
فاوله العلم الذي منه ناله * وأول رؤيا الدلو حسن التأيد
فصارت له غربا فأروى بها الورى * فكان افتتاح الارض فتح ممهد
كذاك قميص مفرط الطول سابغ * وللناس قمص بعضها يبلغ الشدى
فأول خير الخلق طول قميصه * بما حاز في ايمانه من تشيد
وتفريقه ما بين حق وباطل * بيوم سقى الكفار أفظع مورد
وسمى بالفاروق من أجل هذه * ومازال في نصر الهدى ذا تجلد
وحسبك أن الله وافق رأيه * لدى يوم بدر اذ رأى قتل من فدى
كذا في أذان والحجاب وجعلهم * مصلى مقاما للخليل بمسجد
شديد على أهل الهوى رحمة لمن * عن الحق لم يجنح ولم يتحيد
وما قد رووا ان كان في أمة فتى * محدث فالفاروق من ذاك فاعدد
وما أبغض الفاروق الا مفارق * لدين الهدى ذو مذهب لم يسدد

وبما يختص بعثمان رضي الله تعالى عنه قوله

وحسبي عثمان بن عفان انه * عليه اعتمادي وهو سؤلي ومقصدي
امام صبور للاذى وهو قادر * حليم عن الجاني جميل التعود
هو الجامع القرآن والقانت الذى * اذا جن ليل ليس يأوى لمرقد
ويقطع بالصوم النهار ويثني * مدى ليله في خشية وتهجد
وقال رسول الله في بئر رومة * أما مشتر يبغي بها الاجر في غد
له الجنة العليا بذلك فاشترى * وتجهيز جيش العسرة اذكر وعدد
فقال رسول الله اذ جاء بما * قد احتاج من مال وظهر وأعبد
هنيأ لعثمان بن عفان فعله * وما ضره ما بعد مع هذه اليد
وقول ألا أبدى حياء لمن له * قد استحيت الاملاك أشرف محتد
وبلغ بشرى الهاشمي بانه * من الجنة العليا بأكرم مقعد
ولم يرض صونا للدماء بحربهم * وكان متى يستنجد القوم ينجد
فمات شهيدا صابرا أنه خير من * على نفسه في غير حق قد اعتدى
على بنتي المختار أرخى ستوره * فناهيك من مجد وعز مجدد
ولم يدع ذا النورين الا لانه * حوى بيته نورين من نور أحمد
وان لعثمان بن عفان رتبة * من المجد تسمو عن سماك وفرقد

وبما يختص بعلي رضي الله تعالى عنه قوله

وان عليا كان سيف رسوله * وصاحبه السامي لمجد مشيد

وصهر النبى المجتبى وابن عمه * ابو الحسنين المحتوى كل سؤدد
وزوّجه رب السما من سمائه * وناهيك تزويجا من العرش قد بدى
بخير نساء الجنة الغرّ سؤددا * وحسبك هذا سؤددا لمسوّد
فباتا وجلّ الزهد خير حلاهما * وقد آثرا بالزاد من كان يجتدى
فآثرت الجنات من حالٍ ومن * حلى اهلها رعيا لذاك التزهد
وماضرّ من قدبات والصوف لبسه * وفى السندس الغالى غدا سوف يغتدى
وقال رسول الله انى مدينة * من العلم وهو الباب والباب فاقصد
ومن كنت مولاه على وليه * ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد
وانك منى خاليا من نبوّة * كهرون من موسى وحسبك فاحمد
وكان من الصبيان أوّل سابق * الى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وجاء رسول الله مرتضيا له * وكان عن الزهراء بالمتشرّد
فمسح عنه الترب اذ مس جلده * وقد قام منها آلفا للتفرّد
وقال له قول التلطف قم أبا * تراب كلام المخلص المتودّد
وفى ابنيه قال المصطفى ذان سيدا * شبابكم فى دار عز وسؤدد
وأرسله عنه الرسول مبلغا * وخص بهذا الامر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عنى ينبغى * لمن ليس من بيتى من القوم فاقتدى
وقد قال عبدالله للسائل الذى * أتى سائلا عنهم سؤال مشدّد
وأمّا على فالتفت أين بيته * وبنت رسول الله فاعرفه تشهد
ومازال صوّاما منيبا لربه * على الحق قوّاما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال معرضا * عن المال مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا وكلما * رآها وقد جاءت يقول لها ابعدى
وأقربهم للحق فيها وكلهم * أولو الحق لكن كان أقرب مهتدى

(ومنها فى ذكر السبطين رضى الله تعالى عنهما)

وبالحسنين السيدين توسلى * بجدهما فى الحشر عند تفردى
هما قرّتا عين الرسول وسيدا * شباب الورى فى جنة وتخلد
وقال هما ريحانتاى أحب من * أحبهما فاصدقهما الحب تسعد
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا * وماذا عسى يحصيه منهم تعددى
فمن صدره شبه الحسين أجله * وللحسن الاعلى وحسبك فاعدد
وللحسن السامى مزايا كقوله * هو ابنى هذا سيد وابن سيد
سيصلح رب العالمين به الورى * على فرقتين منهم وعظم تبدّد
وان تطلبوا ابنا للنبى فلن تروا * سواى مقال منه غير مفنّد
بدا سيدا اظهر الرسول قد ارتقى * فقرّ ولم يعجله وهو بمسجد
فقالوا له طال السجود فقال لا * ولكنما ابنى خفت ان قد يشرد

وكان الحسين الصارم الحازم الذي ❊ متى يقصر الابطال في الحرب يشدد
شبيه رسول الله في البأس والندى ❊ وخير شهيد ذاق طعم المهند
لمصرعه تبكي العيون وحقها ❊ فلله من جرم وعظم تودد
فبعدا وسحقا لليزيد وشمره ❊ ومن سار مسرى ذلك المقصد الردى

(ومنها في ذكر حمزة رضي الله تعالى عنه)

ومن مثل ليث الله حمزة ذى الندى ❊ مبيد العدا مأوى الغريب المطرد
فكم حز أعناق العداة بسيفه ❊ وذب عن المختار كل مشدد
فقال رسول الله هذا أمرته ❊ ولى أسد ضار لدى كل مشهد
وقال أبو جهل أجبت محمدا ❊ لما شاءه فاهتز هز مسيد
وأهوى له بالقوس ما بين قومه ❊ ونال وأخرى بالحسام المهند
وقال له انى على دينه فان ❊ أطقت فعرج عن طريق واردد
فذل أبو جهل وأبدى تلطفا ❊ مقرا بقبح السب في حق أحمد
فعاد وقد نال السعادة واهتدى ❊ وأضحى لدين الله أكرم مسعد
وفي يوم بدر حث عند سؤالهم ❊ لما شهدوا من بأسه المتوقد
لمن كان أعلام بريش نعامة ❊ يشرد دنا مثل النعام المشرد
فذاك الذى والله قد فعلت بنا ❊ أفاعيله في الحرب ما لم نعود
وفي أحد نال الشهادة بعدما ❊ أذاق سباعا للردى شر مورد
ففاز وأضحى سيد الشهداء في ❊ ملائكة الرحمن يسمى ويقتدى
وصلى رسول الله سبعين مرة ❊ عليه الى ثنتين عند التعدد
وقال مصاب ان نصاب بمثله ❊ وان كان لى يوم سأجزى بأزيد
وزاد الى فضل العمومة انه ❊ أخو مرضاع هكذا المجد فاشهد
ومازال ذا عرض مصون عن الاذى ❊ ومال مهان في العطايا مبدد
كريم متى ما أوقد النار للقرى ❊ تجد خير نار عندها خير موقد

(ومنها في ذكر العباس رضي الله تعالى عنه)

وقد بلغ العباس في المجد رتبة ❊ تقول لبدر التم قصرت فابعد
الا انه فضل السقاية قد حوى ❊ فكان لوفد الله أكرم مورد
وكان طويل الباع في البأس والندى ❊ كريما متى يسترفد القوم يرفد
ويوم حنين ليس ينسى ثباته ❊ ودعوته مستنجدا كل منجد
وقال رسول الله فيه على ما ❊ عليه وأيضا مثله في التزيد
ألا ان عم المرء صنو أبيه كى ❊ يزيدهم في بره المتأيد
وبشره أن الخلافة في الورى ❊ لاولاده من سيد ومسود
بشيبته استسقوا اذا المحل شامل ❊ فجاءهم غيث سقى كل فدفد

وهذا ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة وليس بيدى الآن ديوان شعره حتى أكتبها

بكمالها فانها مناسبة لهذا الباب الذى جعلناه ختما للكتاب كما لا يخفى

(ومن مقطوعات ابن جابر)

شغفت بها حينا من الدهر لم يكن * سوى سكب دمعى فى محبتها كسبى
وما أصل هذا كله غير نظرة * الى مقلة منها أضعت لها قلبى

وقال

قد بان عذرى فى مليح له * لحظا رشا يلحظ من ذعر
انى على الهجر مطيع له * ممتثل فى السر والجهر

وقال

هذا الرشا يقتنص ليث الشرى * بنظرة منه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوماله * لكان من أول ما يقتنص

وقال

ظبية فى ثغرها العس * يجتنى من رشفه عسل
صاد النبه بمقلتها * مسلكا قد زانه كحل

وقال

رقم الخال خدها فرأينا * قمر الافق فيه نقطة ليل
قلت أين الكثيب والغصن قالت * كل ما قد ذكرته تحت ذيلى

وقال

ان خفت من فتك المهند والقنا * فاذا رنت واذا مشت لا تقرب
فى قلب برقعها محاسن أنزلت * قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال

رأى عذولى حسنها بعدما * حقق كونى للهوى جانحا
فقال ان كنت محبا لها * فقد وجدنا رأيك الناجحا

وقال

ذكر الله بالمرية عيشا * لست عن ذكره الجميل أحول
طال عهدى بها وما دمت حيا * لا يزيد الرجاء بل قد يطول

وقال

مرت ليال بالمرية طالما * قضيت من ليل بهن مآربا
لم أسل عن تلك الديار وانما * جعل القضاء لكل نفس غالبا

وقال

لا تعتقى عن العقيق فانى * بين اكنافه تركت فؤادى
وعلى تربه وقفت دموعى * ولسكانه وهبت ودادى

وقال

عرف المنزل الذى دار فيه * زمن الانس والشباب النضير

فشهاه

فشجاه قلب التلاقى فراقا * وانثنى عنه ذا فؤاد كسير

وقال

جمال هذا الغزال سحر * ياحبذا ذلك الجمال
هلال خديه لم يغب * عنى وان غيب الهلال
غزال أنس يصيد أسدا * فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دل كل شوق * على اذ زانه الدلال
كماله لايخاف نقصا * دام له الحسن والكمال
نباله قد برت فؤادى * ياحبذا تلكم النبال
حلال وصلى له حرام * وحكم قتلى له حلال
زلال ذاك اللمى حياتى * وأين لى ذلك الزلال
قتاله لايطاق لكن * يعجبنى ذلك القتال

وقال

اذا جئت نجدا كرم الله عهده * فسلم على أهل المنازل من نجد
لئن حال بعد الدار بينى وبينهم * فانى لارعاهم على ذلك البعد

وقال

بخات عند ما نظرت اليها * وانثنت وهى بين تيه وبنع
اغاورد خدها زرع طرفى * حين مروا فكيف أمنع زرعى

وقال

لك نفسى اذا بدت لك نجد * فلقد سرنى الزمان بنجد
فلتلك الخيام عندى عهد * وأبى الله أن أضيع عهدى

وقال

سل عن القوم ان بدت لك سلع * ففؤادى عند الذين بسلع
لى على تلكم المعاهد دمع * كاد يغنى بها عن الك دمعى

وقال

صفحوا عن محبهم واقالوا * من عثار النوى ومنوا بوصل
لست أستوجب الوصال ولكن * أهل تلك الخيام أكرم أهل

وقال

مال الزمان بهم عنى وقد بعدوا * لم يلهنى عنهم أهل ولا مال
انى لاخشى وما الايام طوع يدى * أنى أموت ولى فى القلب آمال

وقال

بين وادى النقا وبان المصلى * فتية ألبسوا الوجود جمالا
ان يكن قد نوى لى الدهر قربا * منهم فهو قد كفانى نوالا

وقال

زرت الديار عن الاحبة سائلا * ورجعت ابكيهم بدمعي سائلا
ونزلت في ظل الاراكة قائلا * والربع أخرس عن جواب قائلا

وقال

لاأوحش الله المنازل منهم * منهم غدت تلك الديار حسانا
فاشكر لدهر كان أراك التجاجر * بان الحمى وأراكه قدبانا

وقال

لك ياوادي العقيق علينا * كل ماشئت من ذمام وثيق
نحن السبر أني أنبري * من عقوق لمنزل بالعقيق

وقال

ياأهل ذي سلم بشرى لمستلم * ذاك الثرى مقدم في السير لم يتم
يوم ترى دارا بها خير الورى حسبا * الخاتم الرسل من عرب ومن عجم

ولنقتصر من كلام ابن جابر في هذا الموضع على هذا المقدار وانما أطنبت فيهما لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين في عدم توفيته في حق المذكور وحق رفيقه مع انه أطال فيمن دونهما من أهل عصره وأيضا فان كلاهما غريب عندنا بالمغرب لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار وكان خبرهما في الشرق أشهر (وأما رفيقه) شارح بديعيته فقد ذكرنا في غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ولنزد هنا ما تيسر فنقول من نظمه

لما عدا في الناس عقرب صدغها * كفت أذاه من الورى بالبرقع
والصبح تحت خمارها متستر * فمتى شاءت تقول له اطلع

وقال

تجنبت خمرا في الهوى كل عاقل * رآها وأحوال المحب جنون
وما وعدت الا غدت في مطالها * كذلك وعد الغانيات يكون

وقال

لاتجدوا في الهوى على كلف * نظيره في الغرام لن تجدوا
لهفان مايشتكي الى أحد * ظمآن غير الدموع لايجد

وقال

ورب ليل قطعته بالجزيره * فتذكرت أهلنا بالجزيره
قصر الانس ماتطاول منه * وكذا أزمن السرور يسيره

قال والجزيرة الاولى المراد بها حمص المحيط بها النهر المسمى بالعاصي والثانية جزيرة الاندلس

وله أيضا

ومالي والتزين يوم عيد * وجيد صبابتي بالدمع حالي
وقد أرسلت أشهبها بريدا * وبعد كميتها يني بحالي

والمراد بالاشهب الدمع الذي لايشوبه شيء وبالكميت الدمع المشوب بالدم وفي شرح

البد بعيثم وقد ذكر العقيق بعد كلام مانصه قلت وكان هذا الوادي المبارك زمن عثمان رضي الله تعالى عنه ذا قصور محدقه وحدائق ملتفه وبنيان مشيد ونخل طلعه نضيد وجنات تؤتي أكلها كل حين وسواق تجري بماء معين ثم لعبت به أيدي السنين وغيرت معالمه فصار عبرة للناظرين فلم يبق من معاهده الا آثار تشهد بحسنه ونضرة نعيم تدل على ما سلف من نضارة غصنه وقد خرجنا الى هذا الوادي أيام مجاورتنا بالمدينة الشريفة وهو يتدفق بمائه ويعارض بجوهر حبابه أنجم سمائه وقد سالت شعابه وفاض عبابه والناس تفرقوا في جهاته وافترشوا غض نباته والشيح قد توشح بالندى والانس قد راح به وغدا والاصيل مذهب الرداء والبيداء مخضرة الانداء وبحافتيه آثار قصور ليس لها في الحسن قصور قد بليت وحسنها جديد وخربت وربعها بالانس مشيد انتهى ومن بديع نظمه قوله

مهلا فما شيم الوفا منقادة • لمن ابتغى من نيلها أوطارا
رتب المعالي لا تنال بحيلة • يوما ولو جهد الفتى أوطارا

وقوله رحمه الله تعالى

على وادي العقيق سكبت دمعي • بلا عين فيدعى كالعقيق
فكم غصن ورنق منه يحكي • قوام رشا شهي الفم وريق

وقال

سألتك بالله يا من غدا • يصرف بالقلب أفعاله
تدارك محبا بترياق وصل • فان بعادك أفعى له

وقال

لا تأمننه على القلب إنه • ب غذه أصل غرامها
فلحاظه هن التي • رمت الورى بسهامها

ومن فوائده رحمه الله تعالى في شرح البديعية مانصه ومن غريب ما في لدى أن أبا علي حكى في تذكرته عن المفضل أنها تأتي بمعنى هل وأنشد

لدى من شباب يشترى بمشيب • وكيف شباب المرء بعد ذهاب انتهى

(رجع) وقال رحمه الله تعالى يتشوق الى حمراء غرناطة

دامت على الحمراء مني مدامعي • والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال الذي بي عنهم ولربما • قد عاد من بعد الاطالة غائب

وقال

ساهب من نحو السبيكة بارق • الا غدا شوقي لقلبي سالكا
والله ما اخترت الفراق لربعها • لكن قضاء الله أوجب ذلكا

وقال

منازل سلمى ان خلت فلطالما • بها عمرت في القلب مني منازل
رسائل شوقي كل يوم تزورها • وما ضيعت عند الكرام الرسائل

وقال

بجور الوداع لنا موقف * أذاب الفؤاد لاجل الوداع
فما أنا أنسى غداة النوى * وحادى الركائب للبين داعى

قال وجور الوداع موضع بظاهر غرناطة عادة من سافر أن يودع هنالك

وقال

ناولته وردة فاحمر من خجل * وقال وجهى يغنيني عن الزهر
الخد ورد وعينى نرجس وعلى * خدى عذار كريحان على نهر

وقال رحمه الله تعالى فى التشريع

يا راحلا يبغى زيارة طيبة * نلت المنى بزيارة الاخيار
حى العقيق اذا وصلت وصف لنا * وادى منى باطايب الاخبار
واذا وقفت لدى المعرّف داعيا * زال العنا وظفرت بالاوطار

وقال

يا أولا فى المرسلين وآخرا * الله خصك بالكمال ليرضيك
من قبل آدم قد جعلت نبيه * قدما فقدمك الاله ليعليك
أوحى اليك لكى تكون حبيبه * ويتم نعمته عليك ويهديك

وقال

صيرتنى فى هواك اليوم مشتهرا * لاقيس ليلى ولا غيلان فى الاول
زعمت أن غرامى فيك مكتسب * لا والذى خلق الانسان من عجل

وقال

لاتعادى الناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق حسن

وقال

نسختى اليوم فى المحبة أصل * فعليها اعتماد كل عميد
نقلوا مرسل المدامع منها * وصحيح الهوى بغير مزيد
قد رواها قلبى جميل وقيس * سمعاها بكل لحظ وجيد

(ومن فوائده) أنه لما أنشد فى طراز الحلة قول سعد الدين محمد بن عربى فى ابن مالك ان الامام جمال الدين فضله الى آخره قال ما ملخصه ولما أورده الصفدى فى فض الختام قال هذا فى غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى الفوائد وانما هو تسهيل الفوائد فذكر المضاف اليه دون المضاف وهى تورية ناقصة قلت ابن مالك له كتابان أحدهما الفوائد صنعه أولا ثم صنع تسهيل الفوائد بعده وكأنه سهل فيه كتاب الفوائد وكنت وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد ببلادنا غرناطة فلما وصلنا الى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده وتمادى الامر على ذلك الى سنة ٧٦٠ فوجدناه فى حلب وهو الآن عندنا وهو عزيز الوجود ولذلك خفى على القاضى صلاح الدين انتهى وبعضه بالمعنى وقال أبو جعفر

أحمد المترجم به كتبت الى صاحبنا الشيخ بدر الدين خليل الناسخ

مددت النوى وقصرت اللقا * أترضى بهذا وأنت الخليل
وتترك أحمد ذا وحشة * لديك وأنت له ابن جليل

وقال

قد كان لى أنس بطيب حديثكم * والآن صار حديثكم برسول
ولقد مددت من النوى مقصوره * ان الخليل يراه غير جميل

وله رحمه الله تعالى

ماللنوى مدت وأنت خليلنا * والقبل قد قصرت برغم الكاشح
أتبعت فى ذا مذهبا لا يرتضى * ابدا وليس الرأى فيه بصالح

وله

ولما رأى الحساد منك التفاتة * الى جانب اللهو الذى كان مرفوضا
أضافوا الى علياك كل نقيصة * حقيق لدينا بالاضافة مخفوضا

وله

حسنك مابين الورى شائع * قد عرف الآن بلام العذار
لخاه منه مبتدا للهوى * خبره الآس مع الجلنار

ولنقتصر على هذا المقدار الى هنا (رجع) الى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى وقد قدمنا أن عليّ بن لسان الدين كان نديم السلطان وخاصته كما ذكرنا فى مخاطبته لابن مرزوق فى الباب الخامس قوله فالسلطان برعاه الله تعالى يوجب مافوق مزية التعظيم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قلّ أن ينالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب مابلته من نصح سليم وترك ماباالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوّها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فيماذكره من النصح وغيره (ومن نصائحه رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان السلطان (ونصه) من عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعده وبلغه من فضله العميم قصده الى أوليائنا المخصوصين مناومن سلفنا بذمام الجوار القريب والمساكنة التى لايتطرق الى حقها الذى بى استرابة المستريب المعتمدين اذا عدت الرعايا وذكرت المزايا بمزيد الاعتناء والتقريب من الاشياخ الجلة الشرفاء والعلماء والصدور الفقهاء والعدول الاذكياء والاعيان الوزراء والحماة المدافعين عن الارجاء والامناء الثقات الاتقياء والكافة الذين نصل اليهم عوائد الاعتناء ونسيرفيهم باعانة الله تعالى على السبيل السواء من أهل حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى وربضها شرح الله تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صدورهم وكتب بنتائج الاستقامة سرورهم وأصلح بعنايته أمورهم واستعمل فيمايرضيهم أميرهم ومأمورهم سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى اذارنى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا والذكرى لبناء المتاب أساسا والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى

قوله التعظيم فى نسخة التعليم اه

هدانا الى الفوز العظيم ابتغاء رحمته والتماسا والرضا عن آله الذين اختارهم له ناسا وجعلهم مصابيح من بعده اقتداء واقتباسا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى اعزازكم وحرس أحوازكم وجعل للعمل الصالح اهتزازكم وبقبول النصائح امتيازكم من مستقرنا بمحروسة الحمراء حماها الله سبحانه ولا متعرف بفضل الله تعالى الا هداية تظهر على الاقوال والاعمال وعناية تحف من اليمين والشمال وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال وأنتم أولياؤنا الذين لا ندخر عنهم نصحا ولا نهمل فى تدبيرهم ما يثمر نجحا وبحسب هذا الاعتقاد لا نغفل عن نصيحة ترشدكم اذا غفلتم وموعظة نقصها عليكم اذا اجتمعتم فى بيوت الله واحتفلتم وذب عنكم تارة بسلم نعقدها ومطاولة نسددها وتارة بسيوف فى سبيل الله تعالى نجردها وعساكر للشهادة نرددها ونفوس بوعد الله نعدها ونرضى بالسهر لتنام أجفانكم وبالكد لتستريح صبيانكم وولدانكم وباقتحام المخاوف ليحصل أمانكم ولو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوالد لجعلنا أو امكننا أن لا تفضلكم رعية بصلاح دين أودنيا لفعلنا هذا شغل زماننا منذ عرفنا ومرمى همنا مهما استهدفنا وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم وملأنا طاعتكم وحرم علينا اضاعتكم والراعى اذا لم يقصد بسائمته المراعى الطيبه ويتبع مساقط الغمائم الصيبه ويوردها الماء النمير ويتبع لها النماء والتثمير ويصلح خللها ويداوى عللها قل عددها وعدمت غلتها وولدها فندم على ما ضيعه فى أمسه وجنى عليها وعلى نفسه وألفيناكم فى أيامنا هذه المبارك عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه وملأت أيديكم مواهبه وقسمه وشغل عدوكم بفتنة قومه فنمتم للعافية فوق مهاد وبعد عهدكم بما تقدم من جهد وجهاد ومحنة وسهاد فاشفقنا أن يجركم توالى الرخاء الى البطر أو تحملكم العافية على الغفلة عن الله تعالى وهى أخطر الخطر أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه أو تستعينوا على معصيته بنعمه فمن عرف الله تعالى فى الرخاء وجده فى الشده ومن استعد فى المهل وجد منفعة العده والعاقل من لا يغتر فى الحرب أو السلم بطول المده فالدهر مبلى الجده ومستوعب العده والمسلمون اخوانكم اليوم قد شغلوا بأنفسهم عن جبركم وسلوا الله فى نصركم ونشبت الايدى ولا حول ولا قوة الا بالله بثغركم وأهمتهم فتن تركت رسوم الجهاد خالية خاويه ورياض الكتائب الخضر ذابلة ذاويه فان لم تشمروا لما بين أيديكم فى هذه البرهة فماذا تنتظرون واذا لم تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون واذا لم تستعدوا فى المهل ففى متى تستعدون لقد خسر من رضى فى الدنيا والآخرة بالدون فلا تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومن المنقول عن الملل والمشهور فى الاواخر والاول ان المعصية اذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم واظلم ما بينهم وبين ربهم وانقطعت عنهم الرحمات ووقعت فيهم المثلات والنقمات وشحت السماء وغيض الماء واستولت الاعداء وانتشر الداء وجفت الضروع واخلفت الزروع فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنه والذكرى التى توقظ من السنه ونقرع آذانكم بقوارع الالسنه فأنزعوا الشيطان

قوله بمحروسة الحمراء فى نسخة بذروتكم الحمراء اه

بوعيها

بوعيها وتقربوا الى الله تعالى برعيها . الصلاة الصلاة فلا تهملوها ووظائفها المعروفة فكملوها فهى الركن الوثيق والعلم الماثل على جادة الطريق والخاصة التى تميز بها هذا الفريق وبادروا صفوفها الماثله وأتبعوا فريضتها النافله وأشرعوا الى تاركها أسنة الانكار واغتنموا بها ناشئ الليل وبوادى الاسحار والزكاة أختها المنسوبه ولدتها المكتوبة المحسوبه فمن منعها فقد بخل على مولاه باليسير مما أولاه وما أحقه بذهاب هبة الوهاب وأولاه فاشتروا من الله تعالى كرائم أموالكم بالصدقات وأنفقوا فى سبيله يربحكم أضعاف النفقات وواسوا الكم كلما نصبت الموائد وأعيدت للترفه العوائد وارعوا حق الجوار وخذوا على أيدى الذعرة والفجار وأخرجوا الشنآن من الصدور واجعلوا صلة الارحام من عزم الامور وصونوا عن الاغتياب أفواهكم ولا تعودوا السفاهة شفاهكم وأقرضوا القرض الحسن الهكم وعلموا القرآن صبيانكم فهو أس المبنى وازرعوه فى تراب ترائبهم فعسى أن يجنى ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح وردوا السلام على من بتحية الاسلام أفصح وجاهدوا أهواءكم فهى أولى ما جاهدتم وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وثابروا على حلق العلم والتعلم وحفوا براقى التكلم وتعلموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله ويتبين أنكم أهله فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية بره وشعيره ورعاية شاته وبعيره ولا يقوم على شئ يخلص به قاعدة اعتقاده ويعده منجاة ليوم معاده والله عز وجل يقول ولقوله يرحل المتجعون أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وأنفوا من الحوادث الشنيعه والبدع التى تفت فى عضد الشريعه فقد شق علينا الملتبسة بأهل التصوف الغار ونال حملتها بل جلتها باغماضهم الصغار وتؤول المعاد والجنة والنار واذا لم يغر الرجل على دينه ودين أبيه فعلى من يغار فالانبياء الكرام وورثتهم العلماء هم أئمة الاقتداء والكواكب التى عينها الحق للاهتداء فاحذروا معاطب هذا الداء ودسائس هذه الاعداء وأهم ما صرفتم اليه الوجوه واستدفعتم به المكروه العمل بأمره جل وعلا فى الآية المتلوه والحكمة السافرة المجلوه من ارتباط الخيل واعداد القوه فمن كان ذا سعة فى رزقه فليقم لله بما استطاع من حقه وليتخذ فرسا يعمر محلته بصهيله ويقتنيه من أجل الله وفى سبيله فكم يتحمل من عيال يلتمس مرضاتهن باتخاذ الزينه ويتنافس فى أن يكون من أشراف المدينه ومؤنة الارتباط أقل وعلى الهمة والدين أدل الى ما فيه من حماية الحوزه واظهار العزه ومن لم يحسن الرمى فليتدرب وباتخاذ السلاح الى الله فليتقرب وقبل الرمى تراش السهام وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام والسكة الجارية فى حوادث نواديكم وأثمان العروض التى بأيديكم من استخف حروفها ونكر معروفها أو ساح فى قبول زيف أو مبخوس حيف فقد اتبع هواه وخان نفسه وسواه قال الله عز وجل أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه انما بعثه الله مجاهدا وبالحق قاضيا وعن الهفوات

حلوا متغاضيا فتمسكوا بحبله ولا تعدلوا عن سبله يردكم الله تعالى من سجله ويراعكم
من أجله مراعاة الرجل لنجله فهو الذي يقول وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون وان كان فى وطنكم اليوم سعه وقد ألحفكم أمن من
الله تعالى ودعه فاحسبوا انكم فى بلد محصور وبين لحى أسد هصور واكتنفكم
بحر يعبث عبابه ودار بكم سور بيد عدوكم بابه ولا يدرى متى ينتهى السلم وينشعب
الكلم فان لم تكونوا بنيانا مرصوصا وتستشعروا الصبر عموما وخصوصا أصبح الجناح
مقصوصا والرأى قد سلبته الحيره والمال والحريم قد سلبت فيه الضغانة والغيره
وان شاء الله تهب ريح الحميه ونصرة النفوس على الخيالات الوهميه فان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين والله متم نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين وكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل
الظهور مقرونا بعدد كثير ولو مثل جراد مزرعة أثارها مثير بل باخلاص لا يبقى لغير
الله اقتقارا ونفوس توسع ماسوى الحق اقتدارا ووعد بصدق وبصائر أبصارها الى
مثابة الجزاء تحدق وهذا الدين ظهر مع الغربه وشظف التربه فلم ترعه الاكاسرة
وخيولها والقياصرة وخيولها دين حنيف وعلم منيف من وجوه شطر المسجد الحرام
تولى وآيات على سبعة أحرف تتلى وزكاة من الصميم تنتقى ومعارج ترتقى وحج
وجهاد ومواسم وأعياد ليس الاتكبير شهير وأذان جهير وقوة تعد وثغور تسد
وفىء يقسم ونحر يرسم ونصيحة تهدى وأمانة تؤدى وصدقة تخفى وتبدى وصدور
تشرح وتشفى وخلق على خلق القرآن تحذى وتقفى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا العقد قد سجل والوعد به قد عجل اليوم أكملت لكم دينكم الى ديننا ولا ينقطع
لهذا الفرع عادة وصله مادام شبيها بأصله وانما هو حلب لكم زبدته الممخوضه وخلاصته
الممحوضه والعاقبة للمتقين ولتعلمن نبأه بعد حين وحضرتكم اليوم قاعدة الدين
وغاب المجاهدين وقد اخترعت بنا أيامنا هذه وأيام والدنا المقدس الآثار الكبار
والحسنات التى تنوقلت بها الاخبار وأغفلت الى زمنكم الحسنة المذخوره والمنقبة
المبروره وهى بيمارستان يقيم منكم المرضى المطرحين والضعفاء المغتربين منهم والمعترضين
فى كل حين فأنتم تطؤنهم بالاقدام على مر الايام ينظرون اليكم بالعيون الكليله
ويعربون عن الاحوال الذليله وضرورتهم غير خافيه وما أنتم بأولى منهم بالعافيه
والمجانين تكثر منهم الوقائع وتفشو منهم اماتة العهد الذائع عار تحظره الشرائع
وفى مثله تسد الذرائع وقد فضلتم أهل مصر وبغداد بالرباط الدائم والجهاد فلا أقل
من المساواة فى معنى والمنافسة فى مبنى يذهب عنكم لوم الجوار ويزيل عن وجوهكم
سمات العار ويدل على همتكم وفضل شيمتكم أهل الاقطار وكم نفقة تلفت
على الرجل فى مشروع وحرص اعتراه على ممنوع فأسرعوا النظر فى هذا المهم غير
مشروع ولولا اهتمامنا بمرتزقة دواوينكم واعدادنا مال الجباية للمجاهدين من
اخوانكم لسبقناكم الى هذه الزلفه وقمنا فى هذا العمل الصالح بتحمل الكلفه ومع

ذلك فاذا قدنا كم الى الجنة بثنائه وأسهمنا كم فى فريضة أجره وثنائه فنحن ان شاء الله
تعالى نعين له الاوقاف التى تجرى عنها المرفقه وتتصل عليه بها الصدقه تأصيلا لفخركم
واطابة فى البلاد لذكركم فليشاور أحدكم همته ودينه ويستخدم يساره فى طاعة
القصد الكريم ويمينه ونسأل الله تعالى أن يوفق كلا لهذا القصد ويعينه ومن وراء
هذه النصائح عزم ينهيها الى غايتها ويجبر الكافة على اتباع رأيها وراءيتها فأعملوا
الافكار فيما تضمنته من الفصول وتلقوا داعى الله تعالى فيها بالقبول والدنيا مزرعة
الآخره وكم معتبر للنفوس الساخره بالعظام الناخره يا أيها الناس ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وأنتم اليوم أحق الناس بقبول الموعظة
نفوسا زكيه وفهوما لا قاصرة ولا بطيه وموطن جهاد ومستسقى غمام من رحمة الله
تعالى وعهاد وبقايا السلف بالارض التى فتحوا فيها هذا الوطن وألقوا فيها العطن
فالى أين يذهب حسن الظن بأديانكم وصحة ايمانكم وتساوى اسراركم واعلانكم
اللهم انا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة المتحمله وبلغناهم نصيحتك المكمله ووعدناهم
مع الامتثال رحمتك المؤمله فيسرنا واياهم لليسرى وعرفنا الطائفة التى خفى فيها
اليسرى ولا تجعلنا ممن صم عن النداء وأصبح شماتة الاعداء فاذل من استنصر
بجنابك ولا اضل من استبصر بسنتك وكتابك ولا انقطع من توسل بأسبابك والله
سبحانه يصل لكم عوائد الصنع الجميل ويحملكم وايانا من التوفيق على أوضح سبيل
ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام)

الله الله فى الهمم فقد خمدت ريحها والله الله فى العقائد فقد خبت مصابيحها والله الله
فى الرجولية فقد فل حدها والله الله فى الغيرة فقد تعمر جدها والله الله فى الدين
فقد طمع الكفر فى تحويله والله الله فى الحريم فقد مد الى استرقاقه يد تأميله والله الله
فى الملة التى يريد اطفاء سناها وقد كل فضلها وتناهى والله الله فى الحريم والله الله
فى الدين الكريم والله الله فى القرآن والله الله فى الجيران والله الله فى الطارف
والتالد والله الله فى الوطن الذى توارثه الولد عن الوالد اليوم تستأسد النفوس المهينه
اليوم يستنصر الصبر والسكينه اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمم اليوم يسلك
سبيل العزم والحزم والشدة والشمم اليوم يرجع الى الله المصرون اليوم يفيق من نوم
الغفلة المغترون قبل أن يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب ويحيق العذاب
ويسترق الكفر الرقاب فالنساء تقى بأنفسهن أولادهن الصغار والطيور ترفرف لتحمى
الاوكار اذا أحست العيث بافراخها والاضرار تمر الايام عليكم مر السحاب وذهاب
الليالى لكم ذهاب فلا خبر يفضى الى العين ولا حديث فى الله تعالى يسمع بين اثنين
ولا كد الا زينة يحلى بها نحر وجيد ولا سعى الا متاع لا يغنى فى الشدائد ولا يفيد
وبالامس ندبتم الى التماس رحمى مسخر السحاب واستقالة كاشف العذاب وسؤال
مرسل الديمه ومحيى البشر والبهيمه وقد أمسكت عليكم رحمة السماء واغبرت

جوانبكم المخضرة احتياجا الى بلالة الماء وفي السماء رزقكم وما توعدون واليها الا كف تمدون وأبوابها بالدعاء تقصدون فلم يحصر منكم عدد معتبر ولا ظهر للانابة ولا الصدقة خبر وتتوقون من اعادة الرغبة الى الولي الحميد والغني الذي ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وايم الله لو كان لهو الا رتقبت الساعات وضاقت المتسعات وتزاحمت على انديته الجماعات أتعززا على الله وهو القوي العزيز أتلبيسا على الله وهو الذي يميز الخبيث من الطيب والشبه من الابريز أمنابذة واصرارا في يديه أغرورا بالامل والرجوع بعد اليه من يبدأ الخلق ثم يعيده من ينزل الرزق ويفيده من يرجع اليه في الملمات من يرجى في الشدائد والازمات من يوجد في المحيى والممات أفي الله شك يختلج القلوب أثم غير الله يدفع المكروه وييسر المطلوب تفضلون على الله اليه موائد الفصل وتره الجهل وطائفة منكم قد برزت الى استسقاء رحمته تمد اليه الايدي والرقاب وتستكشف بالخضوع لعظمته العقاب وتستعجل الى مواعيد اجابته الارتقاب وكانكم عن كرمه قد استغنيتم أو على الامتناع من الرجوع اليه بنيتم أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله عليه من التبلغ باليسير والاستعداد للرحيل الى دار الحق والمسير ومداومة الجوع وهجر الهجوع والعمل على الاياب الى الله تعالى والرجوع دخلت فاطمة رضي الله تعالى عنها وبيدها كسرة شعير فقال ما هذه يا فاطمة فقالت يا رسول الله خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها فقال يا فاطمة أما انه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم سبعين مرة يلتمس رحماه ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى ورمت قدماه وكان شأنه الجهاد ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربا والوهاد ومقامات رفقه تحوم على مراتبها الزهاد فاذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون واذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون واذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعتزون اليه وتنتسبون واذا لم ترغبوا في الاتصاف بصفاته غضبا لله تعالى وجهادا وتقللا من العرض الادنى وسهادا ففيم ترغبون فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب واعتبروا بمثلات من تقدم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب وتفكروا في منابرها التي يعلو عليها واعظ وخطيب ومطيل ومطيب ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعة المعمورة بأنواع الطاعة وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم وعاقب الجمهور بما أغضوا عنه عيونهم وساءت بالغفلة عن الله تعالى عقبى جميعهم وذهبت النقمات بعاصيهم ومن داهن في أمره من مطيعهم وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الاذان هذا والناس ناس والزمان زمان فما هذه الغفلة عمن اليه الرجعى واليه المصير والى متى التساهل في حقوقه وهو السميع البصير وحتى متى مد الامل في الزمن القصير والى متى نسيان اللجأ الى الولي النصير قد تداعت الصلبان متراكمة عليكم وتحركت الطواغيت من كل جهة اليكم أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم وألسنة الآيات تناديكم لم تمح سطورها ولا احتجب نورها وأنتم بقايا من فتحها من عدد قليل

وصابرة بها كل خطب جليل فوالله لو تمحض الايمان ورضى الرحمن ماظهر التدليس في هذه الجزيرة على التوحيد ولا عدم الاسلام فيها عادة التأييد لكن شمل الداء وصم النداء وعميت الابصار فكيف الاهتداء والباب مفتوح والفضل ممنوح فتعالوا نستغفر الله جميعا فهو الغفور الرحيم ونستقيل مقيل العثار فهو الرؤف الحليم ونصرف الوجوه الى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم سدت الابواب وضعفت الاسباب وانقطعت الآمال الامنك يافتاح ياوهاب يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أعدوا الخيل وارتبطوها وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها فمن خاف الموت رضى بالدنيه ولابد على كل حال من المنيه والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنيه واقتنوا السلاح والعدة وتعرفوا الى الله تعالى في الرخا يعرفكم في الشدة واستشعروا القوة بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم واستمدوا من دون أبنائكم وكونوا كالبناء المرصوص لحملات هذا العدو النازل بفنائكم وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده بلادكم واشتروا من الله جل جلاله أولادكم (ذكروا) أن امرأة احتمل السبع ولدها وشكت الى بعض الصالحين فأشار عليها بالصدقة فتصدقت برغيف فأطلق السبع ولدها وسمعت النداء ياهذه لقمة بلقمة وانا لما استودعناه لحافظون واهجروا الشهوات واستدركوا البقية من بعد الفوات وأفضلوا المساكين من الاقوات واخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات وخذوا نفوسكم بالصبر على الازمات والمواساة في المهمات وأيقظوا جفونكم من السنات واعلموا انكم رضعاء ثدى كلمة التوحيد وجيران البلد الغريب والدين الوحيد وحزب التمحيص ونفر المرام العويص فتفقدوا معاملاتكم مع الله تعالى ومهما اقيتم الصدق غالبا والقلب للمولى الكريم مراقبا وشهاب اليقين ثاقبا فثقوا بعناية الله تعالى التي لا يغلبكم معها غالب ولا ينالكم لاجلها عدو ومطالب فانكم في الستر الكثيف وكنف الخبير اللطيف ومهما رأيتم الخواطر متبدده والظنون في الله متردده والجهات التي تخاف وترجى متعدده والغفلة عن الله ملازمها متجدده وعادة دواعي الخذلان دائمه وأسواق الشهوات قائمه فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده في الامم الغافلين وانكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان الا على الظالمين والتوبة ترد الشارد الى الله تعالى والله يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو القائل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وما أقرب صلاح الاحوال مع الله تعالى اذا صحت العزائم وتوالت على حزب الشيطان الهزائم وحلت الدنيا الغريبة في العيون وصدقت فيها عند الله الظنون يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وتوبوا اسراعا الى طهارة الثوب وازالة الشوب واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب واعلموا أن سوء

الادب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ويسد طرق العوائد فلا تغطلوا بالتوبة أزمانكم ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا ايمانكم ولا تعلقوا امتثالكم بالصرائر فهو علام السرائر وانما علينا أن ننصحكم وان كنا أولى بالنصيحه ونعظكم بالموعظة الصريحه الصادرة عن علم الله تعالى عن صدق القريحه وان شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم الى الاسترجاع والاستغفار واعمالكم لدينا نفس مبذولة في جهاد الكفار وتقدم قبلكم الى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار والاختيار لله ولي الاختيار ومصرف الاقدار وها نحن نسرع في الخروج الى مدافعة هذا العدو ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد والحريم المستضعف والاولاد ونصلى من دونهم نار الجلاد ونستوهب منكم الدعاء لمن وعد باجابته فانه يقبل من صرف اليه وجه انابته اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا وعلى أعدائك ظهيرا ومن انتقام عبدة الاوثان كفيلا اللهم قوّ من ضعفت حيلته فأنت القوي المعين وانصر من لا نصير له الا أنت فاياك نعبد واياك نستعين اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الاقدام ولا تسلمنا عند لقاء عدو الاسلام فقد ألقينا اليك يد الاستسلام اللهم دافع بملائكتك المؤمنين اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وقد وردت علينا المخاطبات من اخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم بني مرين أولي الامتعاض لله تعالى والحميه والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزيه بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار والمصارخة التي تليق بالاحرار والنفرة لانتهاك ذمار يتيم المختار وحركة سلطانهم بتلك الاقطار والامصار ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار فاسألوا الله تعالى اعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار والسعي الضمين للعز والاجر والفخار والسلام الكريم يخصكم أيها الاولياء ورحمة الله وبركاته انتهى

(ومما كتبه ابن لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغني بالله تعالى والنظر اليهم بعين الشفقة ماصورته) هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحا للصدور مصلحا باعانة الله تعالى للامور ملحفا العدل والاحسان الخاصة والجمهور يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرؤه ويتدبر ما لديه ماعاهدنا الله تعالى عليه من تأمين النفوس وحقن الدماء والسير في التجافي عنها على السنن السواء ورفع التشاور عن البعيد منها والقريب والمساواة في العفو والغفران بين البريء منها والمريب وحمل من ينظر بعين العداوة في باطن الامر محمل الحبيب وترك ما يتوجه بامر المطالبات ورفض التبعات عما لا يعارض حكما شرعيا ولا يناقض سننا في الدين مرعيا فمن كان رهن تهمة أو طريد تهمة أو منبوزا في الطاعة بريبة توجب أن نريق دمه فقد سحبنا عليه ظلال الامان وألحفناه أثواب العفو والغفران ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق والاحسان حكما عاما وعفوا تاما فاشيا في جميع الطبقات منسحبا على الاصناف المختلفات

عاملنا في ذلك من يتقبل الاعمال ولا يضيع السؤال واستغفرنا عن نفسنا وعمن أخطأ
علينا من رعيتنا ممن بدأ الشرع غلطته ويقبل الحق فيأته ومن يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما لما رأينا من سر اتفاق الاهواء والضمائر وخلوص القلوب والسرائر
في هذا الوطن الذي احاط به العدو والبحر ومسه بتقدم الفتنة الضر وصلة لما أجراه الله
تعالى على أيدينا وهيأه بنا في نادينا فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة ورفع من بأس
واحنه وكشف من ظلمه وسدل من نعمه وأصفى من مورد عافيه وأولى من عصمة
كافيه بعد ما تخربت الثغور وفسدت الامور واهتضم الدين واشتد على العباد
كلب الكافرين المعتدين ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائما والشكر
واجبا ومن الله نسأل أن يتم نعمه علينا كما أتمها على أبوينا من قبل ان ربك حكيم
عليم ونحن قد شرعنا في تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعداله والدين والجلاله
للتطوف في البلاد الاندلسيه ومباشرة الامور بالبلاد النصريه ينهون الينا
ما يستطلعونه ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه ويقيدون ما تحتاج اليه الثغور
وتستوجبه المصلحة الجهادية من الامور ونحن نستعين بفضلاء رعيتنا وخيارهم
والمراقبين الله تعالى منهم في ايرادهم واصدارهم على انهاء ما يخفى عنا من ظلامة تقع
أو حادث يبتدع ومن اتخذت بجواره خمر فاشيه أو نشأت في جهته المنكر ناشيه
فمن تقلد العهده وتطوقه القلاده ووراء تنبيهنا على ما خفي عنا من الشكر لمن أهداه
والاحسان لمن أبلغه وأداه ما نرجو ثواب الله تعالى عليه والتقرب به اليه فمن أهدى
الينا شيأ من ذلك فهو شريك في أجره ومقاسم في مثوبته يوم ربح تجره وحسبنا الله ونعم
الوكيل انتهى * واذ أجرينا طرف القلم ملء عنانه فيما للسان الدين رحمه الله تعالى
من النصائح والمواعظ والوصايا وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا ما كل دون
شأوه وقصر عن أمده مديد خطوه وقد تقدم في هذا الكتاب من ذلك جملة وافره فلتراجع
في محالها المتكاثره وقد آن أن نسرد في هذا المحل الوصية التي أوصى لسان الدين رحمه
الله تعالى بها أولاده وهي وصية جامعة نافعة يحصل بها انتعاش لاشتمالها على ما لا بد
منه في المعاد والمعاش (ونصها) الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب اذا شيم نجمه
المثقوب ولا يبغته الاجل المكتوب ولا يفجؤه الفراق المعتوب ملهم الهدى
الذي تطمئن به القلوب وموضح السبيل المطلوب وجاعل النصيحة الصريحة من قسم
الوجوب لاسيما للولي المحبوب والولد المنسوب القائل في الكتاب المعجز الاسلوب
أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت
عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب والرضا عن آله وأصحابه
المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب والامل المسلوب والاقتداء الموصل
المرغوب والعز والامن من اللغوب (وبعد) فاني لما علاني المشيب بقمته وعاد لي
الكبر برمته واذكرت الشباب بعد أمته أسفت لما أضعت وندمت بعد الفطام على

مارضعت وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه وتعلق بعيني سعيه وأملت أن تتعدى
الى ثمرة استقامته وآثاره بين فوات وفي برزخ أموات ويامن العثور في الطريق التي
اقتضت عثاري ان سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثاري فقلت أخاطب الثلاثة
الولد وثمرات الخلد بعد الضراعة الى الله تعالى في توفيقهم وايضاح طريقهم وجمع
تفريقهم وأن يمن على منهم بحسن الخلف والتلافي من قبل التلف وأن يرزق خلفهم
التمسك بهدى السلف فهو ولي ذلك والهادي الى خير المسالك اعلموا هداكم الله
تعالى الذي بأنواره تهتدي الضلال وبرضاه ترفع الاغلال وبالتماس قربه يحصل
الكمال اذا ذهب المال وأخلفت الآمال وتبرأت من يمينها الشمال أني مودعكم
وان سالمني الردى ومفارقكم وان طال المدى وما عدا مما بدا فكيف وأدوات السفر
تجمع ومنادي الرحيل يسمع ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر وعجالة
مقتصر وتميمة تعقد في خنصر ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر تتكفل لكم بحسن
العواقب من بعدي وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي حسبما تضمن وعد الله من
قبل وعدي فهي اربكم الذي لا يتغير وقفه ولا ينالكم المكروه ما رف عليكم سقفه
وكأني بشبابكم قد شاخ وبراحلكم قد أناخ وبنشاطكم قد كسل واستبدل الصاب من
العسل ونصول الشيب تروع باسل لا بل السام من كل حدب قد نسل والمعاد اللحد
ولا تسل فبالامس كنتم فراخ حجر واليوم أبناء عسكر مجر وغدا شيوخ مضيعة وهجر
والقبور فاغره والنفوس من المألوفات صاغره والدنيا بأهلها ساخره والاولى تعقبها
الآخره والحازم من لم يتعظ به في أمر وقال بيدي لا بيد عمرو فاقتنوها من وصيه
ومرام في النصح قصيه وخصوا بها أولادكم اذا عقلوا ليجدوا زادها اذا انتقلوا
وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا
ولا رضي الدنيا منزلا ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ولتلقنوا تلقينا وتعلموا
علما يقينا انكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ويفترش التراب جنبي ويسح انسكابي
ويهرول عن المصلى ركابي أحرص مني على سعادة اليكم تجلب أو غاية كمال بسببكم ترتاد
وتطلب حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلالا ولا أشرف محلا ولا أغبط نهلا
وعلا وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا الى قولي الآذان وتستلمحوا صبح نصحي
فقد بان وسأعيد عليكم وصية لقمان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس
ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من
صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير وأعيد وصية خليل الله واسرائيله حكم ما تضمنه
حكم تنزيله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والدين الذي
ارتضاه واصطفاه وأكمله ووفاه وقرره مصطفاه من قبل أن يتوفاه اذا أعمل فيه
انتقاد فهو عمل واعتقاد وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أو نقل محرر والعقل

متقدم. وبناؤه مع رفض أخيه متهدم فالله واحد أحد فرد صمد ليس له والد ولا ولد
تنزه عن الزمان والمكان وسبق وجوده وجود الاكوان خالق الخلق وما يعملون
الذى لا يسأل عن شىء وهم يسألون الحى العليم المدبر المقدر ليس كمثله شىء وهو السميع
البصير أرسل الرسل رحمة لتدعوا الناس الى النجاة من الشقاء وتوجه الحجة فى مصيرهم
الى دار البقاء مؤيدة بالمعجزات التى لا تتصف أنوارها بالاختفاء ولا يجوز على تواترها
دعوى الانتفاء ثم ختم ديوانهم بنبى ملتنا المرعية الهمل الشاهدة على الملل فتلخصت
الطاعه وتعينت الامرة المطاعه ولم يبق بعده الا ارتقاب الساعه ثم ان الله تعالى
قبضه اذ كان بشرا وترك دينه يضم من الامة نشرا فمن تبعه لحق به ومن تركه نوط عنه
فى منسبه وكانت نجاته على قدر سببه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى فعضوا عليهما بالنواجذ فاعملوا
يا بنى بوصية من ناصح جاهد ومشفق شفقة والد واستشعروا حبه الذى توفرت
دواعيه وعوامر اشد هديه فبا فوز واعيه وصلوا السبب بسببه وآمنوا بكل ما جاء به
مجملا أو مفصلا على حسبه وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته
واجعلوا محبتكم اياهم من توابع محبته واشملوهم بالتوقير وفضلوا منهم أولى الفضل
الشهير وتبرؤا من العصبية التى لم يدعكم اليها داع ولا تتبع التشاجر بينهم أذن واع
فهو عنوان السداد وعلامة سلامة الاعتقاد ثم استصحبوا فصل تعظيمهم على فقهاء الملة
وائمتها الجلة فهم صقلة نصولهم وفروع ناشئة من أصولهم وورثتهم وورثة رسولهم
واعلموا انى قطعت فى البحث زمانى وجعلت النظر شانى منذ برانى الله تعالى وأنشانى
مع نبل يعترف به الشانى وادراك يسلمه العقل الانسانى فلم أجد خابط ورق ولا مصيب
عرق ولا نازع خطام ولا متكاف فطام ولا مقتحم بحر طام الا وغايته التى يقصدها قد
رضلتها الشريعة وسبقتها وفرعت ثنيتها وارتقتها فعليكم بالتزام جادتها السابلة
ومصاحبة رفقتها الكاملة والاهتداء باقمارها غير الآفلة والله تعالى يقول وهو أصدق
القائلين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين
وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعه فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين وابذلوا دونه
النفوس فعل المهتدين فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ولا يضر مفقود
مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الاولاد عن
الوالدين اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء
الخلود وتستدعى شوه الوجوه ونضج الجلود واستعيذوا برضا الله من سخطه واربؤا
بنفوسكم عن غمطه وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم
ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم واقنعوا منه بما تيسر ولا تأسوا على
مافات وتعذر فانما هى دجنة ينسخها الصباح وصفقة يتعاقبها الخسار والرباح
ودونكم عقيدة الايمان فشدوا بالنواجذ عليها وكفكفوا الشبه أن تدنوا اليها
واعلموا أن الاخلال بشىء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل وكل ما سوى الراعى همل وما بعد

الرأس فى صلاح الجسم أمل وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوه واجعلوا عمله على
حمل التكليف علاوه وتفكروا فى آياته ومعانيه وامتثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوه
ولا تغلوا فيه وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه وأكثروا من بواعث حبه
وصونوا شعائر الله صون المحترم واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الاسلام حتى
لا ينخرم الله الله فى الصلاة ذريعة النجاه وخاصة الملة وحاقنة الدم وغنى المستأجر
المستخدم وأم العباده وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهاده والناهية عن
الفحشاء والمنكر وان عرض الشيطان عرضهما ووطأ للنفس الامارة سماءهما وأرضهما
والوسيلة الى بل الجوانح ببرود الذكر وايصال تحفة الله الى مريض الفكر وضامنة
حسن العشرة من الجار وداعية للمسالمة من الفجار والواسمة بسمة السلامه والشاهدة
للعبد برفع الملامه وقاسول الطبع اذا شانه طبع والخير الذى كل ما سواه له تبع
فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء واعاده فالخير عاده ولا تفضلوا عليها الاشغال
البدنيه وتؤثروا على العلية الدنيه فان أوقاتها المعينة بالانفلات تبس والفلك بها
من أجلكم لا يحبس واذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الاصيل والحكم الذى
لا يغيره الغدو ولا الاصيل والوظائف بعد أدائها لا تفوت وأين حق من يموت من حق
الحى الذى لا يموت وأحكموا أوضاعها اذا أقمتموها وأتبعوها النوافل ما أطقتموها
فبالاتقان تفاضلت الاعمال وبالمراعاة استحقت الكمال ولا شكر مع الاهمال
ولا ربح مع اضاعة رأس المال وذلك أحرى باقامة الفرض وأدعى الى مساعدة البعض
البعض والطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصل وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها
والاعضاء نظفوها ومياهها بغير أوصافها الجيدة فلا تصفوها والجول والغرر
فأطيلوها والنيات فى كل ذلك فلا تهملوها فالبناء بأساسه والسيف بمراسه واعلموا
أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور وذكر مجهور وغير مجهور تستغرق الاوقات
وتنازع شتى الخواطر المفترقات فلا يضبطها الا من ضبط نفسه بعقال واستعاض
صدأه بصقال وان تراخى قهقر الباع وسرقته الطباع وكان لما سواها أضيع فشمل
الضياع والزكاة أختها الحبيبه ولدتها القريبه مفتاح السعادة بالعرض الزائل
وشكران المسئول على الضد من درجة السائل وحق الله تعالى فى مال من أغناه
لمن أجهده فى المعاش وعناه من غير استحقاق ملء يده واخلاء يد أخيه ولا علة الا القدر
الذى يخفيه وما لم يبذله حظ الله تعالى فلا خير فيه فاسمحوا بتفريقها للحاضر لاخراجها
فى اختيار عرضها وتتاجها واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل
وخالفوا الشيطان كلما عذل واذكروا خروجكم الى الوجود لا تملكون ولا تدرون
أين تسلكون فوهب وأقدر وأورد بفضله وأصدر ليرتب بكرمه الوسائل أو يقيم
الحجج والدلائل فابتغوا اليه الوسيلة بماله واغتنموا رضاه ببعض نواله وصيام
رمضان عبادة السر المقربة الى الله زلفى المفوضة لمن يعلم السر وأخفى مؤكدة
بصيام الجوارح عن الآثام والقيام ببر القيام والاجتهاد وايثار السهاد على المهاد

وان

وان وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعيه ولواحقه الشرعيه فبذلك تحسن الوجوه
وتحصل من الرقة على ماترجوه وتذهب قسوة الطباع وتمتد فى ميدان الوسائل الباع
والحج مع الاستطاعة الركن الواجب والفرض على العين لايحجبه الحاجب وقد بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنه وقال ليس له جزاء عند الله
الا الجنه ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى ان كانت لكم قوة عليه وغنى
لديه فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه وان عجزتم فأعينوا من يستطيعه هذه عمد
الاسلام وفروضه ونقود مهره وعروضه فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من
يناويكم ظاهرين وتلقوا الله لامبدلين ولامغيرين ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع
الخاسرين واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الالقاب وتجلى محاسنها من بعد
الانتقاب فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدى السامع فالعلم مفتاح هذا الباب
والموصل الى اللباب والله عز وجل يقول قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون
انما يتذكر أولوا الالباب والعلم وسيلة النفوس الشريفه الى المطالب المنيفه وشرطه
الخشية لله تعالى والخيفه وخاصة الملا الاعلى وصفة الله فى كتبه التى تتلى والسبيل
فى الآخرة الى السعاده وفى الدنيا الى الحلة عاده والذخر الذى قليله يشفع وكثيره
ينفع لايغلبه الغاصب ولايسلبه العدو المناصب ولايبتزه الدهر اذا نال ولايستأثر
به البحر اذا هال من لم يتله فهو ذليل وان كثرت آماله وقليل وان جم ماله وان كان
رقته قد فات اكتسابكم وتخطى حسابكم فالتمسوه لبنيكم واستدركوا منه ماخرج
عن أيديكم واحملوهم على جمعه ودرسه واجعلوا طلباءهم ثرى لغرسه واستسهلوا
ماينالهم من تعب من جرائه وسهر يهجر له الجفن كراه تعقدوا لهم ولاية عز لاتعزل
وتحلوهم مثابة رفعة لايحط فارعها ولايستنزل واختاروا فى العلوم التى يتعقبها
الوقت فلا ينساله فى غيره المقت وخير العلوم علوم الشريعه وماتجم بمنابتها المريعه
من علوم لسان لاتستغرق الاعمار فصولها ولايضايق ثمرات المعاد حصولها فانما
هى آلات لغير وأسباب الى خير منها وخير فمن كان قابلا للازدياد وأبى فهمه ذا
انقياد فليخص تجويد القرآن بتقديمه ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ثم
الشروع فى أصول الفقه فهو العلم العظيم المنه المهدى كنوز الكتاب والسنه ثم المسائل
المنقولة عن العلماء الجله والتدرب فى طرق النظر وتصحيح الادله وهذه هى الغاية
القصوى فى المله ومن قصر ادراكه عن هذا المرمى وتقاعد عن التى هى اسمى
فليروا الحديث بعد تجويد الكتاب واحكامه وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب امامه
واياكم والعلوم القديمه والفنون المهجورة الذميمه فأكثرها لايفيد الا تشكيكا ورأيا
ركيكا ولايثمر فى العاجلة الا اقتحام العيون وتطريق الظنون وتطويق الاحتقار
وسمة الصغار وخمول الاقدار والخسف من بعد الابدار وحاذة الشريعة اعرق فى
الاعتدال وأوفق من قطع العمر فى الجدال هذا ابن رشد قاضى المصر ومفتيه
وملتمس الرشد ومولبه عادت عليه بالسخطة الشنيعه وهو امام الشريعه فلا سبيل

قوله واختاروا الخ هكذا فى الاصل ولاتخفى سقامته فلعل أصله هكذا واختاروا من العلوم مايتفق به الوقت ولا يفضى فى غيره الى المقت والضمير فى غيره عائد الى الوقت ويمكن الاصلاح بغير ذلك فليتأمل اه مصححه

الى اقتحامها والتورط فى ازدحامها ولاتخلطوا جامكم بجامها الا ما كان من حساب ومساحه وما يعود بجدوى فلاحه وعلاج يرجع على النفس والجسم براحه وماسوى ذلك فمهجور وضرم مسجور وممقوت مهجور وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا وانهوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقا واجتنبوا ماتنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ولا تقربوا من الفتنة جمرا ولا تداخلوا فى الخلاف زيدا ولا عمرا وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين وأكرم منسوب الى مذهبه ومن أكثر من شئ عرف به واياكم والكذب فهو العورة التى لاتوارى والسوأة التى لا يرتاب فى عارها ولا يتمارى وأقل عقوبات الكذاب بين يدى ما أعد الله له من العذاب أن لا يقبل صدقه اذا صدق ولا يعول عليه ان كان بالحق نطق وعليكم بالامانة فالخيانة لوم وفى وجه الديانة كلوم ومن الشريعة التى لا يعذر بجهلها أداء الامانات الى أهلها وحافظوا على الحشمة والصيانه ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانه ولا توجدوا للغدر قبولا ولا تقروا عليه طبعا مجبولا وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ولا تذهبوا الغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن ولا تبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أووزن والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالاشارة أو الكلام أو ما يرجع الى وظيفة الاقلام واعلموا أن الانسان فى فسحة ممتده وسبيل الله تعالى غير منسده مالم ينبذ الى الله تعالى باماته ويمس الدم الحرام بيده أو لسانه قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سننا قويما وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه وامتد فى سبيل السعادة باعه لولم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ولا عدم اقناعه ومن غلبت غرائزه جهله فلينظر هل يحب أن يزنى باهله والله قد أعد للزانى عذابا وبيلا وقال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا والخمر أم الكبائر ومفتاح الجرائم والجرائر واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا العقولهم بالفساد ولا لنفوسهم بالمضرة فى مرضاة الاجساد والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد وقرنها بالانصاب والازلام فى مباينة السداد ولا تقربوا الربا فانه من مناهى الدين والله تعالى يقول وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين وقال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فى الكتاب المبين ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ولا يكل خياره الا للثقة من خدمه ولا تلجأوا الى المتشابه الا عند عدمه فهو فى السلوك الى الله تعالى أصل مشروط والمحافظ عليه مغبوط اياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان مجاهر الله تعالى بصريح العصيان والظلم ظلمات

يوم

يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسان والنميمة فساد وشتات لا يبقى عليه مئات وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات واطرحوا الحسد فحاسد مسود وإياكم والغيبة فباب الخير عنها مسدود والبخل فما روى البخيل وهو مودود وإياكم وما يعتذر منه فواقع الخزي لا تستقال عثراتها ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات ورقوا على ذوي الزمانات والعاهات وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات وعولوا عليه وحده في الشدائد واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد وتقربوا إليه باليسير من ماله واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله وارعوا حقوق الجار واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار وتعاهدوا أولي الأرحام والوشائج البادية الالتحام واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهور وتفسد السر والجهر والرشا فإنها تحط الأقدار وتستدعي المذلة والصغار ولا تسامحوا في لعبة قمر ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر وصونوا المواعيد من الإخلاف والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ولا تلهجوا بالآمال العجاف ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف واجعلوا العمر بين معاش ومعاد وخصوصية واتعاد واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد وأن الخلق بين زرع وحصاد وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم وقابلوا بالصبر أذاية المؤذين ولا تعارضوا مقالات الظالمين فالله لمن بغي عليه خير الناصرين ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت فكل منقرض حقير وكل منقض وإن طال قصير وانتظروا الفرج وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج وأوسعوا بالرجاء الجوانح واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء وألجأوا إليه في البأساء والضراء وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ويعذب الوارد وأسهموا منها للمساكين وأفضلوا عليهم وعينوا الحظوظ منها لديهم ففي الآثار يا عائشة أحسني جوار نعم الله فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها وتلفكم الجهالة بسكرها وتتوهموا أن سعيكم جلبها وجدكم حلبها فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ولا تذهبوا بذهابه زينكم وليلتزم كل منكم لأخيه ما يشتد به تواخيه بما أمكنه من إخلاص وبر ومراعاة في علانية وسر وللإنسان مزية لا تجهل وحق لا يهمل وأظهروا التعاضد والتناصر وصلوا التعاهد والتزاور ترغموا بذلك الأعداء وتستكثروا الأوداء ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفه ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفه واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه وإذا برز قبيح فاستروه وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه والله الله لا تنسوا مقارضة سجلي وبروا أهل ودي

من أجلي ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذى لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه أجمع فى العقار فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار وساعيا لنفسه ان تغلب العدو على بلده فى الافتضاح والافتقار ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال فى الطلب أولى وازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ونفعها لا يقوم بضرها وأعقاب من تقدم شاهده والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال والتقلل من المال وليحذر معاداة الرجال ومزلات الادلال وفساد الخيال ومداخلة العيال وافشاء السر وذكر الاغترار فانه دأب الغر وليصن الديانه ويؤثر الصمت ويلازم الامانه ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما الى الحق وليقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الاغصان واياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا واستظهارا على المطلوب وغلابا فذلك ضرر بالمروآت والاقدار داع الى الفضيحة والعار ومن امتحن بها منكم اختيارا أو جبر عليها اكراها وايثارا فليتلق وظائفها بسعة صدره ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره فالولايات فتنة ومحنه وأسر واحنه وهى بين اخطاء سعاده واخلال بعباده وتوقع عزل وادالة بازاء بيع جد بهزل ومزلة قدم واستتباع ندم ومآل العمر كله موت ومعاد واقتراب من الله وابتعاد جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها وتجارتى التى لربحكم أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها والاهتداء بضوء صبحها وبقدر ما أمضيتم من فروعها واستغشيتم من دروعها اقتنيتم من المناقب الفاخره وحصلتم على سعادة الدنيا والآخره وبقدر ما أضعتم لا ليها النفيسة القيم استكثرتم من بواعث الندم ومهما سئمتم اطالتها واستغزرتم مقالتها فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب وضابط هذا الباب كان الله خليفتى عليكم فى كل حال فالدنيا مناخ ارتحال وتأميل الاقامة فرض محال فالموعد للالتقاء دار البقاء جعل الله من وراء خطته النجاه ونفق بضائعها المزجاه بلطائفه المرتجاه والسلام عليكم من حبيبكم المودع والله سبحانه يلئمه حيث شاء من شمل متصدع والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته

انتهت الوصية الفريدة فى حسنها الغريبة فى فنها البالغة نفوس الناظرين فيها فوق ظنها ولاجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الامام قاضى القضاة العلامة سيدى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الامام عالم المالكية صاحب التآليف العديدة كالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب وهو فى ست مجلدات لكان كافيا وله مصنفات كثيرة غيره أكثرها فى مذهب مالك ولم يؤلف فى المذهب مثلها (رجع) الى ما كنا فيه (أقول) لم تزل عادة الاكابر من العلماء والملوك الوصية لاولادهم وعمالهم باقتفاء النهج الذى يرون فيه السلوك • وقد وقفت للنبه

٢ قوله ولاجل ذلك كان الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ان فيه سقطا وأصل العبارة هكذا ولاجل ذلك كان يحض الناس عليها ويحثهم على العمل بمقتضاها شيخ شيوخنا الخ ٢ وكذلك قوله فيما بعد لكان كافيا فانه جواب لا شرط له ولعل الشرط الساقط هكذا لو لم يكن له غير هذا الكتاب لكان الخ أخذا من المقام وليحرر اه مصححه

الكاتب أبي عبد الله محمد بن الجيان المرسي الاندلسي رحمه الله تعالى على وصية ضمن
رسالة كتبها عن ابن هود ملك الاندلس الى أخيه اشتملت على مالا بد منه فرأيت أن أذكرها
هنا تتميما للفائدة (ونصها) بعد الصدر من مجاهد الدين وسيف أمير المؤمنين عبد الله
المتوكل عليه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود أيده الله تعالى بنصره وأمده بتمكينه
وأعانه على ما ينويه من احياء معالم دينه الى صنونا المبارك وقسيمنا المخصوص بتفضلنا
وتكريمنا وحسامنا المنتضى المرتضى لامضاء عزمنا وتصميمنا الامير الاعلى الموقر
الاسمى الميمون النقيبة المحمود السجيه الاحب النبيه الاعز علينا المتمم مساعيه الصالحة
كل ما نوينا أدام الله تعالى تظفيره واسعاده وأمضى في الحق قواضبه وصعاده
ووالى معونته وانجاده ووالى توفيقه وارشاده سلام طيب كريم يزاحمكم ورحمة الله
تعالى وبركاته (أما بعد) فالحمد لله الذي أوضح للحق سبيلا ومد ظل رحمته على الخلق
ظليلا وجعل العدل بحفظ نظام الاسلام كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا
ونصب معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا وألهم الى ما يرضاه عملا ومعتقدا وقيلا
وصلواته الطيبه وبركاته الصيبه على سيد العالمين وخاتم النبيين محمد رسوله الذي فضله
بخلته واصطفائه تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحة فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتبها
كما أمره ربه اباحة وندبا وتحريما وتحليلا حتى ثبتت سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا
ولن تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وصحبه الذين فهموا ما جاءهم به عليه الصلاة والسلام
نصا وتأويلا وأبقوا من سيرهم الفاضله وأحكامهم العادله أساسا للمتقين جليلا
ومأثرا للمقتفين تسبح الافهام والاقلام في بحارها سبحا طويلا وأمضوا عزائمهم
تنسخ بالحق باطلا وبالهدى تضليلا ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته وسامل
أمانته الى خليقته الذي كمل الله تعالى له موجبات الامامة تكميلا وأناله من هدى
النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا سيدنا ومولانا الامام المنتصر بالله تعالى أبي جعفر
المنصور أمير المؤمنين المتبوئ من ساحة الشرف والجلالة محلا شريفا جليلا والمنتخب
من جرثومة بيت الرسالة الذي وجد الوحي عنده معرسا ومقيلا والدعاء له من لدن
العزيز القوي بنصر يأتي لامداده بعدد الملائكة قبيلا وفتح يولي الآمال من الظهور
بغيته وتأميلا كتبناه الكم كتب الله تعالى لكم عزما لا يزال عضبه صقيلا وعزا يروق
باظهار الحق غرة وتحجيلا ورأيا للقداح السداد والنجاح مجيلا وسعدا يوصل الى الاسعاد
برضاه توصيلا من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ونحن نحمد اليكم الله الذي لا اله الا
هو على فضله الذي أناله جسيما جزيلا ونتوكل عليه توكل من يلجأ في كل أحواله اليه
وكفى بالله وكيلا ونستعينه على أمور المسلمين التي حملنا منها امانة كبيرة وعبأ ثقيلا ونقف
بالضراعة بين يديه طلبا لما يخلصنا لديه عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا وتوسيلا ونعوذ
به من كل عمل لا يكون حاصله الا ما كان وبيلا وعرضا من الدنيا قريبا ومتاعا قليلا
أنا والله المرشد لنعلم أن هذا الامر الذي قلدناه الله تعالى منه ما قلده وأسنده الينا من
أمور خلقه فيما أسنده قد ألزمنا من حقوقه الواجبه وفروضه الراتبه ما لا يستطاع

الا بمعونته أداؤه ولا يستتب الا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتداؤه فهو المشكور عز وجهه على نعمته والمستعان على ما يدني من رضاه ويقرب من رحمته وأن كل امرئ بشأنه مشغول وعن خويصة نفسه مسؤل ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون وعن الكبير والصغير مسؤلون وعلينا النصيحة لله في عباده وبلاده والنظر لهم بمنتهى جهد المجتهد واجتهاده ولا قوة الا بالله عليه توكلنا وبه اليه توسلنا فعيننا تسهر لتنام الرعية عيونهم وتحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم وآمالنا أن لا نقرفهم بحول الله تعالى ظلما ولا هضما ولا نخرم لهم في اقامة حقوق الله ما استطعنا نظما وأنى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيته من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم في بريته ولعل الله الذي حملنا ما حملنا واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا أن يهب لنا توفيقه ويسلك بنا الى هداه طريقه الا وان من وليناه أمرا من امور المسلمين فهو مطلوب به وموقوف عليه عند ربه فلينظر امرؤ في جزئية ما نيط به وكليته وليراقب فيما لديه عالم خفيته وجليته الا وكلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فمن حفظ الله حفظه الله في نفسه وماله وقضى له بالسعادة في حاله ومآله وأنجاه يوم عرضه وسؤاله والخلق عيال الله فأحبهم اليه أحبهم لعياله العدل العدل فبه قامت السموات والارض وباقامته أقيمت السنة والفرض اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقوى ما تشتد به أركان الدين وتقوى أما ان الحق في أن لا تتعدى أساليب الشرع وقوانينه وأن لا يتجاوز في قضية من القضايا انفصاحه وتبيينه وأن يجازي بحكمه المسيؤن والمحسنون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون الا وانا قد عثرنا لبعض قواد الجهادية وحكامها على أمور أنكرنا معرفاتها واستقبحنا مستوصفاتها وبرئنا الى الله تعالى من متغيراتها ومحرفاتها وعلمنا أن منهم أقواما لا يتورعون عن الاموال والدماء ولا يحذرون فيما يأتون ويذرون جبار الارض والسماء فأزلنا بحمد الله ذلك ونحوه وجعلنا ابتغاء رضاه محقه ومحوه وانبعثنا النظر جديد واستئناف لاصلاح أحوال وتسديد وتغليظ في المحرمات وتشديد واستقبلنا ما يوسع الامور ربطا وضبطا ويفيض على الامة بعون الله تعالى عدلا وقسطا وتعين علينا فيما رأيناه انفاذ الخطاب الى كل من استكفيناه بالبلاد ووليناه النظر عنا في مصالح العباد بما يكون ان شاء الله تعالى الاعتماد على فصوله والاستناد الى محصوله والاجتهاد بحسب فروعه واصوله فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله في كل حال ومراقبة اوامره ونواهيه عند كل انتهاء وانتحال والوقوف عند حدود الله التي حدها وارصدها بازاء موجباته وعدها فانه لا يتعداها الا من رام تعفي رسمها وطمسه ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والمحافظة على ما به تحفظ الشريعه والملاحظة لما يضم الرعايا من حوزة أولى الحياطة المنيعه والمثابرة على ما تكف به أكف الاعتداء والمبادرة الى الاهتمام بالسلف الصالح والاقتداء والطريقة المثلى وآيات الله التي تتلى وهداياته التي لابصار البصائر تجلى وخفض الجناح والاخذ بالرفق والانجاح وتوخي الحق الذي هو أوضح انبلاجا من فلق الاصباح والحلم والاناة والمذاهب المستحسنات والامور

البينات والله الله في الدماء فانها اول ما يقضي بين الناس يوم القيامة فيها ولا سبيل
لاستحلالها الا بعد ثلاث كفر بعد ايمان أو زنى بعد احصان أو قتل المسلم لاخيه وقد
قال مالك الامر والخلق ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فتثبتوا فيها فأمرها
جليل وتحريمها لا يدخله تحليل واياكم أن تجعلوا فيها الاحد من ولاة الجهاد حكما
أو نظرا أو تكلوا اليهم منها مستكثرا أو مستنزرا فانه اذا استبد بالقضاء فيها كل
وال ذهبت هدرا واستباحها الجاهل والجائر أشرا وبطرا وربما كان فيهم من في طباعه
سبعية فيقتل بها الناس قتلا ذريعا ويستسهل من ذلك بجوره صعبا ويرتكب بجهله شنيعا
ويذهل عن قول الله تعالى من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس
جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فأنى تحل المسامحة في هذا الشان أو يحكم
به كل انسان في نفوس أهل الايمان معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه أو ينصرف اليه
نظرنا فلا نزيله ولا نصرفه فسدوا هذا الباب سدا وصدوا عنه من أمه صدا وكفوا
كل ما كان من الايدي للدماء ممتدا ومن وجب عليه القتل شرعا وتعين واتضح موجب
القصاص فيه وتبين فليس لكم الا القاعدة الكبرى تجري فيها الاحكام عليه بحضر
القاضي والشهود كما يجب أن تجري بعد أن يتثبت في نازلته ويستحل ويستبرا فلا تحل
القضية الاعلى بصيره وحقيقة مستنيره فقد يلوح في اليوم ما خفي بالامس ويتعذر
بعد الافادة اعادة النفس وملاك الامر في انتقاء من يتصرف وتولية من لا يضيم
ولا يحيف فتخيروا للانظار والجهات من ترتضي سيرته من الولاة ولا تستعملوا أهل
الفظاظة والجهالة والمصرين على الراحة والبطالة فانهم اذا استرعوا أضاعوا واذا
دعاهم شيطان الهوى أطاعوا واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا وميلوا
باختياركم الى المتسمين بالصلاح المرتسمين في ديوان الكفاة النصاح وأطيلوا مع ذلك
التنقير عنهم والتنقيب ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب ومن عثرتم له
على منكر من استباحة دم أو مال واضاعة للحقوق واهمال فخذوا على يده وجازوه
بفاسد مقصده وأنزلوه بالمنزل الاقصى وعاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما
استوصى واصرفوا أنظاركم الى القضاة فان مدار الشريعة انما هو على ما يستند اليهم
ويقصر من الاحكام عليهم فاذا كانوا من أهل العلم والديانه وذوي النزاهة والصيانه
أمسكهم الورع بزمامه وبلغ العهد بهم غاية تمامه واذا كانوا بضد هذا قبلوا الرشوه
وأوطأوا العثرة وأطالوا النبوه وأحلوا من الدماء والفروج محرمها وطمسوا من
السنة بالميل والمين معلمها وحكموا بالهوادة والهوى وطووا من الحق ما انتشر ونشروا
من الباطل ما انطوى فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء وشرارهم وجاهلهم أحق بالاتقاء
ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا
وعلمهم بالمسائل ومما نؤكد عليهم فيه أمر الشهود فان شهادة الزور هي الداء العضال
والظلمة التي تستتر بها الظلمة والضلال والحجة الداحضة التي بها يحلل الحرام ويحرم الحلال
وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسده ونفقت بهم سوق الاباطيل الكاسده

فتقدموا الى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا الا مشهورا بزكاء وعدل . موقف خطة من رجاحة وعقل . ومن كان مغموزا عليه في أحواله منبوزا بالاسترابة في شهادة وأقواله فلترد شهادته على أدراجها . وليبطل ما يكون من حجاجها وأكدوا عليهم عند تعارض العقود في الترجيح والنظر في التعديل والتجريح لتجرى امور المسلمين على سنن الحق المستبين وتبدو المعدلة مشرقة الغرة مؤتلقة الجبين ومما نأمركم به ان تبحثوا عن العمال ولا تولوا منهم الا الحسن الطريقة المرضى الاعمال ومن لم يكن منهم جاريا على القوانين المرعيه ناصحا لبيت المال رفيقا بالرعيه وكان في أمانته حائدا عن الجادة السويه قائلا كما قال قبله ابن اللتبيه فليعوض منه غيره وليرفع عن الجانبين ضيره فانه ما كانت الخيانة قط في شئ الا أهلكته ولا وضعت في انسان طبيعة سوء الا املكته وانما هو مال الله تعالى الذى يرزق منه الحماة وبه تسد الثغور المهمات فينبغي أن يختار له محتاطا في اقتضائه وقبضه حافظا بشروط مروءته في كله وبعضه فخذوا في انتقاء هذه الاصناف المسمين واطلبوا بهذه الاوصاف المصرفين والوالين واجمعوا من الاجتهاد الجد والقصد والاعتماد الاثر والعين وأنصفوا منهم ان تظلم من أحدهم متظلم واشفوا شكوى كل متشك وألم كل متألم واعلموا أن حرمة الاموال بحرمة الدماء لاحقة وان احدى القضيتين للاخرى مساوية ولاحقه ومن أكبر ما ورد في ذلك وأعظمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وليكن الناس في الحق سواء لا محاباة ولا مفاضله ولا مجاورة في تغليب قوى على ضعيف ولا محاوله ان هذه أمتكم امة واحده وان دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى لشاهده ولا يؤخذن أحد بجريرة أحد ولا يجن ولد على والد ولا والد على ولد فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى لقول الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر أخرى اللهم الا من آوى محدثا فانه مأخوذ بما أجرم وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفعوا أعاننا الله تعالى واياكم للعدل بكل علم منارا واتخذوا الرفق بالامامة شعارا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرفق لا يكون في شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وقد نص الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ونبها على منازع المقاربة والسداد فلا غضب لامر الا بما غضب له الله عز وجل ولا رضا به الا اذا استقر فيه رضا الله تعالى وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل عبدى لم جلدت فوق ما أمرتك به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدى لم قصرت عما أمرتك به فيقول رب رحمته فيقول أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي قال فيأمر فيهما بشئ قد ذكره لم يحفظه الراوى الا انه قال صيروهما الى النار أعاذنا الله تعالى منها بفضله ورحمته فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع ويحفظ الاصل من هذه الوصايا والفرع واحتاطوا في الرعية فانه رأس المال والامانة التى لا ينبغي أن يكون فيها شئ من الاهمال ومع توفيقكم لما سطرناه في هذا الكتاب وشرحناه من أبواب الخير المسعد في المآب والمآل

فاستوفوا

فاستوفوا ضروب الصالحات واستقصوها واعملوا أعمال البر وخصوها واذكروا آلاء الله وقصوها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واشتدوا فى تغيير المنكرات كلها واحسموا أدواءها من أصلها ورغبوا الناس فى الطاعات واندبوهم اليها وحضوا لهم أعمالهم وحرضوهم عليها وانتهوا فى كل سعى ناجح ورأى راجح الى أفضل ما ينتهى اليه المتنصحون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وخذوا بعمارة مساجد الله التى هى بيوت الاتقياء ومحل مناجاة ذى العظمة والكبرياء انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فان تعليمه للصغار يطفئ غضب الرب ونعم الشفيع هو يوم القيامة واتتوسلوا فيما يتوج القارئ وأباه تاج الكرامه وأرشدوا للخير ما استطعتم واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم والله ولى التوفيق والارشاد والملى بالهداية الى طريق الفوز والسداد وهذه أوامرنا اليكم امتثالنا أمر الله تعالى فامتثلوها واحضروها فى خواطركم مع كل لحظة ومثلوها وانا لما يكون منكم فيها المستمعون ولآثاركم فيها بوفيها لمتطلعون وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمتنا فى التذكير ونهجنا لكم منها التقديم والتأخير والله تعالى يعلم أنا انما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الخطر والايجاب لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا ونسعى فى صلاح الامة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا اللهم عبدك يضرع اليك ويخضع بين يديك فى أن تلهمه الى ما يجمل قصدا ومعتقدا وتهب له من لدنك رحمة وتهيئ له من أمره رشدا اللهم منك المعونة على ما وليت ولك الشكر على ما أوليت فالمهدى من هديت والخير كله فيما قضيت اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا انك الولى النصير العلى الكبير واذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه على الناس مفصلا ومجملا وأظهروا مضمونه لهم قولا وعملا واسلكوا بهم من مراشده سننا مستجملا ان شاء الله تعالى والله سبحانه يديم علاكم ويصل اعادتكم فى كل مجد وابداكم ويجزل حظوظكم من السعادة وأنصباكم بمنه وكرمه لا رب سواه والسلام الاكرم الازكى يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب فى الرابع والعشرين لجمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وستمائة انتهى * وهذا ابن الجيان له الباع المديد فى النظم والنثر ومن شعره رحمه الله تعالى فى مرضه الذى توفى فيه وهو آخر كلامه

جهل الطبيب شكايتى وشكايتى * ان الطبيب هو الذى هو ممرضى
فان ارتضى برئى تدارك فضله * وان ارتضى سقمى رضيت بما رضى
مالى اعتراض فى الذى يقضى به * لكن لرحمته جعلت تعرضى

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملغزا فى بطيخة

وحبلى بابناء لها قد تمخضوا * بأحشائها من بعد ما ولدوها
كسوها غداة الطلق بردا معصفرا * على يقق أزرارها عقدوها

ولما رأوها قد تكامل حسنها • وأبدر منها طالع حسدوها
أقدوا قميص البدر بالبرق واجتلوا • أهلتها من بعد ما فقدوها
ولو أنصفوا ما أنصفوا بدر تمها • ولا أعدموا الحسناء اذ وجدوها

وقال أيضا ملغزا في الميل وهو المرود

مسترخص السوم غال • عال له أي حظوه
ما جاوز الشبر قدرا • لكنه ألف خطوه

وهذا استخدام ما به باس لانه اكتفى من الحسن خبرا باس وكم لهذا الكاتب من محاسن ماؤها غير آسن وقد عرّف لسان الدين في الاحاطة بابن الجيان وأطال في ترجمته ونشير الى بعض ذلك باختصار وهو محمد بن محمد بن أحمد الانصاري من أهل مرسية أبو عبد الله ابن الجيان كان محدثا راوية ضابطا كاتبا بليغا شاعرا بارعا رائق الخط دينا فاضلا خيرا زكيا استكتبه بعض أمراء الاندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه ثم خلصه الله تعالى منه وكان من أعاجيب الزمان في افراط القماءة حتى يظن رائيه الذي يستدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها متناسب الخلقة لطيف الشمائل وقورا خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة ٦٤٠ فاستقر باريولة الى أن دعاه الى سبتة الرئيس أبو علي بن خلاص فوفد عليه فأجل وفادته وأجزل افادته وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه الى افريقية فاستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته وروى ببلده وغيره عن أبي بكر بن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع بن سالم وأبي عيسى ابن أبي السداد وأبي علي الشلوبين وغيرهم وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ونظم في المواعظ للمذكرين كثيرا انتهى مختصرا والا فترجمته في الاحاطة متسعة رحمه الله تعالى ولما كتب له أبو المطرف بن عميرة برسالته الشهيرة التي أولها تحييك الاقلام تحية كسرى وتقف دون مداك حسرى وهي طويلة اجابه بما نصه ما هذه التحية الكسروية وما هذا الرأي وهذه الروية أتنكيت من الاقلام أو تبكيت من الاعلام أو كلا الامرين توجه القصد اليه وهو الحق مصدقا لما بين يديه والافعهدي بالقلم يتسامى عن عكسه ويترامى للغاية البعيدة بنفسه فمتى لانت أنابيبه للعاجم ودانت اعاريبه للاعاجم واعجبا لقد استنوق الجمل واختلف القول والعمل لامر ما جدع أنفه قصير وارتد على عقبه الاعمى أبو بصير أمس أستسقي من سحابه فلا يسقيني وأستشفي بأسمائه فلا يشفيني واليوم يحلني محل أنوشروان ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان ويزعم اني ابطلت سحره بيزدروان ويخفي في نفسه ما الله مبديه ويستجدي بالاثر ما عنده مستجديه فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعه والشريعة المبتدعه أيظن أن معماه لا ينفك وانه لا ينجلي هذا الشك هل ذلك منه الا امحاض التيه واحماض تفتيه ونشوة من خمر الهزل ونخوة من ذي ولاية أمن من العزل تالله لولا محله من القسم وفضله في تعليم النسم لاسلمته ما ينقطع به صلفه وأودعته ما ينصدع به صدفه واشرت بطرف المشرفي ومجده واشرت الى تعاليه عن

٣ قوله القماءة في نسخة القوام وكلاهما الايلائم ما بعده غير أن الاول يفيد الصغر فيلتئم مع ما بعده ولكن عبارة القاموس تفيد انه الصغر في القدر لا في الجرم فليتأمل ويحرر اه مصححه

٤ قوله أجابه بما نصه الخ ينبغي مزيد التأمل في هذا الجواب والوقوف على ما انطوى عليه من الرموز والاشارات في معانيها لمن تيسر له ذلك فانها قوبلت على أصلها الذي بيدي وهو مشحون بالتحريف الفاحش بل والسقط ولم يكن معي حينئذ من مظان ذلك شيء لحصل التصحيح على الاصل المذكور بحسب ما فتح به الفتاح ومع ذلك ففي النفس منه شيء فمن ثم حصل منا التنبيه هنا لقبل العذر من أنصف وان تحامل غيره وتعسف وكذلك كل ما في أواخر هذا الكتاب مما انخرط في سلك هذا الجواب حيث نسخة الاصل انفردت وبالغلط والتحريف امتلأت ولا مادة للمراجعة موجوده والمظان مفقوده اه مصححه

اللعب بجسده ولكن هو القلم الاول فقوله على أحسن الوجوه يتأول ومقدود في تهذيبه كل ما لسانه يهذي به وما أنسانيه الا الشيطان أن اذكرها وانما اقول ليت التحية كانت لي فاشكرها ولا عتب الا على الحياء المبرحة بالبرحاء فهي التي أقامت قيامتي في الانديه وقامت على قيام المتعذبه يتظلم وهو عين الظالم ويلين القول وتحتمه سم الاراقم ولعمر البراعة وما رضعت والبراعة وما صنعت ماخامرني هواها ولا كانت بها دون سواها ولقد عرضت نفسها علي مرارا فاعرضت عنها ازورارا ودفعتها عني بكل وجه تارة بلطف وأخرى بجبه وخفت منها السآمه وقلت انكحى أسامه فرضيت مني بابي جهل وسوء ملكته وابن أبي سفيان وصعلكته وكانت أسرع من أم خارجة للخطبه وأسمح من سجاح في استنجاح تلك الخطبه ولقد كنت اخاف من انتقال الطباع في عشرتها واستثقال الاجتماع من عترتها وأرى من الغبن والسفاه أخذها وترك بنات الافواه والشفاه اذهي ايسر مؤنه واكبر معونه فغلطني فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ومن نسوة خفرات لا ينطقن الا بالهمس ووجدتها أطوع من البنان للكف والعنان للكف والمعنى للاسم والمغنى للرسم والظل للشخص والمستدل للاص فما عرفت منها الاخير ارضاه وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها ونشزت فنشرت ما استكتمها بعلها واضطربت في رأيها اضطراب المختار أبي عبيد وضربت في الارض تسعى علي بكل مكر وكيد وزعمت أن الليم خدعها وألان أخدعها واكبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور فقد جاءت افكا وزورا وكثرت من أمرها نزورا وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص والمراودة قالت ماجزاء وهي التي قدت القميص وربما يظن بها الصدق وظن الغيب ترجيم ويقال لقد خفضت الحياء بالمجاورة لهذا الجيم وتنتصر لها التي جمعت بين الترجمة والريحانه وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبي على الله سبحانه فان امتعضت لهذه التكامه تلك التي سبقت بكلمتها بشارة الكلامه فانا ألوذ بعدلها وأعوذ بفضلها وأسألها أن تقضي قضاء مثلها وتعمل بمقتضى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها على أن هذه التي قد أبدت مينها ونسيت الفضل بيني وبينها ان قال الحكمان منها كان النشوز عادت حرورية العجوز وقالت التحكيم في دين الله تعالى لا يجوز فعند ذلك يحصحص الحق ويعلم من الاولى بالحكم والاحق ويصيبها ما أصاب اروى من دعوة سعد بن حسين الدعوى ويا ويحها ارادت أن تجني على تجنت لي واناخت لي مركب السعادة وما ابتغت الا الاخرى فاتى شرها بالخير وجاء النفع من طريق ذلك الضير اتراها علمت بما يشيره او جاجها و يتجلى عنه عجاجها فقد أفادت عظيم الفوائد ونظيم الفرائد ونفس الفخر ونفيس الدر وهي لاتشكر أن كانت من الاسباب ولا تذكر الا يوم الملاحاة والسباب وانما يستوجب الشكر جسيما والثناء الذي يتضوع نسيما الذي شرف اذ أهدى أشرف الصلاة وعرف بما كان من انتحاء تلك الحياء المذمومة في الحالات فانه وان ألم

بالفكاهه بما أمل من البداهه وسمى باسم السابق السكيت وكان من أمر مداعبته كيت وكيت وتلاعب بالصفات تلاعب الصبا بالبانه والصبا بالعاشق ذى اللبانه فقد أغرب بفنونه وأغرى القلوب بفتونه ونفث بخفية الاطراف وعبث من الكلام المشفق بالاطراف وعلم كيف يمحض البيان ويخلص العقيان فمن الحق أشكره على اياديه البيض وان أخذ لفظه من معناه فى طرف النقيض تالله أيها الامام الأكبر والغمام المستمطر والحبر الذى يشفى سائله والبحر الذى لا يرى ساحله ما انا المراد بهذا المسلك ومن أين حصل ذلك النور لهذا الحلك وصح أن يقاس بين الحداد والملك انه لتواضع الاعزه وما يكون عند الكرام من الهزه وتحريض الشيخ للتلميذ وترخيص فى اجازة الوضوء بالنبيذ لو حضر الذى قضى له بجانب الغربى أمر البلاغه وارتضى ماله فى هذه الصناعة من حسن السبك لحليها والصياغه واطاعته فيما اطاعته طاعة القرائن اللسان وانقعته فيما جمعته لكن بغير احسان لا اذعن كما اذعنت وظعن عن محل الاجادة كما ظعنت وأنى يتشاهق القرات بالقعبه ويتباهى بالفلوس من أوتى من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبه وأى حظ للكلالة بالنشب وقد اتصل للورثة عمود النسب هيهات والله المطلب وشتان الدر والخشلب وقد سيم الغاب ورجع الى قيادة السلب وان كنا من تقدم لشدة الظما الى المنهل وكمن اقدم الى عين تبوك بعد النهى للعلل والنهل فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا وملا ماهنالك جنانا وما تعرضنا باساءة الادب واللوم ولكن علمنا أن آخر الشرب ساقى القوم وان اسهبنا فما اشارتنة ذلك الايجاز وان اعرقنا فهو انا فى الحجاز فلكم قصيرات الجمال وانا قصيرات الخطا فى هذا المجال واكثارنا فى قله وجارنا من الفقر فى فقر وذله ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ويخفى النجوم بجلبابها وحياؤها ان لم تطل فلانها كالفروع كالاصل وفى الجوع كليلة الوصل فلو سطع نورها الزاهر ونورها الذى تطيب منه الانوار الازاهر لسجدت النيران ليوسف ذلك الجمال ووجدت نفحات رياها فى أعطاف الجنوب والشمال وأسرعت نحوها النفوس اسراع الحجيج يوم النفر وسار خبرها وسرى فسار حديث المقيمين والسفر وما أظن بتلك الساحرة فى تجليها الساحرة بتجنيها اذ كانت ربيبتها بل ربيتها هذه التى سبقتنى لما سقتنى بسيبها ووجدت ريحها المنافحات من مصر عبيرها وحين وصلت لم يدلنى على سارىها الا عبيرها وكم رامت أن تسترعى بليل حبرها فى هذه المغانى فاغرانى بهاؤها وكل مغرم مغرى ببياض صبح الالفاظ والمعانى وهل كان ينفعها تلفعها بمرطها وتلفعها اذ نادتها المودة قد عرفناك يا سوده فأقبلت على شم نشرها وعرفها والثم سطورها وحرفها وقرءيتها الثناء الحافل وقرأتها فزينت بها المحافل ورمت أمر الجواب فعزنى فى الخطاب لكن رممت هذه الرقومة التى هى لديكم بعجزى واشبه والبكم منى على استحياء ماشيه وان رق وجهها فارقت لها حاشيه فمنوا بقبولها على علاتها وانقعوا بماء سماحتكم حر غللها فانها وافدة من استقر قلبه عندكم وثوى وأقر بانه يلقط فى هذه الصناعة ما يلقى للمساكين من النوى بقيتم سيدى للفضل والاغضاء ودمتم

قوله وما أظن الخ هكذا فى الاصل ولا تخفى سقامته ولعل صحة العبارة هكذا وما ضر تلك الساحرة فى تجليها الساحرة بتجنيها أن كانت بمنزلة ربيتها أو تربها كيف وهذه التى سبقتنى لما سقتنى بسيبها الخ والضمير فى ربيتها وتربها الرسالة الجيب المفهومة من السياق تأمل اه مصححه

غرة فى جبين السمحة البيضاء واقتضيم السعادة المتصلة مدة الاقتضاء بين الله سبحانه انتهى * ومن نثر ابن الجيان رحمه الله تعالى فى شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد خير الانام وابنة التمام عليه أفضل الصلاة والسلام خيرت المفاخر يتضاءل لعظمتها المفاخر والمعالى يتصاغر لعزتها المعالى والمكارم يعجز عن مساجلتها المكارم والمناقب لا تضاهى سناها النجوم الثواقب والمحامد لا يبلغ مداها الحامد والمماجد لا يتعاطى رتبهن المماجد والمناسب سمت بجلالهن المناصب والعناصر طيبها الشرف المتناصر والفضائل تفجرت فى أرجائهن الفواضل والشمائل تأرجت بعرفهن الجنائب والشمائل فلا مجارى لسيد البشر الآتى بالنذارات والبشر فيما حباه الله تعالى به وخصه وقصه علينا من خلقه العظيم ونصه عند ربهم مداكه يوجد المعول وفى الثناء عليه يتنقصر الكلام المطول هو الآخر فى ديوان الرسالة والأول وله فى الفضيلة وقبول الوسيلة النص الذى لا يؤول نوره صدع الظلم وظهوره رفع لدين الله تعالى العلم بدأه الوحى وهو بحراء واسر اليه سر تقدم الاسراء حتى اذا نصب له المعراج وتوقد فى منارة السماء ذلك السراج ناجى الحبيب حبيبه وجلا عن وجه الجلال جلابيبه فتلقى ما تلقى لما علا وترقى ثم صدر عن حضرة القدس وجبين هدايته يبهر سنا الشمس فشق لمعجزاته القمر ونهى بأمر ربه وأمر وأزال الجهاله وأزاح الضلاله وكسر منصوب الاوثان ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان وبنى الملة على قواعدها الخمس وأحيا دين ابراهيم وكان رفاتا بالرمس فرفلت الحنيفية البيضاء فى بردة الجدة وبيضت بضيائها غرة أوجه الايام المسودة وانتشرت الرحمة بنبيها ومطرت المرحمة من سحب حبها واقترنت الآيات البينات فى مساقها واتساقها واشراقها فى آفاقها وائتلاقها وشهد الحجر والشجر والماء من بين البنان يتفجر والظبية والضب والجذع المشتاق الصب والشاة والبعير والليث اذا هدأ أو سمع منه الزئير والحى والجماد والقصعة والزاد بأن محمدا رسول الملك الحق والمبلغ عنه بواسطة الملك الى الخلق وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود والقول المسموع والذكر المرفوع والصدر المشروح والفخر الباهر الوضوح والانوار المتناقله والآثار المتداوله والنبوة التى عهدها تقادم من قبل خلق آدم والمزية المعروف قدرها الجليل المقبول فيها ما دعا به الخليل والرتبة التى استشرف اليها الكليم حتى قال له وكن من الشاكرين ربه الكريم والبشارة التى كان بها يصيح حين يسيح روح الله تعالى وكلمته عيسى المسيح والشفاعة التى يرجوها الرسل والامم ويقرع بها الباب المرتج المبهم فالنبينا المختار من علو المقدار واصطفاء الجبار والاختصاص بالاثره والاستخلاص للحضره ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وحسب هذا الوجود من الفضل الربانى والجود الذى لم يزل عظيما أن بعث الله تعالى فيه رسولا رؤفا بالمؤمنين رحيما عزيزا على ربه الكريم كريما بسره سجدت الملائكة لآدم تعظيما وبذكره ينظم سلك المادح لحضرته العلية تنظيما صلى الله

قوله للحضرة ذلك الخ هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا والاصل لا يحصيه التعداد وينفدون معشار عشره المداد أو نحو ذلك أو يجعل ذلك الفضل الخ هو الخبر تأمل اه مصححه

عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما صلاة تتصل ما دارت كأس محبته على محبيه فكان مزاجه تسنيما وسلاما ينزل دارا دارين فيرسل بيضا نعمها الى روضة الرضى نسيما * (ومن خطبه المرتجلة قوله سامحه الله تعالى) الحمد لله الذى حمده من نعمائه وشكره على آلائه من آلائه أحمده حمد عارف بحق سنائه واقف عند غاية العجز عن احصاء ثنائه عاكف على رسم الاقرار بالافتقار اليه والاستغناء به فى كل آنائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه المتقدس عما يقوله الملحدون فى أسمائه وأصلى على سيد ولد آدم ونخبة أنبيائه محمد المفضل على العالمين باجتبائه واصطفائه المنتقى من صميم الصميم وصريح الصريح بجملة آبائه المرتضى للامانة والمكانة بابلاغ أمر الله وأدائه أرسله الله كافة للناس عموما لا يختص باستثنائه وفضله بالآيات الباهره والمعجزات الظاهره على أمثاله من المرسلين ونظرائه ورقاه الى الدرجات العلا وأنهاه الى سدرة المنتهى ليلة اسرائه وحباه بالخصائص التى لا يضاهى بها بهاء كماله وكمال بهائه وردّاه رداء العصمة فكانت عناية الله تكنفه عن يمينه وشماله وأمامه وورائه ووقاه من حظوظ البأس والندى ما شهدت به عزيمته على الليث والغيث فى ابائه وانهمائه صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الهدى ونجوم سمائه صلاة تتصل ما سمح البدر بائتلاق أنواره والقطر باندفاق أنوائه وسلم تسليما * (ومن نثره رحمه الله تعالى) * رسالة كتب بها من الاندلس الى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وهى السلام العميم الكريم والرحمة التى لا تبرح ولا تريم والبركة التى اولها الصلاة وآخرها التسليم على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوه المؤيدة بالعصمة والايد والقوه ومثابة البر والتقوى فهى لقلوب الطيبين صفا ومروه مقام سيد العالمين طرّا وهاديهم عبدا وحرّا ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد طالما ألفوا العيش ضنكا والدهر مرّا ومقرّ الانوار المحمديه والبركات السرمديه أمتع الله تعالى الاسلام والمسلمين بحراسة أضوائها وكلاءة ظلالها العلية وأفيائها وأقرّ عين عبدها بلثم ثراها والانخراط فى سلك من يراها السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا أبا القاسم سلام من مدّ اليك يد الغريق ويرجو الانقاذ ببركتك من نكد المضيق ويقطع أسفا ويتنفس صعدا كلما ازدلف اليك فريق وعمرت نحوك طريق ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يجف ريق كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدّون وافق واستقام المستعدّون وما استقمت وبقى وبين لثم ترابك النبوى ولمح سنائك المحمدى مفاوز لا يفوز بقطعها الا من طهر دنس ثوبه بماء توبه وستر وصم عيبه بظهر غيبه فكلما رمت المناب رددت وكلما يممت الباب صددت وقد امرنا الله تعالى بالمجىء اليك والوفادة عليك ومر لى بذلك يا رسول الله والايام تنئى وتبعد والايام لا تدنى ولا تسعد وبين جنبى أشواق لا يزال يحزنى منها المقيم المقعد ولئن كنت ممن خلفته عيوبه وأوبقته ذنوبه ولم يرض الوفادة وهو مدنس على ذلك المقام وهو المطهر المقدس فعندى من صدق محبتك وحب صحابتك والاعتلاق بذمتك ما يقدمنى وان كنت مبطئا ويقربنى وان كنت مخطئا فاشفع لى يا رسول الله فى زيارتك

فهى

فهى أفضل المنى وتوسل لى الى مولى بين فضيلتك وتقبل وسيلتك فى النقلة من هنالك الى هنا واقبلنى وان كنت زائغا وأقبل على وان اصبحت الى الاثم متجانفا فأنت عماد أمتك جميعا وأشتاتا وشفيعهم أحياء وأمواتا ومن نأت به الدار وقعدت بعزمه الاقدار ثم زار خطه ولفظه فقد عظم نصيبه من الخير وحظه وان لم أكن سابقا فعسى أن أكون مصليا وان لم أعد مقبلا فلعلى أعد موليا ووحقك وهو الحق الاكيد والقسم الذى يبلغ به المقسم ما يريد ماوخدت اليك ركاب الا وللقلب اثرها التهاب وللدمع بعدها سح وانسكاب ويالبتنى ممن يزورك معها ولو على الوجنتين ويحييك بين ركبها ولو على المقلتين وما الغنى دونك الا بؤس واقلال ولا الدنيا وان طالت الاسجون وأغلال والله تعالى يمن على كتابى بالوصول والقبول وعلى بلحاقى ببركتك ولو بعد طول ثم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته عليك يا سيد الخلق وأقربهم من الحق ولولاه ما حاز قصب السبق ومن طهر الله تعالى مثواه وقدسه وبناه على التقوى والرضوان وأسسه وآتاه من كل فضل نبوى اعلاه واسناه وأنفسه وعلى ضجيعيك السابقين لمهاجريك وأنصارك الفائزين بصحبتك العلية وجوارك وعلى أهل بيتك المطهرين أوائل وأواخر الشهيرين مناقب ومفاخر وصحابتك الذين عزروك ووقروك وآووك ونصروك وقدموك على الانفس والاموال والاهل وآثروك وأقرئك سلاما تنال بركته من مضى من أمتك وغبر ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسطر ان شاء الله تعالى كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثقى اللائذ بحرمك الامنع الاوقى المتأخر جسما المتقدم نطقا فلان والسلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم تسليما كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته (وله من خطبة طويلة) ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الصفوة المجتبى الكريم أما طاهرة وأبا المختار من الطيبين مباركا طيبا المصطفى نبيا اذ كان آدم بين الماء والطين متقلبا المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين انتخبه الله وانتجبه وأظهره على غيب عن غيره حجبه وشرفه فى الملا الاعلى وأعلى رتبه وخط اسمه على العرش سطرا وكتبه فهو وسيلة النبيين والمرشح أزلا لامامة المرسلين بعثه ربه لختم الرساله ونعته بنعت الشرف والجلاله وأيده بالحجة البالغة والدلاله وجعله نورا صادعا لظلام الضلاله وأثنى فى ذكره الحكيم على خلقه العظيم فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المثنين بفضله الصريح واليه الاشاره وبه سبقت من ابراهيم الدعوة ومن عيسى البشاره وعليه راقت من صفة الرؤف الرحيم الحلية والشاره وهو المخير بين الملك والعبودية فاختار العبودية بعد الاستخارة والاستشاره فبتواضعه حل بمكان عند ذى العرش مكين أسرى به ربه اليه ووفده أكرم وفادة عليه وأدناه قاب قوسين لديه ووضع امامة الرسالة العظمى فى يديه وقال له اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فصدع بأمر الله صدعا وأوتى من المثانى سبعا ومن الآيات البينات آلافا وان كان أوتى موسى تسعا فما مشى الشجر اليه بمعجزة وقد الا كرجوع العصا حية تسعى وما تفجر الحجر بالماء بأعجب من بنانه نبعت بالعذب الفرات نبعا فارتوى منه خمسمائة وقد كان يكفى آلافا فكيف اثنين وكم له عليه الصلاة والسلام

من معجزة تبهر وآية هي من أختها أكبر رجعت له الشمس وانشق القمر وكلمه الضب وأخبر به الذئب وسلم عليه الشجر والحجر وكان للجذع عند فراقه اعلانا بوجده واشتياقه أنة وحنين أعطى من المعجزات ما مثله غبط عليه البشر وكانت له في الغار آيات بينات خفي بها على القوم الاثر وارتج لولاده ايوان كسرى وخمدت نار فارس وكان ضرمها يتسعر وأتته أخبار السماء فما هي في الارض الخبر فحدث عن الغيوب وما هو على الغيب بضنين وجعل له القرآن معجزة تتلى يبلى الزمان وهي لا تبلى وتعلو كلماتها على الكلام ولا تعلى وتجلى آياتها في عين آيات الشمس حين تجلى فيتوارى منها بالحجاب حاجب وجبين بهر إعجاز التنزيل الجلي وظهر به صدق النبي العربي فتكلم نادي لسان عزه في الندي يا أهل البديهة من الفصحاء والروي قل فأتوا بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين لقد خص نبينا عليه السلام بالآيات الكبر والدلالات الواضحة الغرر والمقامات السامية الظاهر والكرامات الخالدة للمفخر فهو سيد الملا النبوي والمعشر وحامل لواء الحمد في المحشر وصاحب المقام المحمود والكوثر والشفيع المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وذريته المباركين وصحابته الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين صلاة موصولة تتردد الى يوم الدين وتصعد الى السموات العلا فتكون كتابا في عليين وسلم تسليما *(ومن نثره في خطبة قوله)* أيها الناس رحمكم الله تعالى أصيخوا أسماعكم لمواعظ الايام واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والاحلام واحضروا الفهم موادها أوعى القلوب وأصح الافهام وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النوام ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الاباطيل وأضغاث الاحلام ولا تنسينكم خدعها المموهة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الانام فهي دار انتياب النوائب ومصاب المصائب وحدوث الحوادث والملمات الآلام ذار صفوها أكدار وسلمها حرب تدار وامنها خوف وحذار ونظمها تفرق وانتشار واتصالها انقطاع وانصرام ووجودها فناء وانعدام وبناؤها انصداع وانهدام ينادي كل يوم بناديها منادي الحمام فلا قرار بهذه الغرارة ولا مقام ولا بقاء لساكنيها ولا دوام فبئست الدار دار الاتداري ولا تقيل لعاثرها عثارا ولا تقبل لمعتذر اعتذارا ولا تفي من جورها حليفا ولا جارا وليس لها من عهد ولا ذمام كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام كم نازلت بنوازلها من قباب وخيام كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام كم رمت أغراض القلوب بصميات السهام كم جردت في البرايا للمنايا من حسام كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلام لا تبقي على أحد ولا ترثي لوالد ولا ولد ولا تخلد سرورا في خلد ولا يمتد فيها الامل أمد بينا يقال قد وجد اذ قيل قد فقد بعد الها قد طبعت على نكد وكمد فالفرح فيها ترح والحبرة عبرة والضحك والابتسام بكاء وأدمع سجام تفرق الاحبة بعد اجتماعهم وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم وتستبيح بالحمام حمى الاعزة فلا سبيل الى امتناعهم وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم الى

مصيرهم الى الله عز وجل وارتجاعهم فيسيرون طوع الزمام ويلقون مقادة التذلل والاستسلام حتى يلجؤا بالرغام وينزلوا بطون الرجام ويحلوا الوهد بعد المقام السام فلا ناج من خطبها العظيم ولا سليم يتساوى في حكم المنية الاغر والبهيم والاعز والمضيم ولو أنه ينجو من ذلك مجد صميم وجد كريم وحظ عظيم ومضاء عزيم ومزية وتقديم وحديث في الفضل وقديم وشرف لسمك السموات سام وعلاء على ساق العرش المجيد ذو ارتسام لنجا حبيب الملك العلام وسيد السادات الاعلام وصفوة الصفوة الكرام وخاتم الانبياء ولبنة التمام ومصباح الهدى ومصباح الظلام والابيض المستسقى به غيث الغمام ثمال الارامل وعصمة الايتام عليه افضل الصلاة والسلام لكن مع قدره الجليل وفضله الجلي اقدم الموت على جانبه العلي وتقدم ملك الموت لقبض روحه القدسي وتغيب في الثرى جمال ذلك الوجه البهي وتغيض ماء السماء والندى الملك السماحة النبوية والندى وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنبيهم العربي الهاشمي القرشي فياله للاسلام من مصاب اسلمنا للحزن أي اسلام وأسال مياه الدموع عن احتراق للضلوع واضطرام وأرانا أن الاسى في رزية خير البرية واجب وأن التأسي حرام وهل يسوغ الصبر الجميل في فقيد بكته الملائكة وجبريل وكثرله في السموات السبع النحيب والعويل انقطع به عن الارض الوحي الحكيم والتنزيل وعظمت الرزية به أن يؤدى حقيقتها الوصف والتمثيل غداة أقفر منه الربع المحيل وأوحش من أنسه السفح والنخيل وكان من تلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل وقامت البتول تندب أباها بقلب قريح وجفن دام وتنادت الامة مات الرسول ففي كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام وحارت الالباب والعقول فلا صبر هنالك لقد زلت عن الصبر الاقدام ولما نعيت اليه صلى الله عليه وسلم نفسه وآن أن تأفل من تلك المطالع شمسه آذن أمته بالفراق وأعلمهم وناشدهم في أخذ القصاص وكلمهم مخافة أن يمضي الى الملك الحق وعليه تباعة لاحد من الخلق وحاشاه عليه الصلاة والسلام من صفات جائر للامة ظلام ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب واعلام ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى وزاد به السقم المنتاب وتمادى حتى واراه لحده وخلا منه ربعه ومسجده فعم الحزن والاكتئاب وتوارى النور فأظلم الجناب وعاد الاصحاب وكأنما دموعهم السحاب فقالت فاطمة وقد رأيتهما من دفن أبيها الكريم ما راب أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فكان كلامها للقلوب المفجعة كلام وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع المشيد ذكر الاشجان المذيع كانت وفاة هذا النبي الهادي الشفيع وانتقاله الى الملا الاعلى والرفيق الرفيع حين ناداه ربه الى قربه فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع وحن الى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديع وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع وانجاز وعد الشفيع في الجميع اذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام ووقف على الحوض ينادي هلموا الى أروكم

من العطش والاوام اللهم اسقنا من حوضه المورود وشرفنا بلوائه المعقود وشفعه فينا في اليوم المشهود وارحمنا به اذا صرنا تحت أطباق اللحود اللهم اجعله لنا تعزية من كل مفقود وأوجدنا من بركاته أشرف موجود وجازه عنا بما انت أهله من فضل واحسان وجود وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود واجعلنا معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام وصل عليهم صلاة تستتم أركان رضوانك أي استتمام وتنتظم لهم كرامات احسانك أي انتظام فصلوات الله عليه وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه وأبرك بركاته ما تجدد في ربيع ذكر وفاته وتمهد كهف القبول لطالبي فضله وعفاته وتعزى به كل مصاب في مصيباته وترجى شفاعته كل محب فيه متبع لهداياته وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنابه حظوظ من بر الله تعالى وأقسام ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل عليه من نبي لم يزل بالمؤمنين رؤفا رحيما اللهم صل عليه من نبي أوجبت حبه وعظمته تعظيما اللهم صل عليه من نبي صليت عليه تجلة وتكريما وأمرتنا بالصلاة عليه ارشادا وتعليما فلنا بأمرك اقتداء وائتمام وبحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ولوجهك وحده البقاء والدوام كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين انتهى * وترجمة ابن الجياب واسعة جدا وكلامه في النبويات نظما ونثرا جليل رحمه الله تعالى * وقال لسان الدين في الاحاطة بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ما صورته ومحاسنه عديده وآماده بعيده ثم قال انه انتقل الى بجاية فتوفي بها في عشر الخمسين وستمائة انتهى * وقال صاحب عنوان الدراية في حق ابن الجياب المذكور ما ملخصه الفقيه الخطيب الكاتب البارع الاديب أبو عبد الله بن الجياب من أهل الرواية والدراية والحفظ والاتقان وجودة الخط وحسن الضبط وهو في الكتابة من نظراء الفاضل أبي المطرف ابن عميرة المخزومي وكثيرا ما كانا يترا سلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل اليه الا القليل من البلغاء ونثره ونظمه كله حسن ونظمه غزير وادبه كثير ومن ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها

ياحادي الركب قف بالله ياحادي * وارحم صبابة ذي نأي وابعاد

وله أيضا

ترك النزاهة عندنا * أدى الى وصف النزاهه
ماذاك الا انها * تدعو الوقور الى الفكاهه
واذا امرؤ نبذ الوقا * ر فقد تلبس بالسفاهه انتهى

ومن بديع نظم ابن الجياب رحمه الله تعالى هذا التخميس في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

الله زاد محمدا تكريما * وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه

واختصه في المرسلين كريما ۞ ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جلت معاني الهاشمي المرسل ۞ وتجلت الانوار منه لمجتلي
وسما به قدر الفخار المعتلي ۞ فاحتل في أفق السماء مقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاز المحامد والمادح أحمد ۞ وزكت مناسبه وطاب المحتد
وتأثلت علياؤه والسؤدد ۞ مجدا صميما حادثا وقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها الملتاح ۞ قطب الجلالة نورها الوضاح
غيث السماحة الندي بر تاج ۞ يروي بكوثره الظماء الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة خاتم الانبياء ۞ صفو الصريح خلاصة العلياء
نجل الذبيح سلالة العلماء ۞ بشرى المسيح دعاء ابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر لآدم قد تقادم عصره ۞ من قبل أن يدري ويجري ذكره
سر طواه الطين فهم نشره ۞ معنى السجود لآدم تفهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله فضل المصطفى المختار ۞ ما ان له في المكرمات مجاري
ولا مباريا باختصاص الباري ۞ بالحق قدم مجده تقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبي الهادي ۞ ما نالها أحد من الامجاد
فالرسل في هدى وفي ارشاد ۞ قد سلموا لنبينا تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت سنا وسناء ۞ وأفادت القمرين منه ضياء
وعلت باعلام الظهور رلواء ۞ فهدى به الله الصراط قويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته ۞ ورأت حليمة آية اسعادته
وتحدثت سعد بذكر سعادته ۞ فتفاءلوا نعم اليتيم يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لما ترعرع جاءه الملكان ۞ بالطست فيها حكمة الرحمن
فاستخرجا القلب العظيم الشان ۞ منه وطهر ثم عاد سليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كرمت مناشي أحمد خير الورى ۞ وجرى له القلم العلي بما جرى

ما كان ذلكم حديثا يفترى * لكنه الحق الجلي رسوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

مازال برهان النبي يلوح * يغدو به الاعجاز ثم يروح
حتى أتاه بعد ذاك الروح * يوحي له وحي الاله حكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

شهدت له بمزية التفضيل * سور وآيات من التنزيل
وصلاة خالقه أدل دليل * فافهمه واسمع قوله تعظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ان الرسول المعتلي المقدار * لمؤيد من ربه القهار
بالمعجزات جلت عمى الابصار * وشفت من ادواء الضلال سقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

كم شاهد لمحمد بنبوته * فتأيدت تأييد الاله وقوته
فبذاك أعلى الله دعوة حقه * نفحت سماماصارما وعزيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له ليظهر صدقه * والشمس قد وقفت تعظم حقه
والمزن أرسل اذ توسل ودقه * فاخضر ماقد كان قبل هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والماء بين بنانه قد سالا * عذبا معينا سائغا سلسالا
كنداه يمنح رفده من سالا * وينيل راجيه النوال جسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

بركاته أربت على التعداد * كم أطعمت من حاضرين وباد
من قصعة أو حثية من زاد * رزقا كريما للجيوش عميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

سجد البعير له سجود تذلل * وشكا اليه بحرقة وتململ
والشاة قال ذراعها لا تأكل * مني فاني قد ملئت سموما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والغصن جاء اليه يمشي مسرعا * والصخر أفصح بالتحية مسمعا
والظبية العجماء فيها شفعا * والضب كلم أحمدا تكليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والجذع حن له حنين الواله * يبدي الذي يخفيه من بلباله
أفلا يحن متيم بجماله * يشتاق وجه النبي وسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما بالنا نسلو وحب حبيبنا * يقضي بث غرامنا ونحيبنا

لو صح في الاخلاص عقد قلوبنا * لم ننس عهد الرسول كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أين الدموع نفيضها هتانا * أين الضلوع نفضها أشجانا
حتى نقيم على الاسى برهانا * لمتمم ارشادنا تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوليس هادينا الى سبل الهدى * أوليس منقذنا من أشراك الردى
أوليس أكرم من تعمم وارتدى * أولم يكن أزكى البرية خيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ذاك الشفيع مقامه محمود * ولواؤه بيد العلا معقود
فاذا توافت للحساب وفود * قالوا تقدم بالانام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فيقوم بالباب العلي ويسجد * ويقول يا مولاي آن الموعد
فيجاب قل يسمع اليك محمد * ونريك منا نضرة ونعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم بعز محمد وبجاهه * أكرم به متوسلا لالهه
شرفت كرام الرسل فضل مباهه * فغدت تعظم حقه تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا سامعي أخباره ومفاخره * ومطالعي آثاره ومآثره
ومؤملي وافي الثواب ووافره * ان شئتموا فوزا بذاك عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وكثيرا ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس وأضيف اليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الامداح النبوية مقيل وتعريس وهي قصيدة ميلادية كأنما نظمها مؤلفها مقدمة لهذه القصيدة الفريدة وهي

اسمع حديثا قد تضمن شرحه * روضا من الايناس أينع دوحه
فيه الشفاء لمن تكاثر برحه * وافى ربيع قد تعطر نفحه
أزكى من المسك الفتيق نسيما

شهر حوى بوجود أحمد اسعدا * بالمصطفى بين الشهور تفردا
يا ما أجل سناء علاء وأمجدا * لولادة المختار أحمد قد غدا
يزهو به فخرا تراه عظيما

يا من بأدمع مقلتيه يغتذي * كم ذا تنادي حسرة من منقذي
وتقول للزفرات هل من منفذ * بشرى بشهر فيه مولده الذي
سر الزمان علوه تعظيما

يا ليلة رفعت بأحمد حجبها * لما دنا بعد التباعد قربها

وتطلعت للسعد فيناشهبها * ضاءت لها شرق البلاد وغربها
وتأنقت أرجاؤها تنعيما

اسدى اليك الدهر حسن صنيعه * وحباك من غض الجنى بديعه
وافى هلال محمد بربيعه * فاعتز أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الاله قويما

نظم الزمان بجيده مرلدرّه * فاشكر ملاثره وواصل برّه
واقال يا السر المصون فسرّه * واعرف لهذا الشهر حقاقدره
فلقد غدا بين الشهور كريما

ياصاح جاءت بالامانى أسعد * واطل بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد * شهر كريم جاء فيه محمد
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم قال انا عند ختم درس الشفا موطئا لقصيدة ابن الجياب المذكور ولعذب براعتها مرتشفا ما نصه والاعمال بالنيات

انشق أزاهر عن فنون رياض * للعلم واكرع من عذاب حياض
واسق الرياض بذكره الفياض * واحفظ كلاما للامام عياض
قد تممت أقسامه تتميما

لله روض منه أينع دوحه * يجنى به من الكريم ومنحه
فهو الشفاء لمن تكاثر برحه * مسك الختام به تعطر نفحه
فشذاه فى الارجاء صار شميما

فاضت علينا من هداه عوارف * زهر وأنوار وظل وارف
وعوارف مصفوفة ومطارف * ياحسن ما أبداه فذعارف
درّا باسلاك الحديث نظيما

لولا وبالملك الشفيع تشرّفا * خير البرية ركن أرباب الصفا
من أسعد الراجى وقصدا أسعفا * طه النبىّ الهاشمىّ المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد رأيت بعد وصولى الى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة لابن الجياب المذكور فى روى تلك القصيدة غير مخمسة مستقلة بنفسها وهى قوله رحمه الله تعالى

صلوا على أسنى البرية خيما * وأجل من حاز الفخار صميما
صلوا على من شرّفت بوجوده * أرجاء مكة زمزما وحطيما
صلوا على أعلى قريش منزلا * بذراه خيم العلا تخييما
صلوا على نور تجلى صبحه * فجلا ظلاما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرانا هديه * نهجا من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبىّ فانه * من لم يزل بالمؤمنين رحيما

صلوا على الزاكى الكريم محمد ● ما مثله فى المرسلين كريما
ذاك الذى حاز المكارم فاغتدت ● قد نظمت فى سلكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة فى الوغى ● وابن الندى يحكى الحيا تجسيما
طلق المحيا ذو حياء زانه ● وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل كل حكيمة ● فى الوحى جاء بها الكتاب حكيما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت ● بدر الدجى لقسمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت ● وجها وسيما للنبى وسيما
كم آية نطقت تصدق أحمدا ● حتى الجماد أجابه تكليما
والجذع حن حنين صب مغرم ● أضحى للوعات الفراق غريما
جلت مناقب خاتم الرسل الذى ● بالنور ختم والهدى تختيما
وسمت به فوق السماء مراتب ● بمقام صدق عزه مقيما
فله لواء الحمد غير مدافع ● وله الشفاعة اذ يكون كاما
نرجوه فى يوم الحساب وانما ● نرجو لموقفه العظيم عظيما
مالنا لنا الاوسيلة حبه ● وتحية تذكو شذى وشميما
ونخير ما أهدى امرؤ لنبيه ● أرج الصلاة مع السلام جسيما
يا أيها الراجون منه شفاعة ● صلوا عليه وسلموا تسليما

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الاستاذ أبى العلا ادريس بن موسى القرطبى فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان المذكور وقرظها بما سنذكره قريبا بعدها وهى

أهلا بكم يا أهل هذا النادى ● أهل اعتقاد الوعد والمعاد
أهدوا الصلاة الى النبى الهادى ● وصلوا السلام لهم مع الآباد
يشدى نسيما مذ كرا تسنيما

هو أول الشفعاء يوم المحشر ● وسواه بين تقدم وتأخر
بهت الحضور لهول ذاك المحضر ● والكل فى الخطب العميم الاكبر
قد همت ألبابهم تهيما

ذاك المقام الاشهر المحمود ● هو للنبى محمد موعود
فيه الشفاعة ذخرها موجود ● درك المراد وحوضه المورود
فضل الكليم به وابراهيما

عيسى وموسى والخليل مروع ● من هول مطلع هنالك يفظع
فيقال أحمد قل فانك تسمع ● فيقوم يحمد ربه فيشفع
فضلا من الرب العظيم عظيما

يا أمة المختار أنتم أمته ● والهول قد عم البسيطة عمه
والانبياء سواه كل همه ● تخليص مهجته وليس يهمه

من كان في الدنيا عليه كريما

صلى الاله على الذى صلى عليه • عشرا بواحدة يزكيها لديه
وأراه فى الدارين قرة ناظريه • ياقاصدين الى وصولكم اليه
راجين من أرج القبول نسيما

لولا وصية صاحب التنزيل • أن لا يقال له غلو القيل
قول الغلاة لصاحب الانجيل • لغلوت فى التعظيم والتبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما

طوبى لقلب قد تلالا اذ صفا • بالسر منه قد تثبت اذ هفا
خطت به آيات حب المصطفى • فغدا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدى الى نهج النجاة قويما

فاقت علا ذكراه اذ رقت حلى • ملأ النبوة أمهم حين اعتلى
فى ليلة الاسراء أعلى معتلى • كتب الاله له التقدم فى العلى
وعليهم التفويض والتسليما

وكذا الرسل فى الشفاعة كلهم • ومحلهم عند الاله محلهم
ظل النبى محمد هو ظلهم • يمشون تحت لوائه فيداهم
يندى عليه بهجة ونعيما

أوصافه من كل حسن أبهج • العرف ينفح والسنا يتبلج
فتارج الارجاء منه وتبهج • فاق الزواهر نورها يتموهج
والزهر نفاح النسيم وسيما

طلق المحيا منهل للنائل • أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مثل الدنيا بظل زائل • لم ترضه حال النعيم الحائل
ما حاول الترفيه والتنعيما

ماورث المختار مال مؤمل • الا جواهر فى الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمل • وأقر لعينا بالعين المجتلى
من كل قيمة مقتنى تقويما

ونقت يا من لم يخالف نصه • حزت الكمال وليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبى اقتصه • بالوحى شرفه الاله وخصه
شرفا على شرف السناء صميما

سبحان موح لا يحد له الكلام • من قال ذات كلام خلاق الانام
خلق فذلك آثم كل الاثام • ذاك الذى فى الدين ليس له ذمام
الا ذمام لا يزال ذميما

ضل الذى يبغى الهدى مما سواه • وهوى به فى كل مهواة هواه
من فارق الفاروق قد تبت يداه • حيران لم يهد السبيل الى هداه

لا يعرف التحليل والتحريما

بالمدح مجد المصطفى تمته * من حلى أوصافه نظمته
لم أبلغ المعشار اذ أحكمته * بعضا نسيت وبعضه ألهمته
قلدته جيد الزمان نظيما

لو فزت بالاحسان من حسان * وسحبت أذيالى على سحبان
أو أيدتنى لسن كل زمان * من كل ذى زعم عظيم الشان
ما كنت بالمعشار منه زعيما

ادريس حفظك الحقوق حفوفا * هلا خففت الى الرسول خفوفا
وقريت بالعزم الهموم ضيوفا * وشدوت ان هال الزمان صروفا
مهلا كمالك معلى التعليما

ثقة بفضل الواحد القهار * ملك الملوك مصرف الاعصار
جعل النبى مكرم الآثار * وامده بالنصر والانصار
وأتم نعمته له تتميما

هل أجلون بصرى بكحل سناه * يا سعد من كحلت به عيناه
ظفرت يداه وساعدته مناه * لله ذاك الافق ما اسناه
كرم المحل فيقتضى التكريما

ونص تقريظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله

مازال كل حليف * لله أضحى وليا
وللعلوم خليلا * وعن سواها خليا
يصوغ عقيان مدح * للهاشمى حليا
ويوجب الحق فيه * ايجابه الاوليا
ويقتنى فى رضاه * نهجا جليلا جليا
والكل أخطاه حظ * فالفوز يلفى مليا
لكن ادريس منهم * حاز المكان العليا

ولا يخفى انه التزم فى هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولا فى البحر والروى والمنحى الذى لا يضل قاصده وكيف لا وهو مدح الجناب الرفيع العظيم النبوى (فمن ذلك) قول أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاشبيلى فان بعضا ذكر أنها من قوله لما أظهر الاسلام وهى لا تقتضى رفع الريبة فيه والاتهام

جعل المهيمن حب أحمد شيمة * وأتى به فى المرسلين كريمة
فغدا هواه على القلوب تميمة * وغدا هداه لهديهم تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أبدى جبين أبيه شاهد نوره * سجعت به الكهان قبل ظهوره

كالطير غرد معربا بصفيره * عن وجه اصباح يطل نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنس الرسالة بعد شدة نفرة * منجى البرية وهى فى بدغمرة
محيى النبوة والهدى عن فترة * فكأنما كفل الرشاد يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الله اوضح فضله فتوضحا * والله بين حبه فى والضحى
والجذع حن هوى له فترنحا * والماء فاض بكفه تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فربى الرواية عن رباه زكية * نجواه ربانية ملكية
أوصافه علوية فلكية * فاخال شعرى عندها تنجيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

احتث فى السبع الطباق براقه * والارض واجفة تخاف فراقه
سبحان من أدنى سراه فساقه * شخصا على ملك الملوك كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاشتم ريحان القلوب الطيبا * ودنا فاسمع يا محمد مرحبا
انى جعلتك جار عرشى الاقربا * ان كنت قبلك قد جعلت كليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ليلة يجرى الزمان فتسبق * الحجب فيها والارائج تفتق
ما كان مسك الليل قبلك يعبق * بشرى محمد استفاد نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى اذا اقتعد البراق لينزلا * نادته أسرار السموات العلا
يا راحلا ودعته لا عن قلى * ما كان عهدك بالغيوب ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صعد النجود وسار فى الاغوار * سمك السماء طورا وبطن الغار
متقسما فى طاعة الجبار * ما أشرف المقسوم والتقسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الشافع المتوسل المتقبل * القانت المدثر المزمل
وافى وظهر الارض داج ممحل * فجلى البهيم به وأروى الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دفعت كرامته الزنوج عن الحرم * ودعاه جبريل المنزه فى الحرم
وعزت له آيات نون والقلم * خلقا به شهد الاله عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاو ينفض الزاد فى أصحابه * غيث ولكن كان يستسقى به

قوله رباه فى نسخة علاه اه

طابت

طابت ضمائر قلبه وترابه * منه بسر لم يكن مكتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ياشرقي الحامي الى ذاك الحمى * حتى أقضيه غراما مغرما
ومتى أعانقه معيدا مكرما * بضميركل موحد ملثما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول بعض الوعاظ وأظنه من أهل المشرق

جل الذى بعث الرسول رحيما * ليبرد عنا فى المعاد جحيما
وبه نرجى جنة ونعيما * أضحى على البارى الكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ماضل عن وحى الاله وماغوى * حاشى رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الامين بما روى * قد نال من رب السماء علوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى له الروح الامين مبشرا * نادى به ياخير من وطئ الثرى
أجب المهمين يامحمد كى ترى * ملكا كريما فى السماء عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حين دعابه * رب السموات العلا لخطابه
ركب البراق وقد أتى لجنابه * أمسى له الروح الامين نديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى أرى الحادى يبشر باللقا * ويضمه بان المحصب والنقا
وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا * مولى حليما لن يزال رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار قد نلت المنى * يهنيكم طيب المسرة والهنا
فاستبشروا من بعد فقر بالغنى * فالله زاكم به تكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضى عن آله الكرماء * وكذاك عن أصحابه الخلفاء
فهواهم دينى وعقد ولائى * قوم أراهم فى المعاد نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمه الله تعالى

ياأمة الهادى المبارك أحمد * يهنيكم نيل الامانى فى غد
بمحمد فزتم ومن كمحمد * ان شئتموا أن تدركوا التنعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير الزاهر * صلوا على المسك الفتيق العاطر
صلوا على الغصن البهى الناضر * وتنعموا بصلاتكم تنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالنبوة زينا * صلوا على من بالكمال تمكنا
بمحمد فزنا بادراك المنى * فضلا منحنا حادثا وقديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير اللائح * صلوا على الهادي الحبيب الناصح
صلوا على المسك الفتيق الفائح * للرشد فهم والهدى تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا * والماء بين بنانه قد بجسا
وأتت اليه سرحة حتى اكتسى * بفروعها اذ خيمت تخييما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر من قفا * وعليه سلمت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى * وشكا اليه بازل قد ضيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق * عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق * اذ مج فيه العنبر المختوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا * وغدت تظلله الغمام اذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشا * ليكون سر حبيبه مكتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه بكل حين تربحوا * وبهديه مهما اهتديتم تفلحوا
والاجر يشملكم فجدوا تنجحوا * واذا أردتم أن يكون عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بجمعكم على شمس الهدى * صلوا على بدر يزين المشهدا
صلوا عليه به الرشاد تمهدا * والذكر بين فضله تفخيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر * صلوا على من فاق حسنا واشتهر
ونمت فضائله وشق له القمر * ولكم دليل في علاه أقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا * بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مقام كانا * خذ الفوائد كي تفاد علوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كلكم لا تسأموا * وتبركوا بصلاته وتنعموا
فعليه صلى الانبياء وسلموا * شرفا لهم اذ أمهم تقديما

صلوا

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا حاضرين بلغتم كل المنى * عن جمعكم من فضله ذهب العنا
والله قد وجب الهنا * بمحمد كرمتم تكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قولوا برغم معاندين وحسد * كي ترغموا أنفا لكل مفند
صلى الاله على النبي محمد * أبدا وزاد لقدره تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا رب يا ذا المن والاحسان * جد بالرضى والعفو والغفران
للوالدين ومنشد الاوزان * والسامعين أنلهم تنعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما اجتمع الملا * صلى عليه الله ما قطع الفلا
صلى عليه الله ما انتجع الكلا * أبدا ومارعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

*(ومن ذلك) قول الامام العالم الشهير الاديب مالك بن المرحل المالقي ثم السبتي وهي من غرر القصائد وفيها لزوم ما لا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم بجعلها ابدا أوروبا على اصطلاح المغرب

الف أجل الانبياء نبي * بضيائه شمس النهار تضيء
وبه يؤمل محسن ومسيء * فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء بدا في أفق مكة كوكبا * ثم اعتلى لجلا سناه الغيهبا
حتى أنار الدهر منه واخصبا * اذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء تبينت الهدى لما أتى * فنفى الشريك عن القديم وأثبتا
أحدية من حاد عنها قد عتا * وتلا كلاما للكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء ثوى في الارض منه حديث * في كل افق طيبه مبثوث
داع بأنواع الهدى مبعوث * يتلو نجوما أويهز نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم جلا بسراجه الوهاج * ما جن من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوب بمائه الثجاج * فأصارها بعد الغموم غميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء حمى دين الهدى بصفائح * وسما بشم كالجبال أراجح
من كل أزهر هاشمي واضح * لولاه ما غدا النبات هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

خاء خبت نيران جهل شامخ * آيات علم للرسالة راسخ
من مثبت ماح ومنس ناسخ * قد خص بالذكر الحكيم حكيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دال دعا فأجاب كل سعيد * وأتى بوعد صادق ووعيد
حتى أقر الناس بالتوحيد * وتجنبوا الاشراك والتجسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال ذباب حسامه مشحوذ * للناكثين وعهدهم منبوذ
أما السعيد فبالنبي يلوذ * فيدال من ذل الشقاء نعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

راء روينا عن ذوي الاخبار * ان الندى والبأس مع ايثار
بعض صفات المصطفى المختار * كم قد تقدم بالانام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

زاى زعيم بالنزال عزيز * وبليغ معنى في المقال وجيز
فلقوله من فعله تعزيز * ولربما عاد الكلام كلوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

سين سلام كالنفيس تنفسا * وقد اجتنى وردا وصافح نرجسا
أهدى اليه في الصباح وفي المسا * بقصائد كادت تكون نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شين شمائله الكريمة تعطش * من كان من سكر المحبة يرعش
لكن أضاع العمر فيما يوحش * فغدت ندامته عليه نديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صاد صفي للاله ومخلص * ومقرب ومفضل ومخصص
ذهب سبيك وزنه لا ينقص * قد طاب خيما في الورى وأروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ضاد ضمين نعمه معوض * ضافي القراءة بالعلوم يفيض
ان غاض ماء البحر ليس يغيض * لما استمر زلاله تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء طويل السيف متسع الخطا * رحب الذراع ومن عداه سطا
يردى العدا واذا ارتدى مخمطا * يبرى عذابا اذ ألام أليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ظاء ظهير للعباد حفيظ * حظ له ادب العباد حظيظ
حق له التابين والتقريظ * ميتا وحيا ظاعنا ومقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

عين عزيز ذكره مرفوع • فى الانبياء وقوله مسموع
مشروح صدر يحبه مشروع • من لا يدين بذاك كان ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

غين غزا من زاغ عنه ومن طغى • وغدا يشب لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عوى بعد الصغا • وتقوم النار العصا تقويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاء فواتح سورة الاعراف • وبراءة والرعد والاحقاف
احطته بالاقسام والاوصاف • فتى توفى حقه منظوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قاف قوافى النظم عنه تضيق • أيطيقه الانسان ليس يطيق
فالخلق فى التقصير عنه خليق • ولو انهم ملؤا الفضاء رقوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كاف كريم العنصرين مبارك • متفرد بالجاه ليس يشاركه
فهو الذى بمقامه يتدارك • والهول يغدو مقعدا ومقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام له عقد اللواء الاحفل • وله الشفاعة فى غد اذ تسأل
واذا دعا فدعاؤه متقبل • حتى الرحيم بان يرى مرحوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ميم ملائكة الاله تسلم • فرضا عليه ابدا وتعظم
وعز جبريل بها يتقدم • فيضاعف التعظيم والتكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

نون نبى جاءنا ببيان • وبمعجزات أبرزت اعيان
وبحسبه أن جاء بالقرآن • يشفى قلوبا تشتكى وجسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

هاء هو الهادى الذى اقتدح النهى • فتفكرت فى ملك من رفع السما
وقضى بحد للامور ومنتهى • فأفادها النظر السديد عموما
صلوا عليه وسلموا تسليما

واو وهى ركن التجلد بل هوى • لما ثوى فى الترب من بعد الثوى
نحوى الضريح الرحب نجما ما غوى • أجرى من الدمع السجوم سجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام لاجلك فاض دمعى جدولا • فاخضر آس اسالتاذ بيس الكلا
يا خير من كان المكارم والعلا • وحمى الحمى ورمى فأعمى الروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ياآه يحييه ويسقيه الحيا • رب العباد مجازيا وموفيا
ومشرفا ومسلما ومصليا • يامسلمين ورتموا التسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

•(ومن ذلك قول الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن عباس المغربي حسبما نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب منتهى السول في مدح الرسول للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الانصاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بقصده وهي أيضا مرتبة على حروف المعجم ماعدا الابتداء ويوت الانتهاء غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الاشطار ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل رحمه الله تعالى

الله زاد المصطفى تعظيما • وقضى له التفضيل والتقديما
وأناله شرفا لديه جسيما • فهو المقسم فخره تتميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالانباء • وأبوه مابين الثرى والماء
ثم استقر النور في الآباء • فتوارثوه كريمة وكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر بدا من يثرب • فأضاء بالانوار أقصى المغرب
وجلا عن الدنيا دياجي الغيهب • فبدا لنا نهج الرشاد قويما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أتى • وأباد أحزاب الطغاة وشتتا
وأبان أسباب النجاة ووقتا • للامة التحليل والتحريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالغيوب يحدث • وبروعه الروح المقدس ينفث
حبر بنا وشفيعنا اذ نبعث • في يوم لايدري الحميم حميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على صبح الهدى المتبلج • صلوا على بحر الندى المتموج
صلوا على روض الجمال المبهج • كيما تنالوا الفوز والتنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على غيث الانام السافح • صلوا على المسك الزكي النافح
ازورت روائحه بكل روائح • فالارض طيبها شذاه نسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من عهده لايفسخ • صلوا على من شرعه لاينسخ
صلوا على من حزبه لايمسخ • نبأ يفهم فضله تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من فخره لا ينفد * صلوا على من فضله لا يجحد
أنبى وكتب الرسل طرا تشهد * تنبي اليهود بفضله والروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد حمى عنا الأذى * ومن الغواية والضلالة أنقذا
صلوا على من ذكره نعم الغذا * وبمدحه تروى القلوب الهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر * من قبل نشأته المباركة اشتهر
كم كاهن منه أبان وكم خبر * وكم دليل في علاه أقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من جل مولده وعز * ضاءت قصور الشام لما أن برز
وتدانت الشهب الثواقب كالخرز * أو كاللآلي نظمت تنظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا * والماء بين بنانه قد بجسا
وأتت اليه سرحة حتى اكتسى * بفروعها اذ خيمت تخييما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا * وغدت تظلله الغمام اذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشا * ليكون سر حبيبه مكتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالصحبة خصصا * والقلب منه حين شق تخلصا
من حظ ابليس اللعين ومحصا * وأعد ما أن يشتكي تثليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من يوم مولده سطا * بجميع آلهة الضلالة والخطا
وهوى له عرش اللعين وأسقطا * والفرس هدم صرحهم تهديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من لم يزل قط غالطا * لاخيه في الارضاع كان محافظا
فاعجب لذلك كيف كان ملاحظا * للعدل فينا مرضعا وفطيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كلمته ذراع * وبفضله كفت المئين الصاع
والجذع حن له وما الاجذاع * بأرق منا أنفسا وفهوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغ * ماذا عسى مداحه أن يبلغوا
فالهنا يثني عليه ويبلغ * فاقرأ تجده محكما تحكيما

وليس في الاصل دور لحرف الضاد ولا بأس أن يقال تتميما للادوار
صلوا على هذا النبي المرتضى * من كوكب الارشاد منه لنا أضا
وغدت لنا أنواره ملء الفضا * قد عمت كل الورى تعميما
صلوا عليه وسلموا تسليما اه
مصححه

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر بالقفا * وعليه سلمت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى * وشكا اليه بازل قد ضيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق * عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق * اذ مج فيه العنبر المختوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من شأوه لا يدرك * صلوا على من شأوه لا يشرك
موسى وعيسى والخليل تبركوا * بلقائه وعنوا له تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خلفه صلى الرسل * شرف على تمكين عزته يدل
فاذن فقل هو سيد لهم ودل * لا تخش توبيخا ولا تحشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد سرى نحو السما * ليلا وعاد وما برحنا نوما
بالروح والجسم المطهر قد سما * قوله وراغم من أبى ترغيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا * بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مكان كانا * فخذ الفوائد واحذر التجسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد حباه الهه * بالكوثر المروى لنا أمواهه
في يوم حشر الخلق يظهر جاهه * اذ يقدم الرسل الكرام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالحوض الروى * وكذاك خصص بالمقام وباللوا
نوحا وآدم والكليم قد احتوى * وابن للبتول حوى وابراهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما قطع الفلا * صلى عليه الله ما اجتمع الملا
صلى عليه الله ما انتجع الكلا * أبدا ومارعت السوام هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما هطل الحيا * صلى عليه الله ما التقع الضيا
فلقد شفى الدنيا من الداء العيا * ولقد حمى عنا الظى وجحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله سيدنا النبي الاكمل * لله برق جبينه المتهلل
لله جود يمينه المتطل * أحيا وأغنى بالنوال عديما

صلوا

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه ذاته وحقيقته * لله منه خلقه وخليقته
لله منه شرعه وطريقته * فلقد جلت بشموسها التعتيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أمة الهادي النبي المصطفى * بالله لو كنا نعامل بالوفا
متنا عليه حسرة وتلهفا * حتى نؤدي حقه المحتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما كان أولانا بطول نحيبنا * ما كان أوجبنا بفرط وجيبنا
أفنستطيع الصبر عن محبوبنا * ما الصبر عن لقياه الا لوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لم لا نفيض على الدوام دموعنا * لم لا نقض من الغرام ضلوعنا
لم لا نخلي أهلنا وربوعنا * حتى نعاين من ذراه رسوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

أولم يكن يحنو علينا مشفقا * أولم يكن متعطفا مترفقا
أولم يعالجنا بأنواع الرقى * حتى اغتدى منا العليل سليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثله مالان يضر وينفع * من مثله يدرا العذاب ويدفع
من مثله لذوي الكبائر يشفع * من مثله بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ويح نفسي كم أرى ذا صبوة * وسماعي عن واعظي في نبوة
فعسى الرسول يقيلني من كبوة * فلكم رجاه عاثر فأقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا رب بالهادي الرفيع المحتد * اغفر لعبدك أحمد بن محمد
فلقد توسل اذ رجاك بسيد * ماردّ معتلق به محروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ناشدتكم يا سامعي هذا الثنا * قولوا معي أسعفوه تدينا
اغفر لقائله المقصر ما جنى * بمديحه خير الورى المعصوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

قوله ما الصبر الخ فيه اعمال ما مع انتقاض النفي تأمل اه مصححه

قلت واني لأسأل الله تعالى بلسان لم أعص به وهو لسان هذا المادح اذ قال يارب بالهادي فاني أحمد بن محمد بلغنا الله أمله من غفرانه بمنه وكرمه آمين (رجع) ومن ذلك قول الفقيه الكاتب الاديب أبي العباس أحمد بن القاسم الاشبيلي الشهير بابن القصير وطريقه هذه مخالفة للطريق المتقدمة من بعض الوجوه رحم الله تعالى الجميع

الله أكرم أحمدا تكريما * فغدا رسولا للعباد كريما

فاشكر غفور الذنوب رحيما * أرضى النبى بقـــوله تعليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قم منه هـدى نبى من نفى * بالبعث منه انا قضى لطف القضا
ملأت فضائله المهارق والفضا * ودجا الوجود فعندمبعثه أضا
صلوا عليه وسلموا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما * أن كان بالاسراء الاقدمها
ورقى البراق به وجبريل لما * قد سره سرا وجهرا سلما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم به من مرسل قد بشرا * بوجوده عيسى المسيح وقد سرى
ليسرته وأجل مبعوث يرى * بهداه أمته زهت بين الورى
صلوا عليه وسلموا تسليما

من جاء بالقرآن معجزة له * أعيا الورى من بعده أو قبله
الله كرمه وفضل فضله * وأجل منه فرعه وأصله
صلوا عليه وسلموا تسليما

من سبحت صم الحصا فى كفه * والبدر شق نصفه عن نصفه
ليرى به اعجاز من لم يصفه * حزنا بفخر ذكره أو وصفه
صلوا عليه وسلموا تسليما

يكفيه أن يتلى اسمه ويكرر * مع اسم خالقه اذا ما يذكر
هـذا الذى بمقاله لا يفخر * أبدا ولا لخـــلافه يتصور
صلوا عليه وسلموا تسليما

العبـد اسرف يا نبى الله * فى الذنب ساه عن تقاه لاه
فاشفع له من مذنب أواه * يرجو كريما منك جم الجاه
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنأى الزمان وصوله أو سوله * فابعث الابيات منه رسوله
فأنل بفضلك للمراد حصوله * حتى ثنا وازنت منه فصوله
صلوا عليه وسلموا تسليما

ابن القصير أطال قبلك نظامه * ليرى بذلك مسلما اسلامه
وترى مطاوع أمره وكلامه * لازال يقريك الاله سلامه
صلوا عليه وسلموا تسليما

(وما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزى رحمه الله تعالى)

فضل النبيين النبى محمد * شرفا يزيد وزادهم تعظيما
در يتيم فى الفخار وانما * خير اللآلى ما يكون يتيما
ساد النبيين الكرام وكلهم * صلوا عليه وسلموا تسليما

قوله أن يتلى هى مخففة من الثقيلة كما أن همزة اسم تقطع للضرورة كما لا يخفى اه

والله

والله قد صلى عليه كرامة * صلوا عليه وسلموا تسليما

(ومن ذلك هذا التسديس) البديع الذي هو من نظم الامام العارف بالله تعالى علاء الدين محمد بن العفيف الايجي الحسني الصفوي الزينبي رحمه الله تعالى مما رتبه على حروف المعجم والتزم الحرف أول الاشطار الاربعة وآخرها

الله أحمد أحمدا اذ يبرأ * أوضى وضيء نوره يتلألأ
أنواره كل العوالم تملأ * أكوانه لولاه لم تك تنشأ
ان كنتم انقدتم له تسليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
بدر بدا من نوره يتطلب * بحر بحور الجود منه تركب
بر وبرهان جلا يتقلب * بالمصطفى من صفا أتقرب
بادوا بما يجدي لكم تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
تالله مثل محمد لا يثبت * تم الكلام ببعثه ونبوة
تاج العلا بالمصطفى يتثبت * تاهت عقول للذي هو ينعت
تحف الصلاة به عليه أديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ثق بالذي يوما يقوم ويبعث * ثبة البرية بالنبي تغوث
ثبت الشفاعة للورى يتحدث * ثرة الطوائف للذي يتشبث
ثبت لزام الباب فيه مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
جاه النبي عوالما يتبلج * جاه له من جاه يتبهج
جاء نبي من لظى تتوهج * جاءت له الاشجار ارضا تفرج
جاور نبي الله نلت نعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
حقا هو الحق المبين الاوضح * حب حبا حبه يترنح
حسناته حشيانه تسترجح * حتى القلوب بحبه تترجح
حوت العلوم لذاته تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
خير البرايا دينه هو ناسخ * خير له خير الدهور رواسخ
خير الذي عن دينه هو بازخ * خال خلي عن نقائص باذخ
خذ باتباع فعاله ترسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
دل الانام على الاله محمد * دامت سعادة من بأحمد يسعد
دار له مأوى المحامد تحمد * دان الوجود به ومن هو أحمد
داوم على بابه له تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكرا لحبيب أحق ما يتأخذ * ذخرا ليوم بالنواصي يؤخذ
ذاك الشفيع لمن به يتعوذ * ذاك الذي بجنابه يستنقذ
ذلوا له ولبابه تغنيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
رب النبي محمد هو يذكر * رتب الحبيب كتابه متذكر

راق محيا أحمد هو ينظر * روح القلوب ولاؤه هو ينصر
روح بذكراه المريح نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
زين البرايا بالوجود معزز * زان العوالم حسنه يتقوز
زن فضله عن كلهم يتميز * زد ذكره عن زلة يتحرز
زلفى الاله بالمسفى تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
سبق الانام بفضله هو انفس * ساد الجميع بسودد يترأس
سبحان من أسرى به يتأنس * سر الحبيب بسره يتقدس
سمع الكلام من الاله كليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
شمس الهدى بدر الدجى يتبشش * شرف الحبيب من الوجوه يفتش
شكرا لمولانا عليه وأبهش * شوقي اليه وافرا أتعطش
شغف كل القلب بالحبيب أديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة الكلام لذاته هو أخلص * صفة الكتاب كماله يتخلص
صفة القلوب بحبه تتخلص * صفه صفاصب وأني يخلص
صل بالصلاة جنابه تكليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ضفت الفيوض من الحبيب تفيض * ضعفي اليه آمــلا يتعوض
ضمري وضيري كله يتقوض * ضل الذي في بابه لا ينهض
ضمن الحبيب لذاكريه زعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
طوبى لمن بحبيبه يتنشط * طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقي طيبة أتبسط * طال الاله على طولا يبسط
طوبى بمدحته يطيب نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ظل الهدى بهداه قد يتحفظ * ظلمات شرك قد جلت تتدلظ
ظلي الظل وداده يتحفظ * ظهري ظهيري حبه أتحفظ
ظني به يغدو العقاب عديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
علت المعالي بالنبي وترفع * عز علاه للذي هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع * عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عرج الاله به اليه عليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
غوث الورى ذا المصطفى هو سابغ * غيث الندى هو في البرايا سائغ
غمر الندى أقصى النهاية بالغ * غرز الحيا شمس وبدر بازغ
غنما نما بالمؤمنين رحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
فخر وذخر بالمفاخر يشرف * فرد وحيد في العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف * فاز الفقير بلطفه يتلطف
فاح النسيم من الحبيب جسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

قسم

قسم الاله بعمره فيفوق * قمت وجوه الحسين منه فيسبق
قمر وشمس نوره متالق * فمن يذكراه الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
كتب الاله ثناه مايدرك * كتب اسمه قرب اسمه يتبرك
كل الكمال له به يستدرك * كنه الكمالات التى لاتدرك
كيف كفى درّ الثناء يتيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لمعات نور محمد هى تخجل * للشمس والبدر المنير فتخجل
لذات ذكر محمد هى اكمل * لذوى الحوائج لا تذ متكفل
لذ بخد مجدمنك تلقى حكيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثله فى العالمين معظم * من مثله فى العالمين مكرم
من الاله لدى اللقاء يكلم * منحا حباه منه قد يتعلم
من الاله لديه صار عميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
نور له فى آدم يتبين * نقلا الى آبائه يتعين
نأى العوالم اذ أتى متعين * نار المجوس تخمدت تتهون
نعماه جت اذ تم كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
وجه به كل الوجوه اليه هو * وجه الوجاه بكاه يتوجهوا
ووجاهه وجه المرام فوجهوا * وجه اليك نبينا فتوجهوا
وجه الينا نظرة تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
هو مصطفى عند الاله الاوجه * هادلنا ونوجهه من أوجه
هالنه وجهى لهذا أوجه * هيه هذا أوجهه بالاوجه
هام الفؤاد بحبه تتيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لامثل للمختار اعلى من علا * لاجيه ناج قد نجا كل البلا
لاذ الصفى به يتوب فاقبلا * لاقى النبى محمد أن يقبلا
لازم محبا للحبيب نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
يا أكرم الخلق الذى هو ملجائى * يأتى محمد العفيفى الذى
يدعيه البك مرتجيا وفى * يقن بصفوته الصفى ويكتفى
عنا الذكر يهتدى تختيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

(وله أيضا رضى الله تعالى عنه) قصيدة أخرى على طريقة هذه وقد نظمها بعدها نفع الله تعالى بنيته وبلغه غاية قصده وأمنيته وهى هذه

أحسن بطلعة أحمد هى أضوأ * أعلن بلمعته العوالم تملأ
أزين به لما أتى يتلألأ * أبين بآيات له فتنبأ
الله قدمه بها تقديما * صلوا عليه وسلموا تسليما

بدأ الاله بنوره فيعقب * بدء الذى بالمصطفى يتقلب
فيه لذى الحاجات اذ يتطلب * بد بذكراه به يستوهب
بل هو الى الارب انتفع تعمما * صلوا عليه وسلموا تسليما
تلك العلامات التى هى تثبت * تب العدا تبا وعنه تثبت
تمت له الآيات فيك تبكت * توراة موسى ناطقا هى تنعت
توقيع حاجات صفوا تسليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ثبت الكمال له ومنه يورث * ثبت الورى لولم تكن لا تحدث
ثبت بذكرى المصطفى يتحنث * ثبت الذى بجنابه يتشبث
ثبت بذكر قد تراه قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
جاه العوالم نوره يتبلج * جاد العوالم بحره يتموج
جاز السموات العلا يتعرج * جاب الجميع بسامه يتفرج
جار له جارى له تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
حار العقول لمدحه اذ يمدح * حيا الحياء بريه يستروح
حى له فضل به يسترجح * حى له حامى حمى فتروح
حى الحمى الحامى تصير سليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
خلق له كل به يتشمخ * خلق له بالنقص لا يتلطخ
خلق به أحسن به هو ابذخ * خلق يحق له الثناء الارسخ
خلق الهدى بذاك تميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يتعهد * دارت بها كل السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد * دار بحسنى طيبة لا تبعد
دار لنسكونا بالسكون مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينقذ * ذكر لما ينسى رسولا ينفذ
ذكر الاله ثناؤه ويلذذ * ذكراه تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبى خذاعتصم تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
رب الورى سبحانه هو أكبر * رب النبى محمد فيكبر
رب الرؤف حبيبه فيدبر * ربى اصطفاه من الورى فاكبر
رب ارتجاء للمنى تدويما * صلوا عليه وسلموا تسليما
زان العوالم اذ أتاها يبرز * زاد الاله عروجه فيبرز
زادت معاليه عروجا ينشز * زاد لاخرى حبه يتحرز
زعم الشفاعة ذاكريه زعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ساد الجميع اذا أتى هو انفس * سار السموات العلا يستأنس
سأل الاله وزاد ما يتنافس * سامى ذراه للمحب تونس
سارع الى ذاك الذرى تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما

شرق لامثيله به يتغابش * شرق لاشرق شرقه يتفرش
شرقا وغربا فيه عقل يدهش * شوقا اليه قد اليه اجهش
شكرا على النعمى تزيد نعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة له ذات له هو أخلص * صفتا عن الشئ الذى يتنقص
صفة له حارت عقول تفحص * صفة شريعته النقائص تخلص
صفة له وبر به لتديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ضاع المديح لاحد يتروض * ضاع الذى عن ذكره هو يعرض
ضاف حباه كفه لفضفض * ضاف بذكراه المنى يتعرض
ضاعف له الآمال ملامديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
طال العوالم اذ أتى هو يقسط * طابت مدائحه فطاب المغبط
طابت به النعما وطاب المنشط * طام له بحر الالى يتنشط
طاب مطالب كلها تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ظهر النبى ورب * ظهر لامثيله ظهير ملحظ
ظهروا على الامم افتخار ملحظ * ظل له ظلوا به يتحفظوا
ظلت الظلال اذا ذكرت نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
عد المحاسن للنبى يستتبع * عد له آياته تتنوع
عداه مولاه اليه فيطلع * عده لذكراه غداة يشفع
عدباب من بالمؤمنين رحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
غزرت له الآيات هن نوابغ * غزر الحيا عز الورى هو سائغ
غمر الردى بحر الندى يتربغ * غمر البلاد بذكره يتفرغ
غمر بذكراه الفؤاد وسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
فاض الجمال وفاض منه يوسف * فاز المحب بذكره لا يوسف
فاضت عليه فيوضه يترأف * فاش له الآيات لا يتكلف
فادله كل بهم تقديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
قمر بدا من أفقه هو فائق * قمر يجاب بذكره ويعلق
قمقام كل الانبياء وسائق * قمقام جود عم كل يرفق
قم بابه مستنجيا ومقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
كلا به فتح الوجود ويدرك * كل الكمالات احتوى لايشرك
كل اللسان عن البيان وعى لك * كلى الذى بجنابه تمسك
كل مرتجال اليه ذو تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لمحمد هو مصطفى ومؤمل * لمحمد بن محمد ما يأمل
لمحت عليه بروقه يتجمل * لمعان نور وداده يستكمل
لم لا أصيب من الحبيب شميما * صلوا عليه وسلموا تسليما

٢ قوله ظهر النبى ورب هكذا بياض بالاصل ويمكن أن يقال ظهر النبى له العناية تلحظ اهـ

من مثل ذاك المصطفى يتعظم * من كل وجه للكمال ليعظم
من علينا من الاه اعظم * منه العروض اليه وهو يعظم
من كان للرب العظيم كليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
نور الاله حبيبه يتمكن * نادى الاله حبيبه يتمكن
نال نوالا شرحه لا يمكن * ناد له طوبى لمن يتمكن
نادى الحبيب بذكره تكليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
والله مثل محمد لا يشبه * والله مولاه العوالم كيف هو
وجد الوجود بذاته وبه له * وجد علا وبوجهه فتوجهوا
وجدوا وجادوا من النجاة مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
هو أكمل من كل وجه أوجه * هو ذا الحبيب القلب منه أوجه
فاولى طيبه واوجهو * هو من الارض المكثر أوجه
ها انا بنار الشوق صرت سقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لا ريب لا مثل له والله لا * لاحت له الآيات عرشا قد علا
لاقى ارتقاء ربه فتوصلا * لاج به نال المنى الى الالا
لازم لباب جنابه تقسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
يا أكرم كل اليه يلتجى * يأتى محمد الشفيع الذى
يقنا توسل بالصفى ويحتذى * يده البك فقرا ترتجى
عن افتتاح باسمه تختيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وانما اثبت هاتين القصيدتين فى جملة ما سردته وان كان فيهما من التكلف ما لا يخفى لاوجه (أحدها) أن صاحبهما من الصالحين يسلم له ويتبرك بكلامه ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد السهام الملامه (الثانى) انهما مدح النبى صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أزكى صلاته وأتم سلامه (الثالث) أن المراد جمع ما وقفت عليه فى البحر والروى والمعنى لان بعضا من العلماء ذكر لى انه لم يطلع فى ذلك الاعلى قصيدة ابن الجبان فأحببت أن أتعرض لتعريفه بهذا العدد واعلامه على أن القصد الاعظم ما هو الا التلذذ بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم خصوصا المقتبس فيها قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما (وقد كنت) نويت أن أؤلف فى ذلك بالخصوص كتابا باسمه روضة التعليم فى ذكر الصلاة والتسليم على من خصه الله تعالى بالاسراء والمعاينة والتكليم والله تعالى المسؤل فى التيسير فلنزد عليه يسير (ومن ذلك) هذا التسديس الذى وجدته فى كتاب درر الدرر للشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر العطار الجزائرى من جزائر بنى مرغنة وهى المشهورة الآن بالجزائر

أنوار أحمد حسنها يتلالا * المصطفى بحلى الكمال يحلا
الشمس تخجل وهو منها أضوأ * النور منه مقسم ومجزأ

---

٥ قوله لا يشبه وكذلك قوله فى الشطر الثالث وبه له مقتضى التزامه أن يرسم لا يشبهوا وبه اهو هكذا بالواو فتنبه اه

٦ قوله فاولى الخ هكذا بياض بالاصل وقوله واوجهوا مرسوم بالواو على خلاف ما التزمه ويمكن أن يقال بدلا عن هذا الشطر
هو أفضل هو أجل هو أوجه
وقوله هو من الارض الخ هكذا بالاصل ولا يخفى ما فيه ولا مانع أن يقال بدله
هو من ترى فوق المعالى أوجه
وقوله ها انا يظهر أن أصلها ها أنا تأمل اه مصححه

٧ قوله يده البك الخ هكذا فى الاصل ولعل صوابه هكذا
يده البك بعد فقرا يرتجى الخ

قوله وان كان فيهما من التكلف ما لا يخفى وقد زادت فيهما الركاكة والسقامة بما عرض لهما من تحريف النساخ كما أشرنا الى ذلك بالكتابة على البعض ووضع الارقام على البعض وبعض تغيير فى البعض رحم الله قائلهما ونفعنا به فى الدارين اه مصححه

قوله فلنزد عليه يسير هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا وتحريفا والاصل هكذا ولنزد عليه بعض شئ يسير الآن يكون ذلك على لغة ربيعة تأمل اه مصححه

قد زان ذاك النور ابراهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المسك الفتيق الاطيب * صلوا على الورد المعين الاعذب
صلوا على نور ثوى فى يثرب * صلوا عليه بمشرق وبمغرب
مازال فى الرسل الكرام كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر الكمال النابت * صلوا على طود البهاء الثابت
صلوا على من فاق نعت الناعت * خير الورى من ناطق أو صامت
وأعزهم نفسا وأطهر خيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على طيب يفوح ويمكث * صلوا على من عهده لا ينكث
صلوا على من بالهدى يتحدث * عنه المعارف والحقائق تورث
أضحى يعلمنا الهدى تعليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره يتبلج * صلوا على من عرفه يتأرج
للحضرة العلياء ليلا يعرج * صلوا على من حاز مجدا يبهج
وبها على العرش المجيد مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير اللائح * صلوا على صبح الرشاد الواضح
صلوا على المسك الزكى الفائح * صلوا على الهادى النبى الناصح
الرشد فهم والهدى تفهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من شرعه لا ينسخ * صلوا على من عهده لا يفسخ
صلوا على من بالثناء يضمخ * علياؤه عليا الكمال تؤرخ
نال المفاخر والكمال قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى لاعذب مورد * صلوا على خير الانام الاوحد
صلوا على بدر التمام الاسعد * بمحمد فزنا ومن كمحمد
الله عظم قدره تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة ينفذ * صلوا عليه فللسعادة يجبذ
صلوا على من حبه لا ينبذ * أبصارنا طرّا بأحمد تلوذ
فى موقف ينسى الحميم حميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الزاهر * صلوا على الروض البهى الناضر
صلوا على خزن العلوم الماطر * صلوا على المسك الفتيق العاطر
وتنعموا بصلاتكم تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور يلوح ويبرز * صلوا على مسك يفوح ويحرز
بمحمد حلل الكمال تطرز * ولمجده درر السيادة تفرز
قد نظمت لكماله تنظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الدر النفيس الانفس * صلوا عليه فهو روض الانفس
صلوا عليه فهو زين المجلس * ومنى الجليس ونزهة المتأنس

راق النفوس شذا وطاب شميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المختار أفضل من مشى * صلوا على النور الذى قد أدهشا
بمحمد عرف القرنفل قد فشا * وورد الظما آن اليه تعطشا
يبرى الضنا أبدا ويروى الهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالكمال يخصص * صلوا على من نوره لا ينقص
صلوا عليه على الدوام وأخلصوا * ظل طفا بالامن لا يتقلص
شمل الورى طرا وطاب عميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على صبح تبلج بالرضى * وقضى على ليل الضلالة فانقضى
صلوا على من بالنجاة تعرضا * صبح تذهب نوره وتفضضا
وعلا وخيم ضوءه تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالبهاء يخطط * صلوا على ورد بمسك يخلط
للمصطفى بسط الكرامة تبسط * وله يواقيت السناء تقسط
وبنوره أضحى الزمان وسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالمهابة يلحظ * صلوا على من بالنبوة يحفظ
صلوا على من بالهداية يلفظ * لعصاته نار الجحيم تغيظ
ورضاه هب لنا وطاب نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الساطع * صلوا على الروض الانيق اليانع
صلوا على الصبح المنير اللامع * صلوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه فى وهج الهجير مغيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاعم السابغ * صلوا على البدر الاتم البازغ
صلوا على المسك الزكى البالغ * صلوا على الورد المعين السائغ
للواردين به غدا تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالتقرب يوصف * صلوا على من بالمحبة يعرف
صلوا على من بالعلا يتشرف * صلوا عليه به الكمال يزخرف
المجد فخم ذكره تفخيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يطيب لناشق * صلوا على الروض الانيق الرائق
اشراقه بمغارب ومشارق * صلوا على البدر الاتم الفائق
بادتنسم حسنه تنسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك * صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك * صلوا على من للهدى يتحرك
وبه تحلى ظاعنا ومقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الاكمل * صلوا على الروض البهى الاجمل
صلوا على الهادى النبى الاحفل * المصطفى الارقى لاكرم محفل

قبله

نبيه تقدم وحده تقديما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم • صلوا على عرف زكي ناسم
صلوا عليه فهو بدر دائم • من جوده غلنا بخير مقاسم
أنواره قد عممت تعميما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا • صلوا على من بالكمال تمكنا
صلوا على هاد أبان وبينا • بمحمد فزنا بادراك المنى
للخلق أرسل رحمة ورحيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى النبي الانزه • بدر التمام وروضة المتنزه
فى فضله كل الشهادة تنتهى • أبدا بانم تراه نحو الاوجه
فى حبه أضحى الغرام غريما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور بطيبة قد ثوى • فعلا وفاض على البسيطة واحتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى • صلوا عليه فهو ينجى من هوى
فى موقف يذر السليم سليما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور تلالا واعتلى • صلوا على صبح مبين يجتلى
صلوا على مسك يخالط مندلا • صلوا على در تزان به الحلا
وبه المعالى ختمت تختيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نال مجدا عاليا • وسما وحاز مفاخرا ومعاليا
صلوا على نور بدى حاليا • وبمدحه الرحمن زين حاليا
واذا سما المخدوم زان خديما • صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد تواردفى بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التى أولها بأمة الهادى المبارك أحمد حسبما يعرفه المتأمل والذى فى ظنى أن صاحب بأمة الهادى متأخر عن ابن العطار فهو الذى اخذ منه والله سبحانه اعلم (وتوارد أيضا) فى عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبى العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله الله زاد محمدا تعظيما وهما على منوال واحد غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخا فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين أو ذلك من توارد الخاطر (ورأيت) فى هذا الكتاب تسديسا آخر لم يرتبه على حروف المعجم وجعل روى الشطرين الاخيرين حرف اللام فأحببت ذكره هنا زيادة فى التبرك بمدح المصطفى عليه اجل الصلاة والسلام (وهو)

قوله الشطرين الاخيرين هكذا فى الاصل ولعل صوابه الشطر الاخير بالافراد أى ماقبل شطر الاقتباس اه مصححه

نور النبى المصطفى المختار • اربت محاسنه على الانوار
مرآة يحجل بهجة الاقمار • نور ينجى من عذاب النار
قد زان ذاك النور اسمعيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير المشرق • صلوا عليه بمغرب وبمشرق
صلوا على غصن الكمال المورق • بالمصطفى المختار برق الابرق

يهدى غراما للنفوس دخيلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تناهى فخره * صلوا على من قد تعاظم قدره
صلوا على من قد تأرج نشره * صلوا على من قد تناسق دره
فقد الثناء بجيده اكليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الانام المرسل * صلوا على البدر المبين السلسل
صلوا على أسنى سنا المتوسل * صلوا على نور الهدى المترسل
ظل علينا لا يزال ظليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاتم الاكبر * صلوا على من فاق عرف العنبر
صلوا عليه فهو أصدق مخبر * كم زان ذكر المصطفى من منبر
وأراح من داء الضلال عليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاتم الاكبر * صلوا على من فاق كل مبشر
صلوا عليه هدبتم من معشر * صلوا على بدر يرى فى المحشر
حاز الجمال فلا يزال جميلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور البهى المغرب * صلوا عليه بمشرق وبمغرب
صلوا على الورد الشهى المشرب * بالفكر يشرب ويح من لم يشربه
منه ويتقع بالورود غليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من فخره لا ينكر * صلوا على من فى الحياة يفكر
صلوا على من بالنبوة يذكر * صلوا على من بالهداية يشكر
شكرا على مر الزمان جميلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالسيادة قدما * صلوا على من فى الكمال تقدما
صلوا على صبح بدا متبسما * صلوا على طيب سرى وتنسما
وغدا وراح معطرا وبليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يخالط عنبرا * صلوا عليه سرى وفاح وما انبرى
صلوا عليه حوى الكمال الاكبرا * لبس الجمال مطرزا ومحبرا
وبذاك قد خص الجليل جليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة توجا * صلوا على صبح بدا وتبلجا
صلوا عليه لقد أضاء وأبهجا * ومحا برونق نوره ظلم الدجا
نور يعود الطرف منه كليلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور تبلج لائحا * صلوا على نور تبلج واضحا
صلوا على مسك تأرج فائحا * وبطيبه ملأ الوجود روائحا
وبحبه يستوجب التبجيلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره ملأ الفضا * صلوا عليه لقد أضاء وما انقضى
صلوا على من حف حقا بالرضى * لنجاتنا خير الانام تعرضا

قوله البدر هكذا فى الاصل ولعله محرف عن الورد تأمل اه مصححه

قوله صلوا على النور الخ هو مكرر مع السابق ومخالف لاصطلاحه غالبا من التزام الحرف الذى قبل حرف الروى فلو قال بدله صلوا على محيى الصواب المنشر أو نحوه لسلم من التكرار والمخالفة تأمل اه مصححه

وهدى الى نيل الرشاد سبيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر يدوم كماله • باق على مر الزمان جماله

صلوا على من قد تعاظم جاهه • ودنا الى ورد الرضى ترحاله

والى الورود به أجد رحيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بأجمعكم على شمس الهدى • صلوا على بدر يزين المشهدا

صلوا عليه فمن رآه تشهدا • صلوا عليه به الرشاد تمهدا

أرضى التنزيل وبين التنزيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد تأثل مجده • فسما به غور الحجاز ونجده

مازهره لولاه أوما ورده • بالمصطفى المختار يعذب ورده

فى تربه ما أعذب التقبيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على محبوبنا مطلوبنا • صلوا عليه فهو روض قلوبنا

صلوا عليه فهو عاز جيوبنا • صلوا على مطلوبنا محبوبنا

لانرتضى من حبه تبديلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على خير الانام الاطهر • صلوا على النور الاتم الابهر

صلوا على الصبح المنير الاشهر • صلوا عليه باتصال الاشهر

الله فضلنا به تفضيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد تناهى فى العلا • صلوا على من كان اكمل اجملا

صلوا على در تزان به الحلى • المجد ألبسه الكمال فأجزلا

والله كمل مجده تكميلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

وأظن أنى رأيت بعض هذه القصيدة فى كتاب العروسى المغربى وهو متأخر انتهى •

ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربى وهى

أهدت لنا طيب الروائح يثرب • فهبوبها عند التنسم يطرب

رقت فرق من الصبابة والاسى • قلب بنيران البعاد يعذب

شوقا الى أسنى نبى حبيه • كنز النجاة فنعم هذا المطلب

المصطفى أعلى البرية منصبا • قد حل فى العلياء ذاك المنصب

فزنا به بين الانام بدعـ[illegible] • أبدا علينا بالامانى تسكب

حاز السيادة والكمال محمد • فالبه أشتات المحامد تنسب

محبوبنا ونبينا وشفيعنا • يدنى الى روض الرضى ويقرب

بضيائه الملتاح أشرق مشرق • وبنوره الوضاح أغرب مغرب

وبه وردنا الامن عذبا صافيا • وبه ترقى فى المعالى يصعب

صبح الهدى أنواره بنبينا • صبحا تروق الناظرين وتعجب

ان طابت الانفاس من زهر الربى • رياه أزكى فى النفوس وأطيب

صيرت أمداح النبى المصطفى • لى مذهبا ياحبذاك المذهب

هذا الشطر زدناه تتميما للشطر قبله وهو ناقص فى الاصل اه مصححه

فعلىّ من أمداح أحمد خلعة * موشية ولها طراز مذهب
وبمدحه شمس الرضى طلعت على * أفقى تضيء ونورها لا يغرب
أترى يبشرنى البشير بقربه * وأبث أشواق الفؤاد وأندب
ويقال لى بشراك قد نلت المنى * يا مغربىّ الى متى تتغرّب
هذا مقر الوحى هذا المصطفى * هذا الذى أنواره لا تحجب
رد ورد طيبة واشف من ألم النوى * قلبا على جمر الاسى يتقلب
كم ذا التوانى عن زيارة مورد * عذب المقام به ولذ المشرب
منا السلام على النبىّ محمد * ما أسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمى هذا الكتاب بنظم الدرر فى مدح سيد البشر والورد العذب المعين فى مولد سيد الخلق أجمعين وليس هو بابن العطار المشرقىّ الذى كان معاصر الابن حجة الحموى فان ذلك متأخر عن هذا وهذا مغربىّ وذاك مشرقىّ فلم يتفقا الا فى زمان ولا فى مكان غير أنهما اشتركا فى الشهرة بابن العطار ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضى العدل الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن يوسف العطار رواية العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن أحمد بن الامين الاقشهرى قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضى المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع الحكم فى مدينة الجزائر من أقصى افريقية حرست فى دول[1] متفرّقة وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبع وسبعمائة ونص ما كتب على نص قراءتى عليه صحيح ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار[2] والحمد لله رب العالمين انتهى ورأيت اثر ما تقدم بخط الاقشهرى ما صورته سمع من لفظى جميع نظم الدرر فى نسب[3] سيد البشر لجامعه القاضى المذكور أعلاه القاضى شمس الدين محمد ابن المرحوم عبد المنعم الشيبىّ وولده أبو محمد عبد الدائم وابن أخيه أبو محمد عبد الباقى بن تاج الدين بن حفص ابن أبى بكر البورىّ وغيرهم بحق سماعى قراءة منى على مؤلفه[4] أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر العطار سنة سبع وسبعمائة قاله وراسمه الاقشهرى انتهى * ومن قصائد هذا الكتاب قوله

أبدا تشوقك أو تروقك يثرب * فالى متى يقصيك عنها المغرب
هى جنة فى النفس يعذب ذكرها * والقرب منها والتدانى أعذب
المسك معترف بانّ نسيمها * أسمى وأسرى فى النفوس وأطيب
والعنبر الوردىّ دان لطيبها * منه التعطر والتأرّج يطلب
جيش الصبابة شن غارات الاسى * من بعدها فالصبر منها ينهب
والشوق يثنينا اليها كلما * وقف الحمام على الاراكة يخطب
حتى النسيم اذا سرى من ربعها * يثنى من الروض الغصون ويطرب
حبا فأحبا المستهام بطيبه * فنفوسنا بهبوبه تستطيب

[1] قوله دول كذا فى الاصل ولعله مرّات أو أيام أو مجالس أو دفعات أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

[2] قوله ابن محمد بن العطار نسبه لجدّه والا فمقتضى ما تقدم قريبا أن يقال ابن محمد بن أبى بكر بن يوسف العطار فتنبه اه مصححه

[3] قوله فى نسب سيد البشر الذى تقدم فى مدح سيد البشر فلا تغفل اه مصححه

[4] قوله على مؤلفه أبى عبد الله الخ فيه مخالفة لما سبق قريبا فى نسب المذكور فليراجع اه مصححه

يا حبذا فى ربع طيبة وقفة * بين الركائب والمدامع تسكب
حتى يرق للوعتى وصبابتى * ودموع عينى كل من يتغرب
شوقا لمن زان الوجود وحبه * يدنى الى رتب الرضى ويقرب
ساد الانام المصطفى بكماله * فاليه أجناس السيادة تنسب
بالنور زاد حلى على آبائه * وبحسن ذاك النور أعرب معرب
الشمس يغرب نورها وضياؤها * أبدا ونور المصطفى لا يغرب
الله أرسله البنا رحمة * فبجاهه عنا الرضى لا يحجب
بمحمد فزنا بادراك المنى * فالوقت طاب لنا وطاب المشرب
خير الورى محبوبنا ونبينا * حزنا به الجاه الذى لا يسلب
روض النفوس محمد ونعيمها * وبه يفضض حليها ويذهب
شرف تقادم قبل آدم عهده * للنور أطناب عليه تطنب
منا عليه مدى الزمان تحية * يثنى عليها المندلى ويطنب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

طلعت وقارنها البهاء بدور * أبدا على قطب السعود تدور
من نور أحمد يستمد ضياؤها * وبهاؤها يا حبذا النور
ويزيد ذاك النور حسنا فائقا * يوم القيامة والانام حضور
محبوبنا أسمى البرية منصبا * يوم النشور لواؤه منشور
فزنا بخير العالمين محمد * وجرى بوفق مرادنا المقدور
لاحت لنا أنواره فزماننا * نور وأنس دائم وسرور
بالمصطفى المختار قابلنا الرضى * بين الانام فسعينا مشكور
الله فضله على كل الورى * فهو الحبيب وفضله مشهور
القرب خصصه وعظم قدره * فسما ببهجة نوره ناحور
خير النبيين الكرام نبينا * بالنور فى العرش اسمه مسطور
يا صاحبى نداء صب مغرم * قلبى بحب المصطفى معمور
عوجا على بوقفة وبعطفة * انى على ألم الفراق صبور
ان لم أزر بالجسم قبر المصطفى * فالقلب من بعد المزار يزور
نيران قلبى بالبعاد توقدت * ومدامعى خدى بها ممطور
فمن الفراق الخدم نيران لها * لهب ومن فيض الدموع بحور
فمتى أفوز بوقفة فى طيبة * والقلب منى فارح مسرور
ويقال لى أنزل بأكرم منزل * وابشر فانت على النوى منصور
ان جاد دهرى بالوصول لطيبة * بعد المطال فذنبه مغفور
هى جنة من حلها نال المنى * وسما وساد وصافحته الحور
حتى النسيم اذا سرى من نحوها * يصبو اليه المسك والكافور

قوله ناحور هكذا فى الاصل ولم أقف عليه ولعله الباحور أى القمر أو نحو ذلك مما يلائم المقام وليحرر اه مصححه

قوله أنزل بقطع الهمزة كما أن ابشر بوصلها لضرورة الوزن كما لا يخفى اه مصححه

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أمّا النسيم فقد حيّاك عاطره * وبارق الجفن أحياك ماطره
خاطر بروحك في نيل الوصال فكم * من نازح نال طيب الوصل خاطره
زهر الربى باسم تندى كمائمه * رق النسيم بها اذراق ناظره
ما حلّ روض المنى الغض الجنى دنف * فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
والنهر أبرز للبدر الاتم حلى * والبدر طرّز ماء النهر زاهره
والغصن تلعب أنفاس الرياح به * والطلّ قد نثرت منه أزاهره
والليل قد رقت بالشهب حلته * والبرق يبسم في الظلماء ساهره
والنور محض جنى فوق الندى درر * وعقدها زين الابصار دائره
وملبس الروض قد زانته خضرته * والليل بالفجر قد زالت غدائره
والصبح سلّ على جيش الظلام ظبا * وعند ما لها ولت عساكره
للزهر سرّ وعرف الروض فاضحه * والمسك ان فض لا تخفى سرائره
هل زار طيبة ذاك العرف حين سرى * فتربها أبدا مسك يخامره
طابت بطيب رسول الله فهي به * سمت وفاقت بمن فاقت مفاخره
به معدّ تسامى للعلا وبه * حاز المكارم واعتزت عشائره
أسنى النبيين إقدرا نوره أبدا * يزيد حسنا على الاقمار باهره
وأفضل الخلق من عرب ومن عجم * أربت على الرمل أضعافا مآثره
ان كان للرسل عقد وهو آخرهم * نظما فقد زان عقد الرسل آخره
روض من الحلم غض راق منظره * بحر من العلم عذب فاض زاخره
ان جاد صاح بلقياه الزمان فقل * الى مقام حبيب أنت زائره
وصف له حال صبّ مغرم دنف * رام الدنو فأقصته جرائره
واذكر هناك بعيد الدار غرّبه * غرب فما غاب من أنت ذاكره
أهدى السلام بلا حدّ ولا أمد * الى محلّ رسول الله عامره

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أمنزلنا جادت ثراك السحائب * والا فجادته الدموع السواكب
ووشاك وسميّ الغمام بدرّه * وحلى محلا حلّ فيه الحبائب
وحيا نسيم الريح بالجزع آنسا * فما غاب ذاك الانس بالجزع غائب
فيا عهدنا بالخيف هل أنت عائد * ويا أنسنا بالجزع هل أنت آيب
وهل راجع عصر الشباب الذي انقضى * وقد شيبت سود الشعور الشوائب
وهيهات أن تقضى لنا برجوعه * كما كان غصنا مورقا وهو ذاهب
وقد سلب الدهر المفرّق أنسنا * وأودى به والدهر للانس سالب
فما وهب الانفاس الامغالطا * وأيّ بخيل للنفائس واهب
أطالب أيام العقيق بعودة * وقد عز مطلوب له أنا طالب

فيا صاحبي كن مسعدي في صبابتي * والا فما أنت الصديق المصاحب
اذا ما بدا برق الحجاز فأدمعي * تفيض الى الورّاد منها المشارب
أعاتب أيام البعاد وقلما * يبرّد حرّ الشوق بالعتب عاتب
وأبخل بالصبر الجميل وانه * لينهبه من وارد البين ناهب
ولما بدت أعلام طيبة قصرت * من الشوق ما قد طوّلته السباسب
وقفنا وسلمنا وفاضت دموعنا * وحنت الى ذاك الجناب الركائب
نزلنا وقبلنا من الشوق تربها * وطابت بذاك الترب منا الترائب
فللعين من تلك المعاهد نزهة * وللقلب في تلك الرسوم مآرب
حوت سيد الرسل الذي جل قدره * له في مقام القرب تقضى المطالب
به غالب حاز المفاخر سالفا * ولا شرف الا الذي حاز غالب
يهادي الورى طرّا مناصبه سمت * وراقت بخير الرسل تلك المناصب
محمد الهادي باشراق نوره * تمزق من ليل الضلال غياهب
ترقى الى السبع الطباق وما بدا * له في ترقيه من الحجب حاجب
وخاطبه في حضرة القدس ربه * وأدناه في حال الخطاب المخاطب
نبي بدت أنواره وتلألأت * فنها تضيء النيرات الثواقب
لقد أشرقت شمس النهار بنوره * وبدر الدجى لما بدا والكواكب
أعلل قلبي بالوصول لقبره * وان غبت عن قبري ووجهك غائب
واني أناديه وان كنت نازحا * نداء غريب غربته المغارب
اذا كنت لي يا سيد الرسل شافعا * فما أنا من نيل السعادة خائب
بمدحك يا من جل قدرا وحظوة * وجاها وتمكينا تنال المواهب
فيا معشر الاحباب ان نبينا * الى فوزنا داع وساع وخاطب
الا فاذكروه كل حين وسلموا * عليه بذاك الذكر تسمو المراتب
وقوموا على أقدامكم عند ذكره * فذلك في شرع المحبة واجب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

شمس الهدى وضحت بأشرف مرسل * وزجت دجى ليل الضلال المسبل
من وجه عبد الله كان ظهورها * للخلق طرّا في ربيع الاوّل
خلعت على الآفاق أشرف ملبس * وبدت فأي دجنة لم تنجل
فالنيران المشرقان كلاهما * للمصطفى اعترفا بعجز مجمل
فالشمس لما أن بدت أنواره * أومت اليه بالسلام الاحفل
والبدر قابله بحسن كامل * فانشق للبدر الاتم الاكمل
ولليلة الاسراء أجمل منظر * بجمال اسراء الحبيب الاجمل
فضلت على الايام من شرف لما * حازته من شرف النبي الافضل
وبها بدا نور النبي المصطفى * وبدت لنا نار الكليم المصطلي

اذ جاءه الروح الامين مسلما * ومبشرا بورود أعذب منهل
فسرى الى أسنى محل وارتقى * والجفن منه بنومه لم يكحل
رفعت له حجب الجلال بأسرها * فرأى جلالا لم يكن بممثل
حتى انتهى الروح الامين لحده * وبحيث يذهل عقل من لم يذهل
ناداه لما أن ترقى وحده * لك يا محمد ذا التقرب ليس لى
ارقا الى الافق السنى مشاهدا * وانزل لحاوطك بالحضيض الاسفل
واسعد بزورة من تعاظم ملكه * واصعد الى عرش الحبيب الاول
فسما فشاهد حضرة القدس التى * سبحاتها تغشى حجا المتأمل
وبدا الكمال له ونودى مقبلا * أهلا وسهلا بالحبيب المقبل
أنت المراد لسرنا ولوحينا * أقبل الينا يا محمد تقبل
والبس بحضرة قدسنا خلع الرضى * مناوجر الذيل منها وارفل
ولك الوسيلة يا محمد عندنا * وبها نخيب وسيلة المتوسل
فاحكم بما يوحى اليك من الهدى * وانزل بأنوار الكتاب المنزل
فيه شفاء للصدور فبرؤها * بمفصل منه وغير مفصل
يانفس هل تشفيك زورة طيبة * فرسومها برء لكل مقبل
ولى زمانك فى التصابى والمنى * فدعى التصابى والامانى وارحلى
ياقلب روعات الجوى هل تنقضى * عنى ولوعات الجوى هل تنجلى
وأزور قبر الهاشمى محمد * قبل الرحيل وقبل عذل العذل
انى وان بخل الزمان بقربه * فبلوعتى وبدمعتى لم أبخل
اسقى الثرى تسكابها فدعينها * بهمى ونار صبابتى ما تأتلى
الهى على بعد المزار متى أرى * يقضى الزمان بقرب ذاك المنزل
ومتى أبشر بالمنى ويقال لى * هذا مقر الوحى دونك فانزل
وتهب تلقائى نواسم طيبة * انى أجود بها اليك وحق لى
فلقد بليت بلوعة وبدمعة * وهبوبك الازكى شفاء المبتلى
خيلت قربك برء داء صبابتى * ضن البعاد به فطال تخيلى
شوقا الى خير الانام بأسرهم * سؤلى وأسنى مقصدى ومؤملى
فبه أنا متوسل فى مقصدى * أسنى التوسل بالرسول المرسل
وبجاهه عند الانام ما ربى * ووسائلى تقضى وان لم أسأل
وبه الامانى قد حللن بساحتى * وحوادث الحدثان صرن بمعزل
بشراك نفسى فالامانى اعجلت * نحوى تبشرنى بخير معجل
بمديحه أضحى الزمان مسالمى * تندى اسرة وجهه المتهلل
فبه الهى قد رجوتك راغبا * دون الانام فباب جودك موئلى
واليك ربى رغبتى وتوسلى * وعليك فى كل الامور توكلى

(وثبت)

(وثبت فى آخر هذا الكتاب ماصورته) قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم كان الفراغ من اكمال هذا الفصل واتمامه حسب نثره ونظامه ضحوة يوم الجمعة الثانى من شعبان المكرم سنة ست وتسعين وستمائة ماعدا أربع قصائد اشتمل عليها فانها ماتقدمت على انشائه أودعتها فيه والله سبحانه المستعان وذلك بمدينة الجزائر جزائر بنى مزغنة من اقصى افريقية من ارض متيجة صانها الله تعالى انتهى (وثبت فى آخره بخط بعض الاكابر مانصه) تأليف الفقيه العالم الاديب البارع أبى عبد الله محمد بن العطار الجزائرى انتهى وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر فالله تعالى يجازى صاحبه أفضل الجزاء بمنه وكرمه * (ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الاندلس بعض الامداح النبوية زيادة على ما ذكرنا فنقول) قال العارف بالله تعالى ابن العريف فى كتاب مطالع الانوار ومنابع الاسرار

وحقك يا محمد ان قلبى * يحبك قربة نحو الاله
جرت أمواه حبك فى فؤادى * فهام القلب فى طيب المياه
فصرت أرى الامور بعين حق * وكنت أرى الامور بعين ساهى
اذا شغف الفؤاد به ودادا * فهل ينهاه عن ذكراه ناهى
يهيم بذكره ويحن شوقا * حنين المستهام الى الملاهى
يخامره ارتياح منه حتى * يقول أولو الجهالة ذا الّلاهى
وماهو حق فضل قدرآه * فصار يجدّ فى طلب الملاهى
فسوف ينال فى الدنيا سرورا * وفى الدار الاخيرة كل جاه
ويعطى ماتمنّى من أمان * كما قد حب محبوب الاله

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ياعاذلى فى طلابى * دعنى من العذل دعنى
سأعمل العيس شوقا * بالعزم دون التأنى
الى ضريح رسول * مصدّق حسن ظنى
أشدو على كل فج * حين الحمام يغنى
ياأطهر الخلق انى * بذلتى عبد قن
فأعتق اليوم رقى * وانظر بعطفك منى
فأنت أنت ملاذى * اياك اياك أعنى
ان غبت عن عين جسمى * ماغبت عن عين ذهنى
لولاك كنا أناسا * أشر من كل جن
فاذ بعثت رسولا * نخبر فضل ومن
لله خالص شكرى * عساه يصفح عنى
فاننى عبد سوء * قلبت ظهر المجن

وقال فى خاتمة ذلك الكتاب

قوله قال محمد بن عبد الله الخ ينظر فى هذه النسبة مع ماتقدم قريبا اه مصححه

قوله جزائر بنى مزغنة كذا فى الاصل وتقدمت كذلك فى غير هذا الموضع والذى رأيته فى كتاب تقويم البلدان لابى الفداء جزائر بنى مزغنان ونصه فى الكلام على بجاية التى هى قاعدة الغرب الاوسط هكذا وغربى بجاية جزائر بنى مزغنان وهى فرضة مشهورة من عمل بجاية الى أن قال ومزغنان بفتح الميم وسكون الزاء وكسر الغين المعجمتين ثم نونين بينهما ألف الاولى مشددة عن الشيخ شعيب اه المقصود منه اه مصححه

صلى الاله على النبي الهادى ❊ ما لاذت الارواح بالاجساد
صلى عليه الله ما اسودّ الدجا ❊ فكسا محيا الافق برد حداد
صلى عليه الله ما انبلج السنا ❊ فابيض وجه الارض بعد سواد
صلى عليه الله ما همع الحيا ❊ فسقى البلاد برائح أو غادى
صلى عليه الله ما هفت الصبا ❊ وشدا على فنن الاراكة شادى
صلى عليه الله ما ألف الكرى ❊ جفن نخامره لذيذ رقاد
صلى على المختار أحمد ربه ❊ ما استمسكت نار بطىّ زناد
صلى على خير الانام محمد ❊ من خصه بالنور والارشاد
صلى الاله على رسول حاشر ❊ حشر الانام لديه فى الميعاد
صلى الاله على رسول عاقب ❊ فى الدهر وهو بفضله كالهادى
صلى الاله على رسول خاتم ❊ ختم النبوّة بالكتاب الهادى
صلى الاله على المقفى ما اقتفى ❊ بشر نبوّته بغير عناد
صلى على ماحى الضلال الهه ❊ ما غرّدت طير على الاعواد
صلى الاله على نبيّ طالع ❊ بسلامه قصمت فؤاد العادى
صلى عليه الله فهو نبيه ❊ ناداه بالارشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله ❊ أعطاه راية عزمة ورشاد
صلى عليه الله فهو خليله ❊ أسدى اليه منه كل سداد
صلى عليه الله فهو صفيه ❊ صفى سريرته من الاحقاد
صلى عليه الله فهو وليه ❊ والاه فى الاصدار والايراد
صلى عليه الله فهو المصطفى ❊ من كل حضار العباد وبادى
صلى عليه الله فهو المجتبى ❊ يجبى اليه الخير دون نفاد
صلى عليه الله فهو المنتقى ❊ نور الزمان وواحد الآحاد
صلى عليه من براه مطهرا ❊ واختاره طودا من الاطواد
صلى عليه من براه بفضله ❊ وأعاده حيا لغير معاد
صلى عليه من أراه جلاله ❊ وأناله من ذاك كل مراد
صلى عليه من أحل فؤاده ❊ فى ظل عرش ثابت الاوتاد
صلى عليه من غذاه بنعمة ❊ فتضاعفت كتضاعف الاعداد
صلى عليه من كساه عوارفا ❊ واختصه منه بخير اياد

(وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب كما تقدم

الف أيا خير البرية هذى ❊ مدحى وما أنا فى مقامى هاذى
باء بها أظهرت صدق محبتى ❊ وبذلك الجاه الكريم لياذى
تاء تخذت وسيلة ما سكته ❊ وجعلته يوم المعاد عياذى

ثاء ثنائى ليس يحصر فضلك الـ * ـزاهى ولا يحوى به باستحواذ
جيم جلالك جل طور فخاره * عن شبه مثل أو لحاق محاذى
حاء حبيت بمعجزات ذكرها * يولى ذوى الايمان كل لذاذ
خاء خصصت بها بفضل عناية * منها لجأت الى أجل ملاذ
دال دحضت بحقها مستقربا * ابطال زور مشعر بملاذ
ذال ذراع الشاة أفصح مخبرا * عما يحاذر ضره بنفاذ
راء رميت عصائبا قد ألبوا * فعموا ولما ينصروا بلواذ
زاى زعيم بالوجاهة أنت اذ * كل بجاهك عاذ كل عياذ
سين سبقت بكل فضل يغتدى * جفن المعالى منه ليس بقاذ
شين شأوت مفاخرا كل الورى * وتركتهم غرقى بلجة آذى
صاد صعدت ذرى لموقف زلفة * ترك السعود مقطع الافلاذ
ضاد ضويت الى جلال كافل * لك بالرضى در الجلالة غاذى
طاء طلابك لديك شفاعة * فيها بذذت الجمع أى بذاذ
ظاء ظماؤهم بحوضك سوغوا * ريا كان به مذاقة ماذى
عين علا ذكر افتخارك وارتقى * عن غمر مغتاب وزور الباذى
غين غمام قد علاك مظللا * يمشى بمشيك دائما ويحاذى
فاء فصاحتك البليغة أعجزت * للقوم من قرب ومن شذاذ
قاف قواعد صرح كسرى زلزلت * لولادة اوهت قوى ابن قباذ
كاف كفلت بما تلته والضحى * لجماعة الجارين باستنقاذ
لام لدعوتك المجابة اسبلت * ثروات هتان الحيا ماذى
ميم معين يديك اذ غلب الظما * أروى الورى من توأم وفذاذ
نون نجارك أصله متخير * من بطن ذات علا واطهر حاذى
هاء هتفت على ثنائى شقتى * بعلاك هاذى ما تجلتك هذى
واو ولوانى استطعت اسابقت * قلبى خطى قدمى بالاغذاذ
لا لا كيف قدر شوق باعث * لعزائمى مستنهض شحاذ
ياء يمينا لو قدرت اذن لما * أخرت سعى مبادر حذاذ
دامت عليك صلاة ربك ماهمت * ديم بوبل هاطل ورذاذ

(رجع) الى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الاندلسى (قال تقبل الله تعالى منه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

يا من تقدس عن أن * يحيط وصف بذاته
ومن تعالى جلالا * عن مشبه فى صفاته
ومن قبول ثنائى * اليه أسنى هباته
صل على من تبدى * نور الهدى من سماته

قوله سين الخ ترتيب الحروف فى الاصل فى هذه القصيدة وفيما تقدم من التخاميس والتساديس مغاير لترتيبها المعتاد المعهود عند المشارقة فأجرينا الطبع على المعتاد عندنا لكونه المألوف المتعارف وليس فى ذلك اخلال بشئ اه مصححه

ومن علا الفخر لما * نمى الى معالواته
محمد خير هاد * بحلمه وأناته
محمد خير داع * بالصدق من كلماته
محمد خير مبد * لناسنا معجزاته
أكرم به من نجىّ * همت سما مكرماته
أعزز به من رسول * سمت علا درجاته
وخصه الله منه * بالفضل من تكرماته
لما حباه بأوفى * صلاته فى صلاته

وقال

يارب بلغ سلامى * لاحمد ذى الشفاعه
لخاتم الرسل أعنى * امام تلك الجماعه
لابهر الخلق مجدا * يحكى الصباح نصاعه
لمن صفات علاه * تعجز أهل البراعه
لسيد لسناه * يزهى السنا والبراعه
لمرشد بهداه * قد فاز عبد أطاعه
وناظم الحسن نظما * قد ضمّ منه نصاعه
ويرّ مبرّك يا من * أرى العيون اطلاعه
ومن حبا بذكاه * خلاله وطباعه
ومدّ فى كل فضل * لصفوة الرسل باعه
فزده يارب فضلا * وزد محبيه طاعه

وقال أيضا غيره

لقد رفع الاله عن البرايا * ببعث محمد محن الصروف
اتى والناس فى الآفاق نهب * لسمر الخط أو بيض السيوف
فأنقذهم ولولاه لكانوا * الى بين الضلالة والحتوف
نبىّ لا يغلّ عليه الا * سخيف العقل ذو رأى مؤوف
كأغمار اليهود أو النصارى * أو الفلكىّ أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعامى * وبعض للتحيّر والوقوف
زعانف لا يهولك لها رواء * فان الجهل مائحة الظروف
اذا جارى بمختلّ ضعيف * فان صحاحنا فوق الالوف
فبرهان النبوّة مستفيض * تدل به على رغم الانوف
شفوف الرسل متضح ولكن * لاحمد الشفوف على شفوف
حروف الخط أصل للمعانى * وللالف التقدم للحروف

وما أحسن قول القائل

لولا النبي محمد * هلك الورى في سوء حاله
أعلى الورى قدرا وأكثرهم واظهرهم دلاله
ختم الاله به النبوة والطهارة والرساله
واختصه دون البرية بالمكانة والجلاله
بدر الرسالة والعصا * به حول ذاك البدر هاله
قذف الحصا في أعين الكفار فاعتقوا الجهاله
وتدرعوا ثوب الكآ * بة بعد اظهار الجذاله
فاصغ الى أنبائه * تعلم بان المنتهى له
واذا ابتغيت وسيلة * ومدحته ومدحت آله
فاقطع بأنك آمن * يوم القيامة لامحاله

وقال أبو القاسم سعد بن محمد

اطلق لسانك بالصلاة على النبي الابطحي الهاشمي محمد
واجعل شعارك ذاك تنج به غدا * ان النجاة بذكر يوم للغد

ولابي اليمن بن عساكر

يارب صل على النبي وآله * صلواتنا مادامت الايام
واخصص ختوم سلامنا بجنابه * كالمسك يعبق فض عنه ختام
واحرس شريعته وأوضح سبلها * تسد وبها السالك الاعلام
وأدم كرامته وأعل مناره * وأنله أعلى مالديك يرام
وارفع له الدرجات في رتب العلا * فهو الذى للمرشدين امام
وأقمه بين يديك زلفى موقف * للحمد مالسواه فيه مقام
وأنل شفاعته وأورد حوضه * من لوأتاه يشتكى منه أوام
وأتم له ما لا يرام حصوله * الا ببقياه وعز مرام
وله عليه في الاصائل والضحى * تهدى اليه تحية وسلام
وبه الى تقبيل موطئ نعله * وجد له بين الضلوع أوام

وله أيضا رحمه الله تعالى

ألا ان الصلاة على الرسول * شفاء للقلوب من الغليل
فصل عليه ان الله صلى * عليه ولا تكونن بالبخيل
وصل عليه قد صلت عليه * ملائكة السماء بجبرئيل
ألا ان الصلاة عليه نور * لدى الظلمات في اليوم المهول
وتثقيل لميزان خفيف * وتخفيف من الوزر الثقيل
اذا صليت صلى الله عشرا * بواحدة عليك على الرسول
وتحظى بالشفاعة يوم تجزى * ومالك من مقيل أو منيل
فأكثر أو أقل فأنت تجزى * بذلك من كثير أو قليل

قوله من لوأتاه الخ هكذا في الاصل ولعل صوابه هكذا من لوأتاه يزول عنه أوام والشطر الاول من البيت بعده لاوجود له في الاصل زدناه تتميما للابيات وقوله أوام لا ايطاء فيه مع السابق بحمله على معنى آخر غير معنى الاول بان يراد من الاول العطش أو حره ومن الثاني الدخان أو الحرارة فتدبر اه مصححه

فصل عليه تجز بجزاء ضعف * وتحرز مضاعف الاجر الجزيل
وأولى الناس أكثرهم صلاة * عليه به وأحرى بالقبول
وأنجاهم من الاهوال عبد * بها لهج بدل قال وقيل
فكن لهج بذكراه حفيا * بلقياه ومنصبه الجليل
وصل مدي الزمان على رسول * كريم مصطفى بر وصول
وصل على حبيب حاز فضلا * مدى شأو الكلام مع الجليل
وآتاه الوسيلة مستجيبا * وبلغه نهاية كل سول
وأزلفه وشفعه ليأوى * اليه الناس فى ظل ظليل
وأطد شرعه وحمى حماه * وأيده بواضحة الدليل
وشرفه ولم يبرح شريفا * فيجمع جلة المجد الاثيل
وزاد محبه شرفا وفخرا * بتفضيل وتنويل جزيل
وزاد علاه منه بطول عمر * قضى بنهوضه بطويل
وأوردنا عليه الحوض وفدا * لنروى بالروى من سلسبيل

وله رحمه الله تعالى

أدم الصلاة على النبي المصطفى * تخلص بذاك من الجحيم ونارها
وتول اقبالا عليها كلما * هتف المؤذن مشعرا بشعارها
فالفخر أجمعه له فتلقه * من نوبة الاسحار فوق منارها

فهذه عدة قصائد فى مدحه صلى الله عليه وسلم أرجو من الله سبحانه أن تكون مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللهو فان ذلك والله قول لا فعل له وانما هو على نهج أهل الادب كالحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وغير واحد ممن ألف فى الادب وجمعه (ولا بأس) أن نعززها بمقطوعات تكون للتكفير زياده وحق لمن توسل بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لا تضيع وسائله وكيف وهو صاحب المقام المحمود والشفاعة والسياده فمنها قول ابن الجيان المذكور آنفا رحمه الله تعالى

الى أحمد المختار نهدى تحية * تفاوح روض المزن بالله المزن
اذا نفحت مغناه زاد تأرجا * وان لثمت يمناه قابله اليمن
أسير أشواقى رسولا بعرفها * لتسعدها منه العوارف والمن
وأرجو اليه الفصل فهو منيله * وما خاب لى فيه الرجاء ولا الظن
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة * اليه استنادى حين ينبو بى الركن
به وثقت نفسى الضعيفة بعدما * أضر بها من ضعف قوتها الوهن
اليه صلاتى قد بعثت ومشفعا * سلاما به الاحسان ينساق والحسن

وقوله رحمه الله تعالى

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه * بذكر شفيع بالذنوب مشفع
ولم أقض فى حق الصلاة فريضة * على ذى مقام فى الحساب مرفع

قوله بدل هكذا فى الاصل ويقرأ بسكون اللام للضرورة كما لا يخفى ويمكن أن يقال عوضا عنه بلا تأمل اه مصححه

قوله روض المزن هكذا فى الاصل ولعل الاوفق ربا الروض تأمل اه مصححه

قوله بالذنوب هكذا فى الاصل ولعل الاصوب فى الانام تأمل اه مصححه

أرجو لديه النفع في صدق حبه * ومن يرتج المختار لا شك ينفع
وأهدى الى مثواه مني تحية * اذا قصدت باب الرضى لم تدفع

وقوله رحمه الله تعالى

يا أرحم الخلق يوم الحشر والندم * ارحم عبيدك ياذا الطول والنعم
اني توسلت بالمختار سيدنا * الطاهر المجتبى من خيرة الامم
اليك من سيآتي انها عظمت * ياواحدا لم يزل فردا ولم ينم
عليه منك صلاة كلما طلعت * شمس وما خط في الاوراق بالقلم
فهو الشفيع الذي أرجو النجاة به * من الجحيم اذا الكفار كالحمم

وقوله أيضا رحمه الله تعالى

بحبيب القلوب معتمد الخلق أبي القاسم النبي الشفيع
قد تشفعت من ذنوبي الى ذي العزة الواحد العلي السميع
فاشفع اشفع ياخاتم الرسل يوم الحشر والمشهد العظيم الفظيع
لظلوم لنفسه قد تناهى * في الخطايا وكل فعل شنيع
فاذا ماتذكر الذنب فاضت * مقلتاه واغرورقت بالدموع
لاتخيب رجاءه انه مسن * وبه خائف كثير الخشوع
وعليك الصلاة بدءا وعودا * ماأضاءت ذكاء عند الطلوع

وقوله أيضا عفا الله تعالى عنه

يارب ان شفيعي من ذنوبي في * يوم القيامة خير الخلق والنسم
محمد خاتم الرسل المبلغ للدين الحنيفي والاسلام للامم
عليه مني صلاة كلما سجع الحمام فوق غصون البان والسلم
وبعد ذلك أعداد الجبال ورمل الارض والطير والحيتان والنعم
كذاك أيضا سلامي طيب عطر * عليه ماقام عبد في دجى الظلم
لله وهو كئيب خائف وجل * من الذنوب حزين القلب ذو ألم

وقول الشيخ الامام أبي زيد الفازازي رحمه الله تعالى

كملت بنعت محمد خير الورى * غرر القصائد كلها وحجولها
واختص دون الانبياء بدعوة * وسع العباد عمومها وشمولها
فاضت على الثقلين منه أشعة * طلعت وماعقب الطلوع أفولها
فالانس تعلم أنه مقصودها * والجن توقن انه مأمولها
كم آية بالصدق كان ظهورها * كم آية بالسبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحي فهو شهادة * لمحمد لزم العباد قبولها
جمع الاله المكرمات لامة * هذا النبي الهاشمي رسولها

وقوله رحمه الله تعالى

أي نور كشف الله به * سدف الباطل عنا أجمعين

ختم الله به أنواره * عندما أكمل سن الاربعين
وأتانا بدليل بين * عجزت عنه دواعي المدعين
فهو للناس جميعا مرشد * وهو بالله تعالى مستعين
تركت دعوته وهو الرضى * سائر الخلق اليها مهطعين
فاعدد أتباعه فهو منى * أنفس القائل والمستمعين
والذي يهدي الى شرعته * فهو مزاح عن عذاب المعين
والذي يرغب عن سنته * فهو من شيعة ابليس اللعين

(وقوله وهو كما قبله لزومي)

أصح فلخير العالمين مناقب * تدل على التمكين والشرف الاسرى
أتى والورى أسرى فكان غياثهم * بنور سماه ينتلوه عن الاسرى
وعفى رسوم الكافرين وأهلها * فلا قيصر من بعد ذلك ولا كسرى
تقدم كل العالمين الى مدى * تظل به الاوهام ظالعة حسرى
وخص بتشريف على الناس كلهم * ومن لم يقل هذا تقوله قسرا
ترقى الى السبع الطباق ترقيا * حقيقا ولم يعبر سفينا ولا جسرا
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة * يجعلها من لا تيسر لليسرى
فسبحان من أسرى اليه بعبده * وبورك في الساري وبورك في المسرى
وكم عجب أوحى الى عبده به * فدونك تجميلا ولا تطلب الفسرا

(وقوله رحمه الله تعالى)

هاك عن هذا النبي المصطفى * خبرا يقبله من سمعه
سبحت صم الحصى في كفه * ثم في كف الهداة الاربعه
واذا أبدى نبي عبرة * فهو لا ينكر فيمن تبعه
أي نطق قد روى اعجازه * عن سماع كل من كان معه
جمع الرسل التي قد سلفت * أصبحت في أحمد مجتمعه
فاعتقد صحتها واعمل بها * فبها أوى ضدها منقطعه
ممكنات العقل لا يجحدها * غير أهل الطبع والمبتدعه

(وقوله رحمه الله تعالى)

اذا أمات من مولاك قربا * فجدد ذكر خير الانبياء
وصل عليه أول كل قول * وآخره بصبح والمساء
فان محمدا أعلى البرايا * محلا في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمنى يديه * وكل الناس من دون اللواء
فحدث عن دلائله فقيها * شفاء للنهى من كل داء
ولست بناقل العشر منها * وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا * محال ليس يحصر بانتهاء

قوله فهو مزاح الخ هكذا في الاصل ولا يخفى عدم موافقته للوزن وصوابه فزاح الخ وقوله عذاب المعين لا يخفى أيضا ما فيه فلعل صوابه عذاب المذعين أي المفزعين من أذع كأ فزع وزنا ومعنى أو كلمة أخرى تلائم المعنى والوزن فتدبر اه مصححه

٢ قوله بنور سماه الخ هكذا في الاصل ولم يظهر لي معناه مع ما فيه من حذف نون يتلوه من غير ناصب ولا جازم وان كان لغة فلعل أصله هكذا (بنور سما بالمؤمنين عن الاسرى) وربما أيد ذلك قوله بعده وعفى رسوم الكافرين تأمل اه مصححه

٤ قوله دلالة لعل الاوضح جلالة اه

براهين البسيطة ليس تحصى * فدونكم براهين السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

أتانا عن يمين محمد * ويساره فهما اسماء
كلتاهما ان صح الشرعي لنا طعم وماء
واذا اضر بنا السقا * م وغيره فهما شفاء
فاعجب لكف في الورى * فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بان محمدا * في الخلق ليس له كفاء
فاذا أضحت لآية * فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشمي بدا فليس له خفاء
فالارض قد نصت بيمنه وقعت السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

بركات رسل الله غير خفية * ومحمد خير البرية أبرك
هذا النبي الهاشمي هو الذي * هدى الانام به وبان المسلك
كم آية لمحمد كم حجة * عز الولي بها وذل المشرك
دعواته مسموعة مرفوعة * والحس ليس يصح فيه تشكك
لاشئ أعجب من دليل واضح * يحيي به بعض وبعض يهلك
أمسك بحبل محمد خير الورى * تظفر بقصدك أيها المستمسك
واذا عجبت لغاية في رفعة * فمحل أحمد غاية لا تدرك

(وقوله رحمه الله تعالى)

قيل الذين فانهم جحدوا الضروره
والمعجزات تواترت * عن أحمد في كل صوره
والله أعلى حكمه * في خلقه وأتم نوره
كثر الطعام مع الشرا * ب بكفه عند الضروره
وتكنفته عناية * من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو * ب الى اجابته مصوره
وحمى الشريعة بالدليل فدع معاندها وزوره
قل للمشكك حين يبدى في تشككه قصوره
بيني وبينكم الكتا * ب فدونكم فأتوا بسوره

(وقال رحمه الله تعالى)

اذا بهرت للهاشمي دلالة * فكم حجج في طيها ودلائل
فكم مرة آتى الغنى كف سائل * وكم مرة اعطى المنى فكر سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة * معدلة لم تبق قولا لقائل
يحدث عما كان أوهو كائن * فقس آخرا من صدقه بالاوائل

اذا الصدق لم يعوزك فى غدواته * فلا شك فى تصديقه بالاصائل
وحسبك فى الانباء بالغيب أنه * ستسمعها بالنقل من قول قائل

(وقوله رحمه الله تعالى)

ياذا المعنى بهذا الذكر تسمعه * فى المدح تأثره فى سيد الناس
هذا النبى ومن آيات أثرته * فى الطيب والطول لاتجرى بمقياس
قد انقضت معجزات الغيب وافية * صحيحة باستفاضات واحساس
وهاك نوعا من الاعجاز منتزها * عن نقد منتقد أوصفح قرطاس
لاتعدم النقل عن آثار سيدنا * فانما نحن فيها بين أغراس
تنقل الانف فى النوار ينشقه * من ياسمين الى ورد الى آس
ان القلوب اذا اعتلت خواطرها * فذكر أحمد فيها المبرئ الآسى

(وقوله رحمه الله تعالى)

تأدب اذا ذكر المصطفى * بصمت اللسان وغض البصر
فان التأدب عند السما * ع يفهم فى النطق أوفى النظر
وردد أحاديثه انها * دليل على صدق خير البشر
وصل عليه مدى ذكره * فذلك أفضل مايدخر
ولاتسترب فى براهينه * فتسلك مسلك قوم أخر
فكم آية ظهرت للنبى * وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك فى نور برهانه * على أن برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا * وقل فوق طورك هذا الخبر

(وقوله رحمه الله تعالى)

اعمل بآثار النبى فانها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين
واشدد يمينك بالشريعة انها السبب المتين
خير البرية أحمد * والحق يصحبه اليقين
ذو قوة عند الاله مقرب منه مكين
زان النبيون الورى * ومحمد لهم مزين
هاد الى طرق النجا * ة مؤيد فيها أمين
والهج بمدح الهاشمى فانه الحصن الحصين
والن فعلت فلن تفو * تك بعد ذا دنيا ودين

(وهذا التسديس جعلته للكتاب مسك الختام)

وللناس أعمال نخير وضده * ومايحسن الاعمال غير الخواتم

والا فالامداح النبوية بحر لاساحل له وفيها النثر والنظام زاده الله شرفا وحباه أفضل الصلاة وأزكى السلام (وهذه القصيدة) من نظم الفقيه الاجل ابى الحجاج يوسف بن

ونبى المنتخ ابن فرئ الاندلسى نفعه الله تعالى بنيته وبلغه غاية أمنيته وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروى فانه على حرف الميم وكذا آخر الشطر الذى قبله فانه ميم أيضا وهذا نصه بحروفه ماعدا حرف الواو فانى لم أجده وكملته على منواله

حل فى طيبة رسول كريم * فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الانبياء * مرشد الناس للطريق السواء
والعماد الملاذ فى اللأواء * وشفيع العصاة يوم الجزاء
يوم يدلو به جاه عظيم * فعليه الصلاة والتسليم
أذهب الغى نوره والغياهب * فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالبا للاكاذب * وبدت منه للانام عجائب
صدق أقواله معاليم * فعليه الصلاة والتسليم
لبراهين صدقه معجزات * حيثما حل حلت البركات
وسمت أربع به وجهات * فبه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والحطيم * فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هاديا صدوق الحديث * ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيبا لدعوة المستغيث * وكريما نداه فوق الغيوث
ونداه بالجود جود عموم * فعليه الصلاة والتسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج * سيد نوره أضاء الدياجى
خصه الله ليلة المعراج * باصطفاء ورفعة وتناج
وبتكليمه له التكريم * فعليه الصلاة والتسليم
مصطفى مجتبى كريم صفوح * للنبيين جاهه ممنوح
ولاكرامه أجير الذبيح * ونجا آدم وخاص نوح
وكذا الخليل ابراهيم * فعليه الصلاة والتسليم
بعثه كان رحمة للعباد * دلهم بالهدى طريق الرشاد
وثنى كل باطل وعناد * ودعا للاله دعوة هاد
فاذا الحق واضح مستقيم * فعليه الصلاة والتسليم
أمه بالشكاة ظبى أحمد * مستجير الجاهه بستنجد
وبه كانت الوحوش تلوذ * وله خاطب الذراع الحنيذ
لاتذق فانى مسموم * فعليه الصلاة والتسليم
أشبع الجيش والطعام يسير * ودعا نخلة فجاءت تسير
وهمى من يديه عذب نمير * وله البدر شق وهو منير
معجزات تحار فيها الفهوم * فعليه الصلاة والتسليم
جيب النور فى السموات جازا * فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
فبه فى غد ننال المفازا * وكفى أمة الرسول اعتزازا

قوله باصطلاح أهل المغرب الخ وقد أبقيناه هنا فى هذه القصيدة ليعلم لدينا ترتيب حروف المعجم عندهم وغيرناه فيما سبق الى ترتيبها عند المشارقة لكونه المتعارف لهم والمألوف عندهم وليس فى ذلك اخلال بشئ كما تقدم وقوله ماعدا حرف الواو الخ مثله حرف الخاء المعجمة أيضا فانه ساقط فى الاصل وقد أتيت به على المنوال الموصوف تتميما للحروف فقلت بعد الحاء المهملة

مجده دونه الجبال الشوامخ
شرف دون شأوه كل باذخ
شرعه جاء للشرائع ناسخ
وهو طود فى نصرة الدين راسخ
ذو أناة على السفيه حليم
فعليه الصلاة والتسليم
اهـ مصححه

أن تمنى يكون منها كليم * فعليه الصلاة والتسليم
انما حكمه عدل وقسط * لم يجر فى القضاء والحكم قط
حبه فى بلوغ قصدى شرط * وبامداحه ذنوبى تحط
وبزول العنا وتجلى الهموم * فعليه الصلاة والتسليم
قد حمى ديننا برعى ولحظ * ونفى روعنا بأمن وحفظ
وحبانا بمالدى الرب يحظى * هاديا راحما لساغب رقظ
مثل مانصه الكتاب الكريم * فعليه الصلاة والتسليم
نور برهانه جلا كل شرك * وهداه أجار من كل هلك
خير العالمين من غير شك * فلكم رامه العداة بشك
وهو فى كل حالة معصوم * فعليه الصلاة والتسليم
ما لخير الانام مثهم عديل * انه مجتبى نبى رسول
ما عسى مادح الشفيع يقول * وبامداحه أتى التنزيل
وثناء خلاله مرسوم * فعليه الصلاة والتسليم
نحن لولا اتباعه لشقينا * نور برهانه أرانا يقينا
وغدا ما نخاف منه يقينا * وكؤوسا بحوضه قد سقينا
من رحيق مزاجه مختوم * فعليه الصلاة والتسليم
أحمد عند ربه ذو اختصاص * جاهه كامل بغير انتقاص
عدّة للمسىء يوم القصاص * وشفيع لكل جان وعاصى
يوم يحفو الحميم فيه الحميم * فعليه الصلاة والتسليم
بيديه حوائج الكل تقضى * ويجاز الذى أطاع وأمضى
وينادى الحبيب أنت المرضى * سوف نعطيك ما تحب وترضى
فتحكم يمضى لك التحكيم * فعليه الصلاة والتسليم
فاق بالمولد السعيد ربيع * ان فيه بدا الجلال الرفيع
من هو الذخر والعماد المنيع * بملاذ للمذنبين شفيع
ورؤف بالمؤمنين رحيم * فعليه الصلاة والتسليم
أفصح الناس فى حديث وأبلغ * بين الوحى للانام وبلغ
طيب الحل قد أباح وسوغ * ولكم نعمة من الله سوغ
فلاحسانه علينا عميم * فعليه الصلاة والتسليم
كان بالحق والهدى معروفا * أجود الناس بالندى موصوفا
شرف الله قدره تشريفا * هاديا مرشدا رسولا شريفا
مجده فى العلاء مجد صميم * فعليه الصلاة والتسليم
وجهه بالبها أضاء وأشرق * مجده فى صميمه الاصل أعرق
مس فى كفه قضيبا فأورق * باصبع قد أشار للبدر فانشق

قوله انما حكمه الخ هكذا فى الاصل والموافق للوزن أن يقال انما الحكم منه عدل الخ تأمل اه مصححه

قوله خير العالمين كذا فى الاصل واعله أخير أو أفضل كما لا يخفى اه مصححه

ثم قد عاد وهو بدر سليم * فعليه الصلاة والتسليم
جاءه الوحى أنت خير الناس * بلغ الامر لاتخف من باس
وخذ العفو للانام وواس * واحمهم من مكايد الوسواس
فعليك البلاغ والتعليم * فعليه الصلاة والتسليم
كان فى الله أثبت الناس جاشا * ليس من غيره يخاف ويخشى
فبكف من الحصى فل جيشا * وعيون العداة بالترب أعشى
فنجا المصطفى وخاب الظلوم * فعليه الصلاة والتسليم
قد سما قدره بغير تناهى * وعلا جاهه على كل جاه
آمر بالتقى عن الشر ناهى * من يطعه ينل ثواب الاله
وله عنده النعيم المقيم * فعليه الصلاة والتسليم
عمدة الخلق للمفاخر حاوى * بحماه يلوذ كل وياوى
مبلغ المعتفى الذى هو ناوى * كيف يحصى ثناء أحمد راوى
وعليه أثنى الكتاب الحكيم * فعليه الصلاة والتسليم
حسنه كالصباح بل هو أجلى * وندى كفه من الشهد أحلى
واعتلا قدره من السبع أعلى * مدحه فى الكتاب مازال يتلى
فله الفخر والثناء العظيم * فعليه الصلاة والتسليم
خصه الله من رسول نبى * فى جميع الورى بقدر على
وحباه منه بنور بهى * فهدى الخلق للصراط السوى
وصراط الهدى سوى قويم * فعليه الصلاة والتسليم

قال مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير أحمد بن محمد المقرى المالكى وفقه الله تعالى الى حسن المتاب وحباه الدخول فى زمرة من رفع عنهم بشفاعة المصطفى الاصر والعتاب (هذا) آخر ما سمح به الخاطر الكليل من هذا المقصد الجليل الذى يكون الى ماوراءه من الطرف الادبية خير دليل ووضعته والقلب حليف شجن وغربه والفكر أليف حزن وكربه وأنا أسأل الله تعالى الذى لا يرجى سواه أن يجعل بناءه ثابتا بحسن النية حيث البناء الذى فيه حظ النفس واه وأن يكون ما طلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفرا وأن ينفع به من وجه اليه وجهته فانى قد جمعت فيه ما يندر جمعه فى غيره وكل الصيد فى جوف الفرا

يامن عليه اتكالى * ومن اليه متابى
جدلى بعفو لذنبى * اذا أخذت كتابى

(واعلم) أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ولمن يعانى الانشاء والنثر من البيان السحر وفيه من الوعظ والاعتبار مالا ينكره المنصف عند الاختبار وكفاه أنه لم ير مثله فى فنه فيما علمت ولا أقوله تزكية له ويعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض ومنه سلمت ولولم يحز من الشرف الا ختمه بهذه الامداح النبوية الشريفة ذات الظلال

الوريفة لكان كافيا شافيا وها أنا أجعل آخره تنبيها اللبيب قول ابن حبيب

يا خير مبعوث له طلعة * نور الهدى منها أقرّ العيون
جئت الى ناديك أرجو القرى * من غيث كفك المغيث الهتون
كن لى شفيعا فارتكاب الهوى * أوقعنى بين الشجا والشجون
صلى عليك الله سبحانه * ماهزت الريح قدود الغصون

وقول النواجى

لقد أفرطت فى حسن ابتداء * ورمت تخلصى يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفو ربى * ليرشدنى الى حسن الختام

(وكان) الفراغ منه عشية يوم الاحد المسفر صباحها عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين والف بالقاهرة المحروسة والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وألحقت فيه كثيرا فى السفرة بعد هذا فكون جميعه آخر الحجة تتمة سنة تسع وثلاثين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم دائما أبدا الى يوم الدين

يقول مصححه الراجى من ربه المنان جزيل الفضل والامتنان وجميل الاحسان والامان محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن مصحح دار الطباعة الميريه بالديار المصريه بعد حمد الله على ما أولاه والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم الذى عمت آدابه على الخلائق انسجم وزاخر مكارمه عمّ وجم وتقاعس عن مباراته كل مدّع وأعجم أفصح من نطق بالضاد وأفحم كل مضاد كيف لا وقد أوتى جوامع الكلم وسواه لم يكد يعشار عشر فصاحته يلم وعلى جميع آله وأصحابه وسائر أوليائه وأحبابه ان مما لا يحتاج الى بيان لشهادة الحس به والعيان أن حضرة الخديو الاكرم وجناب الداور الافخم من بنور عدالته غيهب الجور تلاشى حضرة صاحب الديار المصرية افندينا محمد سعيد باشا لا تحصى مناقبه ولا تستقصى مواهبه ولا تحصر مفاخره ولا تضبط مآثره فكم له من آثار حسنه ومشروعات مستحسنه صادرة عن روية سليمه صائبة مستقيمه لا يخطئ سهمها الغرض متى لاح لها وعرض ولا غرو فقد غذى بدرّ المعارف وتضلع بالتالد منها والطارف وكسى من حللها بالمطارف وتفيأ من ظلالها بالمديد الوارف الى شجاعة حيدريه وعدالة عمريه وأمانة عامريه وأبهة قيصريه وابالة كسرويه وأناة احنفيه وحكمة يمانيه ومحبة للعفو مأمونيه فهو جدير بما قلته فيه وان لم اكن ممن يحتذى هذا المنهج ويدتنبه لقلة البضاعه وعدم الاستطاعه غير أن نعمه التى بحلاها طوّقتنى بقدر حالى من الشعر أنطقتنى فقلت من قصيدة

بشرى لنا جاء السرور وعيده * والدهر سالمنا وزال وعيده
وبشائر الاقبال أصبح طيرها * يشدو فيأخذ بالنهى تغريده
يزرى بألحان المثانى سجعه * ما الموصلىّ وزلزل ما عوده
حيث الهنا بالانس أضحى روضه * نضرا وأينع بالمسرة عوده

قوله وألحقت فيه الخ لعل هذا هو منشأ ما فيه من التكرار المنبه على بعضه بالهامش المرار اه مصححه

والبشر قد وافى وفاح بوره * وتنجزت بعد المطال وعوده
لم لا وموئلنا العزيز محمد * ألداورى فخر الزمان سعيده
كنز العطاء غيث الندى بحر الوفا * ليث الشرى تحمى العداة جنوده
يعطى عطاء دونه جود الحيا * ما حاتم فى عصره ماجوده
فلطالما أحيا عديما فاغتدى * من بعد ضنك لا تعد نقوده
ولكم أغاث صريع فقر مدقع * فأتاه من بعد الشقاء سعوده
والنيل لولا انه يحكى عذو * بة نيله ما كان طاب وروده
انسى السموأل ذكر بعض وفائه * وكذا اياس فى الذكاء وليده
هو فى الوغى سفاحه منصوره * وكذا فى الرأى السديد رشيده
حامى الحقيقة ذو حفاظ أشنه * شاد بيته قومه ووفوده
أمثاله هو ابن نجدتها ومن * رام الدليل عيان ذاك شهيده
ذو حكمة لو ذاقت الحكماء منـ * ـها قطرة قالوا انحن عبيده
ومعارف وعوارف تقضى بأن * جنابه فرد الزمان وحيده
ومكارم ومراحم معشارها * من رام احصاه بدا تفنيده
وعدالة عمرية يعنوالها * كسرى لان الداورى يسوده
وشجاعة من باس حيدرة لها * ذل العدو قريبه وبعيده
شيم تنظم عقدها بفرائد * ألدهر منها قد تحلى جيده
شيم سمت فكأنهن كواكب * سيارة يسرى بها تحميده
شيم تغار الزهر من لمعانها * فلذا استدام بطرفها تسهيده
شيم ثناها الخطار فية الالى * سلفوا وأقيال الزمان وصيده
فيه اجتمعن وما جمعن لغيره * والله يعطى من يشاو يريده
ياسعد من أدناه وهو وليه * وشقاء من اقصاه وهو طريده

وقلت فى آخرها

حسبى لديك من العناية نظرة * تحيى ارتياحى والعناء تبيده
والعبد محسوب على ساداته * وبهم يتاح لعبدهم مقصوده
ومتى توجهت العناية نحوه * يكفيه فهو بدهره مسعوده
لازال هذا الداورى يسمو على * أوج المعالى والاله يزيده
وعلى اريكة عزه مستقبعا * حسن الثناء مؤيدا تخليده

وحسبك شاهدا على ميله لترفيه العباد ومحبته لنشر المعارف على الحاضر منهم والباد صدور أمره الشريف بطبع عدة كتب أدبية مختاره ليتسنى بذلك لكل طالب أن يستخرج شورها ويشتاره منها هذا الكتاب الذى جمع من الآداب ما يزرى بالقلائد الدريه ويزدرى العقود الجوهريه من كل معنى لا ينال لكل اديب الا انه وان بعد شأوه فهو للادراك قريب قد أفرغ فى قالب من الالفاظ يفعل بالالباب ما لا يفعله بها

سحر الالحاظ رقة وانسجاما وعذوبة تنسيك كاساوجاما الى فوائد تاريخيه وتخطيطات جغرافيه ومسائل اصوليه وفروع نقلية وعقليه وسائر ما يتعلق بالبلاد الاندلسيه من فتحها بقوة الاسلام القدسيه وما أصيب فيها من الغرائب وما اشتملت عليه من العجائب وامهات مدنها وقواعدها وبعض أخلاقها وعوائدها ومن تشرفت بدخوله من صالح السلف ومن تبعهم من الخلف وملوكها وسلاطينها وأركان دولتها وأساطينها ومن أعمل الرحلة اليها وعوّل في قصده عليها أوخرج منها وتحوّل عنها بقصد أداء فريضة الحج والقيام بشعيرة العج والثج والرواية والتحصيل والاخذ عن الائمة بالاجمال أو التفصيل والالماع بطرف من أخبارهم ومستملح نوادرهم في اقبالهم وادبارهم وماكابده أهلها لما اشتد عليهم هوانها واضمحلت صولتهم وتغيرت دولتهم بتغلب العدوّ على بلادهم واستيلائه على طريفهم وتلادهم وما يتعلق بلسان الدين الذي هو موضوع هذا المؤلف والغرض الاصلي لمن له الف وغير ذلك مما هو فيه مقرر ومسطور ومحرر فتلقى أمره العالي بالامتثال وطبع ما تيسرت اصوله منها حتى ساح سيحه في الاقطار وانثال وحصل التشبث ايضا بطبع الكتاب المذكور حتى كمل وجاء بحمد الله تعالى وعونه على وفق الامل غير انه لم يكن بيدي من اصوله الكاملة الا نسخة مبرية واحده لكنها بالسقط والتحريف في مواضع عديدة تكاد تكون لحق الكتاب جاحده ولم يكن معي ما يعين على اثبات حقه ويساعد على تمييز كذبها في تلك المواضع من صدقه الا نسخة مخرمة في الاثناء والاواخر فكنت بها عند الاجتياز بتلك المحال كاني بفلك في بحر التصحيح ماخر وكثيرا ما كانت تنعكس القضيه وتسلك الاخرى طريقة غير مرضيه فيصير المعين معانا ويبدى انقيادا واذعانا وربما اتفقا على الزلل فيوجبان السآمة والملل لانفراد الذهن حينئذ بالمعاناه في الوقوف على اللفظ ومعناه والتزامه ملاحظة السياق ومراعاة اللحاق والسباق واستعمال التحريف وارتكاب التصحيف ومراجعة المظان ان تيسرت وسؤال من يتسنى من ارباب المعارف ان تعذرت أو تعسرت فتارة يحصل بفضل الله تعالى الوقوف على الحقيقه ويجزم بأن هذه الطريقة بالاعتبار هي الحقيقه وتارة تكون الاخرى فيكون الاعتراف بالعجز أحرى وانما نشير الى محل التوقف برقم أو تعليق على الحاشيه كما هي في كتب تصحيحنا العادة الفاشيه حتى جاء حديثه في فن التصحيح بمنه تعالى ما بين حسن وصحيح يقرّ عين الودود ويسخن عين الحسود ويسرّ المنصف ويسوء المتعسف ومن ارتاب في ذلك واتهمني فيما هنالك فليطلع على الاصل والمطبوع فانه يذعن للحق ويجزم بان ما قلته هو المقبول المتبوع على أني بين أبناء جنسي دائما اتلو وما أبرئ نفسي اذ لا بد من زلل يوافق وقت ملل ولا بد من نسيان يعرض عند تشوّش الاذهان وكيف يسلم غير المعصوم وهو بالعجز والنسيان موصوم .

من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وقد ابى الله العصمة الا لكتابه المجيد فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد هذا وكاني بتشدق متعنت متشقشق يحمله الحسد لنهجي الاسد على القدح بما هو شعاره والطعن بما هو دثاره والتشنيع بما هو ديدنه والخوض بما هو دأبه وسننه حسبما جرت به عادته الذميمة المشاكلة لرؤيته الدميمة واقتضاه لؤمه ونحسه وشؤمه غير ملتفت لعيوب نفسه المنادية بفضيحته وبخسه الفائتة حد التعداد التي لا يلوث بها الطرس المداد استقذارا لذكرها واكتفاء بشهرة أمرها فلا جواب لمثله الا الطرح في زوايا الاهمال وجعل كيده في نحره وكفى الله المؤمنين القتال

سكت عن السفيه فظن أني * عييت عن الجواب وما عييت

ولكني اقول

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا * لاصبح الصخر مثقالا بدينار

بل مذمته تشهد لي بالكمال جريا على قول من قال

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل

وأفوض أمري الى مولاي اللطيف الخبير فهو نعم المولى ونعم النصير هذا ولما وافى طبع ذلك الكتاب حد التمام وفاح من تمثيله مسك الختام في الايام السعيدية التي هي في جبهة الدهر غرة وفي ثغره ابتسام قلت مؤرخا كمال طبعه في هذا العام ومتوسلا أيضا بمدح حضرة ولي النعم بما هو على قدري من النظام وان لم اكن أهلا لذلك المقام

رب قلب لم يرم عن ياسه * ما درى استنقاذه من باسه
فليمط عن نفسه أدرانه * وليعذ بالله من وسواسه
وليذد عنه قنوطا طالما * أضرمت فيه لظى مقباسه
هل ليأس من علوم ويجهة * والخديوي العلم من أغراسه
غرس العلم لنا في مصرنا * وهو الناتج من غراسه
أسس الآداب فيها واعتنى * فهي تستعلي على آساسه
فتحلى جيد مصر بحلى * من لآلي عقدها أوماسه
وازال الجهل عن أبنائها * ومحا ما كان من أرجاسه
أبدل الوحشة منها منعما * بالذي اولاه من ايناسه
مدن القطر بتعليم وتر * بية قد أثرت في ناسه
أدركوا في الحرب نشاطا لما * خادم حمى الغير عن برجاسه
فتراهم في الوغى أسد الشرى * يرهبون الليث في أخياسه
ولكم أردوا شجاعا اذ ادها * يضرب الاخماس في أسداسه
ولكم من بطل قد تركوا * يخبط العشواء في ابلاسه
ولكم داروا بحصن شامخ * وسطوا فيه على حراسه
ولقد حازوا فنونا جمة * كسبوها من سنا أرغاسه
وسموا في ظله ما قد ثوى * من قديم العهد في أرماسه

أدبا لؤلؤه طول المدى * لم يزل يقذف من رجاسه
حيث أحيا ميته بالطبع فى * مصره فانثال فى قرطاسه
وكتاب النفح أسنى كتبه * اذ هو الممتاز فى أجناسه
صدر الامر لدار الطبع أن * يطبعوه الآن فى أطراسه
بمجرى التصحيح والطبع له * وبذا أخرج من ديماسه
مذ تناهى الطبع فيه وبدا * نور هذا الفن من نبراسه
وملا الكون عبيرا نشره * فانتحى من ورده أو آسه
قلت فيما ارخوه الداورى * نشر نفح الطيب من أنفاسه

١٩٧ ٩٠ ٥٢ ١٣٨ ٥٥٠ ٢٥٩

وكان اتمام طبعه واكمال تمثيله ووضعه فى دار الطباعة الميريه بالديار المصريه فى بولاق مصر القاهره ذات المحاسن الباهره تحت ملاحظة مأمور تجهيز أشغالها ومباشرة أعمالها جناب حسين افندى حسنى لازال لسان الصدق والاجتهاد عليه يثنى موافقا ذلك اواسط شهر ربيع الاول شهر ميلاد من عليه فى الدارين المعول سنة ١٢٧٩ تسع وسبعين بعد المائتين والالف من هجرة من كان يرى من الامام يرى من الخلف صلى الله عليه وعلى آله وسائر الناسجين من أمته على منواله ما لاح بدر تمام وعبق نوافح مسك الختام

